البركة

في فضل السعي والحركة

لأبي عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن عمر
الوصابي الحبشي المتوفى سنة ٧٨٢ هـ

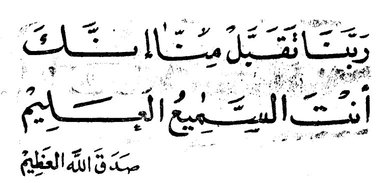
١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م

الناشر

المكتبة الأزهرية للتراث

٩ درب الأتراك خلف الجامع الأزهر الشريف

ت: ٥١٢٠٨٤٧


ربنا تقبل منا إنك
أنت السميع العليم
صدق الله العظيم


المطبعة الأزهرية

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الشيخ الإمام الصالح الورع الزاهد العلامة جمال الدين محمـــد بن عبد الرحمن بن عمر بن محمد الحبيشى الوصابى ، تغمده الله برحمته وأسكنه بحبوح جنته ، وأعاد علينا وعلى المسلمين من بركاته بجاه محمد وآله آمين .

الحمد لله الملك الجواد ، الهادى إلى سبل الرشاد ، الذى خلق الخلق كما أراد ، وجعل الأرض مهاداً وأوتدها بالأطواد(١) ، وأنزل من بركات السماء ماء مباركا ليحيى به البلاد ، وأخرج من بركات الأرض زرعاً ونباتا تعيش به العباد ، ولم تزل نعمه سبحانه وتعالى فى كثرة وازدياد مالها من نفــــاد .

أحمـــده على النعم التى لاتحصيها الأعداد ، حمداً مباركا يوافى نعمه ويكافىء مازاد ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له المنزه عن الصاحبة والأولاد ، شهادة أعدها ليوم المعاد ، وأستعين بها على الكرب الشــــداد .

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الذى أرشده وأفاد ، وأهان الله به الشرك وأباد ، وجعله بركة ورحمة على الحيوان والجماد ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه السادة الأجواد ، صلاة متوالية دائمة إلى يوم المعاد(٢) .

---

(١) المهاد : الفراش . والأطواد : جمع طود وهو الجبل العظيم .

(٢) فى ن : التناد .

أما بعـــد : فإنى لمـا رأيت أهل بلدتنا هذه فى الكد مجتهدين ، وعلى الاشتغال بالحرف معتمدين ، مواظبين على ذلك معتضدين(١) ، وصاروا إذا رأوا أهـل الرفاهية(٢) فى البلدان ، وراحـة الرجال فيها والنسوان ، استنقصوا أحوالهم ، وازدروا أفعالهم ، ظناً منهم بأن الدعة والسكون ، أمر فاضل مسنون ، كأنهم لم يبلغهم قول الرسول ﷺ حيث يقول : « إن الله لا يحب الفارغ الصحيح ، لا فى عمل الدنيا ولا فى عمل الآخرة » ، وقوله ﷺ : « أشد الناس حساباً يوم القيامة المكفى الفارغ » .

أحببت أن اشرح لهم فى هـــذا الكتاب مايسلى قلوبهم ، وينفس كروبهم ، من فضائل الصناعات ، وأنها للأنبياء عادات ، وأبين فضل الكد فى الزراعات ، وأن الزرع أفضل المكاسب الطيبات ، وهو من أهم فروض الكفايات ، إذ به تعيش الحيوانات .

وأذكر ماورد فى ذلك من الأحاديث والروايات ، والآيات الكريمات البينات ، وأبين فضل الساعى على البنين والبنات ، وفضل محبهم ومتحفهم فى كل الأوقات ، وفضل من أطعم ذوى الحاجات ، وفضل خدمة المرأة لزوجها وعولها(٣) وأن من أفضل فعلها اجتهادها فى غزلها .

وأذكر فيه الأشياء المنمية للمال ، التى من استعملها سلم فى دنياه من الأهوال ، وحشر فى أخراه مع الأبدال .

وأورد فيه من الطب ماروى فى الحديث النبوى ، بشرح قوى .

وأردف ذلك بأحاديث تعم فيها البركة ، وتنفى عن المرء الهلكة ،

---

(١) الاعتضاد : التعاون .

(٢) الرفاهية : السعة فى المعاش والخصب . من غريب المصنف .

(٣) عال عياله : قاتهم وقام بحاجاتهم وأنفق عليهم .

وبأذكار مأثورة ، بركتها مشهور . وأنظم بين ذلك آداباً حسنة ، وآثاراً جيدة مستحسنة ، ومسائل جمة وافرة ، وفضائل مهمة باهرة .

وأرتب فيه أوراداً فاخرة ، تجمع لمستعملها خيرى الدنيا والآخرة . وأبالغ فى اختياره واختصاره، وأوضح غرائب آثاره وأخباره.ليكون إن شاء الله كتابا نافعا لأهل بلدنا ، مسهلا عليهم مايقاسون من العنا ، راجيا من الله الغفران ، وملتمسا لدعاء الإخوان .

وقسمته سبعة أبواب :

الباب الأول : فى فضل الحرث(١) والزرع والثمار ، وغرس الشجر وحفر الأنهار ، وفى ضمنه فضل متحف العيال ، ومطعم الحلال، وشروط لا يستغنى عنها فقير ولا ذو مال ، وفيه فصول ، وآخره فصل فى قدر الكفاية .

الباب الثانى : فى فضل المغزل ، وخدمة المرأة لزوجها ، وفى ضمنه بيان حكم العورة ، وفيه فصول ، وآخره فصل فى النية الصالحة .

الباب الثالث : فيما تجلب به البركة مما ينفى الفقر ، ويعظم الأجر ، وهو مقصود الكتاب ، وعمدة الأبواب ، لأنى ضمنته كثيراً من الآداب الجيدات ، وبينت فيه فضل أكثر العبادات ، لتقوى عليها الرغبات . وأودعت(٢) فيه نبذاً جيدة مستحسنات ، من فضل العلم وآداب العالم والاعتقادات ، ومافى إطلاق اللسان من الخطر والآفات، وآداب الصحبة والمجاورات ، وغير ذلك من المهمات الحسنات ، كما ستراها فى موضعها مرسومات ، وجملته أربعين قسما وفيه فصول ، وآخره فصل فى التوبة .

---

(١) فى ن : الحرف ولعلها الصواب .
(٢) فى ن وأوردت .

الباب الرابع : فيما ورد من الآثار فى الطب والمنافع ، وآخره فصل فى معرفة الطبائع .

الباب الخامس : فى أربعين حديثاً كل حديث منهما يتضمن لفظ البركة وفيه فصول ، وآخره فصل فى صفة المصطفى ﷺ وشرف وكرم .

الباب السادس : فى أذكار ودعوات وآداب ، وروايات جيدة مباركات مستحسنة مختصرات ، فاضلة مشهورات ، لخيرى الدنيا والآخرة جامعات ، ومن الأهوال نافعات ، وجملته أقساماً أربعين وهى حسنات ، وصحيحات وآخره فصل فيما يدل على سعة رحمة الله تعالى .

الباب السابع : فى الأدعية والأذكار ، المتكررة فى الأحوال والأعصار ، وفى ضمنه آداب تصلح للأخبار ، وجملته عشرين قسما ، وفيه فصول ، وآخره فصل فى آداب الدعاء .

وسميته (كتاب البركة) تفاؤلا بحصولها ورجاء لشمولها . وأرجو أن من حصل مافيه مع كتاب التنبيه(١) ، يستحق أن يدعى باسم الفقيه .

---

(١) كتاب : التنبيه : هو أحد كتب الخمسة من مؤلفات أبى إسحاق الشيرازى المتوفى سنة ٤٧٦ هـ .

الباب الأول

﴿ فى فضل الحرف والزرع وتوابعه ﴾

قال النبي ﷺ : « إن الله يحب المؤمن المحترف » ، وقال ﷺ : « علم الله تعالى آدم عليه السلام ألف حرفة من الحرف ، وقال له : قل لولدك وذريتك إن لم يصبروا فليطلبوا الدنيا بهذه الحرف ولا يطلبوها بالدين ، فإن الدين لى وحدى خالصاً ، ويل لمن طلب الدنيا بالدين ويل له ! » ، وقال ﷺ : « أصلحوا دنياكم واعملوا لآخرتكم » .

وقد كان لكل واحد من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام حرفة يعيش بها ، فكان آدم حراثاً وحائكا ، وكانت حواء غزالة ، وكان إدريس خياطاً وخطاطاً ، وكان نوح وزكريا نجارين ، وهود وصالح تاجرين ، وكان إبراهيم زراعاً ونجاراً ، وكان أيوب زراعاً ، وكان داود زراداً(١) وكان سليمان خواصاً ، وكان موسى وشعيب ومحمد ﷺ وسائر الأنبياء عليهم السلام رعاة ، وكان نبينا محمد ﷺ أيضا فى بيته فى مهنة أهله ، يفلى ثوبه ، ويحلب شاته ، ويرقع الثوب ، ويخصف النعل ، ويخدم نفسه ، ويقم بيته ، ويعقل بعيره ، ويعلف ناضحه ، ويأكل مع الخادم . ويقول : « أكلك مع أهلك صدقة » ، ويطحن معها إذا أعيت ، ويعجن معها ، وكان يقطع اللحم معهن ويحمل بضاعته من السوق ، وكان يسم الغنم وإبل الصدقة ، وكوى سعداً وأسعد وغيرهما ، ونحر فى حجة الوداع ثلاثاً وستين بدنة بيده ، ونحر عن نسائه بقراً ، وكان ينقل التراب يوم الخندق حتى اغبر بطنه ، ويضرب الكدية بالمعول ، وكان ينقل معهم اللبن فى بنيان المسجد ﷺ ، وضحى

---

(١) قال مصححه غفر الله له : أى حداداً يصنع الزرد وهو درع من الحديد يلبسه المحارب .

بكبشين ذبحهما بيده، وعائشة تستحد له بالسكين، ومر عليه الصلاة والسلام بغلام يسلخ شاة ومايحسن، فقال له: «تنح حتى أريك»، فأدخل ﷺ يده بين الجلد واللحم فدحس بها حتى دخلت إلى الإبط، ثم مضى فصلى بالناس ولم يمس ماء، وكان يهنأ بعيره وعليه شملة(١).

وقال أبناء خالد أتينا إلى النبي ﷺ وهو يعمل عملا يبقى بناء فأعناه فدعا لنا. وقالت عائشة رضى الله عنها: ماروئى ﷺ فارغاً فى أهله إما أن يخصف نعله أو نعلا لمسكين أو يخيط ثوباً لأرملة.

فانظر إلى النبي ﷺ كيف له يد وتواضع فى كل شيء، ولنا فى رسول الله ﷺ أسوة حسنة.

وقال ﷺ: «البطالة تقسى القلب»، وهو الكسل، إما بترك كسب الحلال أو ترك القيام بأمر الآخرة. وقال الحليمى فى تفسير قوله عليه الصلاة والسلام: «اختلاف أمتى رحمة»، أراد اختلاف الناس فى الحرف. وعن ابن عباس رضى الله عنهما: جاء رجل إلى النبى ﷺ فقال يارسول الله ماتقول فى حرفتى؟ فقال له: «وماحرفتك؟»، فقال أنا حائك، فقال ﷺ: «حرفتك حرفة أبينا آدم». وكان أول من نسج آدم، وكان جبرائيل عليه السلام يعلمه، وآدم تلميذه ثلاثة أيام، وأن سبحانه وتعالى يحب حرفتك، وأن حرفتك يحتاج إليها الأحياء والأموات، فمن قال فيكم قبيحاً فقد أنف من آدم، ومن لعنكم فقد لعن آدم، ومن أذاكم فقد

---

(١) قلت: والمهنة بفتح الميم وكسرها والفتح أفصح هى الخدمة. ويفلى ثوبه أى يخرج منه القمل. وخصف نعله: أى طوقها. ويقم البيت: أى يكنسه. والناصح البعير الذى يسقى عليه. وأعيت: أى كلت وتعبت. وكوى: أى وسم. وتستحد أى تحدد. والمعول: فأس عظيمة ينقر بها الصخر. والكدية: مايعرض للحافر من حجر ونحوه. ودحس بأحرف مهملات: أى دس يده وأدخلها بين الجلد واللحم. ويهنأه: أى يطلبه بالهنأ وهو القطران.

أذى آدم وإن آدم خصمه يوم القيامة ولا تخافوا وأبشروا فإن حرفتكم حرفة مباركة ويكون آدم قائدكم إلى الجنة .

وقال ﷺ : « من رزق من شيء فليلزمه » يعني من الحرف « ومن معيشته في شيء فلا ينتقل عنه حتى يتغير عليه » وروى : « من حضر له في شيء فليلزمه » قال الهروي : أي من بورك له فيه ورزق منه ، وهذا عام في كل شيء من الحرف والأموال ونحوها .

إذا ثبت هذا فاعلم نور الله قلبي وقلبك ، وأعلا إلى درج الجنة كعبي وكعبك . أن أصول المكاسب ثلاثة : الزراعة ، والصناعة ، والتجارة . وقد اختلف الناس في أيها أطيب ، فقال بعضهم: الصناعة ، وقال كثيرون: بل التجارة ، وقال آخرون بل الزراعة أفضل . وهذا هو الأعدل قال الماوردي من أصحاب الشافعي رحمهم الله تعالى: والأشبه أن الزراعة أطيب قال لأنها إلى التوكل أقرب ، والله تعالى يحب المتوكلين .

وقال ﷺ : « يدخل الجنة من أمتي سبعون ألفاً بغير حساب هم الذين لا يسترقون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون » . قال النووي في صحيح البخاري عن المقداد رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « ما أكل عبد طعاماً قط خيراً من أن يأكل من عمل يده ، وإن نبي الله داود عليه السلام كان يأكل من عمل يده » قال فهذا صريح في ترجيح الزراعة والصناعة لكونهما عمل يده ، لكن الزراعة أفضلهما لعموم النفع بها للآدمي وغيره، وعموم الحاجة إليها ، هذا لفظه . وقال مالك بن دينار : قرأت في التوراة، طوبى لمن أكل من ثمرة يده . وقال جبريل لداود عليه السلام : ما في العباد أحب إلى الله تعالى من عبد يأكل من كد يده . فعاد داود إلى محرابه باكياً وقال يارب علمني صنعة أعملها بيدي ، فعلمه الله صنعة الدروع وألان له الحديد . فكان إذا فرغ من قضاء حوائج أهله عمل درعاً فباعها وعاش هو وعياله بثمنها . ويروى أنه كان يعمل القفة من الخوص وهو على المنبر

ثم يرسل بها فيبيعها ويأكل بثمنها . ويروى عن ابنه سليمان عليه السلام كذلك وعن سعيد بن عمير . قال : سئل النبي ﷺ أى المكاسب أفضل ؟ فقال ﷺ : « عمل الرجل بيده وكل بيع مبرور » وقال أبو عبيدة : المبرور الذى لا يخالطه كذب ولا شيء من المأثم ، أى لاشبهة ولاخيانة ولاخديعة وقال ﷺ : « إن أطيب ما أكل الرجل من كسبه ، وإن ولده من كسبه » .

قلت : فى هذين الحديثين ترجيح الثلاث لكن الزراعة أفضلها كما قال النووى رحمه الله ، لأن نفعها يتعدى إلى غير الزارع من الطيور والبهائم وكثير من الحيوانات ، وماكان متعدياً فهو أفضل من اللازم فى غالب الأوقات . ولهذا كانت الصلاة أفضل العبادات لتعديها لأن فيها وفى تشهدها مايعم نفعـــه جميع المسلمين كقوله السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين ، فيصيب كل عبد صالح فى السماء والأرض، والسلام على الرسول والدعاء بالهداية للصراط المستقيم بلفظ الجمع ونحو ذلك . فبهذا ونحوه صارت أفضل عبادات البدن .

فعرف بهذا ونحوه أن الحاجة إلى الزراعة داعية وأن درجتها رتبة عالية لاينكر ذلك إلا من أنكر الوجود ولولا الطعام ماعاشت الأجسام.

وقد عد العلماء الزراعة من فروض الكفايات فى كثير من المصنفات، لأنه لا يقوم أمر الدين والدنيا والمعايش كلها إلا بها ، وماسبيله سبيلها كالنخل والعنب وغيرهما فإن تركها كل الناس أثموا كلهم ، وإن فعلها من تحصل الكفاية بفعله سقط الحرج أى الإثم عن الباقين . وقد قال من قال من العلماء منهم إمام الحرمين والنووى وغيرهما: إن القيام بفرض الكفاية أفضل من القيام بفرض العين لأن فرض العين كالصلاة والصيام إذا تركه أثم وحده ، وإذا فعله أسقط الإثم عن نفسه لاغير . وفرض الكفاية إذا ترك أثم كل المكلفين من المسلمين ، فإذا فعله أحد سقط الإثم عن نفسه وعن جميع المسلمين، وقام مقام المسلمين أجمع ، فلاشك فى رجحانه وحسن

إيمانه لكن قد جبل الله تعالى الطباع على الاشتغال بها فلا سبيل إلى تركها، والآن أسعى إلى بيان فضلها .

﴿ فصل ﴾ اعلم أن دلائل فضائل الزراعة أكثر من أن تحصر ، وأشهر من تذكر ، وارتفاعها على سائر الحرف لا ينكر ، لكنى أشير إلى نبذ مما ورد فى فضلها مختصراً إن شاء الله وبه الثقة . وأنا معترف بقصورى عن درجة المرتفعين، وبكونى فى النازلين المتضعين، وبالله أعتصم من عيب الباغضين المدعين ، وأطلب مسامحة الناظرين فيه والمستمعين ، وعلى الله أتوكل وبه أستعين ، وأسأل الله الرضى عنى وعن والدى وعن جميع المسلمين أجمعين . وليجتهد المبتدؤن فى تحصيل هذه البضاعة .

﴿ فصل ﴾ فمن فضائل الزرع أن الله سبحانه وله الحمد عدد نعمه على العباد مما أنعم به عليهم من الإيمان وغيره ، فعدد وكرر فى كثير من الآيات ما أنعم به من إخراج الزرع والنبات ، ووصف به نفسه بأنه هو الذى أخرجه للحاجات فقال الله تعالى : (وهو الذى أنزل من السماء ماء فأخرجنا به - أى بالماء - نبات كل شىء فأخرجنا منه - يعنى من الماء - خضراً نخرج منه حباً متراكباً) يعنى سنابل البر والشعير والأرز والذرة وسائر الحبوب، يركب بعضه بعضاً كذا قاله أهل التفسير . وقال الله تعالى: (وهو الذى أنشأ جنات معروشات) وهو ما انبسط على الأرض وانتشر كالعنب والقرع وهو شجر الدباء والبطيخ وغيرها (وغير معروشات) ماقام على ساق وبسق كالنخل والزرع وسائر الأشجار كذا قاله ابن عباس رضى الله عنهما ثم قال (والنخل والزرع مختلفاً أكله) أى ثمره وطعمه الحامض والمر والحلو والردىء . وقال الله تعالى (وفى الأرض قطع متجاورات) أى متقاربات متدانيات يقرب بعضها من بعض فى الجوار ويختلف بالتفاضل (وجنات) أى بساتين (من أعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان) الآية . والصنوان النخلات يجمعهن أصل واحد ويتشعب منه الرؤوس

فتكون نخلا . وقال سبحانه (ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والأعناب ومن كل الثمرات إن فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون) وقال عز وجل (أو لم يروا أنا نسوق الماء إلى الأرض الجرز فنخرج به زرعاً) الآية ، والجرز هى التى لا نبات فيها . وقال عز وجل : (وآية لهم الأرض الميتة أحييناها وأخرجنا منها حباً) الآيات . وقال تعالى : (وأنزلنا من السماء ماء مباركاً فأنبتنا به جنات وحب الحصيد) الآيات . وقال تعالى : (والأرض وضعها للأنام فيها فاكهة) إلى قوله (والحب) يعنى جميع الحبوب مما يحرث فى الأرض من الحنطة والشعير وغيرهما (ذو العصف) يعنى الورق أول ما يبدو. وقال الله تعالى: (لنخرج به حباً ونباتا وجنات ألفافاً) يعنى بساتين ملتفة . وقال تعالى : (جنتين من أعناب وحففناهما بنخل وجعلنا بينهما زرعاً) يعنى جعلنا حول الأعناب النخل ، ووسط الأعناب الزرع . كذا ذكره الثعالبى وغيره ، فذكر أن الزرع محفوف بالنخل والعنب . وقال سبحانه (ومثلهم) يعنى محمداً عليه السلام وأصحابه رضى الله عنهم (فى الإنجيل كزرع أخرج شطأه فآزره) شطأه يعنى فراخه (فآزره) أى قواه (فاستغلظ) غلظ (فاستوى) أى قام على سوقه جمع ساق (يعجب الزراع) الآية ، فشبه محمداً ﷺ بالزرع ، وأصحابه بالشطء ولا يشبه الفاضل بناقص . وقال الله تعالى : (أفرأيتم ما تحرثون أأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون) ونحو ذلك فى القرآن كثير .

﴿ فصل ﴾ وأما الآثار النبوية فكثيرة جداً وها أنا أشير إلى بعضها . روى الثعالبى والواحدى فى تفسيرهما بإسنادهما عن ابن عمر رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال : « ما من زرع فى الأرض ولا ثمار على الأشجار إلا عليها مكتوب بسم الله الرحمن الرحيم رزق فلان بن فلان ، فكفى بهذه فضلية كون الإنسان فى مشيه بين زرعه واشتغاله به محفوفاً ببسم الله الرحمن

الرحيم إذ هو مكتوب على الزرع والثمار واسمه تعالى أمان من النار فسبحان الملك الغفار .

وفى الصحيح عن أنس رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال : « مامن مسلم يغرس غرساً ويزرع زرعاً فيأكل منه طير أو إنسان أو بهيمة إلا كان له صدقة وكان ما أكل منه له صدقة ، ومايسرق وما أكل السبع وما أكلت الطيور فهو له صدقة ، ولا يرزؤه أحد إلا كان صدقة »(١) .

قال فى كتاب شمس العـــلوم : والزرع نبات البر والشعير والذرة وسائر الحبوب ، وعد فى كتاب البيان من الزرع البر والشعير والذرة والدخن والجاورس ، والأرز ، والقطنية وهى اللوبيا وتسمى الدجر ، والهرطمان وهو الكشد ، والبلسن وهو حب كالعدس وقيل هو والعتر ، والباقلاء ، ذكره فى كتاب زكاة الزرع .

وروى مسلم فى صحيحه أن النبى ﷺ دخل على أم بشر الأنصارية فى نخل لها فقال : « من غرس هذا النخل أمسلم أم كافر ؟ » قالت بل مسلم يارسول الله ، فقال ﷺ : « لا يغرس مسلم غرساً ولا يزرع زرعاً فيأكل منه إنسان ولا دابة ولا شىء إلا كانت له صدقة يوم القيامة » . وفى غريب أبى عبيد « فيأكل منه إنسان أو دابة أو طائر أو سبع إلا كانت له صدقة » قال الزجاج : وجميع ماخلق الله تعـــالى فى الأرض من حيوان لا يخلو إما أن يدب وإما أن يطير ، وحين قال ﷺ : « غفر لمومسة أى زانية سقت كلباً » قيل له إن لنا فى البهائم أجراً ؟ فقال ﷺ : « فى كل ذى كبد حرا(٢) أجر » ، وفى الصحاح أيضا قال النبى ﷺ « يقول رجل فى الجنة أحب أن أزرع ، فيقول الله له ألست فيما شئت ، فيقول بلى ! ولكن أحب

---

(١) قلت : يرزؤه أى ينقصه ، ويقال رزأته ماله أى أخذته منه .
(٢) بهامش ن : حرا أى رطبة .

ذلك فيؤذن له فيزرع فيكون أمثال الجبال: فقال إعرابي كان في المسجد: إنك لن تجده إلا أنصاريا أو مهاجرياً، فإنا لسنا بأصحاب زرع.

قلت ففي هذا فوائد كثيرة، ومنها دلالة على فضل الزرع لأن هذا الرجل المعطى أمنيته في الجنة هو من أصحاب الزرع وفيه بشارة ورجوى إذ قال يقول رجل والرجل بالتنكير غير معين، فيرجو كل أحد من الزرع أن يكون هو ذلك الرجل، وفيه دليل أيضاً على أن المهاجرين والأنصار كانوا زراعا لقول الأعرابي: إنك لن تجده إلا أنصارياً أو مهاجريا، وهذا هو أكبر حجة ودلالة، إذ المهاجرون والأنصار وهم أفضل الأمة كانوا أهل زرع.

وقد روى أن سعد بن أبي وقاص كان يدمل أرضه بالعرة قال ابن باباه كان سعد يحمل مكتل عرة إلى أرض له هكذا قال، وقال مكتل عرة بمكتل بر، قال قال الأصمعي: العرة عذرة الناس حكاه عنه أبو عبيد، وقال غيره: العرة: البعر والسرجين(١)، ويروى أن أبا هريرة رضي الله عنه وهو أحد زهاد الأمة كان ذا زرع، وكان يطرح زرعه بكرة إذا طلع السماك، ففي هذا دليل على اعتنائهم بالزرع وهم هم رضي الله تعالى عنهم.

وفي الصحيح عن نافع أن ابن عمر أخبره أن النبي ﷺ عامل أهل خيبر

---

(١) قلت: وهذا أليق، ومعنى يدملها أي يصلحها ويحسن معالجتها. يقال دمل أرضه يدملها ودبلها يدبلها أيضاً: إذا أصلحها بالسرجين ونحوه. فهي مدمولة ومدبولة كله بالدال المهملة. وذكر في صحاح الجوهري وشمس العلوم وغيرهما، ويقال للسرجين الدمال لأن الأرض تصلح به ذكره أبو عبيد، ويقال له أيضاً الزبل. والمكتل الزنبيل، وسعد هذا هو أحد العشرة البررة المشهود لهم بالجنة وأحد الستة أهل الشورى من المهاجرين الأولين، جمع له النبي ﷺ أبويه يوم أحد فقال: «إرم فداك أبي وأمي»، وقال: «اللهم سدد رميته وأجب دعوته» ثم قال «هذا خالي فليكر من أمرؤ خاله»، فما دعا سعد في شيء إلا استجيب له.

بشطر مايخرج منها من زرع أو تمر ، وكان يعطى أزواجه مائة وسق ثمانون تمراً ، وعشرون شعيراً ، وقسم عمر رضى الله عنه خيبر ، فخير أزواج النبى ﷺ أن يقطع لهن من الماء والأرض أو يمضى لهن ، فمنهم من اختار الأرض ومنهن من اختار الوسق ، وكانت عائشة وحفصة ممن اختار الأرض .

قلت : وفى هذا الحديث أيضاً فوائد ، منها اختيار عائشة وحفصة أفضل أزواج النبى ﷺ ورضى الله عنهن الأرض ليزرعنها ، ومنها أنه يجوز للرجل أن يحبس قوت سنة لأهله لأنه كان يمضى لهن نفقة سنة . قال الغزالى رحمه الله : ومتى جاوز ذلك خرج عن أبواب الزهد كلها ، إلا أن لا يكون له كسب ولا يأخذ من الأيدى ، كداود الطائى ملك عشرين ديناراً فأمسكها وقنع بها عشرين سنة ، فذلك لا يبطل مقام الزهد . ومنها أن النبى ﷺ زارع وساق . وعند إمامنا الشافعى رحمه الله أن المزارعة وهى المعاملة على الأرض ببعض مايخرج منها لا تجوز إلا على بياض يتخال النخل والعنب تبعاً لهما ولا تجوز على أرض لا نخيل فيها ولا عنب ، سواء كان البذر من المالك أو من العامل لقوله ﷺ : « إذا كانت لأحدكم أرض فليزرعها أو ليمنحها أخاه ولا يكرها بثلث ولا ربع ولا بطعام مسمى » يعنى مما يخرج منها ، ولما روى عن ثابت بن الضحاك أنه ﷺ نهى عن المزارعة .

وقال أحمد : إن كان البذر من رب الأرض جاز وتلك المزارعة ، وإن كان من العامل لم يجز وهى المخابرة .

وذهب كثير من العلماء إلى جوازها مطلقاً سواء كان البذر من المالك أو من العامل ، وصورته أن يقول زارعتك على هذه الأرض على أن لك نصف زرعها أو ثلثه . روى ذلك عن على وابن مسعود وعمار بن ياسر وسعد بن أبى وقاص ومعاذ بن جبل ، وهو مذهب بن أبى ليلى وأبى يوسف ومحمد . والدليل على ذلك ماروى عن نافع أن ابن عمر كان يكرى مزارعه

على عهد رسول الله ﷺ وأبى بكر وعمر وعثمان وصدراً من إمارة معاوية ثم حدث عن رافع أن النبى ﷺ نهى عن كراء المزارع ، فقال : قد علمت أننا كنا نكرى على عهد رسول الله ﷺ بالربع والثلث .

وروى قيس بن مسلم عن أبى جعفر : ما بالمدينة أهل بيت هجرة إلا يزارعون على الثلث والربع . قال البخارى: وزارع على وسعد وابن مسعود وعمر بن عبد العزيز والقاسم وعروة وآل أبى بكر وآل عمر وآل على وابن سيرين ، وعامل عمر على أنه إن جاء بالبذر من عنده فله الشطر، وإن جاءوا بالبذر فلهم كذا . قال عمرو : قلت لطاووس لو تركت المخابرة فإنهم يزعمون أن النبى ﷺ نهى عنها ، فقال : – أى عمرو – أعطيهم وأعينهم فإن أعلمهم – يعنى ابن عباس – أخبرنى أن النبى ﷺ لم ينه عنها ولكن قال : « إن يمنح أحدكم أخاه خير له » .

قال الرافعى وقد قال ابن سريج : بجواز المزارعة أيضاً. قال النواوى وقال بجواز المزارعة والمخابرة من كبار أصحابنا ابن خزيمة وابن المنذر والخطابى وصنف ابن خزيمة فيها جزءاً وبين فيه عال الأحاديث الواردة بالنهى عنها وجمع بين أحاديث الباب ، ثم تابعه الخطابى وقال ضعف الإمام أحمد حديث النهى وقال هو مضطرب كثير الألوان. قال الخطابى: وأبطلها مالك وأبو حنيفة والشافعى لأنهم لم يقفوا على علته ، قال فالمزارعة جائزة وهى عمل المسلمين فى جميع الأمصار لا يبطل العمل فيها أحد هذا آخر كلام الخطابى قال النواوى والمختار جواز المزارعة والمخابرة وتأويل الأحاديث على أنه إذا شرط لواحد منهما زرع قطعة معينة ولآخر الأخرى .

قلت : وبصحتها قال أبو عبيد القاسم بن سلام الجمحى ، والقـــول بجوازها حسن ينبغى المصير إليه لصحة الأحاديث الواردة فى ذلك، ولأن اختلاف العلماء رحمة ، ولجواز الاجتهاد فى وقتنا هذا فى بعض المسائل ، وللضرورة الداعية إلى ذلك .

وقد جوزها أيضاً شيخ شيخنا الفقيه عبد الحميد اللورستانى الشيرازى فى كتابه البحر ونصره فى كتاب الذنابة والله تعالى أعلم .

وروى ابن عبد العزيز البغوى فى منتخبه أن النبى ﷺ قال : « من غرس غرساً كتب الله له من الأجر بقدر مايخرج من ثمار ذلك الغرس » وفى سنن النسائى وغيره وكتاب المهذب أن النبى ﷺ قال : « من أحيا أرضاً ميتة فله فيها أجر ، وما أكله العوافى منها فهى له صدقة » قاله فى المستعذب وغيره(١) .

وفى كتاب الترغيب والترهيب للحافظ إسماعيل بن محمد الأصفهانى بإسناده أن رسول الله ﷺ قال: « من أحيا أرضاً ميتة ثقة بالله واحتساباً كان حقاً على الله تعالى أن يعينه وأن يبارك له » وهذا ندب عام إلى الأحياء وهو عمارة الأرض لما يريده من زراعة أو غرس أو غيرهما .

وفى مسند البزار أن النبى ﷺ قال : « سبع يجرى للعبد أجرهن من بعد موته وهو فى قبره ، من علم علماً ، أو أجرى نهراً ، أو حفر بئراً ، أو غرس غرساً ، أو بنى مسجداً ، أو ورث مصحفاً ، أو ترك ولداً يستغفر له بعد موته » وعن أنس سبع يؤجر فيهن الرجل ماعمل بهن من بعده ، من بنى مسجداً فله أجره مادام أحد يصلى فيه ، ومن أجرى نهراً فادام يجرى فيه ماء يشرب منه الناس كان له أجره ، ومن كتب مصحفاً كان له أجره مادام يقرأ فيه أحد، ومن استخرج عيناً ينتفع بمائها كان له أجرها مابقيت ومن غرس غرساً كان له أجره فيما أكل الناس منه والطير ، ومن علم علماً كذلك ، ومن ترك ولداً يستغفر له ويدعو له . قال النووى : إذا مات

(١) قال قلت : والعوافى جمع عافية وهى الوحوش والسباع والطير والناس مأخوذ من قولهم : عفوت فلاناً أعفوه إذا أتيته تطلب معروفه. وقال أبو عبيدة: وواحد العافية عاف .

الغارس فله ثواب مستمر من حين غرس إلى فناء المغروس ، وللوارث أيضاً ثواب ما أكل من ثمره من غير معاوضة مدة استحقاقه .

وعن عائشة رضى الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ : « التمسوا الرزق فى خبايا الأرض » قال أهل اللغة: الخبايا جمع خبيئة . وأراد الحرث وإثارة الأرض للزراعة . وقال الزهرى قال لى عروة بن الزبير : ازرع فإن العرب كانت تتمثل فى هذا البيت وهو :

تتبع خبايا الأرض وادع مليكها لعلك يوماً أن تجاب فترزقا

وقال ﷺ : « إذا أخذ الزارع البذر فى يده وكان من حله نادى ملك ثلث للزارع ، وثلث للطير ، وثلث للبهائم . فإذا طرحه فى الأرض كتب له بكل حبة عشر حسنات ، فإذا سقى ونبت فكأنما أحيا بكل حبة نفساً مؤمنة ، فهو يسبح الله تعالى إلى أن يحصده ، فإذا حصده ودرسه فكأنما داس ذنوبه ، فإذا ذراه بالريح ذهبت ذنوبه ، فإذا كاله خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه ، فإذا راح به البيت وفرح به العيال كتب له عبادة أربعين سنة ، فإذا واسى منه الجائع والجار والمسكين أمنه الله من عذابه » . وفى حديث آخر : « من غرس غرساً يوم الأربعاء وقال عند ما يضع أول شىء منه سبحان الباعث الوارث ، سبحان الوارث الباعث . فله أجر عظيم ولم يمت حتى يأكل من ثمره ولو كان قد دنى أجله » .

قلت : وهذان الحديثان وإن كانا غريبين فقد عضدهما غيرهما مما سبق وصح واشتهر : قال ابن هبة الله الشافعى : والأحاديث الضعيفة يقوى بعضها ببعض ، قال وقد تسامح الأئمـــة فى روايات أحاديث الترغيب . وتساهلوا بالأسانيد بذكر التخويف والترهيب ، والله الموفق . ويكفيك من هذا أنها مكسبة نبى الله أبينا آدم عليه السلام التى ألهمه الله إياها ، وعلمه جبريل عليه السلام كيفيتها ومقتضاها ، وأخرج له من الجنـــة بذرها

وخلاها ، وذلك ظاهر لمن عرف السير ورواها ، وكان ثوره الذى يحرث عليه أحمر .

وروى أن الله تعالى قال لموسى : ياموسى خلقت الجنة للمطيعين، والنار للعاصين ، والقمح والشعير قوة للدين ، فمن أعزهما فقد أعز دينى ، ومن أذلهما فقد أذل دينى ، ياموسى : لما حرث ونبت كتبت على أصولهما ذنباً غير مغفور لمن أفسدهما أو أحرقهما متعمداً وكتبت على قصبهما إنى أنا الله رب العالمين، وكتبت على سنبلها (شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم قائماً بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم) فلما حصد وديس أضفت الأسماء كلها إلى الحبوب ، فلما طحن وعجن قسمت الأسماء كلها على ثلاثة أحرف وهى : خاء وباء وزاى . فالخاء خاب من أنفقهما فى غير طاعة الله تعالى ، والباء بلى الإنسان فى طلبه ، والزى زال عقل المرء من فقده .

وروى أن موسى قال : يارب خلقت خلقاً وجعلتهم فى النار ، فأوحى الله تعالى إليه : ياموسى ازرع زرعاً ، فزرعه وسقاه وقام به حتى حصده وداسه ، فقال الله له : مافعل زرعك ياموسى ؟ قال : يارب قد رفعته، قال: فما تركت منه ؟ قال مالاخير فيه ، قال : فإنى أدخل النار من لا خير فيه . فنى هذا دليل على أن موسى عليه السلام زرع .

وعن ابن عباس وأبى هريرة قالا ، قال رسول الله ﷺ : « خلق الله تعالى القمح من ضيائه ، والشعير من بهائه ، فإذا استخف بهما وأذلا عجا إلى الله تعالى بالدعاء وقالا : إلهنا وسيدنا قد استخف بنا واستذلنا فيعزهما الله تعالى : فإذا كان كذلك لا يخرج الرجل من بيته إلا فى طلب الخير عجا إلى الله تعالى وقالا إلهنا قد اشتغل بنا عن ذكرك فردنا إلى ما كنا عليه فيردهما الله تعالى إلى الرخص » .

وروى الثعالبى بإسناده عن وهب بن منبه قال : أخبرنى أن سليمان

ابن داود عليه السلام ركب الريح يوماً فمر بحراث فنظر الحراث فقال له: لقد أوتى آل داود ملكا عظيما فحملت الريح كلمته وألقتها فى أذن سليمان عليه السلام فنزل حتى أتى الحراث، فقال له : إنى سمعت قولك ، وماشيت إليك لئلا تتمنى مالا تقدر عليه ، لتسبيحة واحدة يقبلها الله تعالى خير مما أوتى آل داود ، فقال الحراث : أذهب الله همك كما أذهبت همى . فأخبر ﷺ أن تسبيحة من الحراث مقبولة ، خير مما أعطاه الله من الملك وتسخير الجبال والوحوش والطير والجن والإنس والشياطين والريح وغير ذلك .

وقد كان رسول الله ﷺ يعجبه الزرع ، قال رافع بن خديج أتى النبي ﷺ بنى حارثة فرأى زرعاً فى أرض ظهير بن رافع فقال : « ماأحسن زرع ظهير ؟ ! » قلت : وظهير هـــذا هو من البدريين وكان أكثر أهل المدينة زرعاً . وقال ﷺ : « خير المال سكة مأبورة وفرس مأمورة ويروى ومهرة مأمورة »(١) .

وقال كعب الأحبار : أنزل الله تسعاً وتسعين بركة ، فجعل فى الحرث ثمانية وتسعين بركة وجعل فى التجارة بركة واحدة . وقال ﷺ : « من غرس ثلاث نخلات حتى يثمرن وجبت له الجنة » وقال أيضاً: « من غرس شجرة فصبر على حفظها والقيام عليها حتى تثمر فكل شىء يصاب من ثمرها فهو صدقة » وقال ﷺ : « لو قامت القيامة وفى يد أحدكم فسيلة فإن استطاع أن لا تقوم حتى يغرسها فليفعل »(٢) .

(١) قال فى صحاح الجوهرى وشمس العلوم: السكة بالكسر الحديدة التى يحرث بها وهى أيضاً الطريق المصطفة من النخل. مأبورة أى ملقحة وكان الأصمعى يقول: السكة هنا هى الحديدة التى يحرث بها فقط . ومأبورة أى مصلحة ، قال معنى ذلك خير المال نتاج أو زرع . قال الهروى وتسمى السكة التى يحرث بها أيضاً السن واللؤمة . وقوله مأمورة : أى كثيرة الولد .

(٢) قال الجوهرى : الفسيلة الودية وهى صغار النخل .

ويروى أن بعض الصحابة مر بأعرابى يغرس غرساً فقال له : يا أخى إن بلغك أن الدجال خرج فلا يمنعك من أن تليأها — أى تغرسها — وتسقيها أول سقيها مأخوذ من اللبأ وهو اللبن عقب النتاج بحمد بنارلينة. فكفى بهذا تحريضاً على الاشتغال بالغرس ونحوه ،

وكاتب سلمان الفارسى مواليه على مائة ودية يغرسها وشىء من ذهب، فغرسها له النبى ﷺ بيد فما عتم منها ودية — أى ماأبطأت — حتى علقت وقال عثمان رضى الله عنه : لرجل أتبيعنى نخلتك بمائة نخلة غرسها رسول الله ﷺ بيده بالعقيق ؟ وهو فى حديث طويل .

وروى ابن السنى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : رأيت النبى ﷺ إذا أتى بباكورة(١) وضعها على عينيه ثم شفتيه وقال : « اللهم كما أريتنا أوله فأرنا آخره » ، ثم يعطيه من يكون عنده من الصبيان ، فانظر يا أخى كيف لمس به قسه كأنه لمه ماذاك إلا لفضل عليه .

﴿ فصل ﴾ وقد ذكر العلماء أن سقى الزرع والشجر مع الإمكان مكروه ، لأنه تضييع للمال ، وقد نهى عن الإهمال ، فنى الصحيحين عن جابر أن النبى ﷺ قال : « من كانت له أرض فليزرعها أو ليمنحها أخاه » أى يعره إياها ، وقال ﷺ : « إن الله تعالى ينهاكم عن قيل وقال ، وإضاعة المال ، وكثرة السؤال » فلهذه المعانى التى ذكرتها نهى النبى ﷺ عن بيع الأراضى لغير حاجة ، لقــوله ﷺ : « من باع منكم داراً أو عقاراً قمن(٢) أن لا يبارك له فيه إلا أن يجعله مثله » ، وهو حديث حسن .

وذكر الغزالى فى كتاب الوسيط فى الفقــه أن فى بيع العقار هتكا للمروءة ، ولأجل هذه الفوائد التى ذكرتها لم يكن بناء الدور فى هذه الفضيلة

(١) الباكورة : أول الثمر .

(٢) وقوله : قمن بفتح الميم وكسرها أى حقيق وجدير .

بل الغنيمة فى عمارتها قليلة، لأنه لا فائدة تظهر منها سوى الإيواء، ولا ثمرة تجنى من عمارتها سوى العناء ، ولهذا قال ﷺ : « النفقة كلها فى سبيل الله إلا البناء فلا خير فيه » رواه الترمذى ، وقال ﷺ : « كل بناء وبال على صاحبه إلا مالا » يعنى مالابد منه . رواه أبو داود .

قال النخعى : والبناء الذى لابد منه لا أجر فيه ولا زور .

﴿ فصل ﴾ وناهيك بها فضيلة أن يكون للمرء أرض ينتفع بها ويستغلها ويشتغل بها عن عيوب الناس وخلطتهم ، فإن فى هذا الزمان سم قاتل أو شغل عن الله شاغل . لأنهم كما قال القائل :

ذهب الذين يعاش فى أكنافهم وبقيت فى خلق كجلد الأجرب
يتحدثون مجانة وملامة ويلام قائلهم وإن لم يشغب

وقد قال النبى ﷺ حين سئل أى الناس أفضل ؟ قال : « مؤمن مجاهد بنفسه وماله فى سبيل الله » قيل له ثم من ؟ قال : « ثم رجل معتزل فى شعب[1] من هذه الشعاب يعبد ربه ويدع الناس من شره » .

وقال الثورى : هذا زمان السكوت ولزوم البيوت ، وأنشد فى ذلك :

زمانك ذا زمان لزوم بيت وحفظك للسان وخفض الصوت

وقال أبو ذر : نعم صومعة الرجل بيته، يكف فيها بصره وسمعه وقلبه وفرجه ، أفضل المجالس حيث ترى ولا ترى ، والله لقد وجبت العزلة .

فإذا كان هذا وهم على الحق أعوان ، وفى ذات الله إخوان ، فكيف فى هذا الزمان ؟ والله المستعان .

وسئل إبراهيم بن أدهم عن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، فقال: مالكم والاختلاط بأهل الدنيا حتى يجب عليكم الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر .

(١) قلت : والشعب بكسر الشين الوادى الصغير بين الجبلين .

﴿ فصل ﴾ وفى الأراضى فائدة أخرى ، وهى أن يعيرها غيره ، أو يجعلها له رقبى أو عمرى ، فتلك درجة عليا. قال أبو كبشة السكونى سمعت ابن عمر يقول : قال النبى ﷺ : « أربعون خصلة أعلاهن منيحة العنز مامن عامل يعمل بخصلة منها رجاء أو تصديق موعودها إلا أدخله الله الجنة بها » .

قال حسان : فعددنا مادون منيحة العنز من رد السلام ، وتشميت العاطس ، وإماطة الأذى عن الطريق ، فما استطعنا أن نصل إلى خمس عشرة خصلة . وهذا حديث صحيح رواه البخارى وغيره .

فإذا كان إحدى هذه الخصال يدخل بها العبد الجنة ، فهذه من من حلتها إن لم تكن أعلا منها ، وقال معاوية الصعصعة العدى — وكان من الحكماء — أى الأموال أبق وأوفى وأنفع وأقنع؟ قال المساكن والأرضون وأمر معاوية بطلب عبيد بن شرية الجرهمى — وكان من الحكماء القدماء — وقد أتت عليه عشرون ومائتا سنة ، فقال معاوية : أى المال رأيت أنفع ، وإلى صاحبه بالخير أسرع ؟ قال عين خرارة فى أرض خوارة ، تعول ولا تعال. قال : ثم مه ؟ : قال : فرس فى بطنها فرس تتبعها فرس ، وأما الإبل فهى لمن يتولاها بيده ، وأما الذهب والفضة فحجران إن أقبلت عليهما فنيا ، وأن تركتهما لم يزيدا(١) .

﴿ فصل ﴾ وفى ذلك الغنى عن الناس وهو أكبر سعادة وأحسن إفادة. قال مالك بن دينار لمحمد بن واسع : طوبى لمن كان له غليلة تقوته وتغنيه عن الناس . وقال ابن عباس : إن أمثل ما أنتم صانعون أن تستأجروا الأرض البيضاء من السنة إلى السنة. وقال عمر لأبى ظبيان: مالك يا أبا ظبيان؟

---

(١) قوله خوارة : بالخاء المعجمة أى كثيرة الغلات . ويروى : خير المال عين ساهرة ، لعين نائمة .

قال قلت : عطائى الفانى قال : اتخذ من هذا الحرث والسائبة، قبل أن يليك غلمة من قريش لاتعد العطاء معهم مالا .

وأنشد فى هذا لعلى بن أبى طالب رضى الله عنه :

لنقل الصخر من الجبال　　أخف على من منن الرجال

ولغيره : منن الرجال على القلو　　ب أشد من وقع الأسنة

ولهذا : قيل لو بذل للعاجز ثمن الماء أو الثوب هبة أو قرضاً لم يلزمه قبوله ولو من أبيه وابنه على الأصح لمشقة المنة فيصلى عرياناً ومتيمما والحالة هذه . ولبعضهم فى المعنى أيضاً :

أنت ما استغنيت عن صا　　حبك الدهر أخوه

فإذا احتجت إليه　　ساعة مجك فوه

لو رأى الناس نبيا　　سائلا ما وصلوه

وقال ﷺ : « الحسب المال » وقال : « نعم المال الصالح للرجل الصالح ، ونعم الولد الصالح للرجل الصالح » وقال : « إن الله يحب الغنى التقى الخفى » ويروى أن لقمان قال لابنه : يابنى استغن بالكسب الحلال فإنه ما افتقر أحد إلا أصابته ثلاث خصال : رقة فى دينه ، وضعف فى عقله : ووهاء فى مروءته ، وأعظم من هذا استخفاف الناس به .

وقال عبد الرحمن بن عوف: ياحبذا المال أصون به عرضى وأتقرب به إلى ربى ، وقال أكثم بن صيفى — وكان من الحكماء عاش ثلاثمائة وستين سنة وأدرك الجاهلية والإسلام — : عليكم بالمال فأصلحوه ، ولا يتكل أحدكم على مال أخيه يرى أن فيه قضاء حاجته، فن فعل ذلك كان كالقابض على الماء ، ومن استغنى كرم على أهله . وأنشد بعضهم هذه الأبيات :

احتل لنفسك أيها المحتال　　فن المروءة أن يرى لك مال

إنى رأيت الموسرين أعزة　　والمعسرين عليهم الإذلال

ولكن لا يتم الفضل بجمعه وإدراجه دون رتاجه ، بل بإنفاقه فى حقه وإخراجه من أخراجه .

ولم تزل العرب تتمدح بالزرع . فى حديث أم زرع الطويل الذى ذكره البخارى وغيره أن النبى ﷺ قالت تمدح زوجها:وجدنى فى أهل غنيمة بشق بشق فجعلنى فى أهل صهيل وأطيط ، ودايس ومنق . تمدحه بأنه ذو حيل وإبل وزرع . أرادت أنه نقلها من القلة إلى الكثرة ، وأنها كانت فى قوم شاويين فنقلها إلى النعميين(١) .

﴿ فصل ﴾ وفيما ذكرته تفريح الأطفال،والسعى على العيال،والتوصل إلى إرضاء السؤال ، وإطعام الطعام الحلال ، وفى كل واحد من ذلك أجر كامل على كل حال .

أما تفريحهم فروى ابن عباس أن النبى ﷺ قال : « للجنة باب يقال له باب الفرح لا يدخله إلا من فرح الصبيان » وقال ﷺ : « من فرح أنثى من أهله بشىء يفرح به قلبها حرم الله جسده على النار » وقال ﷺ : « من بكى له صبى فأرضاه حتى يسكته ، أعطاه الله من الجنة حتى يرضى » وقال ﷺ : « من زين صبياً يوم العيد زينه الله يوم العرض الأكبر » وقال ﷺ : « من حمل طرفة من السوق إلى ولده كان كحامل الصدقة حتى يضعها فيهم ، وليبدأ بالإناث قبل الذكور فإن الله تعالى رق للإناث ، ومن رق للإناث كان كمن يبكى من خشية الله تعالى ، ومن فرح أنثى فرحه الله يوم الفزع الأكبر » وعن سعد بن أبى وقاص أن النبى ﷺ : « قال نظرك إلى ابنتك حسنة تكتب لك فابدأ بالإناث فإن الله يرق لهن » وفى الصحيح

---

(١) قلت : قال الهروى : والعرب تتشرف بالخيل والإبل . وأخبرت أن زوجها ذو زرع يداس وينق، فإن أعوزهن اللبن لم يعوزهن الحب ونحوه ، ذكره أبو عبيد . وروى عن العرب : من غلى دماغه فى الصيف غلت قدره فى الشتاء :

عن عائشة أن النبي ﷺ قال : « من بلى من البنات بشيء فأحسن إليهن كن له ستراً من النار » روى فى الصحيح .

وقال ﷺ : « من كانت له أنثى فلم يؤذها ولم يهنها ولم يؤثر ولده عليها — يعنى الذكور — أدخله الله الجنة » رواه أبو داود . وقال ﷺ : « خيركم خيركم لنسائه وبناته » وقال ابن عباس : قال رسول الله ﷺ : « إذا أراد الله أن يخلق جارية بعث إليها ملكين أصفرين مكللين بالدر والياقوت ، فيضع أحدهما يده على رأسها والآخر على رجلها ويقول : « بسم الله ربى وربك الله خلقت من ضعف المنفق عليها معان إلى يوم القيامة » وأنشد ثعلب فيهن :

حبذا هبة الله البنات الصالحات
هن للنسل وللزرع وهن الشجرات
يجعل الله لنا فيما يشاء البركات
إنما الأرحام أرض ولنا محترثات
فعلينا الزرع فيها وعلى الله النبات

وقال ﷺ : « من عال ثلاث بنات أو مثلهن من الأخوات فأدبهن ورحمهن حتى يغنيهن الله أوجب الله له الجنة » فقال رجل أو اثنتين يارسول الله ؟ قال واثنتين حتى لو قال أو واحدة قال أو واحدة . رواه أبو داود . وقال ﷺ : « من عال جاريتين حتى يبلغا جاء يوم القيامة أنا وهو هكذا » وضم أصابعه ، روى فى الصحيح . وعن أبى سعيد الخدرى أن النبى ﷺ قال : « كرامة العيال كفارة الكبائر وإلطاف البنات زيادة فى الحسنات والدرجات » .

فانظر كيف حض على إكرام البنين والبنات ، وجعل برهم زيادة فى الحسنات ، فما ظنك فى غيرهم من الضعفاء والأيتام ، وهل يأتى إكرام

الكل إلا بالإطعام ؟ وهل يتصور طعام بلا حرث وإيلام ؟ فمن كان له حس عرف ببعض هذا الكلام .

﴿ فصل ﴾ وأما السعى على العيال ففى الصحيحين أن النبى ﷺ قال : « الساعى على الأرملة والمسكين كالساعى فى سبيل الله ، قال الراوى : وأحسبه قال : « كالقائم لا يفتر ، وكالصائم لا يفطر » ، وقال ﷺ : « من كان فى مصر من الأمصار يسعى على عياله فى عسره ويسره جاء يوم القيامة مع النبيين . أما أنى لا أقول يمشى معهم ، ولكن فى منزلتهم » ، وقال ﷺ : « الساعى على نفسه ليكفها من فضل الله كالمجاهد فى سبيل الله . والساعى على أبويه ، وعلى زوجته ، وعلى ولده وخادمه وعلى أخيه المؤمن ، كالمجاهد فى سبيل الله ، ومن سعى فى حاجة أخيه المؤمن فهو كالصائم القائم ، أو كالمجاهد فى سبيل الله » . وقال رسول الله ﷺ : « إن لله تعالى أرضاً بيضاء خلقت من نور لا شمس فيها ولا قمر ولا نجوم ولا سحاب ولا مطر ولا ليـل ولا نهار ، لو تطلع الشمس عليها أربعين يوماً من أيامنا هذه لم تقطعها ، مملوءة خلقاً يعبدون الله تعالى لا يعرفون محمداً ولا آدم ولا إبليس ، قال رسول الله ﷺ : من قرأ آية الكرسى عند نومه كتب الله له عدد ثوابهم وخير من ذا وذاك رد ثوبك على عيالك » . وقال ﷺ : « حجة مبرورة تعدل سبعين حجة غير مبرورة ، وطعنة صادقة فى سبيل الله تعدل سبعين طعنة كاذبة . ومسألة يتعلمها الرجل فى دينه تعدل سبعين طعنة صادقة فى سبيل الله ، وأفضل من هذا وذاك رد ثوبك على عيالك »(١) .

وقال ابن المبارك لإخوانه وهم فى الغزو والجهاد فى سبيل الله رجل متعفف ذو عيال ، قام من الليل فنظر إلى صبيانه نياماً متكشفين ، فسترهم

---

(١) قال أهل اللغة : عيـال الرجل من يعولهم أى يقوتهم وينفق عليهم ، يقال : عاله شهراً إذا كفيته معاشه ، وأعال إذا كثر عياله .

وغطاهم بثوبه عمله هذا أفضل مما نحن فيه . وقال رجل لبعض العلماء وهو يعدد نعم الله تعالى عليه من كل عمل قد أعطانى الله نصيبا حتى ذكر الحج والجهاد وصنوف العبادات فقال له ذلك العالم: فأين أنت من عمل الأبدال؟ قال وماهو قال : كسب الحلال والسعى على العيال . وعن أبى هريرة أن النبى ﷺ قال : « من طلب الدنيا حلالا استعفافاً عن المسألة وسعياً على عياله وتعطفاً على جاره بعثه الله يوم القيامة وجهه كالقمر ليلة البدر ، ومن طلب الدنيا حـــلالا مكاثراً مرائياً بعثه الله تعالى يوم القيامة وهو عليه غضبان » . فانظر وفقنا الله وإياك كيف فضل من قصد التعفف والسعى على العيال وذم الطالب لغير ذلك وإن كان من حلال ، فما ظنك بالحرام السائق إلى شر مآل ؟ !

وعن مسلم بن يسار قال : قال رسول الله ﷺ لرجل كان يخدمه فى سفر : « هل فى أهلك من كاهن ؟ أى من مسن فيقوم على عيالك لئلا يضيعوا ؟ » ، قال : لا ماهم إلا صبية صغار ، قال : « ففيهم فجاهد » ، فانظر يا أخى كيف آثر خدمة الصغار على خدمة النبى المختار . وقد قال الله تعالى: (النبى أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم) . وقرأ بعض وهو أب لهم . ويروى أن رجلا قال للنبى ﷺ أتيتك لأجاهد معك ، فقال : « ألك حوبة ؟ قال نعم » قال « ففيها فجاهد »(١) .

وفى صحيح مسلم أن النبى ﷺ قال : « دينار أنفقته فى سبيل الله ، ودينار أنفقته فى رقبة ، ودينار تصدقت به على مسكين ، ودينار أنفقته

---

(١) يعنى : هل لك ما تأثم فيه إن ضيعته من حرمة تضييع إن تركتها من أم أو أخت أو بنت أو غير ذلك ، ذكره أبو عبيد . وذكر أيضاً أن رجلا قال له : أبايعك على الجهاد ، فقال عليه السلام : « هـــل لك من ثقل ؟ » الحديث . قال الهروى : الثقل : الكل والعيال . قال ويقال أراد هل بقى لك من تجب عليك طاعته كالوالدين والأهل والولد الصالح .

على أهلك أعظمها أجراً الذى تنفقه على أهلك » قال أبو قلابة وأى رجل أعظم أجراً من رجل يسعى على عيال صغار حتى يعفهم أو يغنيهم ؟ وقال أيضاً لرجل : لأن أراك تطلب معاشك أحب إلى من أن أراك فى زوايا المسجد . وقال لآخر : عليك بلزوم السوق والصنعة فإنك لا تزال كريماً على إخوانك ما لم تحتج إليهم . وقال ﷺ لسراقة بن مالك : « ألا أدلك على أفضل الصدقة ؟ ابنتك مردودة(١) عليك ليس لها كاسب غيرك » .

وروى أن عيسى عليه السلام قال لرجل ما تصنع ؟ قال أتعبد : قال من يعولك ؟ قال : أخى . قال : أخوك أعبد منك . وقال ﷺ : « من لم يهتم للعيال فليس له فى الجماعة نصيب » وقال : « أعظم الناس هماً المؤمن يهتم بأمر دنياه وآخرته » وعن أنس قال قلت يا رسول الله رغيف أتصدق به أحب إليك أم مائة ركعة تطوعاً ؟ قال : رغيف تتصدق به أحب إلى من مائتى ركعة تطوعاً » . قال قلت : قضاء حاجة المسلم أحب إليك أم مائتا ركعة تطوعاً ؟ قال: قضاء حاجة أحب إلى من ألف ركعة تطوعاً، قال قلت : ترك لقمة من حرام أحب إليك أم ألف ركعة تطوعاً ؟ قال : « ترك لقمة من حرام أحب من ألفى ركعة تطوعاً » . قال قلت : ترك الغيبة أحب إليك أم ألفا ركعة تطوعاً ؟ قال : «ترك الغيبة أحب إلى من عشرة آلاف ركعة تطوعاً » ؟ قال: «قضاء حاجة الأرملة واليتيم أحب إلى من ثلاثين ألف ركعة تطوعاً » قال : « الجلوس مع العيال أفضل أم الجلوس فى المسجد ؟ قال : « جلوس ساعة عند العيال أحب إلى من الاعتكاف فى مسجدى هذا » . قال قلت : النفقة على العيال أحب إليك أم النفقة فى سبيل الله ؟ قال درهم تنفقه على العيال أحب إلى من دينار تنفقه فى سبيل الله » . قال قلت :

---

(١) المردودة : المطلقة . والمراجع : التى مات عنها زوجها فرجعت إلى أهلها. ذكره أبو عبيد .

بر الوالدين أحب إليك أم عبادة ألف سنة ؟ قال : « بر الوالدين أحب إلى وإلى الله تعـــالى من عبادة ألف ألف سنة » قال : قلت زيارة الإخوان أحب إليك أم الطواف حول البيت ؟ قال : « زيارة الإخوان أحب إلى من سبعين طوافاً حول البيت » .

وقال ﷺ : « إن فى الجنة درجة لا ينالها إلا ثلاثة : إمام عادل ، وذو رحم وصول ، وذو عيال صبور » قال على : وماصبرى ذى العيال ؟ قال : « أن لايمن على أهله بما أنفق عليهم » .

قال الغزالى : والقيام بحق العيال بكسب الحلال أفضل من العبادات البدنية . ولكن ينبغى مع ذلك أن لاينفك عن ذكر الله تعالى ولو بقلبه . كان أبو الحسن يعمل بالمسحاة دائماً ويقول : أعطينا اليد للعمل ، واللسان للخلق ، والقلب للحق . قال ﷺ : « إن من الذنوب ذنوباً لا يكفرها إلا طلب المعيشة » وقال ﷺ : « العبـــادة عشرة أجزاء تسعة منها فى طلب الحلال » وقال ﷺ : « طلب الحلال جهاد فى سبيل الله » وقال : « الكسب فريضة بعد الفريضة » وقال على كرم الله وجهه : إن الجنة مشتاقة إلى أصحاب الغموم والهموم من طلب الحـــلال ، ويروى أن الأوزاعى لقى إبراهيم بن أدهم وعلى عنقه حزمة حطب ، فقال إلى متى هذا يا أبا إسحاق ؟ إخوانك يكفونك فقال : دعنى يا أبا عمرو فإنه بلغنى أنه من وقف موقف مذلة فى طلب الحلال وجبت له الجنة . وقال أبو سليمان الدارانى : من بات تعباً من كسب الحلال بات والله عنه راض . ويروى من أمسى فانياً من طلب الحلال بات مغفوراً له وأصبح والله عنه راض . ومر ﷺ برجل عالج خبزة لأصحابه حتى عرق وآذاه حر النار فقال : « لا يصيبه وهج النار أبداً » وقال ﷺ : « من سعى على نفسه ليعزها ويغنيها فهو شهيد . ومن سعى على والديه ليغفهما فهو مجاهد فى سبيل الله ، ومن سعى على عياله فهو فى سبيل الله ، ومن سعى مكاثراً فهو فى سبيل الشيطان » .

﴿ فصل ﴾ فإن قلت قد قيل : إن ابتذال النفس بنقل الماء والطعام ونحوه نقص مروءة ، قلنا : ذاك إذا فعله عن شح ، فأما إذا فعله استكانة واقتداء بالسلف التاركين للتكلف ، فلا يقدح فى مروءته . كذا ذكره فى الوسيط وفى الروضة عن العزيز .

وذلك يختلف باختلاف الأشخاص والأحوال والأماكن فإن المروءة هى تخلق الإنسان بخلق أمثاله فى زمانه ومكانه ، وقد كان الصحابة وأفاضل الأمة يمتهنون أنفسهم ويسعون على عيالهم تعففاً وتواضعاً . فيروى أن عمر رضى الله تعالى عنه كان يحمل قربته على عنقه ، وجعل يوماً دقيقاً وشحماً وسمناً وتمراً وثياباً ودراهم فى غرارة ثم رفعها له غلامه فحملها عمر على عنقه حتى أتى منزل امرأة لها صبيان يبكون فأخذ القدر وجعل دقيقاً وشيئاً من شحم وتمراً وجعل يحرك وينفخ تحت القدر والدخان يخرج من خلال لحيته حتى طبخ لهم ، ثم جعل يغرف بيده ويطعمهم حتى شبعوا وضحكوا فخرج .

ويروى أن علياً كرم الله وجهه كان يستقى الماء ليهودى كل دلو بتمرة . ويروى أنه آجر نفسه يسقى نخلا بشىء من شعير ليلة حتى أصبح ، وقال : تزوجت فاطمة ومالنا إلا إهاب كبش ننام عليه بالليل ، ونعلف عليه الناضح بالنهار ، وقال : لما أردت أن أبتنى بفاطمة واعدت رجلا صواغاً على أن يرتحل معى فنأتى بإذخر فنبيعه من الصواغين فأستعين به على وليمة عرسى . وفى حديث ابن عمر أن النبى ﷺ رآه وهو يختلى لفرسه أى يحش لها وقال : بنيت بيتاً بيدى يكننى من المطر ويظلنى من الشمس ما أعاننى عليه أحد من خلق الله تعالى .

وقال ابن عباس لما أراد النبى ﷺ أن يبعث علياً بالراية قال : « أين على ؟ » قالوا : هو فى الرحا يطحن ، فقال : « وما كان أحدكم يطحن عنه »

وفى حديث كعب بن عجرة قال : أتى على النبى ﷺ وأنا أوقد تحت قدر .
وقال أنس: بعث رسول الله ﷺ سبعين رجلا من الأنصار يقرؤن القرآن ويتدارسونه بالليل ويتعلمون، وكانوا بالنهار يجيئون بالماء فيضعونه بالمسجد ويحتطبون فيبيعونه ويشترون به الطعام لأهل الصفة والفقراء رضى الله عنهم، وهم الذين قنت النبى ﷺ شهراً يدعو على قاتلهم. وفى حديث جابر: ولنا داجن فذبحتها وطحنت يعنى زوجته صاع شعير ففرغت إلى فراغى فقطعتها فى برمتها وبصق عليه السلام فى العجين والبرمة وبرك ثم قال : «ادع خابزة فلتخبز معك وأقدحوا برمتكم ولا تنزلوها، فأكل منه ألف حتى تركوه ، ثم أكل ﷺ وأبو طلحة وأم سليم وأنس وفضلت فضلة. وفى حديث جابر بعثنا النبى ﷺ ونحن ثلثمائة نحمل زادنا على رقابنا ، وكان المهاجرون والأنصار يحفرون الخندق بأيديهم ، ولم يكن لهم عبيد يعملون ذلك لهم .
وقال ابن أبى مالك : رأيت أبا هريرة أقبل من السوق يحمل حزمة حطب وهو يقول : أوسعوا للأمير أوسعوا للأمير . وهو يومئذ خليفة لمروان .
وفى خبر عرس ربيعة الأسلمى قال : قال رسول الله ﷺ : « اذهب إلى عائشة وقل لها تبعث بما كان عندها من طعام » فانطلقت فقلت لها ذلك فقالت : خذ ذلك المكتل فيه تسعة آصع من شعير ، قال فأخذته فأتيت به النبى ﷺ فقال : « اذهب به إليهم » يعنى إلى أصحاب المرأة العروس « وقل لهم ليصبح عندكم هذا خبزاً » فانطلقت به وبالكبش فأخذوا الطعام وقالوا: اكفنا أنت بالكبش . قال: فجاء معى ناس من أسلم، فاجتمعنا على الكبش فذبحناه وسلخناه وطبخناه فأصبح عندنا خبز ولحم وأصبحت عروسا فدعوته ﷺ هو وأصحابه وهو فى حديث طويل . وقال المقداد : عمدت إلى الشملة فشددتها على وأخذت الشفرة وانطلقت إلى الأعنز أيها أسمن فأذبحها لرسول الله ﷺ ، وقال جابر : دخل على النبى ﷺ فعمدت إلى عنز لى لأذبحها فقال ﷺ : « لا تقطع دراً ولا نسلا » وجاء ﷺ وأبو بكر

وعمر رضى الله عنهما منزل أبى الهيثم بن التيهان — وكان كثير النخل والشاء — فسأل امرأته عن زوجها فقالت : يارسول الله ذهب يستعذب لنا من الماء، فجاء بقربة يزعبها أى يحملها بنشاط الحديث إلى قوله ثم أخذ السكين ليذبح لهم فقال ﷺ «لا تذبحن ذات در» ويروى أن عمار بن ياسر — وكان أميراً بالكوفة — خرج إلى العلاف فاشترى منه علفاً واستزاده وأخذ حزمة قت وأخذ البائع جانب الحزمة وجعل يمد كل واحد منهما حتى صار نصف الحزمة فى يد هذا ، ونصفها فى يد هذا ، ثم جعلها على عاتقه وذهب بها إلى منزله .

وروى أن النبى ﷺ قال يوماً «اللهم اسقنا» فقال أبو لبابة : إن التمر فى المرابد ، فقال النبى ﷺ «اللهم اسقنا حتى يقوم أبو لبابة عرياناً يسد ثعلب مربده بإزاره» فمطروا حتى قام أبو لبابة فنزع إزاره فسد به ثعلب المربد وهو الجرين ، ويسمى أيضا الجرن والبيدر والأندر . وثعلبة جحره الذى يسيل منه ماء المطر . فى هذا دليل على امتهان أبى لبابة نفسه بمعاناة ذلك بإشارة المصطفى ﷺ . وجاء قوم لقمان إليه يختصمون ، فوجدوه يسوط قدراً ويأكل منها ، فقالوا إلى هذا نختصم ؟ فسمعها فقال: ادخلوا كل فى بيته صبى .

وفى حكمة آل داود عليه السلام : حق على العاقل أن لا يصرف زمنه إلا فى إحدى ثلاث : زاد لمعاد ، أو حرمة لمعيشة ، أو لذة فى غير محرم ، وأخبارهم فى ذلك كثيرة .

وقال عليه السلام : «أنا وامرأة سفعاء الخدين كهاتين يوم القيامة» . ويروى «فى الجنة» ، وأومأ إلى السبابة والوسطى ، يعنى امرأة آمت من زوجها وهى ذات منصب وجمال ، حبست نفسها على يتاماها حتى ثابوا

أو ماتوا . وقال أنس ما كان أحد أرحم بالعيال من رسول الله ﷺ كان ابنه مسترضعا فى عوالى المدينة، فكان ينطلق ونحن معه فيدخل البيت وإنه ليدخن ، وكان ظئره قيناً فيأخذه فيقبله ويشمه، ثم يرجع ﷺ ، فلما توفى قال لهم : « لاتدرجوه فى أكفانه حتى انظر إليه » فأتاه فانكب عليه وبكى، وكان ﷺ يقول فى الأولاد : « إنهم من ريحان الله » وكان يداعب الصبيان ويجلسهم فى حجره ويقبلهم، وربما قبل فى أفواههم ، وكان يقول «أكثروا من قبل أولادكم فإن لكم فى كل قبلة درجة فى الجنة حتى أن الملائكة لتحضر فتكتب لكم من الدرجات بعدد ماقبلتم مابين الدرجتين مسيرة خمسمائة عام » . وكان ﷺ يدعو الحسن والحسين فيشمهما ويضمهما إليه ويقول : « ريح الولد من ريح الجنة » وقد ذم ﷺ من لم يسع لهم أو أهمل حقهم فقال : « كفى بالمرء إثماً أن يضيع من يعول » وفى رواية من « يقوت » . وقال عبيد بن عمير : إن الرجل ليسأل عن كل شىء حتى عن حية أهله . قال أبو عبيد : أى عن كل شىء حى كالدابة والهرة ونحو ذلك . فبان لك بهذا أن السعى مندوب إليه وأن الزرع هو المعول عليه . وقال ﷺ : « ليس منا من وسع الله عليه ثم قتر على عياله » .

﴿ فصل ﴾ وأما إرضاء السائل فقد قال الله تعالى (وآتى المال على حبه ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين) الآية . وقال ﷺ « لا يمنعن أحدكم السائل أن يعطيه إذا سأل وإن رأى فى يده قلبين من ذهب » وقال ﷺ « لاتردوا السائل » ردوا مذمة السائل ولو بمثل رأس الطير من الطعام . وقال ﷺ « من سأل بالله فأعطوه » ، وقال ﷺ « لو صدق السائل فى سؤاله ما أفلح من رده » وقال ﷺ « للسائل حق وإن جاء على فرس » وقال ﷺ « هدية الله إلى عبده المؤمن السائل على بابه » وقال ﷺ : « إذا أتى سائل فلا تقطعوا عليه مسألته حتى يفرغ منها ،

ثم ردوا عليه بوقار ولين وببذل يسير ، أو رد جميل ، فإنه قد يأتيكم من ليس بإنس ولا جان ينظرون كيف صنعكم فيما خولكم الله » وقد كان ﷺ لا يكل خصلتين إلى غيره ، كان يضع طهوره بالليل ويخمره بيده ، وكان يناول المسكين بيده. وقال ﷺ: « من أتاه رجل مؤمن معتقد لى ولصحبتى وسأله نصف ماله فلم يعطه شيئاً أوشك أن تزول تلك النعمة التى هو فيها » وقال وهب بن منبه رضى الله عنه : أصاب بنى إسرائيل بلاء وضيق ، وأصابتهم شدة وفيهم يومئذ نبى فأتوه فقالوا له يانبى الله مايرضى ربنا عنا ؟ فقيل لنبيهم مرهم أن يرضوا مساكينهم، فإذا فعلوا ذلك فهو رضائى عنهم .

ويروى أن موسى عليه السلام قال يارب أى الناس أبخل ؟ قال الذى يرد سائله وهو على الطعام قادر، ثم الذى يبخل بالسلام . وقال عيسى عليه السلام : من رد سائلا خائباً لم تغش الملائكة ذلك البيت سبعة أيام .

وقال تعالى : (وأما السائل فلا تنهر) أى لا تكلمه ضجراً . وقال ابن عباس : يريد الجواب بالغلظة ، يقال نهره وانتهره : إذا استقبله بكلام يزجره به . فينبغى لمن لا يملك شيئاً أن يتأدب بقول الله تعالى : (وإما تعرضن عنهم) أى عن هؤلاء الذين أوصيناك بهم من ذوى القربى والمساكين وابن السبيل (ابتغاء رحمة من ربك) أى انتظار رزق يأتيك من الله (فقل لهم قولا ميسوراً) والمعنى إن تعرض عن السائل إضاقة وإعساراً فقل لهم قولا جميلا رزقك الله ، بارك الله فيك ، يرزقنا الله وإياك من فضله ، ونحو ذلك .

﴿ فصل ﴾ وأما إطعام الحلال فقال الله تعالى : (يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم) يعنى بالتجارة والصناعة (ومما أخرجنا لكم من الأرض) يعنى من الزرع والثمار الذى يقتات ويدخر . وروى أبو داود والترمذى أن النبى ﷺ قال : « أيما مسلم كسى مسلماً ثوباً على عرى كساه

الله من خضر الجنة ، وأيما مسلم أطعم مسلماً على جوع أطعمه الله من ثمار الجنة ، وأيما مسلم سقى مسلماً على ظمأ سقاه الله من الرحيق المختوم » . وقال ﷺ « من أطعم جائعاً فأشبعه فتحت له أبواب الجنة الثمانية يدخل من أى باب شاء . ويروى « من أطعم أخاه المؤمن المسلم حتى يشبعه ، وسقاه حتى يرويه ، باعده الله من النار مسيرة خمسمائة عام » . وقال ﷺ: « مامن عمل أفضل عند الله من إشباع كبد جائع » وقال ﷺ : « إن من موجبات المغفرة إدخال السرور على أخيك المؤمن ، وإشباع جوعته ، وتنفيس كربته » . (قلت) : وفى الزرع يدخل الراحات على المسلمين ، وبه يتوصل إلى إعانة ذوى الحاجات والمساكين . ومنه يشبع الجائعين . ويكرم القاصدين والوافدين . وقال ﷺ « أكثروا معرفة الفقراء واتخذوا عندهم الأيادى ، فإن لهم دولة » قالوا يارسول الله ومادولتهم ؟ قال : « إذا كان يوم القيامة قال لهم الله انظروا من أطعمكم كسرة ، أو سقاكم شربة ، أو كساكم ثوباً » فخذوا بيـــده وامضوا به إلى الجنة وأنشدوا فى ذلك شعراً :

لا تعد عيناك مسكيناً تلاقيه ... فإنما هى أقسام وأرزاق
وكن محباً له ترجو شفاعته ... فللمساكين يوم الحشر أسواق

وقال ﷺ : « يقول الله تعالى للرجل يوم القيامة : وعزتى وجلالى مازويت الدنيا عنك لهوانك على ، ولكن لما أعددت لك من الكرامة والفضيلة ، أخرج ياعبدى إلى هذه الصفوف فمن أطعمك أو كساك يريد بذلك وجهى فخذ بيده فهو لك » ويروى « من حفر بئراً كان له حسنات بعدد شعر من ورد عليها ، ولصرير نسمة فى الحج أفضل من ذلك ، ولمسألة فى العلم أفضل من ذلك ، وللقمة تهوى فى بطن جائع أفضل من ذلك ، وذلك وذلك » .

وقال ﷺ « من لذذ أخاه بما يشتهى كتب الله له ألف ألف حسنة ،

ومحى عنه ألف ألف سيئة ، ورفع له ألف ألف درجة ، وأطعمه الله من ثلاث جنان : جنة الفردوس ، وجنة الخلد ، وجنة عدن ، وقال ﷺ : « من ختم له عند الموت بإطعام مسكين يبتغى به وجه الله تعالى دخل الجنة » وقال ﷺ : « من أطعم مؤمناً لقمة حلوى صرف الله عنه مرارات الموقف » وقال ﷺ : « من أنفق على مريض حتى ينكشف عنه ضره كتب الله له بكل حبة عبادة مائة سنة » ، وقال ﷺ : « لأن أجمع إخوانى على صاع أحب إلى من عتق رقبة » ويروى « لأن أطعم أخاً لى فى الله لقمة أحب إلى من أتصدق بعشرة دراهم » ، وقال ﷺ : « يكون فى آخر الزمان مجاعة وجهد ، فمن أراد الآخرة فى ذلك الزمان فعليه بالأكباد الجائعة » وقال ﷺ : « أيما أهل عرصة ظل فيهم أمرؤ جائع فقد برئت منهم ذمة الله » وقال ﷺ : « أيما رجل مات جوعاً فى محلة قوم سألهم الله بدمه يوم القيامة » .

فهذا بعض ما حضرنى من ذلك ، ولم أحص ما هنالك ، وإلا فهو أكثر من أن يحصى ، وأعظم من أن يستقصى . فاعتمد أيها الطالب على الزراعة ، فإنها أربح تجارة وبضاعة ، وبها تأمن أنت والمسلمون من المجاعة . وقد رأيت فى ذلك بقليل من كثير . ونذر من غزير ، وفيه كفاية إن شاء الله تعالى .

﴿ فصل ﴾ فإن قلت قد روى عن أبى أمامة أنه رأى سكة وشيئاً من آلة الحرث . فقال : سمعت النبى ﷺ يقول : « لا يدخل هذا دار قوم إلا دخله الذل » وقال ﷺ « العز فى نواصى الخيل ، والذل فى أذناب البقر » .

وهذا يدل على عدم الفضل فيه ، فالجواب أنه لم يرد بذلك تحريضاً لنا أن لا نشتغل به عن مهماتنا وجهاد أعدائنا وتعلم مهم أدياننا ، ولهذا قال الهروى : إنه إنما قال ذلك لأن المسلمين إذا أقبلوا على الدهقنة والزراعة شغلوا عن الغزو ، وأخذهم السلطان بالمطالبات ، علم النبى ﷺ ما ينال الناس

من الذل عند تغير الأحوال بعده ، ولهذا لما قالت الأنصار حين فشا الإسلام: إن أموالنا قد ضاعت، وإن الله قد أعز الإسلام وكثر ناصروه، فلو قمنا فى أموالنا فأصلحنا ما كان ضاع منها ؟ فأنزل الله تعالى (ولا تلقوا بأيدكم إلى التهلكة) قال أبو أيوب : فكانت التهلكة الإقامة على الأموال وإصلاحها ، وترك الغزو . هذا وكان الجهاد يومئذ مع الكفار وفى بلادنا لم تجد إلا مسلماً يقتل مسلماً ، فنى الاشتغال به عن البغى أكبر فائدة وأحسن عائدة .

وقال شفيق فى قوله تعالى : (ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا فى الأرض) لو أن الله رزق العباد من غير كسب لتفرغوا وتفاسدوا ، ولكن شغلهم بالكسب حتى لا يتفرغوا للفساد . فإن قلت : فقد قال ﷺ : « إن الجفاء والقسوة فى الفدادين »[1] .

---

(١) قلت : وقد قال أبو عمرو : وهى بالتخفيف البقر التى تحرث وأراد فى أهل الفدادين فحذف كقوله « واسأل القرية » أى أهل القرية . قال: يقال إن أهلها أهل قسوة وجفاء لبعدهم عن الأمصار والناس . فالجواب أن أبا عبيد القاسم بن سلام . قال : لا أرى أبا عمرو حفظ هذا . قال وليس الفدادين من هـذا بشىء ولا كانت العرب تعرفها إنما هى للروم وأهل الشام. وإنما افتتحت بعد النبى ﷺ ولكنهم الفدادون بالتشديد وهم الرجال واحدهم فداد . وقال الأصمعى والأحمر : هم الذين تعلوا أصواتهم . فيما يعالجون وكان أبو عبيدة يقـول : الفدادون هم المكثرون من الإبل يملك أحدهم المائتين منها إلى الألف وهم مع ذلك جفاة أهل خيلاء . وقال أبو العباس: الفدادون الجمالون والرعيان والبقارون والحمارون كذا ذكره أبو عبيد . وقد روى أن الفخر والخيلاء فى أهل الخيل والإبل الفدادين من أهل الوبر ، وذلك صريح فى أنهم أهـل الخيـل والإبل . وفى رواية إن القسوة وغلظة القلوب فى الفدادين وعند أصول أذناب البقر حيث يطلع قرن الشيطان فى ربيعة ومضر . وفى رواية نحو المشرق فى أهل الخيل والإبل . وفى رواية قبـل مطلع الشمس . وكلها فى صحيح مسلم ، وذلك تصريح بأن ذلك فى مكان مخصوص وقوم مخصوصين والله أعلم .

=

﴿ فصل ﴾ واعلم أنه لا ينال المرء هذه الفضائل كلها، ويكون أحق بها وأهلها إلا بشروط سبعة :

الأول : أن تكون المزارعة حلالا محضاً بعيدة عن الشبهة ، قال ﷺ : « من أخذ شبراً من الأرض ظلماً فإنه يطوقه من سبع أرضين يوم القيامة » وقال رسول الله ﷺ : « من أخذ أرضاً بغير حقها كلف أن يحمل ترابها إلى المحشر » وقال ﷺ : « لعن الله من غير منـــار الأرض » ، ويروى « ملعون من غير تخوم الأرض »(١) . قال الشاعر :

يابنى التخـــوم لا تظلموها إن ظلم التخوم ذو عقـــال

وقال ﷺ : « من اكتسب مالا من مأثم وتصدق به أو وصل به رحمه أو أنفقه فى سبيل الله جمع ذلك كله وألقى فى النار » وقال ﷺ : « من أصاب مالا من مهاوش(٢) أذهبه الله فى نهابر » وقال النووى : من أنفق الحرام فى طاعة الله كان كمن طهر الثوب بالبول . وقال ﷺ « لا يكسب العبد مالا من حرام فيتصدق به فيؤجر عليه ، ولا ينفق منه فيبارك له فيه، ولا يتركه وراء ظهره إلا كان زاده إلى النار،إن الله لا يمحو السيء بالسيء ،

= فإن قلت : ففى كتابه ﷺ إلى قيصر يدعوه إلى الإسلام : « وإن توليت فعليك إثم الاريسيين » . قال الهروى : يعنى الأكارين وهم الحراث ؟ فالجواب ماقاله المازنى: إن أهلها الأكارون والملوك والرؤساء . فعلى الأكارين يكون المعنى عليك إثم رعاياك لانك تدعوهم إلى ضلالة . وقال النبى ﷺ : « أيما داع دعا إلى ضلالة فاتبع ، فإن عليه مثل أوزار من اتبعه » وعلى الملوك يكون المعنى عليك إثم الملوك الذين يقودون الناس إلى المذاهب الفاسدة .

(١) المنـار والتخوم بفتح التاء وضمها : هى الحدود بين الأرضين .

(٢) المهاوش بالميم ويروى بالنون : التخاليط من غير حله ، ونهابر : واد فى جهنم ، وقيل المهالك .

ولكن يمحو السيء بالحسن ، وقال بعض الصالحين : اشتريت لحمارى شعيراً بدراهم ، وصببته فى البيت ، وخرجت ، فلما رجعت إذا شيخ جالس عند الشعير ، فنظرت إليه وكان الشيطان، فقلت له : ياالعين إيش تعمل هاهنا ؟ قال : لى فى هذا نصيب ، فرددت الباب وخرجت ، فقلت للذى اشتريت منه الشعير ؟ قال أنا زرعته ، ففتشت عنه فإذا الأرض غصب .

الثانى : استقصاء الزكاة وصرفها لأهل الصدقات فغلوها محبط للأعمال، مهلك للأموال . قال ﷺ : « مانع الزكاة فى النار » وقال ﷺ : « ماخالطت الصدقة مالا إلا أهلكته » ويروى « إذا منعت الصدقة هلكت الأموال » وقال ﷺ : « مامنع قوم زكاة أموالهم إلا منع الله منهم قطر السماء ، ولولا البهائم لم يسقوا » وقال ﷺ : « من لم يزك فلا صلاة له ، ولا دين له ، ولا صوم له ، ولا حج له ، ولا جهاد له » وقال ﷺ « المعتدى فى الصدقة كمانعها » قيل : هو الذى يضعها فى غير موضعها .

فيجب أداؤها على الشروط المعروفة فى الكتب الفقهية ، فيخرج زكاة كل مال فى تلك البلد المال فيها ويصرفه إلى الأصناف الموجودين فيها ، فإن لم يجد فيها أحداً ، نقل إلى أقرب بلد إليه . قال الغزالى : وقد عدم من الأصناف فى أكثر البلدان صنفان : وهم المؤلفة قلوبهم ، والعاملون عليها، وصنفان يوجدان فى بعض البلاد دون بعض ، وهم الغزاة والمكاتبون ، والموجود فى جميع البلاد أربعة: الفقراء ، والمساكين ، والغارمون، وأبناء السبيل ، وهم المسافرون . قال : فإن وجد هذه الأصناف الأربعة مثلا قسم زكاة ماله أربعة أقسام متساوية حتما، وعين لكل صنف قسماً، ثم صرف كل قسم إلى أكثر من اثنين ، فإن لم يجد إلا أقل من ثلاثة ، أعطى كل منهم صنفه ، وليس عليه التسوية بين آحاد الصنف ، فإن له أن يقسم كل قسم على عشرة وعشرين ، وأكثر ، فينقص بعضاً ويفضل بعضاً ، بخلاف الأصناف فلا تقبل الزيادة ولا النقصان ، فلو لم يجد إلا صاع الفطرة

فى الفطرة ، ووجد أربعة أصناف فعليه أن يوصله إلى أثنى عشر نفراً ، فإن نقص واحداً مع الإمكان غرم نصيب ذلك الواحد ، ذكر ذلك الغزالى وهذه مهمات جيدة فلا يغفل عنها ، وتتبات ذلك فى كتب الفقه .

وقال النبى ﷺ : « إن فى المال لحقاً سوى الزكاة » ثم قرأ (وآتى المال على حبه ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل) الآية ، وقال تعالى : (وآت ذا القربى حقه) يعنى من الصلة والبر (والمسكين) قال مقاتل حقه أن يتصدق عليه (وابن السبيل) بالضيافة وقال تعالى (كمثل ريح فيها صر أصابت حرث قوم) أى زرع قوم (ظلموا أنفسهم) الزكاة والحقوق (فأهلكته). ويقال من منع الزكاة منع الله منه حفظ المال ، ومن منع الصدقة منعت منه العافية ، ومن منع العشر منع الله منه بركة أرضه ، ومن تهاون بالصلاة منع منه قول لا إله إلا الله عند الموت . ذكره أبو الليث السمرقندى . وقال الله تعالى (قد أفلح) أى فاز وبقى ونجا (من تزكى) أى أخرج زكاة الفطر (وذكر اسم ربه) يعنى تكبير العيد (فصلى) خرج فصلى العيد ، ذكره الواحدى .

وإنما سمى مايدفع إلى المساكين زكاة لأنه ينمى المال ، والزكاة فى اللغة النماء والزيادة ، يقال زكت الثمرة إذا كثرت ، وزكت النفقة إذا بورك فيها ، ذكره فى البيان .

والثالث : المواظبة على الصلوات المفروضات وتأديتها فى الأوقات المعروفات . قال الله تعالى : (إن الصلاة كانت على المؤمنين كتاباً موقوتاً) وقال النبى ﷺ : « الصلاة عماد الدين ، وفرض على المسلمين » وقال ﷺ : « بين العبد وبين الكفر ترك الصلاة » رواه مسلم فى صحيحه ، فن أهملها فقد استخف بحرمة الإسلام، ولم يفرق بين حلال وحرام، وكيف تكتب الحسنات لمن هو مهمل للوجبات : وقد قال ﷺ : « من لقى الله تعالى وهو مضيع للصلاة لم يعبأ الله بشىء من حسناته . وينشد فى ذلك للسلف :

صلاة المرء فى أخراه ذخر وأول مايحاسب بالصلاة
فإن يهلك فطوبى ثم طوبى له الجنات فيها بالصلاة
وإلا النار مثواه وتبا له تبا له بعد الممات

فيشترط أداؤها فى أوقاتها ، بشروطها المرسومة فى مظنوناتها ، ولا يشتغل عنها بزرع ولا عيال ، ولا شىء من سائر الأشغال .

قال الغزالى : وإياك أن تقول الله رحيم يغفر للعصاة ، فإنها كلمة حق أريد بها باطل ، وهو كمن يترك الحرث والكسب ويقول الله قادر أن يرزقنى كنزاً يغنينى ، كيف والله يقول : (إنما تجزون ما كنتم تعملون * وأن ليس للإنسان إلا ماسعى * والله شديد العقاب) ولا يحصد الإنسان إلا مازرع ، وليت من صام وصلى يغفر له .

وأما النوافل والتطوعات ، فزيادات فى الدرجات ، من قام بها ربح الأجر ، ومن أهملها فلا وزر .

والرابع : معرفة مالايستغنى عنه من أصول الاعتقادات ، والعلوم الشرعيات ، وأقل ذلك كتاب من المختصرات ، يفهم منه شروط الصلاة والزكاة ، وطرفاً من المعاملات والمناكحات ، وأنه لا يجوز بيع زرع لم يشتد حبه دون شرط القطع لأنه لا تؤمن عليه العاهات ، وأنه لا يجوز بيع جزء من الزرع الأخضر ولا قسمته فى بعض المقالات ، ولا يجوز بيع الأرض مع بذرها ، أو مع زرع لا يفرد بالبيع ، ونحو ذلك ومن المسائل المهمات ، فمعرفة هذا وشبهه على الزارع من الفروض المتعينات ، سأوضح فى الباب الثالث إن شاء الله تعالى مايشترط معرفته من العلوم والاعتقادات.

والخامس : حسن صحبة الإخوان ، والقيام بما يجب من حقوق الأهل والجيران ، وسهولة الإنفاق على القرابة والنسوان ، وسيرد فى الباب الثالث إن شاء الله تعالى مايزيدك فى البيان .

والسادس : الإقلاع من النميمة والاغتياب ، ومجانبة أهل الارتياب ، والمواظبة على تلاوة الكتاب ، والقيام بما يجب لله ورسوله وللأصحاب ، فحينئذ يتسربل صاحبها حلة الأتقياء ، ويحشر فى زمرة الأولياء ، ويكون من حزب الأنبياء .

والسابع : أن لا يحيف عند موته فى وصيته ، فإن حاف عليهم فقد أتى بدعة قوية . قال الله تعـــالى : (يوصيكم الله فى أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين) إلى قوله تعالى (غير مضار) أى مضارر ، فيدخل الضرر على الورثة كأن يوصى بدين ليس عليه . قال قتادة : إن تعالى كره الضرر فى الحياة وعند الموت ونهى عنه ، ولا تصلح له مضارة فى حياة ولا موت .

وفى الصحيحين أن النبى ﷺ قال لسعد رضى الله عنه حين قال له : إن لى مالا كثيراً وليس يرثنى إلا ابنتى أفأوصى بمالى كله ؟ قال : لا . إلى أن قال : فالثلث ؟ قال « الثلث والثلث كثير ، إنك إن تذر ورثتك أغنياء خير لك من أن تذرهم عالة(١) يتكففون الناس ، وإنك لن تنفق نفقة تبتغى بها وجه الله تعالى إلا أجرت عليها حتى اللقمة ترفعها إلى فى امرأتك .

قال الثعالبى وفى الخبر : « من قطع ميراثاً فرضه الله تعـالى قطع الله ميراثه من الجنة ، ونحوه ذكره الصيرفى فى كتاب الفرائض ، وقال ﷺ : « الضرار فى الوصية من الكبائر ، ذكره فى الكواكب ، ورواه الرامهرمزى فى كتاب الفاصل مسنداً عن ابن عباس .

وفى سنن الترمذى أن النبى ﷺ قال : « إن الرجل والمرأة ليعملان بطاعة الله ستين سنة ثم يحضرهما الموت فيضاران فى وصيتهما فتجب لهما النـار ، ثم قرأ (من بعد وصية يوصى بها أو دين غير مضار) الآية .

---

(١) قوله عالة أى فقراء ويتكففون يسألون الناس كى يضعوا الصـــدقة فى أكفهم ؛

ورواه أيضا الثعالبى وقال فيه قال رسول الله ﷺ : « إن الرجل ليعمل بعمل أهل الخير سبعين سنة فإذا أوصى وحاف فى وصيته ختم الله له بشر عمله فيدخل النار ، وإن الرجل ليعمل بعمل أهل الشر سبعين سنة فإذا أوصى ولم يحف فى وصيته ختم الله له بخير عمله فيدخل الجنة ، ثم يقول أبو هريرة اقرؤا إن شئتم (تلك حدود الله) إلى قوله (ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله ناراً خالداً فيها وله عذاب مهين) وقال ﷺ : « من حاف فى وصيته ألقى فى اللوى » اللوى : واد فى جهنم رواه الثعالبى أيضا.

وفى السنن أن رجلا أعتق ستة أعبد له عند موته لم يكن له مال غيرهم : فقال النبى ﷺ « لو شهدته قبل أن يدفن لم يدفن فى مقابر المسلمين » وفى رواية : « لو أدركته ماصليت عليه لمضارته فى الوصية » رواه مسلم . ودخل على رضى الله عنه على صديق له يعوده ، فقال : إنى أريد أن أوصى ، فقال له على : إن الله تعالى يقول (إن ترك خيراً) وإنما تدع شيئاً يسيراً فدعه لعيالك فإنه أفضل لك . وقال رجل لعائشة رضى الله عنها : أريد أن أوصى ، قالت : كم مالك ؟ قال ثلاثة آلاف ، قالت : كم عيالك ؟ قال : أربعة ، قالت : إنما قال الله تعالى : (إن ترك خيراً) وهذا شىء يسير فاتركه لعيالك .

وقال عروة بن ثابت للربيع بن خيثم : أوصى لى بمصحفك . فنظر إلى ابنه وقال : (وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض فى كتاب الله) وقال الله تعالى : (فمن خاف من موص جنفاً أو إثماً) يعنى جوراً أو عدولا عن الحق . والجنف : الميل . وقرأ على رضى الله عنه حيفاً أى ظلماً (فأصلح بينهم فلا إثم عليه) الآية ، يعنى من حضر مريضاً وهو يوصى فخاف أن يخطىء فى وصيته فيفعل ماليس بعدل أو يتعمد جوراً فيها فيأمر بما ليس له فلا حرج على من حضره أن يصلح بينه وبين ورثته فيأمره بالعدل فى الوصية ، وينهاه عن الحيف فيها . وقال طاووس : جنفه أن يوصى لبنى ابنه يريد ابنه ، ولبنى بنته يريد بنته ، أو يوصى لزوج بنته يريد بذلك بنته ، فلا حرج

على من أصلح بين الورثة . وقال عطاء : هو أن يعطى عند حضور أجله بعض ورثته دون بعض مما سيرثونه جميعاً بعد موته فلا إثم على من أصلح بين الورثة . وقال السدى وابن زيد: هو فى الوصية بالأثرة يميل إلى بعضهم ويحيف لبعضهم فى الوصية ، فإن أعظم الأجر أن لا ينفذها ، لكن يصلح بينهم فينقص بعضاً ويزيد بعضاً .

ويروى أن جاراً لمسروق دعاه ليشهده على وصيته ، فوجده قد بذر فيها وأكثر فقال : لا أشهد ، إن الله تعالى قسم بينكم فأحسن ، فمن رغب برأيه عن أمر الله فقد ضل ، أوص لذى قرابتك الذين لا يرثون ، ودع المال على قسم الله . قال الله تعالى : (فليتقوا الله وليقولوا قولا سديداً) أى عدلا فى الوصية . ولا يجوروا فيها . وقال ابن مسعود رضى الله عنه : هما المريان الإمساك فى الحياة ، والتبذير عند الممات . المريان تثنية المرى ، نسبهما إلى المرارة لما فيهما من المأثم .

فكل هذه الأحاديث مصرحة بالنهى عن الجور فى الوصية ، وهذه خصلة قبيحة قد ظهرت فى بلادنا وكثرت بين أظهرنا ، وقطعوا الميراث ، وتحيلوا فى ذلك بالحيل الخبيثة ، حتى أن الرجل ليبيع ماله فى مرض موته ، أو فى صحته حسداً لبعض ورثته ، ويفعل ذلك فراراً ، ويطوى عليه جانبه ازوراراً . ولم يخش فى ذلك عاراً ولا ناراً، ويقطع نسوة ضعافا ، وأطفالا صغاراً ، وأنا أستغفر الله إنه كان غفاراً ، لأنى قد جهلت فحضرت على ذلك مراراً ، وأستعين به على قطع هذه البدعة ، وإطفاء هذه الشنعة ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم .

﴿ فصل ﴾ ثم ما ذكرته أولا فهو مالم يبالغ فى الكدح ، مبالغة تورث القدح ، فإن بالغ فى ذلك مبالغة منكرة ، وسار فى طلب الدنيا سير القنبرة والقسورة ، وأعمل فى تحصيلها يده وسمعه وبصره ، ولم يكتف بما كفاه

من المال وستره ، فهو كساع بنفسه إلى المجزرة أو المقبرة ، وعاد حينئذ مدحه ذماً ، وكدحه فى ذلك إثماً وكثرته فى الحقيقة عدما .

واعلم أن حقيقة السعادة القوية ، الدنيوية والأخروية ، بعد أداء الوظائف الشرعية والتأدب بالآداب السنية ، أن يكون للمرء مسكن يأويه، وضيعة قريبة غلتها تكفيه ، ولا تزيد على كفايته فتطغيه ، وزوجة مؤمنة تواتيه ، وولد مبارك يسليه ، وجار صالح لا يؤذيه ، وخادم عن مهنة نفسه يحميه ، وماوراء ذلك فلا حاجة له فيه . فقد قال رسول الله ﷺ : « من أخذ من الدنيا فوق ما يكفيه أخذ جيفة وهو لايدرى » وقيل له ﷺ أى أمتك أشر ؟ فقال : « الأغنياء » .

وسئل رسول الله ﷺ من الموتى ؟ فقال : « الأغنياء » وقال ﷺ : « يدخل فقراء المسلمين الجنة قبل الأغنياء بخمسمائة عام حتى أن الرجل من الأغنياء ليدخل فى غمارهم فيؤخذ بيده ويستخرج » وقال ﷺ : « اطلعت فى الجنة فإذا عامة أهلها الفقراء ، وإذا أصحاب الجد محبوسون إلا أصحاب النار فقد أمر بهم إلى النار » .

قال أبو الدرداء: وذو الدرهمين أشد حساباً من ذى الدرهم . وقال ﷺ « يقول ابن آدم مالى مالى وليس ومالك إلا ما أكلت فأفنيت أو لبست فأبليت ، أو تصدقت فأمضيت » وقال ﷺ : « ليس لابن آدم حق فى شىء سوى هذه الخصال ، بيت يكنه ، وثوب يوارى عورته ، وجلف الخبز والماء » - يعنى كسر الخبز البـــارد - رواه مسلم . وقال ﷺ : « هلك المكثرون إلا من قال من عباد الله هكذا وهكذا ، وقليل ماهم » .

ويروى أن الله أوحى إلى آدم عليه السلام إن كنت تحبنى فأخرج حب الدنيا من قلبك، فإن حبى وحبها لايجتمعان أبداً . وقال ﷺ : « مامن أحد يوم القيامة غنى ولا فقير إلا ود أن ماكان أوتى من الدنيـــا قوتاً » .

وقال ﷺ : « مافوق الإزار وظل الحائط وجر الماء فضل يحاسب به العبد يوم القيامة أو يسأل عنه » ، وقال ﷺ : « سيأتى بعدى قوم يأكلون أطايب الدنيا وألوانها ، ويلبسون ألين الثياب وألوانها ، ويركبون فره الخيل وألوانها ، وينكحون أجمل النساء وألوانها ، بطونهم بالقليل لاتشبع ، وأنفسهم بالكثير لاتقنع ، عاكفين على الدنيا يغدون ويروحون إليها ، اتخذوها إلهاً من دون الله ، ورباً من دون ربهم ، إلى غيهم ينتهون ، وهواهم يتبعون ، فعزيمة من محمد بن عبد الله لمن أدركه ذلك الزمان ، من عقب عقبكم أو خلف خلفكم ، أن لا يسلم عليهم ، ولا يعود مرضاهم ولا يشيع جنائزهم ، ولا يوقر كبيرهم ، فمن فعل ذلك فقد أعان على هدم الإســــلام » .

وقال ﷺ : « اطلبوا الدنيا طلباً لا يشغلكم عن الآخرة ، وادخلوا فيها مدخلا لا يبطل أعمالكم » . وقال ﷺ : « إذا أراد الله بعبد شراً شغله بالدنيا حتى يموت » . وقال ﷺ : « والله ما الفقر أخشى عليكم ولكن أخشى أن تبسط عليكم الدنيا كما بسطت على من كان قبلكم فتنافسوها كما تنافسوها فتهلككم كما أهلكتهم » . وقال ﷺ : « إن لكل قوم فتنة وفتنة أمتى المال ، وهذا كقوله تعالى : (لأسقيناهم ماء غدقاً لنفتنهم فيه) والغدق : العذب ، وقيل الكثير . أراد لأخصبنا بلادهم ، وقيل لأعطيناهم مالا كثيراً . وقال ﷺ : « لا تفتح الدنيا على أحد إلا ألقت بينهم العدواة والبغضاء إلى يوم القيامة » . وقال ﷺ : « إن أخوف ما أخاف عليكم مايخرج لكم من بركات الأرض وزهرة الدنيا » .

قلت: وإنما كان كذلك لأن بسطها مطغ للبشر جالب للبطر منس للعبر. قال الله تعالى : (فلما نسوا ماذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء) يعنى رخاء الدنيا ويسرها وسرورها (حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فإذا هم مبلسون) آيسون من كل خير .

قال الحسن : من وسع عليه في رزقه فلم ير أنه يمكر به فلا رأى له ، ومن قتر عليه فلم ير أنه نظر له فلا رأى له ، ثم قرأ هذه الآية ، وقال: مكر بالقوم ورب الكعبة ، أعطوا حاجتهم ثم أخذوا . وقال الله تعالى : (سنستدرجهم من حيث لا يعلمون) قال الضحاك : كلما جددوا معصية جددنا لهم نعمة . وقال ابن عباس : سنمكر بهم ، وذلك أن الله تعالى يفتح عليهم من النعم مايغتبطون به، ثم يأخذهم على غرة منهم أغفل ما يكونون، فبين الله تعالى أن كثرة المال سبب لاستدراج العبد أو فتلته أو لأخذه بغتة في غفلته وغرته ، وليس كثرة المال في الدنيا كرامة ، لأنها دار رحلة لا دار إقامة ، ولا لمحبها منها سلامة ، وأنشد المتنبي في المعنى :

فذى الدار أخون من مومس   وأخدع من كفة الحابل
تفانى الرجال على حبها   وما يحصلون على طائل

وقال ابن مسعود : نهى النبي ﷺ عن التبقر في الأهل والمال ، ثم قال يعني ابن مسعود : فكيف بمال بزازان،ومال بكذا ، يريد الكثرة والسعة. قال أبو عبيد : أراد النهي عن تفريق الأموال في البلاد فيتفرق قلبه لذلك. وقال مالك بن دينار رضي الله عنه : إن الله تعالى إذا أحب عبداً انتقصه من الدنيا ، وكف عليه ضيعته ، يقول الله تعالى : لا تبرح من بين يدي ، فهو متفرغ لخدمة ربه عز وجل ، وإذا أبغض الله عبداً دفع في نحره شيئاً من الدنيا ، يقول اغرب من بين يدي فلا أراك بين يدي، فتراه متعلق القلب بأرض كذا وبتجارة كذا .

وقال ﷺ : « من كانت الآخرة همه جعل الله غناه في قلبه، وجمع عليه شمله ، وأتته الدنيا وهي راغمة ، ومن كانت الدنيا همه جعل الله فقره بين عينيه ، وفرق عليه شمله،ولم يأته من الدنيا إلا ماقدر له،فلا يمسى إلا فقيراً، ولا يصبح إلا فقيراً،وما أقبل عبد إلى الله بقلبه إلا جعل الله قلوب المؤمنين تنقاد إليه بالود والرحمة ، وكان الله إليه بكل خير أسرع» وقال ﷺ : «من جعل

الهموم هماً واحداً ـ هم المعاد ـ كفاه الله هم الدنيا ، ومن تشعبت به هموم الدنيا لم يبال الله فى أى واد من أوديتها هلك ، وقال ﷺ : « يقول الله تعالى يا ابن آدم تفرغ لعبادتى أملأ صدرك غنى وأسد فقرك ، وإلا تفعل ملأت يديك شغلا ولم أسد فقرك ، وقال عيسى عليه السلام : مثل طالب الدنيا كمثل شارب ماء البحر ، كلما ازداد عطشاً حتى تقتله . وفى كتاب الله تعالى (ألهاكم التكاثر) قال ﷺ : تكاثر الأموال جمعها ومنعها وشدها فى الأوعية (حتى زرتم المقابر) صار ابن آدم يطلب الدنيا قدماً قدماً ، ويزداد حرصه فيها يوماً فيوماً ، فهما كانت الدنيا لديه أكثر ، كان حرصه أكبر ، وشرهه المركب فيه أوفر ، فلهذا قال النبى ﷺ : لو أن لابن آدم واديا من مال لسأل ثانيا ، ولو أعطى ثانيا لسأل ثالثا ، ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب ، ويتوب الله على من تاب » .

وقد كان هذا يقرأ فى الكتاب ، فينبغى لكل أحد أن ينظر فى دينه إلى من هو فوقه ، وينظر فى دنياه إلى من هو أسفـــل منه ، كذا ندب إليه ﷺ . وقال الله تعالى : (ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه) وقال الله تعالى : (وجعلنا بعضكم لبعض فتنة أتصبرون وكان ربك بصيراً) قال أبى بن كعب رضى الله عنه : فمن لم يتعز بعزاء الله تقطعت نفسه حسرات على الدنيا ، ومن يتبع بصره مافى أيدى الناس يطل حزنه ولا يشفى غيظه ، ومن لم ير لله عليه نعمة إلا فى مطعمه ومشربه نقص عمله ودنا عذابه ، ولو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ماسقى كافراً منها شربة ماء كذا قاله الرسول .

﴿ فصل ﴾ قال الغزالى رحمه الله : الزيادة على الكفاية مهلكة من وجـــوه :

أحدها : أنها تدعو إلى التنعم بالمباحات ، فينبت على التنعم جسده ،

ولا يمكنه الصبر عنه ولا استدامته إلا بالإلتجاء إلى الظلمة ونحوهم، وذلك يدعوه إلى الكذب والرياء والعداوة ونحوها .

الثانى : أنها تدعو إلى المعاصى ، فإنها تمكن منها ، ومن العصمة أن لا تقدر ، قال الله تعالى : (كلا إن الإنسان ليطغى أن رآه استغنى) .

والثالث : أنها تلهى عن ذكر الله تعالى الذى هو أساس السعادة الأخروية، إذ بها يزدحم على القلب خصومة الفلاحين ومحاسبة الشركاء ، والتفكر فى تدبير الحذر منهم ، وتدبير استنماء المال ، وكيفية تحصيله أولا ، وحفظه ثانياً وإخراجه ثالثاً ، وكل ذلك يسود وجه القلب ويصد عن ذكر الرب .

وقد أوصى النبى ﷺ رجلا فقال « لا تجمع المال فإنك لا تقدر على جمعه حتى يجمع الله فيك أربع خصال: الحرص ، والشح ، وطول الأمل، وقلة الحياء ، وهذه الخصال هى التى أهلكت أكثر الأولين وستتبعهم أكثر الآخرين ، قال أبو سليمان : ماشغلك عن الله من أهل أو مال فهو عليك مشئوم . قال الحكيم الترمذى : إذا رزقت مالا وولداً فهم لك عون على ما أنت بسبيله إذا بورك لك فيهم ، فليس واحد منهم ضالا ولا مضلا ، والذى تنزع منه البركة من مال أو ولد فهو ضال لنفسه ومضل لك .

﴿ فصل ﴾ فإن قلت : مامن غنى إلا ويدعى أن مافى يده دون قدر كفايته ، فكم مقدار الكفاية ؟ فاعلم أن الضرورة إنما تدعو إلى المطعم والملبس والمسكن والأثاث ، أما الملبس فإن تركت التجمل فيه فيكفيك فى السنة ديناران أى مثقالان لشتائك وصيفك ، وأحسن الملابس مايلبسه أمثاله فى زمانه ومكانه من غير شهرة فى الطارفين، وأفضلها البياض ثم عصب اليمن ويجوز للرجل والمرأة لبس الثوب الأخضر ونحوه من المصبوغات بلا كراهة ولبس الكتان والصوف والقطن والخز ، وإن كانت نفيسة غالية الأثمان ، ويحرم على الرجل لبس الحرير والمزعفر والمعصفر .

ويحرم عليه إطالة الثوب والسراويل والإزار عن الكعبين للخيلاء ، ويكره لغيرها فى الصلاة وغيرها ، ولبس ما له تعقعة ، ويسن له أن يعتم فالعمائم تيجان العرب ، وصلاة بعمامة أفضل من سبعين صلاة بغير عمامة ، وله لبسها بالاقتعاط(١) وغيره ، وبعذبة وغيرها ، والسنة فى العذبة أن تكون بين كتفيه ، وإطالتها كإطالة الثوب .

وأما المطعم فإن تركت التنعم فيه والشبع من الطعام فى كل أحوالك ، فيكفيك فى كل يوم مد وهو حفنة بكفى رجل معتدل الكفين قاله النووى ، وسيأتى بيانه فى القسم الرابع والثلاثين من الباب الثالث بأوضح من هذا إن شاء الله تعالى ، فيكون فى السنة خمسمائة رطل ، ويكفيك لإدامك إن اقتصرت على القليل منه فى بعض الأوقات ثلاثة دنانير تقريباً فى السنة عند رخاء الأسعار ، وإذاً بلغ كفايتك خمسة دنانير وخمسمائة رطل ، وهو الذى نقدره إذا فرضنا نفقة الزوجة والقريب ، فإن كنت معيلا تخذ لكل واحد منهم مثل ذلك ، فإذا كنت كسوباً وكسبت فى اليوم ما يكفيك ليومك فاشتغل بعبادتك ، فإن طلبت الزيادة صرت من أهل الدنيا ، فإن لم تكن كسوباً وكنت مشغولا بالعلم والعبادة واقتنيت ضيعة يدخل عليك منها هذا القدر دائماً ، فأرجو أن لا تصير بذلك من أهل الدنيا ، لاسيما فى هذه الاعصار ، وقد تغيرت القلوب واستولى عليها الشح ، وانصرفت الهمم عن تفقد ذوى الحاجات ، فاقتناء هذا أولى من السؤال .

وهذا بشرط أن يكون بودك أن تتخلص من التعرض إلى الجوع والبرد ، وأن تطرح الضيعة ، ولا تكون كارهاً للموت ، ولا محباً للضيعة ، وأن ماتزيده للضرورة ، وبودك لو تخلصت منه ، فهذا يخرج النهى عن

---

(١) الاقتعاط : وهو أن تعتم بالعمامة ولا تجعل منها شيئاً تحت ذقنك ، كذا فى النهاية .

قوله ﷺ : « لاتتخذوا الضيعة فتحبوا الدنيا » ، فأنت إن قصدت الزراعة للاستعانة بها على الدين كنت متزوداً مسافراً إلى الله تعالى لامعرجاً على الضيعة ، وربما لا يحتمل بعض الأشخاص القناعة بالقدر الذى ذكرت إلا بشدة أو مشقة ، ولا حرج فى الدين فى ازدياد الضعف على هذا القـــدر إذ لا يصير بذلك من الدنيا ، فإن رأى أنه إن أضعف على هذا القدر لم يصر من أبناء الدنيا ولا يخرج عن حزب أبناء الآخرة المسافرين إلى الله تعالى جاز له ذلك مالم يقصد بذلك إلا دفع الألم الشاغل عن العبادة والذكر، دون التنعم فى الدنيا ، كذا ذكره الغزالى، قال: ثم لاتبقى بعد هذه الرخصة داعية إلى الزيادة إلا التنعم،أو التصدق أو الاستظهار لو أصاب المال آفة .

وأما التنعم فإعراض عن الله تعالى واشتغال بالدنيا ، وبئس العبد عبد سهى ولهى ، ونسى المقابر والبلى ، وبئس العبد عبد تجبر واعتدى ، ونسى العلى الأعلى وقال ﷺ: « يكون فى آخر الزمان قوم من أمتى ياكلون لباب البر أولئك شرار أمتى » وقال ﷺ: « إياكم والتنعم فإن عباد الله ليسوا بالمتنعمين » . وقال ﷺ : « الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر » ويقـال للمتنعمين يوم القيامة (أذهبتم طيباتكم فى حياتكم الدنيا واستمتعتم بها فاليوم تجزون عذاب الهون) الآية . وأما التصدق فترك المال أفضل منه قال ﷺ : « ياطالب الدنيا لتبر ، تركك لها أبر وأبر » وأما الاستظهار فهو سوء ظن لا آخر له ، وما قدره الله تعالى فلا مرد له . بل ينبغى دفع ذلك بحسن الظن بتدبير الله تعالى وتكفله ، فإنه تعالى يقول : (ومامن دابة فى الأرض إلا على الله رزقها) وقال ﷺ لابنى خالد : « لا تيأسا من الرزق ماتهزهزت رؤوسكما ، فإن الإنسان ولدته أمه أحمر ليس عليه قشرة ثم يعطيه الله ويرزقه ، وقد رزق الله الكافرين به فكيف بالموحدين له ؟ قال الغزالى : فإن تصور أن يصيب المال آفة لا تتوقع فيتصور أن يفتح للرزق باب لا يحتسب . وإن تصور على الندور خلافه فلا ينبغى أن يعتقد

العبد أن سلامته طول العمر عن البلاء محمود ، بل البلاء هو الذى يصقل القلب ويزكيه . ويخلصه من الخبائث كلها . وهــو يرد القلب بالافتقار والتضرع إلى الله تعالى ، ويمنع نسيانه ، والصحة والغنى سبب البطر فى الغـالب .

ولهذا كان البلاء والفقر موكلين بالأنبياء ثم الأولياء ثم الأمثل فالأمثل. قال ﷺ : « لا يزال البلاء بالمؤمن(١) فى نفسه وماله وولده حتى يلقى الله وما عليه خطيئة » قال الترمذى حديث صحيح . وقال ﷺ : « ما يصيب المؤمن من نصب ولا وصب ولا هم ولا حزن ولا أذى ولا غم حتى الشوكة يشاكها إلا كفر الله بها من خطاياه » . روى فى الصحيحين . وقال ﷺ : « كفى بالسلامة داء » . وقال ﷺ : « إن الله تعالى يبغض العفريت النفريت الذى لم يرزأ فى جسمه ولا ماله » . وقال ﷺ : « إذا أراد الله بعبده الخير عجل له العقوبة فى الدنيا . وإذا أراد الله بعبده الشر أمسك عنه بذنبه يوم القيامة » ، وقال ﷺ : « يقول الله تعالى : وعزتى وجـلالى لا أخرج أحداً من الدنيا أريد أن أغفر له حتى أستوفى كل خطيئة فى عنقه، بسقم فى بدنه ، وإقتار فى رزقه، فإن بقى عليه عنه شىء شددت عليه الموت حتى يجىء إلى كيوم ولدته أمه » .

قال الترمذى ثم قال الغزالى: وهذا الذى ذكرت تقريب تمكن الزيادة عليه والنقص منه بالاجتهاد فى بعض الأشخاص والأحوال .

وأما المسكن فأعلاه أن يطلب ما يكنه ويقيه الحر والبرد . إما بشراء أو كراء بشرط أن لا تزيد سعته على قدر الحاجة ، ولا يرفع بناؤه ولا يهتم بتجصيصه وتفضيضه . ففى الأثر : من رفع بناءه فوق ستة أذرع ناداه مناد إلى أين يا أفسق الفاسقين ؟ ويروى أنه إذا أراد الله بعبده سوءاً يجعل ماله فى الطبيخين — يعنى الجص والآجر — وقال ﷺ : « من بنى فوق

(١) فى الثانية : والمؤمنة .

ما يكفيه كلف أن يحمله يوم القيامة » . وقال وهيب : والبناء الذى لا إسراف فيه ماستر من الشمس وأكن من المطر ، والطعام الذى لا إسراف فيه : ماسد من الجوع وكان دون الشبع . واللباس الذى لا إسراف فيه: ماوارى العورة وأدفأ من البرد . والضحك الذى لا إسراف فيه : ماتكشف فيه السن ولا يسمع له صوت .

وأما الأثاث فعلى قدر الحاجة والعائلة يكون . قال ﷺ : « فراش للرجل وفراش للمرأة والثالث للضيف ، والرابع للشيطان » والله أعلم .

الباب الثانى

﴿ فى فضل خدمة المرأة ومغزلها ومايليق بها ﴾

قال ﷺ : « ماكانت ولا تكون من امرأة ترفع من بيت زوجها شيئاً أو تضعه ، تريد بذلك الإصلاح إلا نظر الله إليها » .

اعلم أن نساء النبى ﷺ ورضى الله عنهن ، ونساء أصحابه ، كن يسعين على عيالهن ، ويخدمن أزواجهن ، ويمتهن أنفسهن ؛ فنى الصحيح قال جبريل عليه السلام : يارسول الله هذه خديجة قد أتت ومعها إناء فيه إدام وطعام وشراب فاقرأ عليها السلام وبشرها ببيت فى الجنة . وقالت عائشة رضى الله عنها : كنت أفتل قلائد هدى رسول الله ﷺ بيدى فيقلد هديه . وقالت أيضاً : مارأيت صانعة للطعام مثل حفصة رضى الله عنها . وقالت فى زينب بنت جحش رضى الله عنها : لم أر امرأة قط خيراً منها فى الدين ، وأتقى لله وأصدق حديثاً ، وأوصل للرحم ، وأعظم صدقة ، وأشد ابتذالا لنفسها فى العمل .

وفى صحيح مسلم أن النبى ﷺ رأى امرأة فأعجبته ، فأتى امرأته زينب وهى تمعس منيئة لها الحديث(١) . وقال ﷺ لخالة جابر وهى فى عدتها « اخرجى نخذى(٢) نخلك لعلك أن تصدقى أو تفعلى خيراً » ويروى معروفاً . وفى صحيح البخارى أن أبا سعد الساعدى رضى الله عنه دعا النبى ﷺ لعرسه وأصحابه رضى الله عنهم فما صنع بهم طعاماً ولا قربه إليهم إلا

---

(١) والمعس : هو الدلك يقال معس الأديم إذا دلكه . والمنيئة على وزن فعيلة الجلد أول مايدبغ . وفى النهاية : عزاه بنصه لأسماء بنت عميس .

(٢) كذا بالنسخ، ولعل الصواب : فجذى نخلك يعنى اقطعى ثمره . مصححه .

امرأته ، وبلت تمرات من الليل فى تور من حجارة ، فلما فرغ النبى ﷺ من الطعام ماثته(١) له فسقته إياه تتحفه بذلك ، وكانت امرأته خادمهم يومئذ وهى عروس . وقال جابر : خرج النبى ﷺ وأنا معه ، فدخل على امرأة من الأنصار فذبحت لهم فأكل ، وأتته بقناع من رطب فأكل منه ، ثم توضأ للظهر وصلى ثم انصرف ، فأتته بعلالة من علالة الشاة فأكل ولم يتوضأ ، ثم صلى العصر .

قلت : وما أكثر فوائد هذا الحديث . فى الصحيح قالت الربيع(٢) كنا نغزو مع النبى ﷺ نسقى القوم ونخدمهم ونرد القتلى إلى المدينة ، ونداوى الجرحى وقالت أم عطية رضى الله عنها : غزوت مع النبى ﷺ سبع غزوات ، أخلفهم فى رحالهم ، وأصنع لهم طعامهم وأداوى الجرحى وأقوم على المرضى .

وفى حديث أنس رضى الله عنه : كن يسقين الماء ويداوين الجرحى ، وقالت أسماء بنت أبى بكر الصديق : امرأة الزبير بن العوام رضى الله عنه وهى أخت عائشة رضى الله عنها : كنت أعلف فرسه -تعنى فرس الزبير- وأستقى الماء ، وأخرز غربه وأعجن ، ولم أكن أحسن أخبز ، وكان يخبزه لى جارات من الأنصار وكن نسوة صدق ، وكنت أنقل النوى من أرض الزبير التى أقطعه النبى ﷺ على رأسى وهى على ثلثى فرسخ من المدينة ، فجئت يوماً والنوى على رأسى فلقيت النبى ﷺ ومعه نفر من الأنصار ، فدعانى ثم قال « إخ إخ » ليحملنى خلفه ، فاستحيت أن أسير مع الرجال وذكرت الزبير وغيرته ، فعرف النبى ﷺ أنى استحيت فمضى وتركنى ، قالت ثم أعطانى النبى ﷺ خادماً فكفتنى سياسة الفرس .

---

(١) كذا فى نسخة دار الكتب وفى أصلنا أتته له . وفى الأصل الآخر ماثته « بالشاء » .

(٢) الربيع « بضم الراء وكسر الياء » بنت معوذ الأنصارية .

وفى صحيح البخارى عن سهل رضى الله عنه أنه قال : كانت فينا امرأة تأخذ من أصول السلق فتطرحه فى القدر ، وتكركر حبات من شعير أى تطحن فإذا صلينا الجمعة انصرفنا فتقدمه إلينا ، — والسلق نبات أخضر — قال البخارى : وأمر أبو موسى رضى الله عنه بناته أن يضحين بأيديهن ؛ وروى أن فاطمة رضى الله عنها جرت بالرحى حتى أثرت فى يدها ، ومجلت وأوقدت تحت القدر حتى دكنت ثيابها ، وقمت البيت حتى اغبرت ثيابها . واستقت بالقربة حتى أثرت فى نحرها وأصابها من ذلك ضر ، فأتت إلى أبيها ﷺ تشكو إليه مالقيت من ذلك وتطلب منه خادماً ، فقال لها : « ولعلى أدلكما على ماهو خير لكما من خادم؟ إذا أخذتما مضاجعكما فسبحا ثلاثاً وثلاثين ، واحمدا ثلاثاً وثلاثين، وكبرا أربعاً وثلاثين ، فهو خير لكما من خادم » وقال سهل رضى الله عنه: جاءت امرأة ببردة — وهى الشملة — إلى النبى فقالت : يارسول الله إنى نسجت لك هذه بيدى لأكسوكها، فقبلها النبى ﷺ . وفى خبر مقتل جعفر رضى الله عنه قالت أسماء بنت عميس رضى الله عنها دخل على النبى ﷺ وقد دبغت أربعين منيئة . وغسلت بنى ونظفتهم ودهنتهم . وجاء رجل إلى عمر بن الخطاب ليشكو إليه زوجته ، فلما بلغ بابه سمع زوجة عمر تتطاول عليه ، فقال لعمر : كنت أردت أن أشكو إليك زوجتى فلما سمعت من زوجتك ماسمعت تركت ذلك. فقال عمر : إنى أتجاوز عنها لحقوق علىّ لها أولها : أنها سترت بينى وبين النار . وثانيها : أنها خازنة مالى إذا خرجت حفظته . والثالث : أنها قصارة لى تغسل ثيابى . والرابع : أنها ظئر لولدى . والخامس : أنها خبازة وطباخة لى . فقال الرجل : إن لى مثل ذلك فتجاوز عنها .

فهكل هذه دلائل مصرحة بأن نساءهم كن يشتغلن بالخدمة وهن أفضل نساء الأمة رضى الله عنهن أجمعين . وقال أنس رضى الله عنه : بعثنى النساء إلى النبى ﷺ فقلن يا رسول الله ذهب الرجال بفضل الجهاد فهل لنا من

عمل تدرك به عمل المجاهدين فى سبيل الله ؟ فقال النبى ﷺ : « مهنة إحداكن فى بيتها تدرك بها عمل المجاهدين فى سبيل الله » وقال ﷺ : « إذا لم تفرح المرأة بضيف زوجها ولم تخدمه ، لعنها الله والملائكة والناس أجمعون » . وروى الثعالبى بإسناده عن عائشة رضى الله عنها أن النبى ﷺ قال : « ما من امرأة رفعت شيئاً من بيت زوجها أو وضعته تريد بذلك الإصلاح إلا كتب الله لها حسنة ومحا عنها سيئة ، ورفع لها درجة ، وما من امرأة حملت من زوجها حين تحمل إلا كان لها من الأجر مثل الصائم القائم والغازى فى سبيل الله ، وما من امرأة يأتيها طلق إلا كان لها بكل طلقة عتق نسمة ، وبكل رضعة عتق رقبة ، فإذا فطمت ولدها ناداها مناد من السماء أيتها المرأة قد كفيت العمل فيما مضى فاستأنفى العمل فيما بقى ، فقالت عائشة : لقد أعطى الله النساء خيراً كثيراً فما لكم أنتم معشر الرجال ؟ فضحك النبى ﷺ وقال : « ما من رجل أخذ بيد امرأته يراودها إلا كتب الله له خمس حسنات ، فإن عانقها فعشر حسنات ، فإن قبلها فعشرون ، فإن أتاها كان خيراً من الدنيا وما فيها ، فإذا قام ليغتسل لم يمر الماء على شىء من جسده إلا محا عنه سيئة ورفع له درجة ، ويعطى بغسله خيراً من الدنيا وما فيها ، وإن الله تعالى يباهى به الملائكة يقول : انظروا إلى عبدى قام فى ليلة قر باردة يغتسل من الجنابة يتيقن بأنى ربه ، أشهدكم أنى قد غفرت له » وبإسناده أيضاً عن جابر رضى الله عنه قال : بينا نحن عند النبى ﷺ إذا أقبلت امرأة حتى قامت على رأسه ثم قالت : السلام عليك يا رسول الله ، أنا وافدة النساء إليك ، ليست من امرأة يبلغها مسيرى إليك إلا أعجبها ذلك ، إن الله رب الرجال ورب النساء ، وآدم أبو الرجال وأبو النساء ، وحواء أم الرجال وأم النساء ، وآدم أبو الرجال وأبو النساء ، وحواء أم الرجال وأم النساء ، والرجال إذا خرجوا فى سبيل الله وقتلوا فأحياء عند ربهم يرزقون ، وإذا خرجوا

فلهم من الأجر مثل ما علمت ، ونحن نحبس عليهم ونخدمهم فهل لنا من الأجر شيء ؟ قال : « نعم ! أقرئى النساء عنى السلام وقولى لهن إن طاعة الزوج واعترافاً بحقه يعدل ما هناك ، وقليل منكن تفعله » .

وقال ﷺ : « خير الرجال من أمتى خيرهم لنسائهم ، وخير النساء خيرهن لأزواجهن ، يرفع لكل امرأة منهن كل يوم وليلة ألف شهيد قتلوا فى سبيل الله صابرين محتسبين ، وتفضل إحداهن على الحور العين كفضل محمد على أدنى رجل منكم ، وخير النساء من أمتى من تأتى مسرة زوجها فى كل شيء يهواه ما خلا معصية الله تعالى ، وخير الرجال من أمتى من يلطف بأهله لطف الوالدة بولدها . يكتب لكل رجل منهم فى كل يوم وليلة أجر مائة شهيد قتلوا فى سبيل الله تعالى صابرين محتسبين ، فقال عمر رضى الله عنه : وكيف يكون للمرأة أجر ألف شهيد وللرجل مائة ؟ فقال النبى ﷺ : « أو ما علمت يا عمر أن المرأة أعظم أجراً وأفضل ثواباً من الرجل ، أو ما علمت أن أعظم وزر بعد الشرك بالله معصية المرأة لزوجها .

﴿ فصل ﴾ وخير أعمالهن المغزل ، روى أن آدم عليه السلام ذبح كبشاً ثم أخذ صوفه فغزلته حواء عليها السلام ونسجته هى وآدم فجعل منه جبة لنفسه ، وجعل لحواء درعا وخماراً .

وعن ابن عباس أن النبى ﷺ قال : « نعم لهو المرأة المغزل » . وعن عائشة قالت : قال ﷺ : « مغزل المرأة يعدل التكبير فى سبيل الله ، والتكبير فى سبيل الله أثقل فى الميزان من سبع سماوات وسبع أرضين . وأيما امرأة ألبست زوجها من غزلها كان لها بكل سدا ولحمة مائة ألف حسنة » وعن سهل بن سعد أن النبى ﷺ قال : « عمل الأبرار من الرجال الخياطة ، وعمل البارات من النساء المغزل » . وعن أنس قال : قال

رسول الله ﷺ : « مروا نساءكم بالغزل فإنه خير لهن وأزين » وعن عائشة قالت قال رسول الله ﷺ : « لا تنزلوهن الغرف ولا تعلموهن الكتابة وعلموهن الغزل وسورة النور » — يعنى النساء — وكان عيسى عليه السلام يأكل من غزل أمه . ومر إبراهيم النخعى بامرأة تغزل على بابها ، فقال لها : يا أم فلان أما كبرت ؟ أما آن لك أن تلقى هذا ؟ قالت : كيف ألقيه وقد سمعت علياً يقول : إنه من طيبات الرزق . وكان ذلك صنع العابدات والزاهدات ، ولهذا قيل لعائشة يوم الجمل : صرير المغزل خير لها من السيف . وخرج عمر رضى الله عنه ليلة يحرس فرأى مصباحاً فى بيت عجوز وهى تنفش صوفاً وتقول :

على محمد صــلاة الأبرار صلى عليه الطيبون الأخيـار
قد كان قواماً كل الأسحار فليت شعرى والمنايا أطوار
هل تجمعنى وحبيبى الدار

تعنى النبى ﷺ . فجلس عمر يبكى .

وعن سلمان الفارسى قال : قال رسول الله ﷺ لابنته فاطمة : ما من امرأة جعلت التوابل فى القدر إلا أعطاها الله من الأجر بعدد ما على وجه الأرض ، وإذا قشرت البصل فدمعت عيناها فكأنما بكت من خشية الله تعالى ، يا بنية أفضل عبادة النساء طاعة الزوج ، وبعد طاعة الزوج ليس لها عمل أفضل من الغزل . وإن رضاء الزوج أجره الجنة ، والجلوس ساعة على المغزل خير لها من عبادة سنة ، وإنما يكتب لها فى كل طاق من غزلها عبادة شهيد ، يا بنية إن المرأة إذا غزلت حتى تكسو زوجها وصبيانها لها الجنة وأعطاها الله تعالى بكل شبر من ثوبها مدينة فى الجنة . وقال : « ما من مرأة طبخت لزوجها إلا أعطاها الله أجر شهيد ، فإذا سجرت التنور بعث الله إليها ألف ملك يستغفرون لها ، وأيما امرأة قامت وخبزت لزوجها وآذى حر النار وجهها ويديها

إلا حرم الله وجهها على النار ، وخدمة المرأة لزوجها خير من الدنيا وما عليها بطاعتها له »(١) .

وعن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ لأم سلمة : « إذا أدت المرأة فرضها ، وأطاعت بعلها ، وحركت المغزل كانت كأنها تسبح ، وما دام المغزل فى يدها كانت تصلى جماعة ، وإذا طبخت القدر لأجل أطفالها تساقطت ذنوبها ، وغزل المرأة بمغزلها مثل عمارة القناطر والربط ، وثلاثة أصوات تبلغ تحت العرش ، أحدها : قسى الغزاة المجاهدين فى سبيل الله تعالى ، الثانى : صرير أقلام العلماء ، الثالث : أصوات مغازل المصونات من النساء »، وفى الحديث أيضاً : « خيركن أذرعكن للمغزل » .

وفى تفسير الثعالبى أن علياً رضى الله عنه انطلق إلى يهودى يعالج الصوف فقال له : هل لك أن تعطينى جزة من صوف تغزلها لك بنت محمد ﷺ بثلاثة آصع من شعير ؟ قال : نعم ! فأعطاه الصوف والشعير ، فقبلت فاطمة وأطاعت ، وقامت إلى صاع فطحنته وخبزت منه خمسة أقراص . الحديث بطوله(٢) .

وقال ﷺ : «شربة يشربها الرجل من يد امرأته خير لها من صيام سنة ، وطعام تضعه لزوجها خير لها من حجة وعمرة ، وغسلها من الجنابة خير من

---

(١) أى أخفكن به يداً ، ومنه امرأة ذراع : أى خفيفة اليدين بالمغزل ، قال الهروى : ويجوز أن يكون معناه أقدركن عليها .

(٢) قال مصححه : وتمامه : أنها كانت هى وعلى رضى الله عنهما صائمين فأعطت لكل من ولديها قرصاً من الخبز وأبقت الباقى لوقت الإفطار . فجاءها سائل وقال : مسكين فأعطته قرصاً ثم جاء آخر وقال يتيم فأعطته قرصاً ثم جاء آخر وقال أسير فأعطته قرصاً وباتا على الطوى فأنزل الله تعالى (ويطعمون الطعام على حبه مسكيناً ويتيما وأسيراً) الآية والله أعلم .

ألف بدنة تنحرها للمساكين ، فإذا حملت لزوجها سميت فى السماء شهيدة ، وكانت خدمتها لزوجها جهاداً وخدمتها لصبيانها ستراً من النار ، ونظرها فى وجه زوجها تسبيح ، والمرأة إذا كست زوجها أعطاها الله ثواب من حج واعتمر ، وإن رضا الله لا ينقطع عن امرأة أصبحت وأمست فى رضا الزوج ، وأيما امرأة خففت عن زوجها من مهرها إلا كتب الله لها بكل درهم حجة مبرورة وعمرة متقبلة ، وكانت من القانتات الذاكرات التائبات العابدات .

﴿ فصل ﴾ فهذا بعض ما حضرنى من ذلك ، لكنه منوط بالشروط السبعة الماضية ، وشرط آخر وهو حفظ مال الزوج ، فإنها له راعية ، وطاعته فيما يأمرها به سراً وعلانية .

ومن حقوق الزوج عليها أن لا تحنث قسمه ، ولا تكفر نعمه ، ولا تخرج من بيته إلا بإذنه ، ولا تصوم تطوعاً إلا بإذنه ، ولا تأذن فى رحلة بشىء يكرهه ، ولا تأكل وتلبس مايؤذيه ، ولا تكلم رجلا من غير محارمها إلا بإذنه ، وعليها الرفق بأقاربه ، والأدب مع إخوانه وأعمامه وأخواله ، والرعاية لذريته بعد موته .

وينبغى أن لا تتزوج بعده إذا كان صالحاً لتكون زوجته فى الجنة ، فإن المرأة لآخر أزواجها ، ولها أن تأخذ من ماله ما تعلم رضاه به وأنه لا يغضب لسببه ، فقد رخص لهن فى الرطب أن يأكلنه ويهدينه .

وفى الصحيحين أنه ﷺ قال : « إذا أنفقت المرأة من طعام بيتها غير مفسدة ، كان لها أجرها بما أنفقت ، ولزوجها أجره بما كسب ، وللخازن مثل ذلك لا ينقص بعضهم أجر بعض شيئاً » .

﴿ فصل ﴾ وأما الزوج فمن حقها عليه أن يحسن معاشرتها ، ويحتمل عنها وإن تطاولت عليه ، ويعفو عن ذلتها ، ويخدمها من وراء الستر ،

ويصبر عليها إن ضعفت أو خرفت ، ويعلمها ما تحتاج إليه من أحكام الوضوء والصلاة والصوم والحيض ونحو ذلك مما لا بد لها من معرفته ، ويطعمها من الحلال ، ولا يظلمها شيئاً مما يجب لها من الحقوق المذكورة في الكتب المشهورة ولا يكلفها خدمته فإنها غير واجبة عليها ولا يلبس ويأكل ما يؤذيها .

ويسن أن لا يمنعها زيارة والديها ،ولا الخروج إلى المسجد ونحوه إلا لعذر .

ويسن ملاعبتها إيناساً وتلطفاً ، ما لم تترتب عليه مفسدة ، وأن يتزين لها كما يحب أن تتزين له ، وأن لا يطيل عهدها من الوقاع من غير عذر ، وأن لا يدع ذلك عند قدومه من سفر — ذكره النووي رحمه الله — ولا في ليلة الجمعة أو يومها — ذكره في الإحياء .

ويسن أن لا يخاطب أحداً من أهلها وأقاربها بلفظ فيه ذكر الوقاع أو التقبيل أو غير ذلك من أنواع الاستمتاع بهن ، وما يتضمن ذلك أو يستدل به عليه ، قال علي رضي الله عنه : كنت رجلا مذاء فاستحييت أن أسأل النبي ﷺ لمكان ابنته مني ، فأرسلت إليه المقداد بن الأسود رضي الله عنه فسأله الحديث .

ولا يكره له التعريض لها بالوقاع ولا التصريح به ، ويكره التعريض به لغيرها فضلا عن التصريح ، ويكره أن يتحدث الرجل بما جرى بينه وبين زوجته أو أمته ، وأن يسأل فيما ضرب امرأته من غير حاجة ، وأن تخبر المرأة زوجها أو غيره بحسن بدن امرأة من غير حاجة شرعية كرغبة في زواجها ونحو ذلك ، ويكره للرجل أن يطأ زوجته أو أمته وهناك من يسمع حسه من امرأة ونحوها ،ولا يكره الوقاع مستقبل القبلة ولا مستدبرها لا في البنيان ولا في الصحراء ، ولا يحرم العزل والأولى تركه على الإطلاق لأن المرأة تتأذى بذلك ، ولا يحرم وطء المرضع والحامل بل يكره .

ويجوز الاستمناء بيد زوجته وجاريته كما يستمتع بسائر بدنها ، ويسن غسل الفرج والوضوء بين كل وطأين ، ويحرم الوطء فى الدبر والاستمناء بيد نفسه ويجوز التلذذ بما بين أليتيها ، والإيلاج فى القبل من جهة الدبر كل ذلك ذكره النووى . ويحـــرم وطء الحائض والاستمتاع(١) بما بين سرتها وركبتها حتى تغتسل ، ولا بأس بمؤاكلتها ، وإذا طهرت فلتصلح من شأنها ، ثم تأخذ إناء فيه ماء فيطرح فيه ملحاً ثم تغتسل به ، وتأخذ شيئاً من طيب فتجعله فى قطنة أو خرقة فتتبع به آثار الدم كذا أمر به المصطفى ﷺ .

﴿ فصل ﴾ وقد رأيت أن أذكر هنا جملة من أحكام النظر والعورات وألحقه بهذا الباب فإنه من المهمات .

اعلم أنه يحرم نظر الأجانب من الرجال والنساء بعضهم إلى بعض ما لم يكن بينهم رحم من نسب أو محرم من سبب كالرضاع ونحوه ، وهم كل من لم يحرم الشرع تزويج بعضهم من بعض على التأبيد . قال الله تعالى: (قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم) الآية (وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن) الآية .

وروى أن أم سلمة وميمونة كانتا عند النبى ﷺ فأقبل ابن أم مكتوم — شيخ كبير أعمى — فقال النبى ﷺ : « قوما فاحتجبا عنه » قالت أم سلمة : أليس هو أعمى لا يبصرنا ؟ فقال النبى ﷺ : أفعمياوان أنتما ؟ ألستما تبصرانه » ؟ .

وقال ﷺ : « لا ينظر الرجل إلى عورة الرجل ، ولا المرأة إلى

---

(١) ن : الاستمتاع .

عورة المرأة » . وقال : « احفظ عورتك إلا من زوجتك أو ما ملكت يمينك » .

إذا عرفت هذا فاعلم أنه يجب على المرأة الاحتجاب عن الأجانب ، ويحرم على الرجل النظر إلى شيء من المرأة الأجنبية ولو كانت زوجة لأخيه ، أو أختاً لزوجته وكذا فى حالة أمن الفتنة فى الأصح . وكذا نظر المرأة للرجل الأجنبى حرام ولو كان جاراً لها أو زوجاً لأختها ما لم يكن محرماً ، قال النبى ﷺ : « إذا نظرت المرأة إلى غير زوجها نظر شهوة سمر بين عينيها بمسامير من نار ينظر إليها كل من حضر عرصات يوم القيامة » .

ويحرم أن يخلو رجل بأجنبية لقوله ﷺ : « لا يخلون أحدكم بامرأة ليست له بمحرم فإن ثالثهما الشيطان » .وقال النبى ﷺ : « لا يبيتن أحدكم عند امرأة ثيب إلا أن يكون ناكحاً أو ذا محرم » . وقال ﷺ : « من فاكه امرأة لا تحل له ولا يملكها حبس بكل كلمة ألف عام فى النار » . وقال ﷺ : « إياكم والدخول على النساء ، قيل أفرأيت الحمو ؟ قال : الحمو الموت »(١) .

ولا بأس أن يخلو رجل أو رجلان بنسوة ثقاة أو امرأتين، ولا يجوز أن يخلو رجلان أو رجال بواحدة ولا أن تخلو خنثى بخنثى .

وأما ذو المحارم من النسب والرضاع والمصاهرة ، وهم الذين لا يحل نكاح بعضهم لبعض أبداً فيجوز لهم الخلوة بهن ، وأما مملوك المرأة

(١) قلت : قال أبو عبيد : الحمو هو أبو الزوج . وقوله الموت : أى فلتمت ولا تفعل ذلك.فإذا كان هذا فى أبى الزوج وهو محرم فكيف بالغريب ونحوه؟ ذكره الهروى . وقال : قوله الموت أى أن خلوة الحمو معها أشد من خلوة غيره من البعداء وجمع الحمو أحماء وهم قرابة الزوج . والأختان قرابة المرأة والصهر يجمعهما .

فيجوز له النظر إلى غير ما بين السرة والركبة ، وكذلك الخلوة أيضاً مع أمن الفتنة ، وكذا نظر المرأة إلى المرأة ، ونظر الرجل إلى الرجل ، ونظرهما إلى الأمة تجوز إلى ما بين السرة والركبة فى جميع ذلك .

ويحرم على الرجل أن يغتسل عرياناً بحضرة الناس ، وكذلك المرأة لا تغتسل عريانة بحضرة النساء ولو كانت أمها أو إخوتها أو بناتها .

وأما فى الخلوة فيكره لهما الاغتسال عريانين ، إذ يجب ستر العورة فى الخلوة على الأصح، لأنه لما قيل له ﷺ أرأيت إذا كان الرجل خالياً ؟ قال : « فالله أحق أن يستحى منه » .

وقال ﷺ : « إياكم والتعرى فإن معكم من لا يفارقكم إلا عند الغائط ، وحين يفضى الرجل إلى امرأته فاستحيوهم وأكرموهم » . وقال ﷺ : « إذا أتى الرجل أهله فليطرح على عجزها وعجزه شيئاً ، ولا يتجردا تجرد العيرين » . وقال ﷺ : « لا تخلع المرأة ثوبها فى غير بيت زوجها إلا هتكت الستر فيما بينها وبين ربها » .

وكما يحرم النظر فاللمس أشد تحريماً ، فيحرم مس شىء من الأجنبية ، ومس بطن أمه وأخته وبنته وظهرها ، ولا يجوز أن يغمز ساق أمه ورجلها ، ولا أن يقبل وجهها ، ولا بأس أن تفلى رأسه ، وأن يضفر ذوائبها وينام فى حجرها ونحوه ، ولا يجوز أن تغمزه بنته وأخته إلا أن يكون من دون حائل صفيق .

ويحرم على الرجل دلك فخذ الرجل بلا حائل ، فإن كان من فوق إزار جاز ما لم يخف فتنة .

قال النووى : وأما تقبيل الرجل خد ولده الصغير الذكر والأنثى ، وأخيه وأخته وقبلة غير خده من أطرافه على وجه الشفقة واللطف ومحبة

القرابة فسنة مأثورة . وكذا قبلة ولد صديقه وغيره من صغار الأطفال الذين لا يشتهون . وأما قبلة يد غيره ورجله فإن كان لزهده أو صلاحه أو نحو ذلك فهو مستحب ، وإن كان لغناه أو جاهه عند أهل الدنيا فمكروه ، وقيل حرام ، ولا بأس بتقبيل وجه صاحبه إذا قدم من سفر ونحوه ومعانقته ، ولا بتقبيل وجه الميت الصالح للتبرك .

وأما المعانقة وتقبيل الوجه لغير المذكورين فمكروهان . وهذا كله فى غير الأمرد الحسن ، فأما هو فيحرم تقبيله بكل حال والنظر إليه على الأصح قال النووى والظاهر أن معانقته كتقبيله .

وأما التقبيل بالشهوة فحرام على كل أحد غير الزوجين ، سواء الوالد وغيره ، بل النظر بالشهوة حرام بالاتفاق على القريب والأجنبى ، ويسن مصافحة الرجل الرجل ، والمرأة المرأة عند كل تلاق مع البشاشة والدعاء بالمغفرة ونحوها . قال ﷺ : « ما من مسلمين يلتقيان فيتصافحان فيصليان علىّ إلا غفر الله لهما قبل أن يتفرقا » رواه الترمذى وأبو داود وغيرهما وسيأتى فيه زيادة فى الباب السادس إن شاء الله تعالى . ولا بأس بها بعد صلاة الصبح والعصر لا سيما من لم يحصل لهما اجتماع قبلهما . هذا معنى كلامه .

وتكره مصافحة الأرض ونحوه ، وتحرم مصافحة الأمرد الحسن ، ولا يجوز أن يفضى فى ثوب واحد رجلان ولا امرأتان . قال رسول الله ﷺ : « ولا يفضين رجل إلى رجل ، ولا امرأة إلى امرأة ، إلا إلى والد أو ولده فى الصغر ، أو زوج » .

﴿ فصل ﴾ ويجوز النظر بأسباب : أحدها للمداواة بقدر الحاجة إلى ذلك . والثانى إذا أراد أن يتزوجها فله النظر إلى الوجه والكفين لا غير . الثالث فى المعاملة المفتقرة إلى الشهادة عليها والتعريف بها ، للرجوع بالعهدة إلى غير ذلك ، مما تدعو إليه ضرورة المعاملة ، فينظر الشاهد إلى الوجه

لا غير . الرابع المعلم ينظر بقدر الحاجة ، والضرورة ويجوز سماع صوتها والإصغاء إليه عند أمن الفتنة فى الأصح ، وإذا احتاجت إلى خطاب الأجانب فليكن بصوت غليظ لا رخيم .

قال إبراهيم المروذى رحمه الله : فتأخذ ظهر كفيها بفيها وتجيب كذلك ، ويجوز لها أن تستفتى وتستشير الرجال ، ويجوز النظر إلى كل الصغيرة التى لا تشتهى ، وإلى كل بدن الزوج والزوجة ، والصبى إذا بلغ أو كان له شهوة كالبالغ فيجب الاحتجاب منه ، ومن المجنون ، ويلزم الولى أن يمنعه النظر فى هذه الحالة كما يمنعه سائر المحرمات ، ومن بلغ عشر سنين من ذكر أو أنثى وجب أن يفرق فى المضجع بينه وبين أمه وأبيه وأخته وأخيه لقوله ﷺ : « وفرقوا بينهم فى المضاجع » ، ويحرم سفر المرأة بلا زوج لها أو محرم أو نسوة ثقات .

﴿ فصل ﴾ ويسن للمرأة أن تتزين لزوجها وأن تتطيب له لقوله ﷺ : « خير النساء العطرة المطرة »(١) .

وقال ﷺ : « طيب النساء ما ظهر لونه وخفى ريحه ، وطيب الرجال ما خفى لونه وظهر ريحه » وهذا إذا أردت الخروج ، فإن كانت عند زوجها فلتطيب بما شاءت . قالت عائشة : كنا نضمد جباهنا بالمسك على عهد رسول الله ﷺ فإذا عرقت إحدانا سال ذلك على وجهها فيراه النبى ﷺ ولا ينكره .

ويسن لها أن تخضب يديها ورجليها بالحناء ونحوه ، قال ﷺ : « إنى لأبغض المرأة أن أراها مرهاء أو سلتاء »(٢) .

---

(١) قلت : والعطرة : المتطيبة بالعطر ، والمطرة : هى التى تتنظف بالماء .
(٢) قلت : فالمرهاء التى لا كحل بعينها ، والسلتاء التى لا خضاب بكفيها .

وإنما يستحب لها تعميم اليد والقدم به دون النقش والتسويد والتطريف.

وإنما يسن لذات الزوج شابة كانت أو عجوزة، سواء أذن لها الزوج أم لم يأذن،

ويكره لغيرها، قال العلماء : ولا بأس بتصفيف الطرة وتسوية الأصداغ للمكل، فقد صح أن النبي ﷺ نهى المرأة أن تحلق رأسها، وأنه نهى عن اتخاذ القصة، وقال : «إنما هلكت بنو إسرائيل حين اتخذها نساؤهم».

فيحرم على المرأة وصل شعرها بشعرها آدمي، أو بشعر نجس، وكذا بشعر طاهر غير شعر الآدمي إن لم تكن ذات زوج أو سيد، أو كانا ولم يأذنا لها بذلك. فإن أذنا جاز في الأصح.

وكذا حكم تحمير الوجه، والخضاب بالسواد، وتطريف الأصابع، وتجعيد الشعر، والوشر – وهو تحديد الأسنان بالمبرد ليكون لها أشر كأسنان الأحداث، ذكر ذلك الرافعي وغيره.

قال أبو عبيد : وقد رخصت الفقهاء في القرامل، — وهو كل شيء وصل به الشعر — ما لم يكن الوصل شعراً. قال : وقد رخص في الصفرة للشاب أيام عرسه.

قلت : وفي هذا دليل على كراهيتها لغير العروس ولا بأس بها للنساء.

واعلم أن الوشم حرام على ذات الزوج وغيرها. وعلى الشابة وغيرها سواء أذن فيه الزوج أو لم يأذن، فقد صح أن النبي ﷺ نهى عنه ولعن الواشمة والمستوشمة، فالمستوشمة هي التي تغرز ظهر الكف أو المعصم أو اللثة ونحوها بإبرة ونحوها حتى تؤثر فيه، ثم تحشوه بالكحل أو النؤور فيخضر، تفعل ذلك بدارة ونقوش، والمستوشمة التي يفعل بها ذلك.

وقال أبو عبيد : وأما ما روى عن قيس أنه قال : دخلت على أبى بكر رضى الله عنه فرأيت أسماء بنت عميس موشومة اليدين ، فيحمل على أن هذا كان منها فى الجاهلية ثم بقى فلم يذهب ، ويجوز للمرأة لبس الذهب والفضة وغيرها من الحلى والحلل والحرير ، والتحلى بذلك كيف شاءت بلا إسراف .

ولا يجوز لها استعمال أوانى الذهب والفضة ، ولا الدراهم والدنانير التى تثقب وتجعل فى القلادة على الأصح ، ولا أن تحلى ربعتها ومرآتها ، ويحرم تشبههن بالرجال فى اللبسة والهيئة ، كما يحرم تشبه الرجال بهن ويكره لها ترك الحلى تشبهاً بالرجال والله أعلم .

وأما الرجل فيحرم عليه خضاب يديه ورجليه بالحناء إلا لحاجة أو قرحة ، نص على ذلك القاضى الحسين ، والبغوى ، والعجلى والجيلى ، والنووى ، وغيرهم . وذكر النووى فى شرح المهذب أن بعض العلماء صنف كتاباً فى إثبات تحريمه والرد على فاعله . فمن فعل ذلك من الرجال مع العلم بتحريمه أثم ، ولم يصح عن النبى ﷺ فى ذلك شىء ، بل الوارد عنه فى خضاب الشعر الشائب لا غير ، فإنه يسن خضاب الرأس واللحية بصفرة أو حمرة ، وأحسن ما غير به الشيب الحناء والكتم(١) كذا قاله النبى ﷺ ويحرم خضابه بالسواد إلا لجهاد الكفار .

ودليل جميع ما ذكرته من الأحاديث الصحيحة والآثار الصريحة معروف مشهور ، وفى كتب الفقـــه والحديث مسطور مذكور والله أعـــلم .

﴿ فصل ﴾ ويجوز فى وقتنا هذا اللعب بالبنات للنساء الصغار ، وبيعهن وشراؤهن لأنه به تعلم الحضانة والمرون عليها ، قالت عائشة :

---

(١) نبت يصبغ به الشعر فيكون أسود .

كنت ألعب مع الجوارى بالبنات، فإذا رأين النبي ﷺ انقمعن وانزوين، أى تغيبن فيسر بهن إلى .

وقال أبو عبيد : والمراد من الحديث الرخصة فى اللعب التى يلعبن بها الجوارى وهى البنات وهى تماثيل مخصوصة من الصور المنهى عنها ، وليس وجه ذلك إلا من أجل أنها لهو للصغار ، ولو كان ذلك للكبار لكره ، فإنه يجوز للصغار ما لا يجوز للكبار من اللعب واللهو والغناء والحرير والحلى ونحوها .

ولا بأس أيضاً بنصب الأرجوحة واللعب عليها للرجال والنساء ، نص على ذلك العمرانى فى فتاويه ، والنووى والقاضى عياض وغيرهم . وقالت عائشة رضى الله عنها : تزوجنى النبي ﷺ لست سنين ، فقدمنا المدينة فوعكت شهراً فتمزق شعرى فوق جميمة(١) ، فأتتنى أمى وأنا على أرجوحة ومعى صواحبى ، فصرخت بى فأتيتها وما أدرى ما تريد بى ، فأخذت بيدى فأوقفتنى على الباب ، فقلت : هه هه ، حتى ذهب نفسى ، فأدخلتنى بيتاً فإذا بنسوة من الأنصار ، فقلن على الخير والبركة ، وعلى خير طائر ، فأسلمتنى إليهن ، فغسلن رأسى وأصلحن من شأنى ، وأصلحننى فلم يرعنى إلا النبي ﷺ ضحى ، فأسلمتنى إليه .

قال العمرانى أيضاً وحكى عن بعض العلماء أن الأرجوحة تنفع لوجع الظهر . والحديث فى الأمر بقطعها مرسل ذكره البيهقى ، وذكر الحكيم الترمذى إباحتها للصغار مطلقاً ، وللكبار للتداوى وغرض صحيح، وحمل قطعها على من اتخذها للهو واللعب. وذكر فى الروضة أن الرقص لا تكسر

---

(١) كذا فى الاصلين . وفى النهاية : وقد وفت لى جميمة ، أى كثرت . والجميمة تصغير الجمة ، والجمة من شعر الرأس ماسقط على المنكبين .

فيه لا يحرم، لكن ترد الشهادة بالمداومة عليه لترك المروءة ، فإن كان فيه تثن وتكسر شبه أفعال المخنثين فهو حرام على الرجال والنساء . والله أعلم .

﴿ فصل فى النية الصالحة ﴾ اعلم أن أفعال العباد كلها تنقسم إلى المعاصى والطاعات والمباحات، فما كان فى نفسه معصية فلا يصير عبادة بالنية أصلا .

وأما الطاعات فلا بد فيها من النية ، ولا يصير أصلها طاعة إلا بالنية ، لقوله ﷺ : « إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرىء مانوى » لكن بدوام النية وحسنها تتضاعف درجاتها . ورب فعل فهو فعل واحد من حيث العدد ، ويمكن أن يصير بسبب حسن النية جملا من العبادات ، كما لو جلس فى المسجد فينوى زيارة الله تعالى كما ورد فى الحديث « من قعد فى المسجد فقد زار الله وحق على المزور أن يكرم الزائر » وينوى انتظار الصلاة ، فالمنتظر للصلاة فى الصلاة ، كذا ورد فى الحديث . وينوى أيضاً الاعتكاف وهو اللبث فى المسجد على وجه القربة ، ومعناه كف السمع والبصر والأعضاء عن الحركات المعتادة ، فإنه نوع صوم . قال ﷺ : « رهبانية أمتى القعود فى المساجد » وينوى كف الجوارح عن المعاصى والتحصن فى المسجد ، وينوى الخلوة ودفع الشواغل للزوم السر للفكر فى الآخرة ، وكيفية الاستعداد لها ، وينوى إفادة علم أو تنبيه من نسى الصلاة ونحو ذلك ، وينوى استماع ذكر الله تعالى وتلاوة القرآن ، فكل هذه خيرات مترادفة بسبب النية الصالحة .

وأما المباحات فإنها تصير عبادة بحسن النية فينبغى الاعتناء بهذا الفن إذ به تصير جميع الحركات والسكنات عبادات ، فيفضى به إلى أن لا يضيع من عمره العزيز لحظة من اللحظات ، ويتميز بذلك عن البهائم فإن من شأنها الإتيان بما يتفق من غير قصد ولا نية ، وقد قال ﷺ : « إن العبد يسأل يوم القيامة عن كل شىء حتى عن كحل عينيه ، وعن فتات الطين بأصبعيه

وعن لمس ثوب أخيه » . وقال ﷺ : « من تطيب لله جاء يوم القيامة وريحه أطيب من المسك ، ومن تطيب لغير الله جاء يوم القيامة وريحه أنتن من الجيفة ، فمن حافظ على جميع أعماله لتكون على أحكام السنة ونية الخير ، فهو من المقربين .

مثاله أن ينوى بالنكاح قضاء شهوتهما لئلا تطمح العين إلى ما حرم الله تعالى ، أو التماس ولد يوحد الله وتكثر به أمة محمد ﷺ . ويدخل به السرور عليه ﷺ ، إذ يباهى الأمم بكثرة أمته ، وأن ينوى بلبس الثوب طاعة الله فى ستر العورة ، والتجمل إلى خلق الله ، ولا ينوى به الرياء والمفاخرة ، وينوى بالأكل القوى على طاعة الله ، وينوى بالتطيب اتباع السنة ودفع الأذى عن غيره بدفع الرائحة الكريهة عنه ، وإيصال الرائحة الطيبة وحسم باب الغيبة إذا شموا منه رائحة كريهة وينوى بترك الطب ونحوه صيانة قلوب الناس عن الحسد كما قال بعضهم : إنى لأترك الجديد خشية أن يحدث الحسد فى قلوب جيرانى .

ومن مل العبادة وعلم أنه إذا نام زاد نشاطه فالنوم أفضل له ، بل لو علم مثلا أن الترفه بدعابه وحديث مباح فى ساعة لطيفة يرد نشاطه فذلك أفضل له من العبادة مع الملل .

وعلى هذا يحمل ما يحكى عن الأفاضل من أشياء قد ينكرها الجاهل . قال أبو الدرداء : إنى لأجم نفسى بشىء من الباطل لأستعين به على الحق . وقد كان النبى ﷺ إذا أراد الخروج إلى أصحابه ينظر وجهه فى جب الماء . ويسوى شعره ويعدل عمامته ، فتقول له عائشة : أو تفعل هذا يا رسول الله؟ فيقول : « نعم ! يستحب للعبد أن يتزين لإخوانه إذا خرج إليهم » .

فهذا منه ﷺ عبادة لأنه مأمور بدعوة الناس ، ولو سقط من أعينهم لفسد ذلك والله أعلم .

وقد أمر النبي ﷺ المحدث في الصلاة أن يأخذ بأنفه وينصرف ليوهم أن به رعافاً ، وهو نوع من الأدب في ستر العورة وإخفاء القبيح ، والكناية عن الأقبح بالأحسن ، ولا يدخل في باب الرياء والكذب ، إنما هو من باب التجمل والحياء والسلامة من الناس ، وكل هذا محتاج إلى حسن النية والله أعلم .

الباب الثالث

﴿ فيما تجلب به البركة ﴾

مما يورث الوقر ، وينفى الفقر ، ويمد العمر ، ويعظم الأجر ، ويذهب بالوزر ، وإنما ترجمته بهذه الترجمة لأنى رأيت حب الدنيا قد غلب على القلوب ، ودخل كل الناس فى هذا الأسلوب ، فأحببت أن أورد من العبادة ما يجمع لهم الإفادة ، فى العاجل والآجل ، لعل حب الفضائل العاجلة التى ذكرتها ، والفوائد الجمة التى بينتها يقوى عزمهم على اعتماد ذلك ، واستعمال ما هنالك ، فيحصل به خير الدارين ، وسعادة المحلين ، إن شاء الله تعالى ، فاربح بذلك أجراً يمحو سيئاتى ، ودعوة نافعة تدركنى فى حياتى أو تلحقنى بعد وفاتى ، والله الكريم أسأل غفران تبعاتى ، وإصلاح أحوالى ونياتى ، إنه لطيف حليم رءوف رحيم .

وقد قسمته أربعين قسما ، ونظمت الفوائد فى سلكه نظما .

القسم الأول : فى تقوى الله وحسن التوكل عليه . قال الله تعالى : (ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض) وقال سبحانه وتعالى : (ومن يتق الله يجعل له مخرجاً) . قال ﷺ : « من شبهات الدنيا ومن غمرات الموت وشدائد يوم القيامة » وقال تعالى : (ومن يتق الله يجعل له من أمره يسراً) . قال الواحدى : أى يسهل عليه أمر الدنيا والآخرة . وقال تعالى : (ثم ننجى الذين اتقوا) . وقال تعالى : (والآخرة عند ربك للمتقين) وقال تعالى : (إنما يتقبل الله من المتقين) . وقال رسول الله ﷺ : « يأيها الناس اتخذوا تقوى الله تجارة يأتيكم الرزق بلا بضاعة ولا تجارة » ثم قرأ ﷺ (ومن يتق الله يجعل له مخرجاً)

يعنى يقنعه (ويرزقه من حيث لا يحتسب) يعنى البركة فى الرزق وقال ﷺ: «من اتقى الله أهاب الله من كل شيء، ومن لم يتق الله أهابه الله من كل شيء».

وقال الجوزى رحمه الله: كان شيخ يدور فى المجالس ويقول: من سره أن تدوم له العافية فليتق الله. وقال الأعمش رحمه الله: من كان رأس ماله التقوى كلت الألسن عن وصف ربحه. وقال القشيرى فى رسالته: وحقيقة التقوى التحرز بطاعة الله تعالى عن عقوبته. وقال تعالى: (ومن يتوكل على الله فهو حسبه) وقال تعالى: (إن ينصركم الله فلا غالب لكم وإن يخذلكم فمن ذا الذى ينصركم من بعده وعلى الله فليتوكل المؤمنون).

وقال ﷺ: «لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصاً وتروح بطاناً» ومعنى التوكل هو أن تفوض أمرك إلى الله، ويثق به قلبك، وتطمئن بالتفويض إليه نفسك، وليس من شرط التوكل ترك الكسب والتداوى والاستسلام للمهلكات، فذلك خطأ، بل حرام فى الشرع، وإذا اعتقدت أن لا حول ولا قوة إلا بالله. فالحول الحركة، والقوة القدرة، فإذا كان هذا حالك فأنت متوكل عليه، وإن سعيت وتكسبت. ذكره الغزالى.

قيل لأبى حازم إن البر قد غلا: فقال: والله لو بلغ حبة بمثقال ما باليت، علينا أن نعبده كما أمرنا، وعليه أن يرزقنا كما وعدنا. وقال ﷺ: «من انقطع إلى الله كفاه الله كل مؤنة، ورزقه من حيث لا يحتسب، ومن انقطع إلى الدنيا وكله الله إليها».

وروى أن الله تعالى أوحى إلى بعض الأنبياء أن ينادى: إن ربكم يقول: (من تحول إلى مما أكره إلى ما أحب، تحولت له مما يكره إلى ما يحب).

القسم الثانى : كثرة الاستغفار ، آناء الليل وأطراف النهار ، مع الندم وترك الإصرار ، قال الله تعالى : (فقلت استغفروا ربكم إنه كان غفاراً يرسل السماء عليكم مدراراً ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهاراً) وقال تعالى : (وأن استغفروا ربكم ثم توبوا إليه يمتعكم متاعاً حسناً إلى أجل مسمى) الآية . وقال تعالى : (وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون) وقال ﷺ : « من لزم الاستغفار جعل الله له من كل هم فرجاً ومن كل ضيق مخـــرجاً ورزقه من حيث لا يحتسب » رواه أبو داود . وقال ﷺ : « من قتر الله عليه فى رزقه فليكثر من الاستغفار » . وقال ﷺ : « سيد الاستغفار اللهم أنت ربى لا إله إلا أنت خلقتنى وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت ، أعوذ بك من شر ما صنعت ، أبوء لك بنعمتك علىّ وأبوء لك بذنبى فاغفر لى فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت ، من قالها فى النهار موقناً بها فمات من يومه قبل أن يمسى فهو من أهل الجنة ، ومن قالها من الليل موقناً بها فمات قبل أن يصبح ، فهو من أهل الجنة » رواه البخارى فى صحيحه(١) .

القسم الثالث : الصلاة وإقامتها بالخشوع ، وتعديل الأركان ، والجماعة فى الفرائض ، كان رسول الله ﷺ إذا أصاب أهله خصاصة قال : « قوموا إلى الصلاة ، بهذا أمرت » . قال الله تعالى : (وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها لا نسألك رزقاً نحن نرزقك والعاقبة للتقوى) . وقال ﷺ : « من صلى الصبح فهو فى ذمة(٢) الله فلا تخفروا الله فى ذمته » رواه مسلم فى صحيحه .

قال الطحاوى : فنى هذا دليل على أن صلاة الصبح سبب للحفظ والعصمة ودفع الآفات .

---

(١) ومعنى قوله أبوء : أى أقر واعترف .
(٢) قوله فى ذمة الله : أى فى ضمانه وأمانه .

وقال ﷺ : « إذا صليت كلهن — يعنى الخمس — خلت عنك هذه عقدة ، وأطلقت عنك هذه عهدة ، وصرفت عنك هذه عظيمة ، ووضعت عنك هذه كبيرة ، وغسلت عنك هذه موبقة ، ثم نوافلك لك بعد ذلك زلفى »
وقال ﷺ : « خمس صلوات كتبهن الله على العباد ، فمن جاء بهن ولم يضيع منهن شيئاً استخفافاً بحقهن ، كان له عهد عند الله أن يدخله الجنة ، ومن لم يأت بهن فليس له عند الله عهد إن شاء عذبه وإن شاء أدخله الجنة »
وقال عامة المفسرين فى قوله تعالى : (إن الحسنات يذهبن السيئات) يريد أن الصلوات الخمس تكفر ما بينها من الذنوب . وكان ﷺ إذا حزبه أمر صلى ، أى إذا نزل به مهم .

وقال ﷺ : « يا أبا هريرة مر أهلك بالصلاة فإن الله يأتيك بالرزق من حيث لا تحتسب » .

وقال ﷺ : « الصلاة مرضاة للرب ، وإجابة للدعاء ، وقبول الأعمال ، وبركة فى الأموال ، وسعة فى الأرزاق ، وراحة فى الأبدان ، وسلاح على الأعداء » . وقال وهب : كانت الكرب العظام تكشف عن الأولين بالصلاة . وقال : ما نزل بأحد منهم كربة إلا فزع إلى الصلاة .
وقال ﷺ : يدفع بمن يصلى من أمتى عمن لا يصلى ، وبمن يزكى عمن لا يزكى ، وبمن يصوم عمن لا يصوم ، وبمن يحج عمن لا يحج ، ولو أنهم اجتمعوا على ترك هذه الأشياء ما أنظرهم الله طرفة عين » . وقال ﷺ : « لولا عباد لله ركع ، وصبية رضع وبهائم رتع . لصب عليكم العذاب صباً » .

وكان ابن المسيب يقول : إذا رأى ابنه : أى بنى لأزيدن فى صلاتى من أجلك رجاء أن أحفظ فيك ، ويتلو هذه الآية : (وكان أبوهما صالحاً) وكان بينهما وبين الأب الذى حفظا به سبعة آباء .

قال النووى : الصالح هو القائم بما عليه من حقوق الله تعالى وحقوق الخلق .

وقال ﷺ : « إن الله ليرفع ذرية المؤمن حتى يلحقهم به وإن كانوا دونه فى العمل لتقر بهم عينه ، ثم قرأ : (والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بإيمان ألحقنا بهم ذريتهم وما ألتناهم من عملهم من شىء) الآية .

قال ابن عباس: وهذه الآية ناسخة لقوله تعالى : (وأن ليس للإنسان إلا ما سعى) فيدخل الله الأبناء الجنة لصلاح الآباء . وقال ﷺ : « إن الله تعالى ليدفع بالمسلم الصالح عن مائة أهل بيت أهل بيت من جيرانه البلاء » . وقال ﷺ : « إن الله تعالى ليصلح بصلاح الرجل المسلم ولده وولد ولده وأهل دويرته ودويرات حوله ، فلا يزالون فى حفظ الله مادام فيهم » . ويروى : « إن الله ليحفظ بالصالح من بعده ثمانين سنة » . وقال ﷺ : « ما تقرب العبد إلى الله تعالى بأفضل من سجود خفى » . وقال ﷺ : « ما من مسلم يسجد لله سجدة إلا رفعه بها درجة ، وحط عنه بها خطيئة » .

﴿ فصل ﴾ ولا يكمل الفضل إلا بالخشوع وتعديل الأركان . قال ﷺ : « لا ينظر الله يوم القيامة إلى عبد لا يقيم صلبه بين ركوعه وسجوده . وقال ﷺ : « أما يخاف من يحول وجهه فى الصلاة أن يحول الله وجهه وجه حمار » . وقال ﷺ : « الالتفات فى الصلاة هلكة » . وقال ﷺ : « من صلى الصلاة لوقتها فأسبغ وضوءها وأتم ركوعها وسجودها وخشوعها ، عرجت وهى بيضاء مسفرة ، تقول : حفظك الله كما حفظتنى ، ومن صلاها لغير وقتها ، ولم يسبغ وضوءها ولم يتم ركوعها ولا سجودها ولا خشوعها، عرجت وهى سوداء مظلمة ، تقول ضيعك الله كما ضيعتنى، حتى إذا كانت حيث شاء لفت كما يلف الثوب الخلق فيضرب بها وجهه » ؛ وقال ﷺ : « لا ينظر الله إلى صلاة لا يحضر الرجل فيها قلبه مع بدنه » .

ويروى أن الله تعالى قال : إنما يسكن بيتى وأتقبل الصلاة ممن تواضع لعظمتى ، وقطع نهاره بذكرى ، وكف نفسه عن الشهوات من أجلى ، يطعم الجائع ، ويؤوى الغريب ، ويرحم المصاب ، فذلك الذى يضىء نوره فى السماء كالشمس ، إذا دعانى لبيته ، وإذا سألنى أعطيته .

قلت : ولفظة إنما تقتضى الحصر ، أى لا تقبل الصلاة إلا من هذا الموصوف ولا تقبل من غـــيره . وقال ﷺ : « كم من قائم ليس له من صلاته إلا النصب والتعب » قال الغزالى رحمه الله : وما أراد إلا الغافل . وقال ﷺ : « إن العبد ليصلى صلاة لا يكتب له منها سدسها ولا عشرها ، وإنما يكتب للعبد من صلاته ماعقل منها » .

واعلم أن قول الفقهاء فى الصلاة التى لا يحضر فيها القلب ، ولا يتم فيها السنن إنها صحيحة ، كقول الطبيب فى وصيفة : مقطوعة الأطراف أهديت للسلطان : إنها حية ، فإن كان ذلك كافياً فى التقرب بإهدائها إلى الملك ، فالصلاة الناقصة صـــالحة للتقرب بها إلى الله تعالى ، فإن أوشك أن ترد الجارية إلى مهديها ويزجر ، فلا يبعد مثل ذلك فى الصلاة كما تقـــدم فى الحديث .

فينبغى للمصلى أن يجمع قلبه ويصرف شواغله ، وعلاجه أن يغض بصره أو يصلى فى بيت مظلم ، ولا يترك بين يديه مايشغل قلبـــه ، وأن لا يكون إماماً . وأصل تفرق القلب من حب الدنيا الذى هو أساس كل نقصان ، ومنبع كل فساد وخذلان ، فليعلم الإنسان أنه فى صلاته يناجى ربه ، والمناجى مع الغفلة والإعراض حقيق بأن يؤدب . وليذكر خطر المقام بين يدى الله تعالى فى الآخرة وموقف الحاجات ، ثم سرعة انتقاله عن الأحباب ، ووداعه للأهل والأصحاب ، وإيداعه فى ظلم التراب ، فكيف يغفل عن آخرته من هذه عاقبة عيشته ؟

قال بعضهم : إن العبد ليسجد السجدة عنده أنه تقرب بها إلى الله تعالى، ولو قسمت ذنوبه فى سجدته على أهل مدينته لهلكوا ، قيل فكيف ذاك ؟ قال يكون ساجداً عند الله وقلبه مصغ إلى الهوى ومشاهد إلى باطل قد استولى عليه ، فنسأل الله تعالى أن يوفقنا ، ويختم لنا بخير ، ومن لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر ، لم يزدد من الله إلا بعداً ، كذا قاله رسول الله ﷺ . وفى رواية : « لا صلاة لمن لم يطع الصلاة » وطاعة الصلاة أن ينتهى عن الفحشاء والمنكر .

﴿ فصل ﴾ وللمواظبة على الجماعة أصل كبير فى ذلك ، قال ﷺ : « صلاة الجماعة تفضل صلاة الفذ بسبع وعشرين درجة » ، وقال ﷺ : « إن الله ليستحى من العبد إذا صلى فى جماعة ثم سأل حاجته أن ينصرف حتى تقضى حاجته » وقال ﷺ : « أفضل الأعمال عند الله صلاة الغداة يوم الجمعة فى جماعة » .

ويقال من داوم على صلاة الجماعة أعطاه الله خمس خصال : يرفع عنه ضيق المعيشة ، ويدفع عنه عذاب القبر ، ويعطى كتابه بيمينه ، ويمر على الصراط كالبرق الخاطف ، ويدخل الجنة بغير حساب .

القسم الرابع : صلاة الضحى ، قال رسول الله ﷺ : « ركعتى الضحى تجلب الرزق وتنفى الفقر » ، وقال ﷺ حاكياً عن ربه تعالى : « ابن آدم اركع لى أربع ركعات من أول النهار أكفك آخره » رواه الترمذى وأبو داود ، وحمل ذلك على صلاة الضحى . وقيل على صلاة الصبح وركعتى الفجر . وقال ﷺ : يصبح على كل سلامى من أحدكم صدقة ويجزى عن ذلك ركعتان يركعهما من الضحى » رواه مسلم . والسلامى بضم السين وفتح اللام والميم العضو : وفى ابن آدم ثلاثمائة وستون مفصلا .

وليواظب على أربع ركعات عند الزوال . قال ﷺ : « من صلى أربع ركعات عند زوال الشمس يقرأ فى كل ركعة فاتحة الكتاب وآية الكرسى ، عصمه الله فى أهله وماله ودينه ودنياه » .

القسم الخامس: المواصلة بين المغرب والعشاء بالذكر والصلاة والقرآن فله أثر كبير فى ذلك . قال ﷺ : من صلى بين المغرب والعشاء عشرين ركعة يقرأ فى كل ركعة فاتحة الكتاب وسورة ، حفظ الله أهله وماله ودينه ودنياه وآخرته » . ويروى : « من صلى بين المغرب والعشاء عشرين ركعة يقرأ فى كل ركعة فاتحة الكتاب وآية الكرسى وقل هو الله أحد ثلاث مرات، حفظه الله فى ستة أشياء : فى نفسه ودنياه ، وآخرته وأهله ، ودينه وماله . ويروى : بأم القرآن وقل هو الله أحد مرة حفظ الله له سمعه وبصره ، وعن يمينه ، وعن شماله، وفوق رأسه ، وتحت قدميه، وأمام وجهه ووراء قفاه ، وبورك فى مالهودنياه ودينه وآخرته وأولاده» وقال ﷺ : «من صلى بعد المغرب ست ركعات لم يتكلم فيما بينهن بسوء ، عدلن له بعبادة ثنتى عشرة سنة » رواه الترمذى .

وقال ﷺ : من عكف نفسه ما بين المغرب والعشاء فى مسجد جماعة لا يتكلم إلا بصلاة وقرآن ، كان حقاً على الله تعالى أن يبنى له قصرين فى الجنة،مسيرة كل قصر منهما مائة عام ». وقال ﷺ : « من نام قبل العشاء فلا أنام الله عينه » .

وقال الجوزى فى قوله تعالى : (كانوا قليلا من الليل ما يهجعون) أى كانوا يسهرون قليلا من الليل . قال أنس : وهو ما بين المغرب والعشاء ، وكذا ذكره الواحدى فى قوله تعالى : (تتجافى جنوبهم عن المضاجع) أنه فيما بين المغرب والعشاء ونحوه ، روى الثعالبي وفيه أقوال أخر . والله أعلم .

القسم السادس : صلاة الوتر ، وسنة الفجر ، وسائر الرواتب . قال رسول الله ﷺ : « إن الله تعالى أمركم بصلاة هى خير لكم من حمر النعم

وهى الوتر » . وقال ﷺ : « ركعتا الفجر خير من الدنيا وما فيها » . وقال ﷺ : « من صلى فى كل يوم وليلة اثنتى عشرة ركعة تطوعاً بنى الله له بيتاً فى الجنة، ركعتين قبل صلاة الفجر، وأربعاً قبل الظهر، وركعتين بعدها وركعتين بعد المغرب، وركعتين بعد العشاء » . وقال ﷺ : « من حافظ على أربع قبل الظهر وأربع بعدها حرمه الله على النار » وقال ﷺ : « رحم الله عبداً صلى أربعاً قبل العصر » وكان يصلى قبل العصر ركعتين وبعد العشاء أربعاً . وينبغى فعلها فى البيت . وقال ﷺ : « من أوتر فى بيته بورك له فى أهله وماله وفى تجارته وفى كل شىء من أمره » . وقال ﷺ : « إذا قضى أحدكم الصلاة فى مسجده فليجعل فى بيته نصيباً من صلاته ، فإن الله تعالى جاعل فى بيته من صلاته خيراً » .

﴿ فصل ﴾ واعلم أن قيام الليل قربة فاضلة ، قال ﷺ : من قام من الليل فتوضأ وأسبغ الوضوء ثم قام فصلى فواق ناقة غفر الله له» وقال ﷺ: « عليكم بقيام الليل ، فإنه دأب الصالحين قبلكم ، وإن قيام الليل قربة إلى الله تعالى، وتكفير للسيئات ومنهاة عن الإثم، ومطردة للداء عن الجسد» . وقال ﷺ : « قيام الرجل فى جوف الليل يطفىء كل خطيئة » .

وقال ﷺ : « يعقد الشيطان على قافية رأس أحدكم إذا هو نام ثلاث عقد ، يضرب مكان كل عقدة عليك ليل طويل فارقد ، فإن استيقظ وذكر الله انحلت عقدة ، فإن توضأ انحلت الثانية ، وإن صلى انحلت عقده كلها ويصبح نشيطاً طيب النفس وإلا أصبح خبيث النفس كسلان .

فينبغى أولا أن يعرف ما يعين على قيام الليل وهو قلة الأكل والشرب، وأن لا يتعب نفسه بالنهار فى الأعمال التى تضعف بها الأعصاب ، وأن لا يترك القيلولة ، وأن يجتنب الآثام فإنها تحول بينه وبين أسباب الرحمة، وملقاة أول الليل مهدمة لآخره .

ومما يعين على القيام سلامة القلب من الحقد والبدع ، ومن فضول هموم الدنيا ، فمن استغرق الهم فى أمر الدنيا لم يتيسر له قيام الليل ، وإن قام فهو فى وساوسها ، وربما كان حظه السهر والتعب ، وأشرف البواعث لذلك حب الله وقوة الإيمان به ، وقد كان قيام رسول الله ﷺ على غير ترتيب . كان يقوم مرة نصف الليل ، ومرة ثلثه ، ومرة ثلثيه ، ومرة سدسه .

وأقل مراتب القيام مقدار ركعتين . قال ابن عباس : من صلى بالليل بعد العشاء ركعتين فقد بات ساجداً وقائماً . وقال ﷺ : قوموا من الليل ولو قدر حلب شاة ، فإن لم يتيسر له طهارة فيسن أن يمسح أعضائه بالتراب . فإن لم يتيسر له فليقعد ساعة مستقبلا للقبلة مشتغلا بالذكر والدعاء والفكر فى قدرة الله تعالى ، فإنه يكتب من جملة قوام الليل برحمة الله ومشيئته ، ذكره الغزالى قال : ونوم آخر الليل مستحب لأنه يذهب النعاس بالغداة ويقلل صفرة الوجه .

قلت وهذا بشرط الاستيقاظ للفجر فى أول وقته أو قبله ، وينبغى لمن أراد النوم أن يعد سواكه وطهوره لقيامه . ويستاك كلما انتبه وينام متطهراً تائباً من كل ذنب بعد أن يوصى بما يحتاج إليه فلعل روحه لا ترد عليه ، فالنوم أخو الموت ، والمحروم من حرم وصيته قاله النبى ﷺ .

ولا ينعم تمهيد فراشه ، ولا يتكلف استجلاب النوم إلا إذا قصد به الاستعانة على القيام آخر الليل ، وينوى القيام للعبادة ، قال ﷺ : « من أتى فراشه وهو ينوى أن يقوم يصلى بالليل فغلبته عيناه حتى أصبح ، كتب له ما نوى ، وكان نومه صدقة عليه من الله تعالى ، وسيأتى ما يقول عند إرادة النوم فى الباب السابع إن شاء الله تعالى .

واعلم أنه يكره قيام كل الليل دائماً ، وترك كل تهجد أو ورد اعتاده بلا عذر ، ويسن لمن قام إلى تهجد أن يوقظ معه من يطمع بتهجده إذا لم يخف ضرراً ظاهراً ، فإن أبى نضح فى وجهه الماء .

﴿ فصل ﴾ وينبغى الاجتهاد فى الليالى الفاضلة أكثر من سواها وهى خمس عشرة ليلة . أوتار العشر الأخير من رمضان وفيها ليلة القدر ، وهى ليلة طلقة لا حارة ولا باردة ، تطلع الشمس صبيحتها بيضاء ليس لها كثير شعاع ، وهى ليلة مباركة لا يحدث فيها داء ، ولا يرسل فيها شيطان ، وليلة سبعة عشر من رمضان ، وليلة عرفة ، وليلتا العيدين ، وأول ليلة من المحرم ، وليلة عاشوراء منه ، وليلة أول جمعة من رجب .

قال ﷺ : « ما من أحد يصوم أول خميس من رجب ثم يصلى بين العشاء والعتمة اثنتى عشرة ركعة يفصل بين كل ركعتين بتسليمه » الحديث إلى قوله « ثم يسأل حاجته فى سجوده فإنها تقضى » قال النبى ﷺ : « لا يصلى أحد هذه الصلاة إلا غفر الله له جميع ذنوبه ولو كانت مثل زبد البحر وعدد الرمل ووزن الجبال وورق الأشجار . ويشفع يوم القيامة فى سبعمائة من أهل بيته ممن قد استوجب النار » ، قال الغزالى : فهذه صلاة مستحبة نقلها الآحاد ، ولكنى رأيت أهل القدس بأجمعهم يواظبون عليها ولا يسمحون بتركها وسيأتى الكلام فيها مستقصى آخر الباب السابع إن شاء الله تعالى .

وليلة نصف رجب ، وليلة سبعة وعشرين من رجب وهى ليلة المعراج ، من صلى فيها اثنتى عشرة ركعة يقرأ فى كل ركعة بالفاتحة وسورة ويتشهد فى كل ركعتين ويسلم فى آخرهن ثم يقول : سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر مائة مرة ، ويستغفر الله مائة مرة ، ويصلى على النبى ﷺ مائة مرة ، ويدعو بما شاء من دنياه وآخرته ويصبح صائماً ، فإن الله سبحانه

وتعالى يستجيب دعاءه كله إلا أن يدعو فى معصية ، كذا ذكره فى الإحياء .

عن النبي ﷺ : وليلة النصف من شعبان وهى ليلة الخامس عشرة ، ليلة البراءة ، وليلة الصك يصلى فيها مائة ركعة ، يسلم من كل ركعتين ، ويقرأ فى كل ركعة بعد الفاتحة قل هو الله أحد عشر مرات ، وإن شاء صلى عشر ركعات يقرأ فى كل ركعة بعد الفاتحة قل هو الله أحد مائة مرة .

قال الغزالى : فهذه مروية من جملة الصلوات ، كان السلف يصلونها ويجتمعون فيها وربما صلوها جماعة . روى عن الحسن رضى الله عنها أنه قال : حدثنى ثلاثون من أصحاب النبي ﷺ أنه قال: « من صلى هذه الصلاة فى هذه الليلة نظر الله إليه سبعين نظرة يقضى له فى كل نظرة سبعين حاجة أدناها المغفرة » ذكره فى الأحياء ، فى كتاب أنس المنقطعين .

وقال ﷺ : « فى ليلة النصف من شعبان يكون هبوط جبرائيل وملائكة الله من السماء السابعة إلى السماء الدنيا ، فارغبوا فى صيامه ، وإذا ذبحتم اللحم فاطبخوا الحب ، فإن لكم بكل حبة عشرة آلاف حسنة ، ويمحى عنكم عشرة آلاف درجة ، وإن يوم النصف من شعبان تصومه الإنس والجن والطير والوحوش والسباع والبهائم وحيتان البحر وهوام الأرض ، وإن الطير تقول هذه ليلة النصف من شعبان ، وإن الله يغفر لكل مؤمن ومؤمنة إلا رجل بينه وبين أخيه شحناء ، أو مدمن خمر أو قاطع رحم ، فصلوا فى ليلة النصف من شعبان ركعتين ناقرأوا فى أولاهما فاتحة الكتاب وقل هو الله أحد ألف مرة ، وفى الثانية فاتحة الكتاب وقل هو الله أحد مائة مرة واكتحلوا فى أحد عينيكم ثلاث مرات ، وفى الأخرى مرتين ، ليقيكم الله رمدها ، وصلوا فى يومها يحتسب لكم بكل ركعة ما كان عليكم من صلاة فاتتكم ، وحركوا

أوعيتكم فى بيوتكم فإن الله يبارك لكم فيما أوعيتم فيها إلى السنة المستقبلة وإن الله إذا غفر لعبده المؤمن وقبل منه لم يعذبه أبداً » .

وقال ﷺ : « من صلى ليلة النصف من شعبان اثنتى عشرة ركعة يقرأ فى كل ركعة فاتحة الكتاب مرة وقل هو الله أحد عشر مرات محيت عنه سيئاته وبورك له فى عمره » روى ذلك عن المقرى جمال الدين محمد ابن يوسف التهاعى إجازة بإسناده المتصل إلى النبى ﷺ .

قال المقرى رحمه الله : وهذا شىء عظيم أعنى محو السيئات والبركة فى العمر ، وهذا قدر ما يصليها أهل الوقت فى الغالب لاجتماع الناس فيها فيجتمع عليهم النوم بعضهم من بعض والصلاة أمرها عظيم ، لا يقابل الله بشىء من ذلك إلا بالصدق وحضور القلب ، وأى حضور مع النائم الغافل الذى قد ملىء قلبه من شغل الدنيا والوسواس ، وهذا الذى يكفى جميع الناس ، إذ قد غلب على كثير من أهل الوقت الكسل والفتور وعدم متابعة الشريعة فى العبادات وغيرها ، أما العباد وأهل الإخلاص فدونهم المائة وأكثر . هذا معنى كلامه رحمه الله .

قال الإمام الشافعى رحمه الله تعالى : بلغنا أن الدعاء يستجاب فى خمس ليال : ليلة الجمعة ، وليلتى العيدين ، وأول ليلة من رجب ، وليلة النصف من شعبان والله أعلم .

فهذه الليالى مواسم الخيرات ، ومظان التجارات ، فينبغى لكل أحد أن لا يضيع حظه منها ، وأفضل الليل آخره . قال ﷺ : « إذا بقى ثلث الليل الأخير نزل الله تعالى إلى السماء الدنيا فيقول: من ذا الذى يستغفرنى فأغفر له ، من ذا الذى يدعونى فأستجيب له،من ذا الذى يسترزقنى فأرزقه، حتى ينفجر الصبح » .

القسم السابع : الاجتهاد بالطاعة أول النهار ، فإن الله تعالى يقسم أرزاق الخلق ما بين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس . كذا قاله النبى ﷺ

وذلك من أفضل الأوقات للذكر ونحوه. قال ﷺ : « من صلى الغداة في جماعة ثم ذكر الله تعالى وذكر به حتى تطلع الشمس . ثم صلى أربع ركعات لم يضره شيء من خلق الله من ساعته تلك إلى مثلها الغداة .

وقال ﷺ : « يقول الله تعالى : يا ابن آدم اذكرني من بعد صلاة الفجر ساعة ، وبعد صلاة العصر ساعة ، أكفك ما بينهما » . وقال ﷺ : « من صلى الفجر في جماعة ، ثم قعد يذكر الله حتى تطلع الشمس ، ثم صلى ركعتين كانت له كأجر حجة وعمرة تامة تامة تامة » رواه الترمذي .

وقال ﷺ : « الصبحة تمنع الرزق » — يعني النوم أول النهار . وقال عمر : إياكم ونومة الغداة فإنها مبخرة للفم مجفرة مجعرة ، أي تورث البخر ، وتيبس الطبيعة ، وتقطع النكاح . وقال علقمة بن قيس : بلغنا أن الأرض تعج إلى الله تعالى من نومة العالم بعد صلاة الصبح . ذكره البغوي في شرح السنة .

وليقل الكلام في هذا الوقت ، فني استدامة استقبال القبلة وترك الكلام والنوم ودوام الذكر والقراءة في هذا الوقت أثر كثير وبركة غير قليلة ، يجده من واظب عليه ، ومن أحكم أول نهاره فقد أحكم بنيانه . وقال ﷺ : « من قعد في مصلاه حين ينصرف من صلاة الصبح يسبح حتى ركعتي الضحى لا يقول إلا خيراً ، غفر الله له خطاياه وإن كانت أكثر من زبد البحر » ; وكان ﷺ إذا صلى الصبح تربع في مصلاه حتى تطلع الشمس حسناء . والآثار في ذلك كثيرة مشهورة . والله أعلم .

القسم الثامن : كثرة الصدقة والسخاء وحسن الإنفاق . قال الله تعالى : (وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه) الآية : وقال ﷺ : « الصدقة تنمى الرزق » . ويروى : « الصدقة تزيد في العمر والمال » ، وقال ﷺ : « الصدقة في السر تطفىء غضب الرب ، والصدقة في العلانية تذهب عن صاحبها سبعين ومائة شر . والصدقة تكفر الخطيئة وتطفىء غضب الرب ،

والصدقة شيء عجيب ، قالها ثلاثاً . وقال ﷺ : « التواضع لا يزيد العبد إلا عزاً ، فعفوا(١) يعزكم الله تعالى ، والصدقة لا تزيد المال إلا كثرة فتصدقوا يرحمكم الله » . ويروى : « ما نقص مال من صدقة » .

وقال ﷺ : لا تبخلوا على إخوانكم بذات أيديكم ، فيمسك الله ما فى يديه عنكم ، فإن ما عندكم ينفد وما عند الله باق ، ولا تمنعوهم المعونة بأنفسكم والمشى فى حوائجهم فيحجب الله دعاءكم عنه. وقال ﷺ : « من أملق فليتاجر الله بالصدقة » .

وقال ﷺ : « توبوا إلى الله وتحببوا إليه بالصدقة تجبروا وتنصروا وترزقوا » . وقال ﷺ : « بركة الأموال الصدقة » . وقال ﷺ : « واسوا الفقراء توسع أرزاقكم » . ويروى : « مواساة الفقير المؤمن تنمى الرزق » وقال ﷺ : « من لا ينفق لا يرزق » . ويروى : « من حبس رزقاً حبس عنه » وقال ﷺ : « الصدقة ترد القضاء المبرم » .

ويروى أن ملك الموت أخبر سليمان بن داود عليه السلام بموت شاب بعد خمسة أيام ، فبقى سليمان يرأعيه خمسة أشهر فلم يمت ، فسأل ملك الموت عن حاله فقال : إنه لقيه سائل فدفع إليه شيئاً فدعا له بالبقاء ، فأمرت بتأخيره لبركة صدقته .

وقال ﷺ : « ما من رجل يتصدق يوماً وليلة إلا حفظ من أن يموت من لدغة أو هدمة أو موت بغتة » . وقال ﷺ : « السخاء خلق الله الأعظم » .

وقال للزبير بن العوام : « يا زبير : أتدرون ماذا قال ربكم » ؟ قال : الله ورسوله أعلم . قال : « لما استوى على عرشه ونظر إلى عباده ، يا عبادى أنتم خلقى وأنا ربكم أرزاقكم بيدى فلا تتعبوا فيما تكفلت لكم

---

(١) كذا فى الاصول ولعله تواضعاً الخ والخطأ من النسخ .

واطلبوا منى أرزاقكم وإلىّ فارفعوا حوائجكم وتظلموا إلى أنفسكم أصب عليكم أرزاقكم، أتدرون ماذا قال ربكم؟ قال لى ربكم: أنفق أنفق عليك، ووسع أوسع عليك، ولا تضيق فأضيق عليك، ولا تصر فأصر عليك، ولا تخزن فأخزن عليك، إن باب الرزق مفتوح من فوق سبع سماوات متواصل إلى العرش فلا يغلق ليلا ولا نهاراً، ينزل الله منه الرزق على كل امرىء بقدر نيته وعطيته ونفقته. من أكثر أكثر عليه، ومن أقلل أقلل عليه، ومن أمسك أمسك عليه. يا زبير: فكل وأطعم ولا توكى فيوكى عليك، ولا تحصى فيحصى عليك، ولا تقتر فيقتر عليك. ولا تعسر فيعسر عليك، إن الله يحب الإنفاق ويبغض الإقتار، وإن السخاء من اليقين، والبخل من الشك ولا يدخل النار من أنفق، ولا يدخل الجنة من أمسك»، يا زبير: إن الله يحب السخاء، ولو بشق تمرة، والشجاعة ولو بقتل عقرب أو حية. وقال: إن الله يحب الصبر عند زلزلة الزلازل، واليقين النافذ عند مجىء الشهوات والعقل الكامل عند نزول الشبهات، والورع الصادق عند الحرام والخبائث. يا زبير: عظم الإخوان، وأجلل الأبرار، ووقر الأخيار، وصل الجار ولا تماش الفجار، تدخل الجنة بلا حساب ولا عذاب.

وقال ﷺ: إن الله تعالى يدرأ بالصدقة سبعين ميتة من السوء».

وقال ﷺ: «مناولة المسكين تقى ميتة السوء، وميتة السوء أن يموت مصراً على المعصية، أو قانطاً من رحمة الله تعالى، أو ظالماً: أو قاطعاً لرحمه، أو يفاجأ بالموت، أو يختم له بسوء، أو يموت هدماً أو غرقاً أو حرقاً أو لديغاً أو شبه ذلك، ذكره فى نوادر الأصول.

ويروى: «الصدقة تمنع ميتة السوء.» وقال ﷺ: «حصنوا أموالكم بالزكاة، وداووا مرضاكم بالصدقة، وأعدوا للبلاء الدعاء».

ويروى أن امرأة غاب عنها ولدها غيبة طويلة ، وأيست منه ، فجلست يوماً تأكل فكسرت لقمة وأهوت بها إلى فيها ، فوقف سائل فحملت اللقمة إليه وبقيت جائعة ، فما مضت إلا أيام يسيرة حتى قدم ولدها بشدائد مرت به ، قال : ومن أعظم ذلك أني كنت منذ أيام أمشي في أجمة في موضع كذا ، إذ خرج عليّ أسد فقبض علي من ظهر حمار كنت راكبه ، وتشبكت مخالبه في مرقعي وثيابي ، حتى تحيرت وذهب عقلي ، فأدخلني الأجمة وبرك ليفترسني ، فجاء رجل أبيض الوجه والثياب فقبض بيده من غير سلاح على قفا الأسد وشاله وخبط به الأرض ، وقال : قم يا كلب لقمة بلقمة ، فقام الأسد هارباً ، ورجعت إلى عقلي فلم أجد الرجل ، فمشيت حتى لحقت القافلة فعجبوا لما رأوني ، ولم أدر ما قول الرجل لقمة بلقمة ، فنظرت المرأة فإذا هو يوم أخرجت اللقمة من فيها وتصدقت بها . ونحوه روى في امرأة أخرى خرجت ومعها صبي لها ، فاختلسه منها الذئب فخرجت في أثره ومعها رغيف ، فعرض لها سائل فأعطته إياه فجاء الذئب يصيبها حتى رده إليها وقال : لقمة بلقمة .

ويروى أن رجلا عبد الله سبعين سنة ثم أصاب فاحشة فأحبط عمله ، ثم مر به مسكين فتصدق عليه برغيف ، فغفر الله له ذنبه ورد عليه عمل السبعين سنة وقال ﷺ : « إذا أذنبت ذنباً فعجل في إثره صدقة قبل أن تنزل عليك عقوبة » .

وقال ﷺ : « الضيف ينزل برزقه ، ويرتحل مغفوراً لأهل البيت » .

وقال ﷺ : « أكرم الضيف ولو كان كافراً ، فإن الضيف مفتاح الجنة ، والبركة مع الضيف » . وقال ﷺ : « ما أتى أحداً من المسلمين ضيف إلا ومعه ملكان يكتبان لصاحب البيت لكل لقمة ألف حسنة ويرفع له مائة درجة ، ولا يكتب على صاحب البيت سيئة بعد الضيف أربعين يوماً ، ويكون في أمان الله تعالى » .

وقال ﷺ : « إذا اشتد غضب الله على عبد لزم عنه الضيف وطالب الحاجة » .

وقال ﷺ : « كن لله يكن لك ، واخدمه يجازك » . وقال ﷺ : « ما طلعت الشمس قط إلا بجنبتيها ملكان يقولان: اللهم عجل لمنفق خلفاً وعجل لممسك تلفاً » .

وقال ﷺ : حاكياً عن ربه تعالى : « من تصدق لوجهي سراً وجهراً نشرت عليه رحمتي صباحاً ومساء » . وقال ﷺ « تجافوا عن ذنب السخي ، فإن الله آخذ بيده كلما عثر » . قلت : وإن كان كافراً . فقد روى أن موسى عليه السلام همّ بقتل السامرى فقال الله له : لا تقتله فإنه سخي . وقال ﷺ : « الرزق » ، ويروى : « الخير أسرع إلى البيت الذى يغشى من الشفرة إلى سنام البعير » فى هذا حث على المعروف وبذل الطعام وبشارة بسرعة الخلف والإضعاف كسرعة الشفرة إلى سنام البعير وهو أسمنه وأفضله عند العرب ، كأنه يقول بمقدار ما ينحر ويسلخ ويهوى بالشفرة إلى سنامه يأتيه الخير بل أسرع من ذلك . وقال ﷺ : « ما أحسن عبد الصدقة إلا أحسن الله الخلافة على تركته » .

وقالت أسماء : يا بناتى تصدقن ولا تنتظرن الفضل ، فإنكن إن انتظرتن الفضل لن تجدنه ، وإن تصدقتن لن تجدن فقراً .

وقال الضحاك : من أخرج درهماً من ماله ابتغاء مرضاة الله تعالى ، فله فى الدنيا بكل درهم سبعمائة درهم خلفاً عاجلا ، وألف ألف درهم يوم القيامة . وقال ﷺ : « أيما مسلم كسى مسلماً ثوباً كان فى حفظ الله ما بقيت عليه منه رقعة » . وقال ﷺ : « إن لله قوماً يخصهم بالنعم ما بذلوها ، فإذا منعوها نزعها الله منهم » . وقال ﷺ : « ما عظمت نعمة الله على عبد إلا اشتدت عليه مؤنة الناس ، فمن لم يحتمل تلك المؤنة فقد عرض تلك النعمة للزوال » .

وقال ﷺ : « من تصدق بعدل تمرة من كسب طيب — ولا يصعد إلى الله إلا الطيب — فإن الله يتقبلها بيمينه ثم يربيها لصاحبها كما يزكى أحدكم فلوه أو فصيله حتى تكون مثل الجبال» ولأجل أن الله تعالى يتقبلها بيمينه كان على ابن الحسين إذا أعطى السائل شيئاً قبله ثم وضعه فى يده .

وقال ﷺ : « رأيت على باب الجنة مكتوباً القرض بثمانية عشر ، والصدقة بعشر ، فقلت يا أخى يا جبرائيل : ما بال القرض أعظم أجراً من الصدقة ؟ قال : لأن صاحب القرض لا يأتيك إلا محتاجاً وربما وقعت الصدقة فى غير أهلها » وقال ﷺ : « من أقرض أخاه المسلم قرضاً ، كان له كل درهم وزن أحد وثبير وطور سيناء حسنات » .

وقال ﷺ : « من هم بحجة أو عمرة فعمد إلى مثل نفقته فأقرضها أخاه المسلم ، عدل ذلك عشر حجات مبررات متقبلات » . وقال ﷺ : من تصدق بدرهم فما دونه كان كفارة له من يوم ولدته أمه إلى يوم تصدق » وجاء رجل بناقة مخطومة وقال: هذه فى سبيل الله، فقال ﷺ : « إن لك بها يوم القيامة سبعمائة ناقة كلها مخطومة» . وقال ﷺ : « المؤمن فى ظل صدقته يوم القيامة حتى يقضى بين الناس » وقال ﷺ : « السخى الجهول أحب إلى الله من العابد البخيل » .

قال الغزالى رحمه الله : وحد البخل منع ما يوجبه الشرع والمروءة جميعاً ، فمن له مال أمكنه أن يقطع ذم شاعر ونحو بقدر يسير فلم يفعل فهو بخيل وإن لم يكن ذلك واجباً عليه، وكذا من يضايق فى الاستحقاقات بقدر هين فهو بخيل ، ولا ينال درجة السخاء إلا ببذل ما يزيد على واجب الشرع والمروءة جميعاً .

﴿ فصل ﴾ فاجتهد أن لا يقضى عليك يوم إلا وتتصدق فيه بشىء وراء الواجب ولو كسرة خبز ، فترتفع بذلك عن درجة البخلاء .

وقال ﷺ : « اتقوا النار ولو بشق تمرة » . وقال ﷺ « لأم بجيد : إن لم تجدى شيئاً تعطيه إياه — يعنى المسكين — إلا ظلفاً محرقاً فادفعيه إليه فى يده » وأعطت عائشة سائلا حبة عنب وقالت : وقالت إن فيها لذراً كثيراً تعنى قوله تعالى : (فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره) .

وأعطت أم سلمة السؤال كل واحدة تمرة تمرة .

وأفضل الصدقة سقى الماء وما وافق ضرورة أو حاجة ، فإن لم تملك شيئاً فليست الصدقة كلها فى المال ، لكن كل معروف إلى غنى أو فقير صدقة وتبسمك فى وجه أخيك صدقة، وإرشادك لرجل فى أرض الضلال صدقة وبصرك للرجل الردىء البصر صدقة ، وتفهيمك الأصم والبليد صدقة ، وإماطتك الحجر والشوك والعظم وما يؤذى عن الطريق صدقة ، وإفراغك من دلوك فى إناء أخيك صدقة ، وإمساكك عن الشر صدقة ، وتعين الرجل على دابته فتحمل عليها متاعه صدقة ، والكلمة الطيبة صدقة، وكل خطوة تخطوها إلى الصلاة صدقة ، وأمرك بالمعروف صدقة ، ونهيك عن المنكر صدقة وكل تسبيحة صدقة ، وكل تحميدة صدقة ، وكل تكبيرة صدقة ، وكل تهليلة صدقة ، وإتيانك زوجتك صدقة ، وما أكلت من مالك صدقة ، ومشيتك بدينك تقضيه صدقة ، ودعاؤك واستغفارك للمؤمنين والمؤمنات صدقة . وما وقيت به عرضك صدقة ، ومداراة الناس صدقة ، وإيناسك للحزين والمستوحش صدقة، ورفعك اللقمة إلى فى أهلك صدقة، وإطراق لخالك صدقة ، ورد السلام صدقة ، وإعادتك الصلاة مع رجل يصلى وحده صدقة عليه كل ذلك ورد عن النبي ﷺ فى أحاديث صحيحة .

وكذلك الشفاعة والمعونة فى الحاجة والصلح بين الاثنين ، والنخامة فى المسجد تدفنها . وإخراج القذى منه ، وفرشه وإضاءة السراج فيه ،

والجلوس مستقبلا ، والتبشير بما يسر ، والتهنئة ، والدلالة على الخير ، والحاجة، وأداء الأمانة الخفية والدين الخفي ، والإعارة ، وعيادة مريض، وتشييع جنازة ، وحملها ، وتعزية مسلم ، وزيارة صاحب، وقادم، وقرض طعام ، ودرهم ونحوه .

وقال ﷺ : « إن الله يسأل الرجل عن فضل جاهه كما يسأله عن فضل ماله » . وفي الجملة أن تبذل شيئاً مما تقدر عليه من جاه أو نفس وكلام لتطييب قلب مسلم فيكتب لك جميع ذلك صدقة .

﴿ فصل ﴾ وينبغي المحافظة في الصدقة على أمور :

الأول : بأن تكون من حلال محض وقد تقدم ذلك في الباب الأول .

الثاني : الإسرار بها .فصدقة السر تطفىء غضب الرب وتدفع سبعين باباً من الباب . كذا قاله ﷺ : « معطي الصدقة في السر أفضل من العلانية بسبعين جزءاً » . وقال الله تعالى : (وإن تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم) الآية .

الثالث : أن تكون من جيد المال وأحسنه وأحبه إليه ، قال الله تعالى: (ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون) . وقال الله تعالى : (لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون) .

الرابع : أن لا يستكثر ما أعطى وإن كان كثيراً فإن الدنيا كلها قليلة .

الخامس : أن يعطي بوجه مستبشر وطيب نفس . قال ﷺ : « سبق درهم مائة ألف درهم » أراد ما يعطيه عن بشاشة وطيب نفس ، أفضل من مائة ألف مع الكراهة .

السادس : أن يقصد بها وجه الله تعالى .

السابع : أن يتحرى للصدقة محلا تزكو به وهو أن يدفعها للتقى العالم الذى يستعين بها على طاعة الله ، والصالح المعيل ذو الرحم ، أو من به خصلة من هذه . وقال ﷺ : « لا يقبل الله صدقة رجل وذو رحم محتاج » وقال ﷺ : « الصدقة على المسكين صدقة ، وهى على ذى الرحم الكاشح المحتاج(١) ثلثان صدقة وصلة » .

وقال ﷺ : « ما من ذى رحم يأتى ذا رحمه فيسأله فضلا أعطاه الله إياه فيبخل به عليه إلا أخرج الله له يوم القيامة حية يقال له شجاع تتلمظ فتتطوقه فى عنقه » وقال ﷺ : « ما من صدقة أفضل من صدقتك على مملوك عند مليك سوء » . وقيل : ما أفلح رجل احتاج أهله إلى غيره . ذكره فى البيان .

قال العلماء : فالأولى فيها وفى الوصية والكفارة أن يبتدىء بذى الرحم المحرم كالأخوة والأعمام والأخوال ، وبالزوجة أو الزوج ثم بذى الرحم غير المحرم كأولاد العم ، وأولاد الخال ، ثم المحـــرم بالرضاع ، ثم بالمصاهرة ، ثم بالمولى من أعلى وأسفل ، ثم الجار ، بعدهم وإن كان قريب النار .

الثامن : أن يعجلها فى صحته قال ﷺ : لأن يتصدق المرء فى حياته بدرهم خير من أن يتصدق عند موته بمائة درهم » ، وسئل ﷺ أى الصدقة أفضل ؟ فقال : « أن تتصدق وأنت صحيح شحيح تأمل الغنى وتخشى الفقر ، ولا تمهل حتى إذا بلغت الحلقوم قلت لفلان كذا ولفلان كذا .

وقال ﷺ : « ما يخرج الرجل الصدقة حتى يفك عنها لحيى سبعين شيطاناً » . وقال ﷺ : « مثل الذى يعتق أو يتصدق عند الموت كمثل الذى يهدى بعد ما شبع .

---

(١) ن : الكاشح : العادى .

تاسعها : أن يحذر من المن ، قال الله تعالى : (لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى) وحقيقة المن أن ترى نفسك محسناً إليه ، وعلامته أن تتوقع منه شكراً أو تستنكر تقصيره فى حقك وموالاته عدوك استنكاراً يزيد على ما قبل الصدقة . ومتى من بطل ثوابها . قال الله تعالى : (لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى) . وقال تعـــالى : (قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها أذى) .

قال الجوزى : والأذى مواجهة الفقير بما يؤذيه من الكلام . وقيل : أن يخبر الناس بما فعل مع الفقير .

كان حسان بن أبى سنان يشترى أهل البيت فيعتقهم ، ولا يعلمهم من هو ، وقال بشر : الصدقة أفضل من الحج والعمرة والجهاد ، لأن ذلك يركب ويذهب ويرجع فيراه الناس ، وهذا يعطى سراً فلا يراه إلا الله تعالى .

قال الغزالى فى الإحياء : وينبغى لآخذ الصدقة أن ينظر ، فإن كان الدافع يحب الشكر ونشرها فينبغى للآخذ أن يخفيها ، لأن قضاء حقه أن لا ينصره على الظلم ، وطلبه الشكر ظلم ، وإن علم من حاله أنه لا يحب الشكر ولا يقصده فينبغى أن يشكره ويظهر صدقته ، ومثل هذا العلم هو الذى يقال : إن تعلم مسألة منه أفضل من عبادة سنة ، إذ بهذا العلم تحيى عبادة العمر ، وبالجهل به تموت عبادة العمر وتتعطل . والله أعلم .

﴿ فصل ﴾ قال الأصحاب وندب أن ينوى المتصدق الصدقة عن أبويه ، فإن الله تعالى ينيلهما الثواب ولا ينقص من أجره شيئاً ، حكاه فى الروضة عن العزيز . قال ﷺ : « إن الصدقة لو جرت على يد سبعين نفساً لكان أجر آخرهم مثل أجر أولهم » .

وقال ﷺ : « لأن يؤدب الرجل ولده خير له من أن يتصدق بصاع » .

وقال ﷺ : « رد دانق من حرام يعدل عند الله سبعين حجة مبرورة » .

﴿ فصل ﴾ واعلم أنه يتأكد استحباب الصدقة فى رمضان ، وعند الكسوف والأمور المهمة ، والمرض ، والسفر ، والأوقات الفاضلة ، وهى تحل لبنى هاشم ، ولبنى المطاب ، وللكفار ، والأحسن للفقير الأخذ فى الملا والترك فى الخلا .

ولا يحرم سؤالها للمحتاج ، فإن كان غنياً بمال أو ضيعة حرم سؤالها وما أخذه حرام ويسن للغنى التنزه عنها ، ويكره له التعرض لأخذها ، ويكره لمن تصدق بشىء أن يتملكه من جهة من دفعه إليه بمعاوضة أو هبة ، ولا بأس بتملكه منه بالإرث، ولا يتملكه من غيره . ومن دفع إلى ولده ونحوه شيئاً ليدفعه إلى سائل فهو على ملكه حتى يقبضه السائل ، فإن لم يتفق دفعه إليه ندب أن لا يعود فيه بل يتصدق به . ويستحب ان صبر على الإضافة أن يتصدق بجميع ما فضل عن حاجته وحاجة عياله ودينه ، فإن لم يثق بالصبر كره ، فإن احتاج إلى ماله لنفقة من تلزمه نفقته حرم عليه التصدق به ، وكذا إن احتاج إليه لقضاء دينه إلا أن يغلب على ظنه حصول وفائه من جهة أخرى فحينئذ لا بأس به ، والأفضل للمحتاج أن يأخذ من الصدقة لا من الزكاة إن عرض له شبهة فى استحقاقه الزكاة ، أو كان المتصدق إن لم يأخذها هذا لا يتصدق، فإن كان لابد من إخراج تلك الصدقة ولم يضق بالزكاة تخير والله أعلم .

القسم التاسع : المباكرة فى الصدقة وإن قلت : قال ﷺ : « المباكرة بالصدقة تنمى الرزق وتدفع العاهات » ويروى : « الصدقة بالغداة تذهب بالعاهات » . وقال ﷺ : « باكروا بالصدقة فإن البلاء لا يتخطى الصدقة » .

القسم العاشر : البر وصلة الأرحام والرفق وحسن الخلق للمرأة والولد والجار والغلام ، وبيان حقوق أهل الإسلام .

قال النبى ﷺ : « تعلموا من أنسابكم ما تصلون به أرحامكم ، فإن صلة

الرحم منجاة فى الأهل ، منسأة فى الأثر ، مثراة فى المال » . وقال ﷺ : « صلة الرحم تزيد فى العمر ، وصنائع المعروف تقى مصارع السوء » . وقال ﷺ : « اتقوا الله وصلوا الرحم فإنه أبقى لكم فى الدنيا وخير لكم فى الآخرة » . وقال ﷺ : « من أحب أن يمد له فى العمر ويزداد له فى الرزق فليبر والديه وليصل رحمه » . وقال ﷺ : « لا يرد القضاء إلا الدعاء ، ولا يزيد فى العمر إلا البر » . وقال ﷺ : « من بر والديه ، طوبى له طوبى له وزاد الله فى عمره » . وقال ﷺ : « رأيت رجلا من أمتى جاءه ملك الموت ليقبض روحه ، فجاءه بر والديه فرد عنه » .

وقال ﷺ : « ما من شىء أطيع الله فيه بأعجل ثواباً من صلة الرحم » . وقال ﷺ : « لا تنزل الرحمة على قوم فيهم قاطع رحم » . وقال ﷺ : « إن الله تعالى ليعمر بالقوم الديار ويكثر لهم المال وما نظر إليهم منذ خلقهم ، قيل : وكيف ذلك ؟ قال بصلتهم أرحامهم » .

ولما ذكر له قتال بنى مدلج قال : « إن الله تعالى منع منى بنى مدلج لصلتهم الرحم وطعنهم فى لبات الإبل » — يعنى نحرهم الإبل للضيف .

وقال كعب الأحبار : مكتوب على التوراة : يا ابن آدم اتق ربك وبر والديك وصل رحمك ، أمد لك فى عمرك ، وأيسر لك يسرك ، وأصرف عنك عسرك .

وقال ابن عمر رضى الله عنه : من اتقى ربه ووصل رحمه أنسىء له فى عمره — يعنى يزاد له فى عمره — وينمو ماله — يعنى يكثر — ويحبه أهله .

وعن الضحاك فى تفسير قوله تعالى : (يمحو الله ما يشاء ويثبت) قال : إن الرجل ليصل رحمه وما بقى من عمره إلا ثلاثة أيام فيزيد الله فى عمره ثلاثين سنة ، وإن الرجل ليقطع رحمه وقد بقى من عمره ثلاثون سنة فيحطه الله إلى ثلاثة أيام .

ويروى أن ملك الموت أخبر داود عليه السلام بقبض روح رجل بعد سبعة أيام ، فلما كان بعد مدة طويلة وجد داود ذلك الرجل حياً ، فسأل ملك الموت عنه فقال : إنه لما خرج من عندك وصل رحماً قد كان قطعها ، فمد الله تعالى فى عمره عشرين سنة أخرى .

وقال أنس رضى الله عنه: ثلاثة نفر فى ظل عرش الرحمن يوم القيامة، واصل الرحم يمد له فى عمره ويوسع له فى رزقه ، وامرأة مات زوجها وترك يتامى فتقوم عليهم حتى يغنيهم الله من فضله أو يموتوا ، والرجل يتخذ طعاماً فيدعو إليه اليتامى والمساكين .

وعن عائشة رضى الله عنها : أن حسن الخلق وحسن الجوار وصلة الرحم تعمر الدار وتزيد فى الأعمار .

وقال ﷺ : « من أعطى حظه من الرفق فى الدنيا فقد أعطى خير الدنيا والآخرة ». وقال ﷺ: « من رفق بأمتى رفق الله به». وقال ﷺ: « من ولى من أمور أمتى شيئاً فرفق بهم رفق الله به، ومن شق عليهم شق الله عليه». وقال ﷺ: « إن الله رفيق يحب الرفق ، ويعطى على الرفق ما لا يعطى على العنف » . وقال ﷺ : « الحياء خير كله والحياء لا يأتى إلا بخير » . وقال ﷺ : « ما حسن الله خلق امرىء وخَلقه فتطعمه النار» وقال ﷺ: « من حسن الله خَلقه وخُلقه وجعله فى موضع غير شائن فهو من صفوة الله تعالى » .

وقال ﷺ : « البر حسن الخلق ، والإثم ما حاك فى نفسك وكرهت أن يطلع الناس عليه » .

فهذا حديث جامع ينبئك أن كل ما قلته أو فعلته وأنت تكره أن يطلع عليه الناس فذلك هو الإثم ، وما لا تكره الاطلاع عليه لحسنه فليس بإثم . قال عمر : عليكم بعمل العلانية ما إذا طلع عليه لم تستح منه ، وهذا أصل من الأصول. وقال ﷺ : « وسع لجليسك يوسع الله عليك رزقك .

وقال يحيى بن معاذ : فى سعة الأخلاق كنوز الأرزاق ، ويقال من ساء خلقه ضاق عليه رزقه ، ويروى أن موسى عليه السلام قال : يا رب أمهلت فرعون أربعمائة سنة وهو يقول أنا ربكم الأعلى ويكذب آياتك ؟ فقال الله تعالى : (إنه كان حسن الخلق ، سهل الحجاب ، فأحببت أن أكافئه) .

قال أبو الليث : وفى صلة الرحم خصال محمودة — أولها : رضا الله تعالى لأنه أمر بتقواه وصلة الرحم ، فقال : (اتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام) — الثانى : إدخال السرور عليهم ، وأفضل الأعمال إدخال السرور على المؤمن — الثالث : فرح الملائكة وحسن الثناء من المسلمين ، وزيادة فى العمر ، وبركة فى الرزق ، وسرور الأموات لأن الآباء يسرون بصلة القرابة ، وزيادة فى المودة لأنه إذا وقع له سرور أو حزن اجتمعوا عليه ويعينونه على ذلك ، فيكون له زيادة فى المودة وزيارة بعد موته لأنهم يدعون له كلما ذكروا بره .

﴿ فصل ﴾ فإن قلت أريد أن أعرف من الأرحام ؟ وكيف الصلة والإكرام ؟ وحقوقهم وحق الجار والغلام ؟ وسائر أهل الإسلام ، وحسن الخلق وما يستدل به من فعل النبى ﷺ .

فاعلم أن الأرحام هم القرابة كالآباء والأمهات ، والبنين والبنات ، والأخوة والأخوات ، والأعمام والعمات ، والأخوال والخالات ، وأولاد العم والعمة ، والخال والخالة ، ونحوهم من القرابات المشتبكات .

وأما صلة الرحم فهى أن يفعل الإنسان مع أقاربه ما يعد به مواصلا غير منافر ولا مقاطع ، فإن كان عنده وصلهم بهدية ونحوها ، فإن لم يقدر على الصلة بالمال أو لم يكونوا محتاجين وصلهم بزيارة وإعانة فى أعمالهم إن احتاجوا ، وإن كان غائباً عنهم وصلهم بالكتاب وإرسال السلام

ولين الكلام ونحو ذلك ، فإن قدر على المشى إليهم فهو أفضل ، وهذا عام فى كل قريب .

﴿ فصل ﴾ وللوالد حقوق زائدة ذكرها أبو الليث وغيره ، أحدها : إذا احتاج إلى الطعام أطعمه . الثانى : إذا احتاج إلى الكسوة كساه إن قدر عليها . الثالث : إذا احتاج إلى الخدمة خدمه ، الرابع : إذا دعاه أجابه وحضره ، الخامس : إذا أمر بأمر غير معصية أطاعه ، السادس : أن يتكلم معه باللين وخفض الصوت ولا يتكلم معه بالغلظ ، السابع : أن لا يدعوه باسمه فيقول يا فلان ، بل يقول يا أبت أو يا والدى ، الثامن : أن لا يسبه ولا يستسب له ، وألا يمشى أمامه ولا يجلس قبله ، وكذا الشيخ والعالم لا يدعوه باسمه ولا يمشى أمامه ، فقد روى أن ذلك يورث الفقر . التاسع : أن يرضى لنفسه ويكره له ما يكره لنفسه ، العاشر : أن يدعو له بالمغفرة كما يدعو لنفسه .

قال بعض التابعين : من دعا لأبويه فى كل يوم خمس مرات فقد أدى حقهما لأن الله تعالى قال : (أن اشكر لى ولوالديك) فشكر الله تعالى أن يصلى فى كل يوم خمس مرات ، فكذلك شكر الوالدين أن يدعو لهما فى اليوم خمس مرات .

وقال النبى ﷺ : « إن الرجل ليموت والداه وهو عاق لهما فيدعو الله لهما بعد موتهما فيكتبه الله من البارين » . وقال بعض الصحابة : ترك الدعاء للوالدين يضيق العيش على الولد ، وإذا كان كذلك فالدعاء لهما يوسع العيش عليه . نسأل الله تعالى أن يرضى عنا وعن والدينا وأن يجزيهم عنا خير الجزاء .

وقال ﷺ : « بر الوالدين أفضل من الصلاة والصوم والحج والعمرة والجهاد فى سبيل الله تعالى » . وقال ﷺ : لا يجزى ولد والده إلا أن

بجده مملوكا فيشتريه فيعتقه » . وقال ﷺ : « من بر الوالدين بعد موتهما أن يأتى ما يسرهما من الطاعات لله تعالى وغيرها مما ليس بمنهى عنه » ، ومن البر الإحسان إلى صديقهما ، وقال ﷺ : « إن من أبر البر أن يصل الرجل أهل ود أبيه بعد أن يولى الأب » ، وأنشدوا فى ذلك :

حالل خليل أبيك وارع إخاءه ... واعلم بأن أخا أبيك أخوكا
وبنوك ثم بنوا بنيك فكن بهم ... براً فإن بنى بنيك بنوكا
والطف بجدك رحمة وتعطفاً ... وارحم فإن أبا أبيك أبوكا

وقد ذكر النبى ﷺ من الكبائر العقوق ، وهو كل ما أتى به الولد مما يتأذى به الوالد أو نحوه تأذياً ليس بالهين مع أنه ليس بالواجب فى الأصح ، ولا منع للوالد من حج الفرض وله منعه من حج التطوع ، وليس له منعه من السفر فى طلب العلم وإن لم يتعين عليه أو كان يمكنه التعلم فى بلده على الأصح ، ولا منع من سفر التجارة وكل سفر مباح إن قصر ، فإن كان طويلا وظهر خوفه فلهم المنع ، وإن غلب الأمن فلا إذن ولا منع .

﴿ فصل ﴾ وللولد أيضاً حقوق زائدة : أن يستنجب أمه لئلا يعير بها وأن يحسن اسمه وأدبه ، ويعلمه الكتاب إذا عقل ، ويزوجه إذا بلغ ، وإن كانت أنثى زوجها جميلا تقياً ، وينفق عليه(١) ويكسوه إذا احتاج إليه ، ويسوى بين أولاده وأولادهم فى العطية ، وبين غنيهم وفقيرهم ، وذكرهم وأنثاهم . وقال ﷺ : « ساووا بين أولادكم فى العطية ، فإنى لو كنت مؤثراً أحداً لآثرت النساء على الرجال » .

وفى الصحيحين أن بشير بن سعد قال يا رسول الله : إنى أعطيت ابنى عطية ، وأن أمه قالت : لا أرضى حتى تشهد رسول الله ﷺ ، فقال

---

(١) فى الأصلين : وينفقه .

رسول الله ﷺ : « فهل أعطيت كل ولدك مثل ذلك » ؟ قال : لا ، قال : « اتقوا الله واعدلوا بين أولادكم ، أليس يسرك أن يكونوا لك فى البر سواء » ؟ قال : بلى ! قال : « فلا إذاً » ويروى أنه قال : « لا أشهد على جور » وروى « هذا جور وتلجئة » . وقال : « إن لهم عليك من الحق أن تعدل بينهم كما أن لك عليهم أن يبروك » .

قال أبو عيسى الترمذى : والعمل على هذا عند أهل العلم ، حتى قال بعضهم : يسوى بين الولد حتى فى القبلة . قال الشافعى : ولأنه يقع فى نفس المفضول ما يمنعه من بره ، لأن الأقارب ينفس بعضهم بعضاً ما لا ينفس العدا يعنى الأجانب – وربما كان ذلك سبباً للهجران . وقد قال الله تعالى : (وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان) . وقال ﷺ : « رحم الله تعالى والداً أعان ولده على بره » . قال خارجة ابن مصعب رحمه الله تعالى : يعطيه ويحسن إليه حتى يبره .

قال أبو الليث : وكان بعض الصالحين لا يأمر ولده بأمر مخافة أن يعصيه فى ذلك فيستوجب النار . وقال يزيد بن معاوية : أرسل أبى إلى الأحنف بن قيس فقال له : يا أبا الحسن ما تقول فى الأولاد ؟ قال : يا أمير المؤمنين هم ثمار قلوبنا ، وعماد ظهورنا ، ونحن لهم أرض ذليلة : وسماء ظليلة وبهم نصول على كل جليلة ، فإن طلبوا ، فأعطهم ، وإن غضبوا فارضهم ، يمنحوك ودهم ، ويحبوك جهدهم . ولا تك عليهم قفلا فيملوا حياتك ، ويحبوا وفاتك ويكرهوا قربك . فقال معاوية : لله أنت يا أحنف لقد دخلت على وأنا مملوء غضباً على يزيد . فلما خرج الأحنف من عنده رضى عن ابنه يزيد وبعث إليه بمائتى ألف درهم ومائتى ثوب فأرسل منها يزيد إلى الأحنف بمائة ألف درهم ومائة ثوب قاسمه إياها .

وسأل رجل النبى ﷺ فقال : من أبر ؟ قال : « بر والديك »

فقال ليس لى والدان . قال بر ولدك ، كما أن لوالدك عليك حقاً كذلك لولدك عليك حق » وقال أيضاً : « أمك وأباك وأختك وأخاك ، ثم أدناك أدناك » .

وقال ﷺ لعلى رضى الله عنه : « أوصيك بريحانتى خيراً » — يعنى الولدين الحسن والحسين — وقال ابن عمر رضى الله عنه : ما سموا أبراراً حتى أبر الآباء الأبناء والأبناء الآباء ، وروى مرفوعاً ونحوه . وقال سفيان بن عيينة . وقال الحسن : الأبرار الذين لا يؤذون الذرية .

واعلم أنه يجوز للوالد استخدام ولده الصغير وضربه فيما فيه تدريب له وتأديب وحسن تربية . وقال لقمان: ضرب الوالد لولده كالسماد للزرع. وليس له أن يعيره للخدمة ، لأن ذلك هبة لمنافعه فأشبه إعارة ماله ، وقال النووى رحمه الله : وهذا يحمل على ما يقابل بأجرة ، ويقال : ولدك سبع سنين أسير ، وسبع أمير، وسبع وزير، ثم إن أحسنت إليه فنظير ونصير، وإن أسأت إليه فعسير وبصير . وقال الفضل : تمام المروءة من بر والديه ووصل رحمه ، وأكرم إخوانه ، وحسن خلقه مع ولده وخدمه، وأحرز دينه ، وأصلح ماله ، وأنفق فضله ، وحفظ لسانه ، ولزم بيته .

وقال بعض الحكماء : من عصى والديه لم ير السرور من ولده ، ومن لم يستشر فى الأمور لم يصل إلى مقصده ، ومن لم يدار أهله ذهبت لذة عيشته .

قال ﷺ : « لا يدخل الرجل بين الرجل وابنه إذا كان متماشين » وقال ﷺ : « إن حق كبير الإخوة على صغيرهم كحق الوالد على ولده » . وقال ﷺ : « خيركم المدافع عن عشيرته ما لم يأثم » . وقال رجل : يا رسول الله إن لى قرابة أصلهم ويقطعونى، وأحسن إليهم ويسيئوا إلى ؟ فقال ﷺ : « لا يزال معك من الله ظهير ما دمت على ذلك » ، وقيل : ما أفلح رجل احتاج أهله إلى غيره . ذكره فى البيان .

وقال بعضهم : عدوك من قومك خير من صديقك من غيرهم ، ولا تأمنن امــرأة وإن أبدت لك نصيحة ، ولا تأمنن على سرك غيرك ، ولا تثق بملك وإن أكرمك .

﴿ فصل ﴾ وأما أحسن الجوار فهو الصبر على الأذى من الجار . قاله الحسن . وقال أيضاً : من صبر على أذى جاره ملكه الله داره . وقال الله تعالى : (وبالوالدين إحساناً وبذى القربى واليتامى والمساكين والجار ذى القربى) ذى القرابة (والجار الجنب) وهو الذى ليس بينك وبينه قرابة (والصاحب بالجنب) يعنى الرفيق فى الطريق (وابن السبيل) الغريب (وما ملكت أيمانكم) من المماليك .

وقال ﷺ : « حق الجار إن استعان بك أعنته ، وإن استقرضك أقرضته ، وإن غاب حفظته ، وإن افتقر جدت عليه ، وإن مرض عدته وإن مات اتبعت جنازته ، وإن أصابه خير هنأته ، وإن أصابته مصيبة عزيته ولا تستطل عليه بالبناء فتحجب عنه الريح إلا بإذنه ، وإذا اشتريت فاكهة فاهد له ، فإن لم تفعل فأدخلها سراً ولا يخرج بها ولدك ليغيظ بها ولده ، ولا تؤذه بقتار قدرك إلا أن تغرف له منها » .

وقال ﷺ : « من فطر ثلاثة غفر له ، ومن كانت له جيران ثلاثة كلهم راضون عنه غفر له » . وقال ﷺ : « إذا قال جيرانك قد أحسنت فقد أحسنت ، وإذا قالوا قد أسأت فقد أسأت » .

وقال ﷺ : « لا يدخل الجنة من لا يأمن جاره بوائقه — يعنى غوائله وشره . وقال ﷺ : « إذا طبخت مرقة فأكثرها وتعاهد جيرانك » . وقال ﷺ : « إذا رميت كلب جارك فقد آذيته » . وقال ﷺ : « لا تأكل اللحم دون جارك حتى تذيقهم منه ولو عظمة أو مريقة . فإنه من أكل اللحم دون جاره أزال الله عنه عشر عقله ، ورفع البركة من كسبه فيكون كثير التعب قليل الرزق » .

﴿ فصل ﴾ وأما المملوك فحقه أن يشركه فى طعمته وكسوته ، ويعفو عن ذلته ، ولا ينظر إليه بعين الكبر والازدراء ، ويحسن معاشرته ، ولا يكلفه فوق طاقته ، وإن استباعه باعه ، وأن يعلمه مهم دينه .

قال القاضى حسين: يجب أن يمكن عبده من تعلم القرآن قدر ما يؤدى به الفرض ، كما يجب عليه تمكينه من فعل الصلاة . ويجب عليه أن يمكنه من نفسه زماناً يكتسب فيه قدر أجرة التعليم إن لم يجد متبرعاً ، ويسن للسيد أن يسوى بين عبيده مطلقاً ، وله أن يفضل من إمائه ذات الجمال والفراهة . وقال ﷺ : « حسن الملكة يمن » وروى : « نماء ، وسوء الملكة شؤم » وقال ﷺ : « لايدخل الجنة سيء الملكة » . وقال ﷺ : « ما من رجل يضرب عبده إلا أقيد منه يوم القيامة » .

وروى الترمذى فى جامعه بإسناده عن عائشة أن رجلا قعد بين يدى النبى ﷺ فقال: يا رسول الله إن لى مملوكين يكذبوننى ويخوننى ويعصوننى، وأشتمهم وأضربهم ، فكيف أنا منهم ؟ فقال له النبى ﷺ : « يحسب ما خانوك وعاصوك وكذبوك ، ويحسب عقابك إياهم ، فإن كان عقابك إياهم بقدر ذنوبهم كان كفافاً لا لك ولا عليك ، وإن كان عقابك إياهم، دون ذنوبهم كان فضلا لك، وإن كان عقابك إياهم فوق ذنوبهم اقتص لك منهم الفضل ، فتنحى الرجل وجعل يبكى ويهتف . فقال النبى ﷺ : « أما تقرأ كتاب الله تعالى : (ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئاً وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين) ؟ فقال الرجل: والله يا رسول الله ما أجد لى ولهؤلاء شيئاً خيراً من مفارقتهم ، أشهدكم أنهم أحرار كلهم .

وفى الصحيحين أنه ﷺ قال : « ألا وكلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته : فالإمام الذى على الناس راع وهو مسئول عن رعيته ،

والرجل راع على أهل بيته وهو مسئول عن رعيته ، والمرأة راعية على بيت زوجها وولده وهى مسئولة عنهم ، وعبد الرجل راع على مال سيده وهو مسئول عنه ، ألا فكلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته » .

وقال ﷺ: «الإحسان إلى الخادم مما يكبت الله به العدو» وقال ﷺ: «من أحسن إلى ما ملكت يمينه نصره الله على عدوه» . وقال ﷺ: «من أعتق رقبة مؤمنة أعتق الله بكل عضو منها عضواً منه من النار حتى فرجه بفرجه» .

وينبغى للعبد أيضاً أن يبذل جهده لسيده .

﴿ فصل ﴾ ويجب على المالك سقى السوائم وكل حيوان محترم وعلفها عند الجدب ، ولا يجوز الحلب إذا كان يضر بالبهيمة لقلة العلف ، ويكره ترك الحلب إذا لم يكن فيه إضرار بها . ويسن أن لا يستقصى فى الحلب ، وأن يقص الحالب أظفاره ، ويبقى للنحل شيئاً من العسل فى الجبح[1] ، فإن قام شىء مقامه لم يتعين ، وليكن المبقى فى زمن تعذر خروجها كالشتاء أكثر . وقال ﷺ : « اتقوا الله فى هذه البهائم المعجمة فاركبوها صالحة ، وكلوها صالحة » وفى كتاب الله تعالى:(إن الله يأمر بالعدل والإحسان) .

قال الفضيل رحمه الله : لو أن العبد أحسن الإحسان كله وكان له دجاجة قد أساء إليها لم يكن من المحسنين . وقال عبيد بن عمير رضى الله عنه : إن الرجل ليسأل عن كل شىء حتى عن حبة أهله . قال أبو عبيد : أى عن كل شىء حى كالدابة والهرة ونحو ذلك . ويروى أن كل من آذى بهيمة طولب بذلك يوم القيامة ، ذكره فى الإحياء .

وعن ابن عمر ومحمد بن على وعمر بن عبد العزيز فى قوله تعالى : (حق للسائل والمحروم) قالوا : المحروم هو الكلب .

---

(١) كذا فى ن ، وفى نسختين : الجبح ، وفى ن الجبج .

ويحرم الوسم فى الوجه ، ويجوز خصى ما يؤكل لحمه فى الصغر كما يجوز الوسم للحاجة ، ولا يجوز فى الكبر ولا خصى ما لا يؤكل لحمه . وقال ﷺ : « عذبت امرأة فى هرة ربطتها فلم تطعمها ولم ترسلها تأكل من حشرات الأرض » . ويحرم قتل الهرة إلا إذا صالت ، ويحرم قتل كل كلب فيه منفعة مباحة سواء الأسود وغيره ، ويباح اقتناؤه للصيد ، ولتعلمه وللماشية والخيل ، ونحوها والنخل والزرع والشجر ونحوها ، ولأهل البادية والخيام فى الفلوات ، وحفظ الدروب والحصون والبيوت المنفردة ونحوها وتربية الجرو كذلك ، ويحرم اقتناؤه قبل وجود الماشية والزرع ونحوها .

ويسن قتل الكلب العقور وكل سبع ضار ، ويكره قتل الكلب الذى لا نفع فيه ولا ضرر .

﴿ فصل ﴾ وأما الزوجة فقد تقدم فى الباب الثانى ما يجب لها وعليها ، ومن كان له زوجتان وجب عليه التسوية بينهما فى كل شىء إلا فى الجماع وميل القلب . قال ﷺ : « من كانت له امرأتان فمال إلى إحداهما جاء يوم القيامة وشقه مائل » وعن مقاتل فى قوله تعالى : (قوا أنفسكم وأهليكم ناراً) قال حق على المسلم أن يؤدب نفسه وأهله وعبيده ، فيعلمهم الخير وينهاهم عن الشر .

﴿ فصل ﴾ والناس بعد هؤلاء فى حقك ثلاثة : أصدقاء ، ومعارف ، ومجاهيل ، فلا تواخ منهم إلا من جمع خمس خصال : العقل ، وحسن الخلق ، والصلاح ، والزهد ، والصدق . فلا خير فى صحبة الأحمق وهو الجاهل ، ولا من ساء خلقه وهو من لا يملك نفسه عند الغضب ، ولا الفاسق لأن من لا يخاف الله تعالى لا تؤمن غائلته ، وصحبة الحريص سم قاتل ، وكذا الكذاب ، ولا خير فى صحبة من لا يرى لك من الخير مثل ما يرى له .

وأما المعارف الذين ليسوا بمؤاخين والمجاهيل، فعاملهم جميعاً بما سيأتى وكن منهم على حذر، فلا تركن إليهم بسرك، ونزه نفسك عندهم عما تنقص به مروءتك كمد رجلك عندهم . وكثرة تنخمك وضحكك ونحو ذلك من الأشياء التى تستنكرها من غيرك ، وإذا كان مثلك ماشياً فلا تركب ، أو قائماً فلا تقعد، أو قاعداً فلا تتكىء ولا تضطجع، واحبب حبيبك برفق، وابغض بغيضك برفق . فكم من مداهن يظهر لك المحبة وما فى قلبه منها وزن حبة ، فلا تركن إليه فيغدرك ، ولا تنافره فيجسرك :

وعاشر الـكل واصبر ما بقيت لهم   أصم أبكم أعمى ذا تقيات

واعلم أن الأخوة ثلاثة : أخ لآخرتك فلا تراع فيه إلا الدين ، وأخ للدنيا فلا تراع فيه إلا حسن الخلق ، وأخ لتأنس به فلا تراع فيه إلا السلامة من شره .

وحق كل مسلم عليك أن تسلم عليه كلما لقيته ، وتجيبه إذا دعاك ، وتشمته إذا عطس وحمد الله ، وتعوده إذا مرض ، وتشهد جنازته إذا مات ، وتبر قسمه إذا أقسم ما لم يكن فى الإبرار مفسدة ، وتنصح له إذا استنصحك ، وتحفظه إذا غاب عنك، وتحب له ماتحب لنفسك ، وتكره له ما تكره لنفسك ، وتكتم سره وعيبه وتحسن الإصغاء إلى حديثه ولا تسأله إعادته ، وتعينه فى حاجته ، وتذب عن عرضه وماله فى غيبته ، وتعفو عن هفوته ، وتقبل عذره وشفاعته وهديته ، وتكافئها وتؤثر التخفيف عنه ، وتقوم له إذا أقبل إليك ، وتؤثره فى المجلس ، وتشيعه إذا ذهب ، وتدعوه بأحب أسمائه إليه وتسر بسروره وتحزن بحزنه .

وعلى الجملة أن تعامله بما تحب أن يعاملك. قال النبى ﷺ : « إن أحدكم ليدع من حقوق أخيه شيئاً فيطالبه به يوم القيامة فيقضى له عليه ، وإن أحدكم ليدع تشميت أخيه فيقضى له عليه » .

ومن حقوق المسلمين التواضع لهم وترك التكبر عليهم . قال ﷺ : « لا تتعاظم على الناس فينقطع عنك خير الدنيا والآخرة ، ولا تفحش في مجلسك كي يحذرك الناس من سوء خلقك ، وإن تكبر عليك أحد احتمله ، ولا يسمع بلاغات الناس على نفسه ولا على غيره ، ولا يزد في هجر من يعرفه على ثلاثة أيام ، ولا يدخل على أحد بغير إذنه ، ويدارى أهل الشرك ليسلم منهم ، وينصف من نفسه ولا يقابل من عادى بالعداوة ، ويخالق الناس بالخلق الحسن . فيوقر المشايخ ويرحم الصبيان ، وينزل الناس منازلهم ، فيزيد في إكرام ذي المنزلة وإن كانت منزلته في الدنيا . وإذا كان عند ذي جاه لم يذهب عنه حتى يستأذنه ، ويقبل ذا الهيئة عثرته ويتجافى عن عقوبته ، ويشفع لمن له حاجة إلى من له عنـــده جاه ، ولا يلتمس من الجاهل والغنى ما يلتمس من الورع والعالم، بل يخالق أهل الدنيا بأخلاق أهل الدنيا . ويخالق أهل الآخرة بأخلاق أهل الآخرة ، ويكون مع كافة الناس طلق الوجه ، ويصلح ذات البين ، ويتقى مواضع التهم صيانة لقلوب الناس عن سوء الظن به ، وألسنتهم عن الغيبة ، وفيما ذكرته كفاية لمن وفقه الله تعالى .

وهذا هو حسن الخلق الذي ذكرته أول هذا القسم ، وهو ينقسم إلى ظاهر وباطن . فحسن الخلق الظاهر هو الجمال الظاهر في الأفعال والهيئات والمجاملات ، وحسن الخلق الباطن هو غلبة الأخلاق الحميدة على الصفات الذميمة. وقال ابن المبارك: حسن الخلق هو بسط الوجه، وبذل المعروف، وكف الأذى .

وقال ﷺ : « حسن الخلق أن تصل من قطعك ، وتعفو عمن ظلمك ، وتعطى من حرمك » . وقال ﷺ : « إن لله تعالى ثلاثمائة خلق من لقيه بخلق واحد مع التوحيد دخل الجنة » .

قال الغزالى : وقد تظن بنفسك حسن الخلق وأنت عنه عاطل، فينبغى أن تحكم فيه غيرك ، فتسأل عنه صديقاً بصيراً لا يداهنك ، وعدوك أخبر بعيوبك منك ، فإن نسبك إلى سوء خلق فصدقه وبادر إلى إصلاحه .

﴿ فصل ﴾ وهذه جملة من أخلاق المصطفى ﷺ : قال الله تعالى : (وإنك لعلى خلق عظيم) وقال تعالى: (لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة) وذلك أنه ﷺ كان أحلم الناس وأجودهم وأكثرهم حياء ، وعن العورات إغضاء ، وكان أشد حياء من العذراء فى خدرها وكان أوسع الناس صدراً ، وأصدقهم لهجة ، وألينهم عريكة ، وأكرمهم عشيرة .

وكان ﷺ دائم البشر سهل الخلق لين الجانب، ليس بفظ ولا غليظ، ولا صخاب ولا فحاش ، ولا عياب ، ولا مداح ، يجيب من دعاه ، ويقبل الهدية ولو كان كراعاً أو جرعة لبن أو فخذ أرنب ، ويأكلها ويكافىء عليها ، يغضب لربه ولا يغضب لنفسه ، يمازح أصحابه ويخالطهم ، ويحنك أطفالهم ويضمهم فى حجره ويلاعبهم ، ويجيب من دعاه بلبيك ، ويجيب دعوة العبد والأمة والمسكين ، ويعود المرضى فى أقصى المدينة ماشياً ولو من وجع العين ، ويعود الأعراب والصبيان ، ويقبل عذر المعتذر ، ويكثر مشاورة أصحابه ، ولا يقطع أمراً حتى يستأمر عائشة رضى الله عنها لأنها كانت رجلة الرأى .

وقال لوفد عبد القيس : « مرحباً بالقوم » ، وقال لعمار رضى الله عنه « مرحباً بالطيب المطيب » . وقال : « مرحباً بأم هانىء » . وقال لفاطمة : « مرحباً بابنتى » . وكان إذا دخلت عليه قام إليها فأخذ بيدها فقبلها وأجلسها فى مجلسه ، وكذا كانت هى تفعل إذا دخل عليها ، وارتحله أحد ابنى بنته وهو ساجد يصلى بالقوم، فطول سجوده مخافة أن يعجله حتى يقضى حاجته وكان يدلع لسانه للحسن بن على ، وقال له وهو يرقصه : حزقة حزقة

ترق عين بقة ، أى اصعد على يا صغير الجثة — فترقى حتى وضع قدميه على صدره .

وكان رسول الله ﷺ يكرم كريم كل قوم ويوليه عليهم ، ويقول: « إذا أتاكم كريم قوم فأكرموه » . وقال ﷺ : « إذا أكرم الرجل أخاه فإنما يكرم ربه » ويقول : « أنزلوا الناس منازلهم » وكان يحذر الناس ويحترس منهم من غير أن يطوى عن أحد منهم بشره ولا خلقه .

وكان ﷺ يؤلفهم ولا ينفرهم ، ويتفقد أصحابه ويسأل الناس عما فى الناس ، ويعطى كل جلسائه نصيبه لا يحسب جليسه أن أحداً أكرم عليه منه ، من جالسه أو قاربه لحاجة صابره ، حتى يكون هو المنصرف عنه ، ومن سأله حاجة لم يرده إلا بها أو بميسور من القول ، قد وسع الناس بسطه وخلقه فصار لهم أباً ، وصاروا فى الحق عنده سواء ، ما التقم أحد أذنه فينحى رأسه حتى يكون هو الذى ينحى رأسه ، وما أخذ أحد بيده فيرسل يده حتى يرسلها الآخر ، ولم ير مقدماً ركبتيه بين يدى جليس له .

وكان عليه الصلاة والسلام يبدأ من لقيه بالسلام ، ويبدأ أصحابه بالمصافحة ، ثم يأخذ بيده فيشابكه ويشد قبضته ، ولم ير قط ماداً رجليه بين يدى أصحابه حتى يضيق بهما على أحد ، يكرم من يدخل عليه وربما بسط ثوبه لمن ليست بينه وبينه قرابة ولا رضاع يجلس عليه ، ويؤثر الوارد بالوسادة التى تحته ، فإن أبى أن يقبلها عزم عليه أن يفعل ، ويقول : « ما من مسلم يدخل على أخيه المسلم فيلقى له وسادة إكراماً له ، إلا غفر الله له » ورمى لجرير بثوب ليجلس عليه ، فوضعه جرير على وجهه وقبله ، وعمم عبد الرحمن بن عوف بيده .

وكان ﷺ يكنى أصحابه ويدعوهم بأحب أسمائهم إليهم تكرمة لهم ،

ولا يقطع على أحد حديثه حتى يتجوز فيقطعه بانتهاء أو قيام. ويسر الرجل من أصحابه إذا رآه مغموماً بالمداعبة، ولا يلتفت إلى أصحابه مخافة أن يراهم يمزحون فيستترون. وكانوا يتناشدون الشعر ويتذاكرون أمر الجاهلية وهو عندهم ساكت، وربما تبسم معهم. وكان يضحك مما يضحكون منه، ويعجب مما يعجبون، ويصبر للغريب فى منطقه ومسألته. وكان يمشى فى السوق مرة بعد أخرى فيأمر فيه وينهى. وكان لا يجلس إليه أحد وهو يصلى إلا خفف صلاته وسأله عن حاجته، فإذا فرغ عاد إلى صلاته، وكانت الأمة من إماء المدينة تأخذ بيده فتذهب به إلى حيث شاءت.

وكان ﷺ أكثر الناس تبسما وأطيبهم نفساً ما لم ينزل عليه قرآن أو يعظ أو يخطب، وكان يجالس الفقراء ويواكل المساكين، ويسأل لأصحابه ويأكل ما يسقط من المائدة، وسابق عائشة وهما فى سفر فسبقته ثم سابقها مرة أخرى فسبقها. وقال: «هذه بتلك». وكان يخاطب كل قوم بما يفهمونه من لغتهم، ولما سئل أمن امبر صوم أم سفر، فأجاب كذلك «ليس من امبرم امصيام فى أمسفر» وهى لغة الأشعريين وأهل اليمن. وقال لرجل: أنط — أى اسكت وهى لغة حميرية —.

وقال لعمر: «لا تنسنا يا أخى من دعائك». وقال لهلال غلام المغيرة: «أدع لنا واستغفر لنا». وقبل عثمان بن مظعون وهو ميت وهو يبكى، وأعتق زيد بن حارثة وقبله، والتزم جعفراً وقبل ما بين عينيه. وقال للزبير: فداك «أبى وأمى»، وكذا لسعد، وكان يطعم القوم ويسقيهم اللبن والماء ثم يأكل سؤرهم ويشرب آخرهم ويقول: «ساقى القوم آخرهم شرباً»، وكان له عبيداً وإماء لا يرتفع عليهم فى مأكل ولا ملبس ﷺ.

وكان يحتضن أولاد بناته ويحملهم أيضاً على ظهره. وحمل إمامة معه فى صلاته فكان إذا سجد وضعها وإذا قام حملها، وأراد يوماً أن ينحى

مخاط أمامة عن منخريها ، وقالت عائشة رضى الله عنها دعنى حتى أنا التى أفعل ذلك . وكان إذا أتته هدية أطعم من حضر ، وخبأ نصيب من غير ، وكان يجلس بالأرض ويأكل الطعام بالأرض ، ويقول : « إنما أنا عبد آكل كما يأكل العبد ، وأجلس كما يجلس العبد ، وإنما أنا ابن امرأة من قريش تأكل القديد ﷺ » .

وكان لا تغلق دونه الأبواب ، ولا يقوم دونه الحجاب ، ولم يرح عليه بها . حيث ما انتهى به المجلس جلس ، لا يجلس بين اثنين إلا بإذنهما ويقول : لا يحل لأحد أن يفرق بين اثنين إلا بإذنهما ، ولا يقيم الرجل من مجلسه ثم يجلس فيه ، ولكن يقول « تفسحوا وتوسعوا » . وجاء إلى رجل بشىء إلى حاجة فألقى له الرجل وسادة فلم يقبلها حتى قضى له حاجته ، وكان لا يتقى الأرض بشىء .

وكان أشجع الناس وأشدهم تواضعاً وأقلهم كبراً ، وأرحم الناس بالناس . وأشدهم خوفاً من ربه تعالى ، وما ضرب بيده آدمياً قط إلا أن يجاهد فى سبيل الله ، ولم تمس يده يد امرأة لا يملك رقها أو نكاحها حتى فى البيعة ، وكن يلبسن ثوبه ، ولم يقل لخادمه أف قط ، ولا لم فعلت ولا هلا فعلت كذا وكذا ، وكان إذا تكلم بكلمة كررها ثلاثاً حتى تفهم عنه ، وإذا سلم على قوم سلم ثلاثاً ﷺ .

وقال زيد : كنا إذا ذكرنا الدنيا ذكرها معنا ، وإذا ذكرنا الطعام ذكره معنا ، قد ترك نفسه من ثلاثة : الرياء والإكثار ، وما لا يعنيه . وكان ﷺ لا يذم أحداً ولا يعيبه ولا يطلب عورته ، ولا يواجه أحداً بشىء يكرهه ، ولا يتكلم إلا فيما رجا ثوابه . وقال لمملوك امرأة من مزينة : « أبلغها سلاماً » ، ووجه قوماً لقتل يهودى ، فلما قدموا وهو على المنبر يخطب قال : « أفلحت الوجوه » .

ومر على غلمان يلعبون فقال « السلام عليكم يا صبيان » ، ومر على نسوة قعود فأومأ بيده بالتسليم ، وكان الحبشة يلعبون فى المسجد ويزفون ، فقام ينظر إليهم وعائشة تنظر خلفه حتى سئمت ، فانصرفت فانصرف ، وكان قيامه لأجلها . وأخذ ثوب حذيفة فستر عليه حتى اغتسل ، وكان يصغى الإناء للهرة لتشرب منه ، وكان إذا قدم من سفر يلتقى بصبيان أهل بيته .

وكان ﷺ يواسى الشعراء وأمثالهم، ويسمع الشعر ويرق له ويهش، وكسى كعباً بردته لما أنشده بانت سعاد ، وكان يركب حيناً الحمار عرياً ، وحيناً البغلة، وحيناً الجمل والناقة ، وحيناً الفرس، وأحياناً راجلا وحافياً بلا رداء ولا عمامة ولا قلنسوة ، وكان يردف خلفه وأمامه بعض نسائه وعبيده ، ووضع ركبته عند بعيره فوضعت صفية رجلها عليها فركبت ، وركب جابر الجمل وهو ﷺ يسوقه ويضربه بالعصا . وكان يدعى إلى خبز الشعير والإهالة السخنة — أى المتغيرة — فيجيب ، وكانت عائشة تشرب وتأكل وهى حائض ثم تناوله فيضع فاه تحت موضع فمها فيأكل ويشرب ، وترجل رأسه وهى حائض ، واغتسل هو وميمونة فى قصعة فيها أثر العجين ، واغتسل هو وعائشة من إناء واحد وهى تقول دع لى دع ، وكان ﷺ أبعد الناس غضباً وأسرعهم رضاً ﷺ وشرف وكرم ومجد وعظم .

القسم الحادى عشر : المواظبة على الوضوء وتحسينه ، قال ﷺ : « لا يحافظ على الوضوء إلا مؤمن » .

وقال ابن سلام : وجدت فى بعض ما أنزل الله أنه من توضأ لكل حدث . ولم يكن دخالا على النساء فى البيوت ، ولم يكسب مالا بغير حق ، رزق من الدنيا بغير حساب .

فينبغى أن يكون نهاره كله على الوضوء، وينام ليله على الوضوء، فإنه إذا فعل ذلك أحبه الله تعالى والحفظة، ويكون فى أمان الله تعالى، قال ﷺ : « من نام على طهر بات معه ملك الموت يحفظه من كل آفة ». وقال ﷺ : « إذا أصابتك مصيبة وأنت على غير طهر فلا تلومن إلا نفسك ». وقال لعلى: « يا على حسن وضوءك يزد فى رزقك ويحبيك الله إلى خلقه ». وقال ﷺ : « من توضأ على طهر كتب الله له عشر حسنات » وقال ﷺ لأنس : « أسبغ الوضوء يزد فى عمرك ». وقال ﷺ : « إن ملك الموت إذا قبض العبد وهو متوضىء كتبها له شهادة ».

ويروى أن الله تعالى قال لموسى عليه السلام : إذا تخوفت سلطاناً فتوضأ وأمر أهلك بالصلاة، فإنه من توضأ كان فى أمان مما يتخوف منه. وقال له أيضاً : أتحب أن أبارك لك فى رزقك وعافيتك ؟ قال نعم. قال أحسن طهارتك للصلاة.

وفى صحيح مسلم أنه ﷺ قال : « ما من مسلم يتوضأ فيحسن وضوءه ثم يقوم فيصلى ركعتين مقبلا عليهما بوجهه وقلبه إلا وجبت له الجنة » فيسن ركعتان عقب كل وضوء فى أى وقت كان، ينوى بهما سنة الوضوء يقرأ فيهما بعد الفاتحة سورتى الإخلاص : (قل يأيها الكافرون وقل هو الله أحد) والمعوذتين.

وقال ﷺ : « إذا فرغ أحدكم من وضوئه فقال : أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله فتحت له أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيها شاء » رواه مسلم أيضا.

ويندب أن يتوضأ مستقبلا القبلة، وأن ينضح مذاكيره بالماء بعد الفراغ دفعاً للوسواس، وصفات سنن الوضـــوء وفروضه مشهورة فى كتب الفقه. والله أعلم.

القسم الثانى عشر : الصيام . قال ﷺ : « يقول الله تعالى الصوم لى وأنا أجزى به » . وقال ﷺ : « إن لكل شىء باباً وباب العبادة الصيام » وقال ﷺ : « الصائم لا ترد دعوته حتى يفطر » وقال ﷺ : نوم الصائم عبادة وصمته تسبيح ، ودعاؤه مستجاب ، وعمله مضاعف » .

وقال ﷺ : « أيها الناس قد أظلكم شهر عظيم مبارك ، شهر فيه ليلة القدر هى خير من ألف شهر ، شهر فرض الله صيامه وجعل قيام ليله تطوعاً ، فمن تطوع فيه بخصلة من الخير كان كمن أدى فريضة فيما سواه ، ومن أدى فيه فريضة كان كمن أدى سبعين فريضة فيما سواه ، وهو شهر الصبر ، والصبر ثوابه الجنة ، وهو شهر المواساة ، وهو شهر يزاد فيه رزق المؤمن ، من فطر فيه صائماً كان كمن أعتق رقبة ومغفرة لذنوبه » قيل : ليس كلنا يجد ما يفطر الصائم ؟ قال : « يعطى الله هذا الثواب لمن فطر الصائم على مذقة لبن أو تمرة ، أو شربة ماء » .

ثم قال ﷺ : « من أشبع صائماً كان له مغفرة لذنوبه ، وأسقاه الله من حوضى شربة لا يظمأ بعدها أبداً حتى يدخل الجنة ، وكان له مثل أجره من غير أن ينقص من أجره شىء ، وهو شهر أوله رحمة ، وأوسطه مغفرة وآخره عتق من النار ، ومن خفف على مملوكه فيه أعتقه الله من النار » .

وقال ﷺ : « أتاكم شهر رمضان شهر مبارك فرض الله عليكم صيامه ، وتفتح فيه أبواب السماء ، وتغلق فيه أبواب الجحيم ، وتغل فيه مردة الشياطين ، فيه ليلة القدر خير من ألف شهر ، من حرم خيرها فقد حرم »(١) فاغتنم أيها الطالب شهر البركة لتنجو بإذن الله من الهلكة .

﴿ فصل ﴾ ويسن فى شهر رمضان زيادة الصدقة كما قدمنا ، والخير والعبادة والذكر والتلاوة والمدارسة ، وهو أن يقرأ على غيره ، ويقرأ

---

(١) كذا بالنسخ .

غيره عليه ، وتفطير الصائمين وتسحيرهم ، والمداومة على صلاة التراويح كل ليلة عشرون ركعة بعشر تسليمات بعد صلاة العشاء وسنتها ، ثم يصلى ثمان ركعات ، ثم ركعتين ، ثم يوتر بواحدة ، فيجمع بين التراويح وكل الوتر .

وليحذر إن كان إماماً من التطويل على القوم بقراءة أكثر من جزء فى كل ليلة من ثلاثين جزءاً ، فقد كان على يقرأ فى كل ركعة منها بخمس آيات ، وإن اقتصر على التراويح وبعض الوتر فلا بأس ، وإن اقتصر على جميع الوتر وترك التراويح فلا بأس ، فقد صح عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت : ما زاد ﷺ فى رمضان ولا فى غيره عن صلاة الوتر إحدى عشرة ركعة .

﴿ فصل ﴾ وقال عليه الصلاة والسلام : « من صام من كل شهر حرام الخميس والجمعة والسبت ثلاثة أيام كتب الله له عبادة سبعمائة سنة » . ويروى : « غفر له » .

والأشهر الحرام هى : ذو القعدة ، وذو الحجة ، والمحرم ، ورجب ، وقال ﷺ : « من صام من رجب أربعة أيام عوفى من الجذام والجنون والبرص ومن فتنة المسيح الدجال » وقال ﷺ : « من صام أول خميس من شعبان وآخر خميس منه ، كان حقاً على الله أن يدخله الجنة برحمته . وقال ﷺ : « صوم يوم عاشوراء كفارة سنة ، وصوم يوم عرفة كفارة سنتين ، سنة قبلها ماضية وسنة بعدها مستقبلة » . وقال ﷺ : « صوم ثلاثة أيام من كل شهر تذهب وحر الصدر » — أى ضيقه وغشه .

واعلم أن أفضل الأشهر للصوم بعد رمضان شهر الله المحرم ، ثم شعبان بعده ، ثم رجب بعدهما ، ثم ذو القعدة وذو الحجة .

ويسن صوم الاثنين والخميس ، والأيام البيض من كل شهر ، والصوم من أول كل شهر وآخره .

﴿ فصل ﴾ وسر الصوم هو كف النفس عن الشهوات والمحرمات :

إذا ما المرء صام عن الدنايا   فكل شهوره شهر الصيام

قال الغزالى : ولا تظن أن الصوم هو ترك المفطرات ، فقد قال عليه الصلاة والسلام : « كم من صائم ليس له من صيامه إلا الجوع والعطش » بل تمام الصوم أن يكف الجوارح كلها عما كره الله من الغيبة والنميمة ، والنظر بالريبة ، والنطق بما لا يعنى ، ونحو ذلك من المحرمات .

ثم بعد ذلك يفطر على حلال محض ، ولا يكثر منه بل يأكل أكلته التى كان يأكلها كل ليلة لو لم يصم ، فإن جمع ما كان يأكل ضحوة إلى ما يأكل ليلا لم ينتفع بصومه ، لأنه قد جمع فى أكلة بين أكلتين فتبطل بذلك فائدة الصوم ، ويستدعى به كثرة النوم ، وكثرته دليل الشقاوة والضعف ، ولهذا لما ذكر للنبى عليه الصلاة والسلام أن رجلا نام حتى أصبح « بال الشيطان فى أذنه » .

﴿ فصل ﴾ واعلم أن فى الصوم فوائد جليلة . منها : إجابة الدعاء ، ونزول البركة من السماء ، وللصائم فرحة عند فطره ، وفرحة عند لقاء ربه ، وعندى أن فرحته عند الفطر ، إنما هى لبلوغه إلى الحالة التى يتيقن بها إجابة الدعاء ، ويرجو حسن الجزاء ، فللصائم عند فطره دعوة لا ترد ، والصائم إذا أكل عنده صلت عليه الملائكة حتى يفرغوا ، ومنها مجاهدة الجوع والعطش ، وليس شىء أفضل عند الله منهما .

قال ﷺ : « أفضلكم عند الله أطولكم جوعاً ، وأكثركم تفكراً ، وأبغضكم إلى الله كل نوام أكول شروب ، وإن الله تعالى يباهى الملائكة بمن قل طعمه ويقول : انظروا إلى عبدى ابتليته بهذه الشهوات الضعيفة الطعام والشراب فى الدنيا فتركها ، أشهدكم أنه ما من أكلة تركها إلا عوضته عنها درجات فى الجنة » . وقال ﷺ : « سيد الأعمال الجوع وقلة الطعام هى العبادة » .

وقال أبو سليمان : لأن أترك من عشائى لقمة أحب إلى من قيام ليلة إلى الصبح . وفى حكمة لقمان : يا بنى إذا امتلأت المعدة نامت الفكرة ، وخرجت الحكمة ، وقعدت الأعضاء عن العبادة . وقال ذو النون : من أكل حتى شبع ، وشرب حتى روى ، عصى الله تعالى شاء أم أبى على رغم أنفه . وقال بعضهم : لا تأكلوا كثيراً فتشربوا كثيراً فترقدوا كثيراً فتخسروا كثيراً .

قال الغزالى رحمه الله : والجوع الصادق أن يشتهى أى خبز كان من غير إدام ، وقيل : أن لا يميز بين خبز وخبز ، ومن أكل كل يوم مرتين لم يكن له حال جوع أصلا .

ومنها : الاستيلاء على النفس التى إصلاحها أصعب شىء عليه ، ويتمكن من السهر ولا ينسى البلاء وأهله ، ويتمكن من إيثار الفقراء ، ويتخلص من شره بطنه فلم يفتقر إلى مال كثير فتسقط عنه أكثر هموم الدنيا ، ويستريح من الطلب والطبخ ومؤنته ، ومن غسل اليد والخلال وكثرة التردد إلى الخلاء .

ومنها : أنه يفيد الصحة فإن كل من قل أكله قل مرضه ، وكثرة الأخلاط سبب الأمراض ، ولهذا قال بعض الحكماء : الدواء الذى لا داء معه أن لا تأكل الطعام حتى لا تشتهيه ، وأن ترفع يدك منه وأنت تشتهيه ، وفى الخبر : « صوموا تصحوا » وعن على رضى الله عنه : الصوم يزيد فى الحفظ ويذهب البلغم . وقال ﷺ : « إن الشيطان ليجرى من ابن آدم مجرى الدم فضيقوا مجاريه بالجوع والعطش » .

ففى الصيام وتقليل الطعام صحة للأجسام من الأسقام . وصحة القلوب من الطغيان والآثام ، والله المستعان وعلى نبيه الصلاة والسلام .

القسم الثالث عشر : الاعتكاف فى المساجد وعمارتها وصيانتها . قال الله تعالى : (فى بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها

بالغدو والآصال رجال) إلى قوله تعالى : (ليجزيهم الله أحسن ما عملوا ويزيدهم من فضله) وقال تعالى : (إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين) وعسى من الله واجب .

وقال ﷺ : « إنما بناء المساجد للذكر » . وقال ﷺ : « من آثر جلوسه فى المسجد على جلوسه فى المنزل أعطاه الله خمس خصال : سهل الله له ضيق المعيشة . وضيق القبر ، وأعطاه كتابه بيمينه ، وجاز على الصراط كالبرق الخاطف ، ودخل الجنة مع الأبرار » . وقال ﷺ : « لا تزال الملائكة تصلى على أحدكم ما دام فى المسجد ، وتقول : اللهم اغفر له اللهم ارحمه ما لم يحدث » . وقال ﷺ : « من بنى لله مسجداً بنى الله له بيتاً فى الجنة » . روى فى الصحيحين .

وقال ﷺ : « إذا نزلت عاهة من السماء صرفت عن عمار المساجد » . وقال ﷺ : « قال الله تعالى إذا نظرت إلى مجالس العلماء وعمار المساجد سكن غضبى وصفحت عنهم » .

قال ﷺ : « قال الله تعالى إن أحب عبادى إلى المتحابون بحبى ، والمعلقة قلوبهم بالمساجد ، والمستغفرون بالأسحار ، أولئك الذين إذا أردت أهل الأرض بعقوبة ذكرتهم فتركتهم ، فصرفت العقوبة عنهم بهم » . وقال ﷺ : « ضمن الله تعالى لمن كانت بيوتهم المساجد بالروح والراحة والإجازة من النيران إلى رضوان الجنان » . وقال ﷺ : « ورجل راح إلى المسجد فهو ضامن على الله حتى يتوفاه فيدخله الجنة ، أو يرده بما نال من أجر أو غنيمة »(١) . ويروى ست مجالس ما كان العبد فى مجلس منها

---

(١) قلت : قوله ضامن أى صاحب ضمان أى فهو فى رعاية الله تعالى .

إلا كان ضامناً على الله تعالى : الغازى فى سبيل الله ، أو مسجد جماعة ، أو عند مريض ، أو يتبع جنازة ، أو فى بيته ، أو عند إمام مقسط ، ومن اعتكف عشراً من رمضان كان كحجتين وعمرتين » .

﴿ فصل ﴾ وإنما ينال كل هذه الفضائل بأن يعظم المساجد ، ففى تعظيمها تعظيم الله تعالى لأنها بيوت الله ، فلا يتكلم فى المسجد بشىء من كلام الدنيا ويجوز ذلك بغير الفحش والمعصية ، ولا ينشد فيه ضالة ما خلا مسجد مكة، ولا ينازع فى مكان، ولا يضيق على إنسان، ولا يؤذى أحداً، ولا يرفع فيه صوتاً ، ولا يقيم حداً ، ولا يسل سيفاً ، وليطيبه وينزهه ما استطاع ، فقد قال ﷺ : « إنما بنيت لذكر الله والصلاة » .

وقال ﷺ : « يأتى فى آخر الزمان ناس من أمتى يأتون المساجد يقعدون حلقاً حلقاً ، ذكرهم الدنيا وحب الدنيا ، لا تجالسوهم فليس لله بهم حاجة » ويروى: «الحديث فى المسجد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب»

واعلم أنه يحرم على الجنب المكث فيه والتردد فى جوانبه إلا لضرورة . ويكره له العبور لغير غرض ، ويجوز للمحدث النوم فيه بلا كراهة ، ونضحه بالماء المطلق ، ولا يجوز بمستعمل ، ويمنع منه الصبيان والمجانين والسكران ، وليس للكافر أن يدخل مساجد غير الحرم إلا بإذن مسلم مميز لا لنوم وأكل ، فإن دخل بلا إذن عزر .

ويكره اتخاذه مجلساً للقضاء ، ونقشه واتخاذ الشرفات له ، وحفر البئر فيه ، وعمل الصنائع كالخياطة ونحوها فيه ، وغرس شجر فيه ، فإن فعل قطعه الإمام، ويكره البيع والشراء فيه وإن قل للمعتكف وغيره إلا لحاجة، ويكره لمن أكل ثوماً أو بصلا ونحوه مما له رائحة كريهة دخوله بلا ضرورة ما لم يذهب ريحه ، ولا بأس بإغلاقه فى غير وقت الصلاة صيانة له ، ولا بالوضوء فيه إن لم يتأذ به أحد، ولا بالأكل والشرب فيه، والأولى بسط

سفرة ونحوها، وله غسل اليد فيه والأولى فى طشت ونحوه، ولا يقام فيه حد، ولا يسل فيه سيف، ولا يقعد فيه مريض يخاف تلويثه، والبصاق فيه خطيئة كفارتها دفنها فى ترابه ومسحها بيده ونحو ذلك، وتجنبها أفضل، والأولى ترك الفصد والحجامة فيه، ولا يجوز إن خاف التلويث.

﴿ فصل ﴾ ويسن أن يتعاهد الداخل نعله أو قدمه عند بابه، وأن يقدم رجله اليمنى، وكذا فى دخول السجادة والبيت، وكذا فى لبس الثوب والنعل والسراويل والمصافحة، وأخذ الحاجة من الإنسان ودفعها إليه، وفى الاكتحال والسواك والقلم والقص والنتف والحلق والأكل والشرب ونحو ذلك، يبدأ باليمنى ويفعل بها. ويقول ما سنذكره فى الباب الآخر إن شاء الله تعالى، ثم يسلم عند دخوله وإن لم يكن فيه أحد، ثم يصلى ركعتين فى أى وقت دخل ينوى بهما التحية بسورتى الإخلاص، وتتأدى بالفرض والنفل وإن لم ينو، ويكثر فيه من ذكر الله تعالى وقراءة القرآن، وحديث الرسول ﷺ والفقه وسائر العلوم الشرعية، ويتأكد فيه الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، وينوى الاعتكاف وإن قل جلوسه.

قال ﷺ: من اعتكف ولو فواق ناقة فكأنما أعتق نسمة. قال فى البيان ويسن للمعتكف دراسة العلم وتعليمه، وتعلم القرآن وذلك أفضل من صلاة النافلة، وإذا أراد الخروج قدم رجله اليسرى. وكذا فى خلع النعل ونحوه، وفى دخول الخلاء والحمام، ويقول ما سنذكره بعد إن شاء الله تعالى، والمسجد هو ما وقف للصلاة مبنياً كان أو غير مبنى، ولا يمنع الجنب من دخول المصلى الذى ليس بمسجد، ولا يصح الاعتكاف فيه لا للمرأة ولا لغيرها، ولحائط المسجد من خارجه حرمة المسجد فى كل شيء. والله أعلم.

القسم الرابع عشر: إكثار الحج والعمرة لمن استطاع ولم يضيع به حقاً. روى الترمذى والنسائى عن النبى ﷺ أنه قال: « تابعوا بين الحج والعمرة

فإنهما ينفيان الفقر والذنوب كما ينفي الكير خبث الحديد والذهب والفضة ، وليس للحجة المبرورة(١) جزاء إلا الجنة » . وقال ﷺ : « ما أمعر(٢) حاج قط » . وقال ﷺ : « ليدخلن الجنة بالحجة الواحدة ثلاثة نفر : الموصى بها ، والمنفذ لها ، والحاج عنه » .

القسم الخامس عشر : تلاوة القرآن في كل حين وآن . قال الله تعالى : (إن الذين يتلون كتاب الله وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سراً وعلانية يرجون تجارة لن تبور ليوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله) الآية . وقال ﷺ : « القرآن غنى لا غنى دونه ، ولا فقر بعده » . وقال ﷺ : « لا فاقة لعبد يقرأ القرآن ، ولا غنى له بعده » . قال ﷺ : « لا يجتمع الزنا والغنى في بيت ، ولا قراءة القرآن والفقر في بيت » .

وقال ﷺ : « من قرأ حرفاً من كتاب الله تعالى فله به حسنة ، والحسنة بعشر أمثالها ، لا أقول آلم حرف ، ولكن ألف حرف ، ولام حرف ، وميم حرف » . وقال ﷺ : « قراءة القرآن نور فمن شاء نور بيته » . وقال ﷺ : « القرآن هو الدواء » . وقال ﷺ « من لم يستشف بالقرآن فلا شفاه الله » . وقد قال الله تعالى (وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين) . وقال : (قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء) – أي من الأوجاع . ذكره الواحدى .

وقال ﷺ : « حملة القرآن هم المحفوفون برحمة الله الملبسون بنور الله المتعلمون كلام الله ، فمن عاداهم فقد عادى الله ، ومن والاهم فقد والى الله ، يقول الله تعالى : يا حملة كتاب الله تحببوا إلى الله بتوقير كتابه يزدكم حباً ويحببكم إلى خلقه ، ويدفع عن مستمع القرآن شر الدنيا ، ويدفع عن تاليه

---

(١) قلت : والمبرورة هي التي لا يخالطها إثم .
(٢) أي ما افتقر .

بلاء الآخرة ولمستمع آية من كتاب الله تعالى خير من ثبير ذهباً ، ولتالى آية من كتاب الله خير مما تحت العرش إلى تخوم الأرض السفلى » .

وقال ﷺ : « خيركم من تعلم القرآن وعلمه » . وقال ﷺ : « خير ما أخذ عليه الرجل الأجر كتاب الله تعالى » . وقال : « إن أردتم عيش السعداء ، وموت الشهداء ، والنجاة يوم الحشر ، والظل يوم الحرور والهدى من الضلالة ، فادرسوا القرآن فإنه كلام الرحمن ، وحرز حريز من الشيطان ، ورجحان فى الميزان » . وقال ﷺ : « من شهد خاتمة القرآن كان كمن شهد المغانم حين تقسم ، ومن شهد فاتحة الكتاب كان كمن شهد فتحاً فى سبيل الله تعالى » .

وقال ابن مسعود رضى الله عنه : البيت الذى لا يقرأ فيه القرآن كالبيت الخرب الذى لا عامر له . وقال أبو هريرة : البيت الذى يقرأ فيه القرآن تحضره الملائكة ، وتخرج منه الشياطين ، ويتسع بأهله ، ويكثر خيره ، والبيت الذى لا يقرأ فيه القرآن تخرج منه الملائكة ، وتحضره الشياطين ، ويضيق بأهله ، ويقل خيره . ونحوه عن ابن سيرين .

﴿ فصل ﴾ ومن أهم ذلك السور والآيات التى وردت فيها الفضيلات قال ﷺ : « تعلموا البقرة فإن أخذها بركة وتركها حسرة ، ولن تستطيعها البطلة » — يعنى السحرة . ويروى : « تعلموا الزهراوين — يعنى البقرة وآل عمران ، فإن تعلمها بركة ، وتركها حسرة ، ولن تستطيعهما البطلة » وقال ﷺ : « من قرأها — يعنى البقرة — لم يدخل بيته الشيطان ثلاثة أيام » .

ومنه المواظبة على قراءة آية الكرسى صباحاً ومساء وفى كل وقت . وقال ﷺ : « ما قرئت هذه الآية — يعنى آية الكرسى — فى دار هجرها الشيطان ثلاثة أيام ، أو قال ثلاثين يوماً ، ولا يدخلها ساحر ولا ساحرة

أربعين ليلة، يا على: علمها أهلك وولدك وجيرانك فما نزلت آية أعظم منها، ومن قرأها إذا أخذ مضجعه أمنه الله على نفسه وجاره وجار جاره والأبيات حوله » .

قال الثعالبي : وقد جعل الله آية الكرسي أماناً لأهل الإيمان من شر الشيطان ، ويروى أبا هريرة كان معه مفتاح بيت الصدقة وكان فيه تمر ، فذهب يوماً ففتح الباب فإذا التمر قد أخذ منه ملء الكف ، ثم دخل يوماً آخر فإذا هو قد أخذ منه مثل ذلك ، فذكر ذلك للنبي ﷺ ، فقال النبي ﷺ : له : « أيسرك أن تأخذه » ؟ . قال نعم . قال : « فإذا فتحت الباب فقل: سبحان من سخرك لمحمد » فذهب ففتح الباب وقال ذلك فإذا هو قائم بين يديه فقال له يا عدو الله أنت صاحب هذا ؟ قال: نعم . فإني لا أعود، ما كنت آخذه إلا لأهل بيت فقراء من الجن فتركه ، ثم عاد فذكر ذلك للنبي ﷺ فقال : « أيسرك أن تأخذه ؟ فقال : نعم . فقال : « قل له مثل ما تقدم » ففتح الباب وقال : سبحان من سخرك لمحمد ، فإذا هو قائم بين يديه فقال : « يا عدو الله أليس قد زعمت أنك لا تعود » ؟ قال : دعني هذه المرة فإني لا أعود فتركه ، ثم عاد الثالثة فأخذه ، فقال له : أليس قد عاهدتني أنك لا تعود؟ والله لا أدعك حتى أذهب بك إلى رسول الله ﷺ، فقال : لا تفعل فإنك إذا أفلتني علمتك كلمة إذا قلتها لم يقربك أحد من الجن لا صغير ولا كبير ، ذكر أو أنثى ، فقال له لتفعلن ؟ قال نعم ! قال : الله لا إله إلا هو الحي القيوم حتى ختمها، فتركه أبو هريرة، فذهب فلم يعد، فذكر ذلك أبو هريرة للنبي ﷺ فقال له : « أما علمت يا أبا هريرة أنه كذلك صدق الخبيث » . رواه الثعالبي ونحوه .

روى البخاري في صحيحه أيضاً ، وقال آخره ، فقال النبي ﷺ : « أما إنه صدق وهو كذب تعلم من تخاطب ثلاث ليال ؟ ذلك الشيطان »

ونحو ذلك روى الترمذى فى جامعه أيضاً عن أبى أيوب الأنصارى، وذكر أن الذى فعل ذلك الغول .

ويرى أن عمر بن الخطاب لقى رجلا من الجن فقال له الجنى : هل لك أن تصارعنى فإن صرعتنى علمتك آية إذا قرأتها حين تدخل منزلك لم يدخله شيطان ؟ فصارعه فصرعه عمر ، فعاوده الثانية فصرعه عمر رضى الله عنه ، فقال له الجنى : أتقرأ آية الكرسى فإنه لا يقرؤها أحد إذا دخل بيته إلا خرج الشيطان وله خبج كخبج الحمار . وقال ﷺ : « من خرج من منزله فقرأ آية الكرسى بعث الله إليه سبعين ألفاً من الملائكة يستغفرون له ويدعون له . فإذا رجع إلى منزله ودخل بيته فقرأ آية الكرسى نزع الله الفقر من بين عينيه » . وقال ﷺ : « سيد القرآن البقرة ، وسيد البقرة آية الكرسى ، إن فيها لخمسين كلمة خمسون بركة » .

وقال أبو جعفر الباقر من قرأ آية الكرسى ، مرة صرف الله عنه ألف مكروه من مكروه الدنيا وألف مكروه من مكروه الآخرة ، أيسر مكروه الدنيا الفقر ، وأيسر مكروه الآخرة عذاب القبر .

وقال ﷺ : « قال الله تعـــالى وعزتى وجلالى ما من عبد قرأكن — يعنى الفاتحة وآية الكرسى ، وشهد الله ، وقل اللهم مالك الملك ، إلى قوله بغـير حساب — دبر كل صلاة مكتوبة إلا أسكنته حظيرة القدس على ما كان منه ، ولأنظرن إليه فى كل يوم سبعين نظرة ، ولأقضين له فى كل يوم سبعين حاجة ، أدناها المغفرة ، ولأعذته من كل عدو ونصرته عليه ، ولا يمنعه من دخول الجنة إلا أن يموت ذكره الثعالبى .

وقال ﷺ لمعاذ : « ما منعك من صلاة يوم الجمعة » ؟ قال دين لفلان خشيت أن يحبسنى، فقال له: « أتحب أن يقضى الله دينك» ؟ قال قلت نعم ! قال : (قل اللهم مالك الملك تؤتى الملك من تشاء) إلى قوله (بغير حساب)

رحمن الدنيا والآخرة ورحيمهما تعطى منهما من تشاء، وتمنع منهما من تشاء، اقض دينى، فلو كان عليك ملء الأرض ذهباً لأداه الله عنك».

وقال ﷺ: «من قرأها (يعنى سورة الهمزة) فى فريضة نفى الله عنه الفقر، وجلب له الرزق ودفع عنه ميتة السوء» وروى ابن السنى عن محمد ابن إبراهيم عن أبيه قال: وجهنا رسول الله ﷺ فى سرية وأمرنا أن نقرأ إذا أمسينا وإذا أصبحنا (أفحسبتم أنما خلقناكم عبثاً وأنكم إلينا لاترجعون) إلى آخر السورة فقرأناها فغنمنا وسلمنا. وقال ﷺ: «لو أن رجلا موقناً قرأها على جبل لزال».

وقال ﷺ: «لو يعلم الناس ما فى لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب لعطلوا الأهل والمال ولتعلموها، ما من عبد يقرؤها بليل إلا بعث الله إليه ملائكة يحفظونه فى دينه ودنياه ويدعون الله له بالمغفرة والرحمة، وإن قرأها نهاراً أعطى من الثواب بعدد ما أضاء عليه النهار وأظلم عليه الليل».

وقال المسعودى: بلغنى أن من قرأ فى أول ليلة من شهر رمضان (إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً) فى التطوع حفظ فى ذلك العام.

ومنه يس قال ﷺ: «يس قلب القرآن، لا يقرؤها رجل يريد الله والدار الآخرة إلا غفر الله له، فاقرؤها على موتاكم» وقال ﷺ «من قرأها وهو خائف أمن، ومن قرأها وهو جائع شبع، أو ظمآن روى، وهى لما قرئت له بصدق النية، ومن قرأها فكأنما قرأ القرآن عشر مرات وعدلت له عشرين حجة، ومن سمعها عدلت له بألف دينار ينفقها فى سبيل الله، ومن كتبها وشربها دخل جوفه ألف دواء وألف يقين وألف زلفة وألف رحمة ونزع منه كل داء وغل، ومن قرأها فى ليلة

أصبح مغفوراً له ، ومن دخل المقابر فقرأ سورة يس خفف الله عنهم وكان له بعدد من فيها حسنات ، ومن قرأها عند ميت خفف الله عنه كرب الموت، ومن قرأها عند مريض خفف الله عنه، وإن لم يحضره أجله شفاه الله تعالى .

وقال ﷺ : « سورة يس تسمى المعممة ، تعم صاحبها بخير الدنيا والآخرة ، وتسمى الدافعة والقاضية تدفع عنه كل سوء وتدفع عنه كل شر وتقضى له كل حاجة » . وروى : « من قرأها نهاراً كان هو وأهله وماله وولده فى أمان الله ، ومن قرأها حين يصبح لم يزل فى فرح إلى أن يمسى ، ومن قرأها حين يمسى كان فى حرز الله إلى أن يصبح ، وقيل من قرأها فى موضع نظيف خالياً أربع مرات لا يفرق بينها بكلام ، ثم قال ثلاث مرات : سبحان المنفس عن كل مديون ، سبحان المفرج عن كل محزون ، سبحان من أمره بين الكاف والنون ، سبحان من إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون ، يا مفرج الهموم فرج همى ، يا حى يا قيوم ، صل على محمد وآله وافعل لى كذا وكذا ، فإنه تقضى حاجته كائنة ما كانت .

قلت : وذلك مجرب والحمد لله . وهذا بشرط حسن الظن والنية ، وأن لا يدعو بإثم ولا قطيعة رحم . وقال ﷺ : « من قرأ سورة الواقعة فى كل ليلة ، لم تصبه فاقة » وسماها سورة الغنى . وقال ﷺ : « من قرأ سورة والتين أعطى صحة اليقين ، وجلبت له رزقاً ويسراً » .

ومنه سورة الإخلاص . قال ﷺ : « من أتى منزله فقرأ الحمد لله والإخلاص نفى الله عنه الفقر ، وكثر خير بيته » . وقال ﷺ : « من قرأ سورة الإخلاص مرة حين يدخل منزله نفت عنه الفقر » . وقال ﷺ : « من قرأ قل هو الله أحد كل يوم مائتى مرة محى عنه ذنوب خمسين سنة إلا أن يكون عليه دين » . رواه الترمذى .

ويروى : « من قرأ قل هو الله أحد عشر مرات بورك له وعليه ، ومن قرأها ثلاثين مرة فى الصلاة ، بنى الله له ألف قصر فى الجنة ، ومن قرأها فى غير الصلاة بنى الله له مائة قصر فى الجنة ، ومن قرأها مائة مرة حين يدخل منزله نفت عنه الفقر ، ومن قرأها ثلاث مرات حين يأوى إلى فراشه . وكل الله به خمسين ألف ملك يحفظونه إلى الصباح » .

ويروى : « أن الله تعالى إذا نظر إلى المعاصى من العباد غضب ، فترجف الأرض وتضطرب السماء ، فتنزل ملائكة السماء ، ولا يزالون يقرؤن : قل هو الله أحد حتى يسكن غضبه ، فذلك قوله تعالى : (إن الله يمسك السموات والأرض أن تزولا) .

ومن ذلك قراءة سورة الكهف ، وطه ، وحم الدخان ، وتبارك الملك ، وق ، وعم يتساءلون ، والبروج ، والطارق ، والحواميم ، والمسبحات ، والمعوذات ، فقد ورد فى فضائلها أحاديث كثيرة وسيأتى فى الباب السادس من فضائل آيات متفرقة ما فيه شفاء الصدور إن شاء الله تعالى .

(فصل) : ولا تنال هذه الفضائل إلا بتعظيم المصحف والقرآن ، والائتمار بأمره ، فقد قال ﷺ : « ما آمن بالقرآن من استحل محارمه » ، وقال ﷺ : « اقرأ(١) القرآن ما نهاك ، فإذا لم ينهك فلست تقرأه » .

وقال بعض العلماء : أجرأ الناس على الله من قرأ وخالف خطابه ، وخان عباده ، ونسى معاده . وقال أبو سليمان الداراني : الزبانية أسرع يوم القيامة إلى حملة القرآن الذين يعصون الله تعالى منهم إلى عبدة الأوثان . والإخلاص لله تعالى فى قراءته ، والإخلاص فى كل العبادات ، هو إفراد الحق سبحانه فى الطاعة بالقصد ، وهو أن يريد بالطاعة التقرب إلى الله تعالى

---

(١) ن : اقرؤوا . بضمير الجماعة فى كل .

دون شيء آخر من صنيع المخلوق، أو اكتساب محمدة عند الناس، أو محبة مدح من الخلق أو معنى من المعاني سوى التقرب إلى الله تعالى، كذا ذكره القشيري. فما خرج عن هذا القصد فهو رياء لا يثاب عليه صاحبه. وقال ﷺ: «من طلب الدنيا بعمل الآخرة فما له في الآخرة من نصيب».

﴿ فصل ﴾ ومن صيانة المصحف والقرآن القيام له إذا قدم به، وتناوله ووضعه باليمين، ويجب منع المجنون ومن لا يميز من حمله، ويحرم مسه على المحدث، ويحرم مسه والقراءة على الجنب والحائض ولو بعض آية.

ويجوز لهما إجراؤه على القلب من غير تلفظ، وكذا النظر في المصحف وإمراره على القلب، ويجوز لهما التسبيح والتحميد والتهليل ونحوها من الأذكار ما لم يقصد القرآن.

وتحرم المسافرة بالمصحف إلى أرض الكفار إن خيف وقوعه في أيديهم. ويحرم توسده وتوسد شيء من كتب العلم، ويحرم تثقيله بشيء فوقه. حكاه الخطابي عن الحليمي. ويحرم اللحن عمداً بلا عذر، والقراءة بالعجمية والشواذ في الصلاة وغيرها.

ويسن كتابة المصحف وتبيينها وتحسينها وتحقيق الخط دون مشقة وتعليقه، ولا بأس بنقطه وشكله ووضع الفواتح والعواشر فيـــه، ولا بكتابته بالذهب وتحليته بالفضة، ولا بكتابته في إناء ويسقى لمريض. ويكره محوه بالريق وبيعه، ويكره نقش حيطان المسجد والثياب به وبأسماء الله تعالى، ولا يجوز كتابته بشيء نجس ولا في شيء نجس.

قال مالك: ولا بأس بكتابة الحروز من القرآن إذا كان في قصبة أو جلد وخرز عليه، والأولى تركه لأنه يحمل في حال الحدث.

﴿ فصل ﴾ والذي يستعان به على حفظه أن يترك المعاصي، ثم أن يلقن أولا آيتين آيتين، ثم ثلاث آيات، فإذا استمر فليجعله خمساً خمساً،

فإذا حفظها فعشراً عشراً ، ثم يتعاهد درس ما حفظه ليبقى له ، ويستعان على ذلك أيضاً بمعرفة العدد لكل شيء ومعرفة أجزاء القرآن وأسباعه ليكون له من الدرس جزء معلوم، وسيأتي في باب الطب إن شاء الله تعالى مما يعين(١) على الحفظ ويورث النسيان .

﴿ فصل ﴾ والأفضل أن يقرأ وهو على طهارة مستقبلا متخشعاً مطرقاً في موضع نظيف ، غير مقع ولا متربع ولا متكىء .

ويقرأ على حال من يرى الله تعالى ويناجيه ، فإن لم يكن يراه فإن الله يراه ، فإن قرأ محدثاً جاز بالإجماع ، وكذا لو قرأ قائماً أو مضجعاً في غير صلاة أو ماشياً ولم يلته أو على غير ذلك من الأحوال ، ولا كراهة في شيء من ذلك وله في كل ذلك أجر ولكن دون الأول .

ويسن الخشوع والتدبر عند القراءة ، وترديد الآيات كذلك ، والقراءة على ترتيب المصحف .

ويكره أن يقرأ منكوساً ، وهو أن يبتدىء من آخر القرآن ، وأشد كراهة أن يبتدىء السورة من آخرها لو تصور .

وأما تعليم الصبيان من آخره ، فحسن لسهولته وصعوبة الطوال .

ويسن ترتيل القراءة ولو لمن لا يفهم ، وطلب القراءة من حسن الصوت ، والاستماع لها ، وتحسين الصوت بها بأي وجه كان ، وترقيقها وتزيينها بترديد الصوت ما لم يخرج عن حد القراءة بالتمطيط ، فإن أفرط حتى زاد حرفاً أو أخفاه فهو حرام . قال الشافعي : وأحب أن يقرأ حدراً وتحزينا(٢) .

---

(١) كذا بالنسخ .

(٢) فالحدر : الإدراج (الإسراع) بلا تمطيط ، والتحزين : ترقيق الصوت .

ويسن البكاء والتباكي مع القراءة ، وطريق تحصيله أن يحضر قلبه الحزن يتأمل فيه التهديد والوعيد الشديد ، والوثائق والعهود ، ثم يتأمل تقصيره في ذلك ، فإن لم يحضره حزن وبكاء فليبك على فقد ذلك ، فإنه من أعظم المصائب . ذكره الغزالي وغيره .

(فصل) وقد أجمع العلماء على أن القراءة في المصحف أفضل من القراءة من حفظه لأحاديث وردت فيه ، ولأن القارىء نظراً يستعمل جوارحه ، عينه وفه ويده وحجره .

قال النووي : وليس هو على إطلاقه بل إن كان القارىء من حفظه يحصل له من التدبر والفكر وجمع القلب والبصر أكثر مما يحصل له من المصحف فالقراءة من الحفظ أفضل ، وإن استويا فمن المصحف أفضل ، فإن النظر أيضاً إلى المصحف عبادة ، وحمله بالتعظيم عبادة . وينبغي لمن أراد القراءة نظراً أن يتوضأ ثم يلبس أحسن ثيابه ، ثم يأخذ المصحف مجللا له . ثم يقبله ويضعه على وجهه ثم على رأسه ثم يقرأ .

(فصل) ومن خاف الرياء إن جهر في قراءته فالإسرار له أفضل بحيث يسمع نفسه أو أعلى من ذلك ، وإن لم يخف الرياء فالجهر أفضل ، بشرط أن لا يؤذي غيره من مصل أو نائم أو غيرهما ، لأنه يتعدى نفعه إلى غيره ، ولأنه يوقظ قلبه ويجمع همه إلى الفكر ويصرف سمعه إليه ، ويطرد النوم ويزيد في النشاط ويوقظ غيره من نائم وغافل وينشطه ، فمتى حضره شيء هذه من النيات فالجهر أفضل .

وقال ﷺ : « إذا قام أحدكم من الليل فليجهر بقراءته ، فإن الملائكة وعمار الدار يستمعون لقراءته .

(فصل) وأفضل القراءة ما كان في الصلاة وفي المسجد ، وأفضل الوقت للقراءة في غير الصلاة قراءة الليل ، وأفضله النصف الأخير ،

وأفضل قراءة النهار بعد صلاة الصبح ، وأفضل الأيام الجمعة والاثنين والخميس ويوم عرفة والعشر الآخر من شهر رمضان ، والعشر الأول من ذى الحجة ، ولا تكره فى وقت من الأوقات .

وينبغى أن لا يخلى منها وقت ، قال النووى : ومن كان مشغولا بنشر العلوم والقضاء وغير ذلك من المصالح العامة فليقتصر على ما لا يحصل بسببه إخلال بما هو مرصد له ، وكذا من كان يظهر له بدقيق الفكر لطائف فليقتصر على قدر يحصل له معه كمال فهم ما يقرأ ، ومن لم يكن من المذكورين فليستكثر من القراءة ما أمكنه من غير خروج إلى حد الملل والهذرمة . قال ﷺ : « لا يفقه من قرأ القرآن فى أقل من ثلاث » وأمر ابن عمر أن يقرأه فى أربعين يوماً : قال أبو إسحاق : فلا نحب أن يأتى أربعون على من يقرأ القرآن ولم يختمه لهذا الحديث . وكان ﷺ يقرؤه فى سبع ليال ، فثلاث سور حزب ، ثم خمس، ثم سبع ، ثم تسع ، ثم إحدى عشرة سورة ثم ثلاث عشرة ثم المفصل ، وإذا ارتج على القارىء فسأل غيره قرأ ماقبل الآية ثم سكت ولا يقول كيف كذا وكذا فيلتبس عليه .

وينبغى إذا ابتدأ القارىء من أثناء السورة أن يبتدىء من أول الكلام المرتبط بعضه ببعض ، فإذا وقف فليقف على آخر المرتبط ، ولا يتقيد ذلك بالأعشار ولا بالأحزاب والأجــزاء ، فإنها قد تكون فى وسط الكلام كالجزء الأول فى النساء ، وجزء التوبة ونحوهما . ولا يبتدىء بذلك ولا يقف عليه لتعلقه بما قبله .

ويسن قراءة الجماعة معاً والإدارة بالقرآن وهى معينة على حفظه، وهى أن يقرأ آية أو جزء ثم يسكت فيقرأ الآخر من حيث انتهى . والجلوس فى حلق القراءة ، وليجتنب اللغط والضحك والكلام خلال القراءة إلا كلاماً يضطر إليه ولا يعبث بيده ولا غيرها ، ولا ينظر إلى محرم ولا إلى ما يليه

وينبغي لمن عرض له ريح وهو يقرأ أو تثاءب أن يمسك عن القراءة حتى ينقضي ذلك ثم يعود إليها ومن بدره ريق حال القراءة فلا يرميه في موضع نجس أو قذر ، وتكره القراءة حال النعاس ، وإذا استعجم عليه القرآن ، وإذا كان فمه نجساً ، وفي الطريق إن التهى ، وفي الحمام والحبس وبيت الرحا وهي تدور ، وكره النخعي قراءة القرآن يراد بها الكلام ، ومفهوم كلام أصحاب الشافعي أنه لا بأس بذلك ، وسيأتي في آخر القسم الرابع من الباب السابع فصل يتعلق بالتلاوة إن شاء الله تعالى .

﴿ فصل ﴾ والرحمة تنزل والدعاء يستجاب عند ختم القرآن ، فينبغي أن يحضر الشخص أهله ومن أحب عند ذلك ، ويدعو بما شاء من خيرات الدنيا والآخرة . وقال ﷺ : « تعاهدوا القرآن فو الذي نفسي بيده لهو أشد تفلتاً من الإبل في عقلها » . وقال ﷺ : « لم أر ذنباً أعظم من سورة من القرآن أو آية أوتيها رجل ثم نسيها » . وقال ﷺ : « من قرأ القرآن ثم نسيه لقي الله وهو أجذم » . وقال أبو عبيد: وهذا إذا ترك تلاوته وجفا عنه حتى نسيه ، فأما الذي هو دائب على تلاوته حريص على حفظه إلا أن النسيان يغلبه فليس من ذلك في شيء ، فقد كان ﷺ ينسى الشيء من القرآن حتى يذكره .

ويسن لمن نسي حزبه أو نام عن شيء منه ، أن يقضيه بين صلاة الصبح والظهر ، قال ﷺ : « من نام عن حزبه أو عن شيء منه فقرأه ما بين صلاة الفجر وصلاة الظهر ، كتب له كأنما قرأه من الليل » .

وينبغي لحامل القرآن أن يستغني به ، قال ﷺ : « ليس منا من لم يتغن بالقرآن »(١) .

وقال ﷺ : « من قرأ القرآن فرأى أن أحداً أعطي أفضل مما أعطي ،

---

(١) يريد من لم يستغن ، قال أبو عبيد . وهي لغة للعرب فاشية ، يقولون : تغنيت بمعنى استغنيت .

فقد عظم صغيراً وصغر عظيماً» فلا ينبغي أن يرى أن أحـــداً أغنى منه ولو ملك الدنيا برحبها . قال عبد الله : من قرأ القرآن سورة آل عمران فهو غني . وقال الله تعالى : (ورزق ربك خير وأبقى) أي ما رزقك الله من القرآن خير وأبقى مما رزقهم من الدنيا والله أعلم .

القسم السادس عشر : كثرة الصمت وقلة الحديث بما لا يعني، قال ﷺ: « من صمت نجا » وقال ﷺ : « من صمت استغنى » وقال ﷺ : « إذا رأيت قساوة في قلبك ووهناً(١) في عظامك وبدنك وحرماناً في رزقك ، فاعلم أنك تكلمت بما لا يعنيك » . وقال ﷺ : « من كف لسانه عن أعراض الناس ، أقال الله عثرته » ، وتوفي رجل فقيل له : أبشر بالجنة » . فقال ﷺ : « لعله لم يتكلم فيما لا يعنيه ، أو لم يبخل بما لا يغنيه » ويروى : « بما لا ينقصه »(٢) وقال ﷺ : « من حسن إسلام المرء تركه مالا يعنيه » .

فإن قلت : أحب أن تبين لي طرفاً مما يعني ومالا يعني ؟ فاعلم أن حد مالا يعني : هو ترك ما لو تركته لم يفت به ثواب ولا ينجر به ضرر ، ومن جملة مالا يعني : حكاية الأسفار ، وأحوال الأطعمة في البلاد وعاداتهم ، وأحوال الناس وصناعاتهم ، وهو جملة ما تراهم يخوضون فيه ، وهو مالا كذب فيه ولا مضرة على مسلم . قال الله تعالى : (لا خير في كثير من نجواهم(٣) إلا من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس) الآية ، ومعنى الآية أن لا تتكلم فيما لا يعنيك ، وتقتصر على المهم ففيه النجاة . ذكره الغزالي رحمه الله .

ومما لا يعني : أن تكرر مالا فائدة في تكراره ، أو تزيده بزيادة ألفاظ

---

(١) والوهن : الضعف .

(٢) كذا في الأصل الأول وفي الثاني : لعله تكلم بما لا يعنيه أو بخل الخ .

(٣) والنجو في الكلام ما ينفرد به الجماعة أو الاثنان سراً كان أو ظاهراً .

مستغنى عنها كما سيأتى ، ومنه قولك : اللهم اخز هذا الكلب ونحو ذلك من فضول الكلام وهى لا تنحصر ، قال الله تعالى : (ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد) وقال النبى ﷺ : « كل كلام ابن آدم عليه لا له ، إلا أمراً بمعروف أو نهياً عن منكر أو ذكر الله تعالى » . وقال ﷺ : « إن الرجل ليتكلم بالكلمة من رضوان الله ما يظن أن تبلغ ما بلغت يكتب الله له بها رضوانه إلى يوم يلقاه ، وإن الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله ما يظن أن تبلغ ما بلغت يكتب الله عليه بها سخطه إلى يوم يلقاه » .

وهذه آفات اللسان التى لا تغنى الإنسان ، وهى ثلاثة وعشرون خطراً :

أولها : الخوض فى الباطل والمعاصى كحكايات صفات النساء ، ومقامات الفساق ، وإليه الإشارة بقوله : (وكنا نخوض مع الخائضين) ثانيها : المراء والجدال ، قال النبى ﷺ : « من ترك المراء وهو محق بنى له بيت فى أعلى الجنة ، ومن تركه وهو مبطل بنى له بيت فى ربض الجنة » . وقال ﷺ : « لا تمار أخاك » . وقال ﷺ : « إياكم ومشارة الناس فإنها تظهر العرة ، وتدفن الغرة (١) » .

وحد المراء الاعتراض على كلام الغير بإظهار خلل فيه ، إما باللفظ أو بالمعنى ، فالواجب أن يصدق بما سمعه من الحق ، ويسكت عما سمعه من الخطأ ، إلا إذا كان فى ذكره فائدة ظاهرة فيذكره برفق لا عنف .

قال الخليل : لا تردن على معجب خطأ فيستفيد منك علماً ، ويتخذك به عدواً وقال النخعى : المراء بدعة فى الدين . وقال الأوزاعى : دع المراء فإنه يقطع الألفة ويورث الضغائن . قال النووى : ويحمد الجدال للوقوف على الحق وتقريره ، ويحرم المراء فى القرآن والجدال فيه بغير

---

(١) المشارة : الملاحات والجدال . والعرة العيب . والغرة : الحسن . وقيل : العمل الصالح .

حق . وقد صح أنه ﷺ قال : « المراء فى القرآن كفر » . وقال الخطابى: قيل المراد بالمراء الشك ، وقيل هو الجدال المشكل الذى يفعله أهل الأهواء فى آيات القدر ونحوها .

واعلم أنه يحرم تفسير القرآن بغير علم ، والكلام فى معانيه لمن ليس من أهلها ، وأما العلماء فجائز حسن والله أعلم. ثالثها : كثرة المخاصمة لاستيفاء حق أو مال ، وقد عدها بعض العلماء من الصغائر وهى مبدأ الشر . قال ﷺ : « إن أبغض الرجال إلى الله تعالى الألد(١) الخصم ، وكفى بالمرء إثماً أن لا يزال مخاصماً » وقال ﷺ : « من أعان على خصومة بظلم فقد باء بغضب من الله » . وقال ﷺ : « ليس منـــا من مات على عصبية » . وقال ﷺ :« ليس منا من دعا إلى عصبية ، وليس منا من قاتل على عصبية» وقال على رحمه الله تعالى : إن للخصومات قحماً ، أى مهالك .

فينبغى أن لا يفتح على نفسه باب خصومة إلا لضرورة لابد منها ، وعند ذلك ينصر حجته بطريق الشرع بلا لدد ولا زيادة فى اللجاج ، ولا تعصب ولا غضب ولا قصد عناد ، ولا إيذاء ، ويحفظ لسانه وقلبه عن آفاتها . رابعها : التشدق بالكلام ، وتكلف الفصاحة ، والتصنع بالمقدمات التى يعتادها المتفاصحون ، وإطالة القصص وكثرة الكلام . قال النبى ﷺ : « هلك المتنطعون » قالها ثلاثاً(٢) وقال ﷺ : « إن الله تعالى يبغض البليغ من الرجال الذى يتخلل بلسانه كما تتخلل البقرة » . وقال ﷺ: « إن أبغضكم إلى الله الثرثارون المتفيهقون(٣)» . وقال : « أنا وأتقياء أمتى براء من التكلف » .

فينبغى أن يقصد فى مخاطبته غـــير لفظاً يفهمه صاحبه فهماً جلياً ، فلا يستثقله ولا يمله فى القول، قال ﷺ : « لقد أمرت أن أتجوز فى القول

(١) الألد : هو الشديد المخاصمة .
(٢) أى المبالغون فى الأمور .
(٣) يعنى الذين يتوسعون فى الكلام ويفتحون به أفواههم .

فإن الجواز خير » قال بعضهم : والتكلف مذموم فى كل شىء ، كالتكلف بالملبوس للناس من غير نية فيه والتكلف فى الكلام ، وزيادة التملق الذى صار دأب أهل هذا الزمان ، ولا يكاد يسلم منه إلا أفراد . وكم من متملق لا يعرف أنه يتملق وقد يخرجه تملقه إلى صريح النفاق وقد كان ﷺ يتخولهم بالموعظة مخافة السآمة عليهم(١) . وقال ﷺ : « إن هذا الدين متين فأوغل فيه برفق ، ولا تبغض إلى نفسك عبادة الله ، فإن المنبت لا أرضاً قطع ولا ظهراً أبقى » فإذا كان هذا فى العبادة فكيف فى غيرها ؟ وقال الزهرى: إذا طال المجلس كان للشيطان فيه نصيب . وقال ابن مسعود: حدث القوم ماحدجوك بأبصارهم ، فإذا غضوا فأمسك . وقال مطرف : لا تطعم طعامك من لا يشتهيه ، يعنى الحديث . خامسها : الفحش والبذاء ، وهو التعبير عن الأمور القبيحة بعبارة صريحة وإن كانت صحيحة . قال الله تعالى : (لايحب الله الجهر بالسوء من القول إلا من ظلم) وقال النبى ﷺ : « إياكم والفحش فإن الله لايحب الفحش ، وقال ﷺ : «شر الناس من تركه الناس اتقاء فحشه » . وقال ﷺ « الحياء والعى شعبتان من الإيمان ، والبذاء والبيان شعبتان من النفاق » .

فينبغى إذا احتاج إلى ذلك أن يستعمل الكنايات، ويعبر عنها بعبارات جميلة يفهم بها الغرض ، فإن دعت حاجة إلى التصريح بصريح اسمه لغرض البيان والتعليم ونحوه فلا بأس به . سادسها : الإخبار بالمعصية وإظهارها ، والتبجح بها كقولك : مارأيتنى كيف شتمته وأخدعته فى المعاملة ، وفلجته ونحوه . قال ﷺ : « كل أمتى معافى إلا المجاهرين » ، وإن من المجاهرة أن يعمل الرجل عملا بالليل ثم يصبح وقد ستره الله عليه فيقول يافلان عملت البارحة كذا وكذا وقد بات يستره ربه ، ويصبح يكشف ستر الله عنه ، وقال ﷺ : « من ارتكب شيئاً من هذه القاذورات فليستتر بستر الله »

---

(١) أى يتعهدهم ويلتمس نشاطهم .

وقال صلى الله عليه وسلم : « ماستر الله على عبد ذنباً فى الدنيا فيعيره به يوم القيامة » .

فينبغى إكثار حمد الله على ستره القبيح ، وسؤاله إدامة الستر فى الدنيا والآخرة ، لكن إن أخبر بمعصيته شيخه أو شبهه ممن يرجو بأخباره أن يعلمه مخرجاً منها ، أو يعلمه مايسلم به من الوقوع فى مثلها أو يدعوله أونحوه ذلك فلا بأس به بل هو حسن . سابعها : اللعن لحيوان أو جماد أو مسلم وهو محرم ، قال ﷺ : « ليس المؤمن بالطعان ولا باللعان ولا بالفاحش ولا بالبذىء ، ومن لعن شيئاً ليس له بأهل رجعت اللعنة عليه » وقال ﷺ: « لعن المؤمن كقتاله » وقال « عثر رجل برجل حماره فقال تعست فكتبت بها عليه خطيئة » وقال ﷺ : « لا تلاعنوا بلعنة الله ولا بغضب الله ولا بجهنم » ويروى « ولا بالنار » فينبغى إذا لعن مالا يستحق أن يبادر بقوله إلا إن كان يستحق . ذكره أبو جعفر النحاس . وإنما يحرم لعن المصون فأما ذو الوصف المذموم فإن كان غير معين جاز لعنه ، كقولك لعن الله الظالمين ، ولعن الله من فعل هذا ، وإن كان معيناً ، كالذى اتصف بشىء من المعاصى من ظالم أو سارق ، فظاهر الحديث أنه لا يحرم وأشار الغزالى إلى تحريمه إلا من علمنا موته على الكفر .

قال الغزالى أيضاً : ويقرب من اللعن الدعاء على إنسان بالشر كقوله لا أصح الله جسمه ونحوه فكل ذلك مذموم . وقال لاتذمن شيئاً مما خلق الله ، فقد كان ﷺ لا يذم الطعام الردىء إن اشتهاه أكله وإلا تركه .

ويجوز الدعاء على من ظلمه أو ظلم غيره من المسلمين . قال النووى : وعلى من خالف الحكم الشرعى .

قلت : وترك الدعاء على ظالمه أولى لقوله ﷺ : « إن المظلوم يدعو على ظالمه حتى يكافئه ثم يبقى للظالم عليه فضل عنده يطالبه به يوم القيامة وقال ﷺ : « من دعى على من ظلمه فقد انتصر » وقال ﷺ : لعائشة

رضى الله عنها وقد سمعها تدعو على من سرق متاعها « لا تسبخى بدعائك عليه ، أى لا تخففى ، قلت وشبيه باللعن قولك قاتله الله ونحوه .

(فصل) ومن هذا اللعن الدعاء على النفس والمال . وقال ﷺ : « لا تدعوا على أنفسكم ، ولا تدعوا على خدمكم ، ولا تدعوا على أولادكم ، ولا تدعوا على أموالكم ، لئلا توافقوا من الله ساعة قبل فيها عطاء فيستجاب لكم » . وقال ﷺ : « لا تدعوا على أولادكم فتحرموا برهم » قلت : وهذا إذا خرج الدعاء عن جد فأما إذا سبق على اللسان من غير قلب فالمرجو أنه من اللغو الذى لا يؤاخذ الله به . قال أبو عبيد : وقد يرد الدعاء بلسان العرب ولا يريدون معناه كقوله ﷺ : تربت يداك ، وعقرى حلقى ، وقول ابن عباس فى امرأة خطأ الله نوءها ، وقول امرئ القيس يمدح رجلا بجوده . ألزمنا ماله . لاعدمنا نفره . وكقولك للرجل يفعل الشىء أو يتكلم بكلام يعجبك منه ماله لاعد من نفره ، قاتله الله ، أخزاه الله ونحوه مما يجرى على ألسنتهم من غير نية الدعاء والله أعلم . وقال الهروى فى قوله تعالى : (ويدعو الإنسان بالشر دعاءه بالخير) أى يدعو على نفسه وولده وماله عند الضجر عجلة منه ولا يعجل الله عليه ، وقال الثعالبى : لا يستجيب له فى ذلك وقال الله تعالى : (ولو يعجل الله للناس الشر استعجالهم بالخير لقضى إليهم أجلهم) قال الواحدى : يقول لو أجابهم الله تعالى إذا دعوا بالشر لماتوا وهلكوا جميعاً وقال ﷺ : « لا يتمنين أحدكم الموت من ضر أصابه ، فإن كان لا بد فاعلا فليقل : اللهم أحينى ما كانت الحياة خيراً لى وتوفنى إذا كانت الوفاة خيراً لى » قال العلماء : وأما إذا تمنى الموت خوفاً على دينه لفساد الزمان ونحوه فلا بأس .

وندب أن يدعو بموته شهيداً أو فى البلد الشريف ، فقد صح أنه ﷺ قال : « من سأل الشهادة صادقاً أعطيها ولو لم تصبه » .

ثامنها : المزاح الذى فيه إفراط ويداوم عليه حتى يورث الضحك

والقسوة ، وقد يؤدى إلى الأيذاء والحقد ويسقط المهابة والوقار ، قال ﷺ : « لا تمار أخاك ولا تمازحه ، ولا تعده موعداً فتخلفه » . وقال ﷺ : « إن الرجل ليتكلم بالكلمة يضحك بها جلساءه فيهوى بها فى النار أبعد من الثريا » . وقال ﷺ : « كثرة الضحك تميت القلب وتذهب بهاء الوجه » وقال إبراهيم النخعى رضى الله عنه : إن الرجل ليتكلم بالكلمة ليضحك بها من حوله فيسخط الله بها ، فيصيبه السخط فيعم بها من حوله ، وإن الرجل ليتكلم بالكلمة يرضى بها الله فتصيبه الرحمة فتعم من حوله .

(فصل) ولا بأس باليسير منه فى بعض الأوقات ، سيما فى السفر ومع النساء أو الصبيان تطييباً لقلوبهم ، وذلك سنة فعله النبى ﷺ : وقال لجابر « هل لا تزوجت بكراً تداعبها وتداعبك » وقال لعجوز : « لا تدخل الجنة عجوز(١) » وقال ﷺ : « يا أبا عمير ما فعل النغير(٢) » ، وقال ﷺ لأنس : « يا ذا الأذنين » ونحو ذلك كثير . وقال ﷺ : « من كان عنده صبى فليتصاب له » وقال ﷺ : « إن الله لا يؤاخذ المزاح الصادق فى مزاحه » وقال سعيد بن العاص لابنه : اقتصد فى مزاحك فكثرته تذهب بالبهاء ، وتجرىء عليك السفهاء ، وتركه يغيظ المؤانسين ، ويوحش المخاطبين . وقد كان رسول الله ﷺ يصارع ركانة وغيره ، وكانت الصحابة رضى الله عنهم يتمازحون ويتبادحون (٣) بالبطيخ ويجذون حجراً لاختبار قوتهم . وقال عمر لابن عباس : تعال أنافسك فى الماء أينا أطول نفساً ، — وهما محرمان — وقد ورد الأمر بملاعبة الزوجة ، وتأديب الفرس ، وتعلم الرمى والسباحة .

تاسعها : السخرية والاستهزاء وهو حرام . قال الله تعالى : (لا يسخر

---

(١) أى لا تبقى عجوزاً فيها بل تعود شابة .

(٢) عصفور كان يلعب به الصبى . (٣) أى يترامون به .

قوم من قوم عسى أن يكونوا خيراً منهم ولا نساء من نساء) الآية . ومعناه الاحتقار والاستهانة والتعيير بالعيوب . وقال ﷺ: «إن المستهزئين بالناس يفتح لأحدهم باب من الجنة ، فيقال هلم هلم ، فيجيء بكربه وغمه ، فإذا وصله أغلق دونه ، فلا يزال كذلك حتى إن الرجل ليفتح له الباب فيقال هلم هلم ، فما يأتيه ليأسه منه » . وقال ﷺ : « لا تظهر الشماتة لأخيـــك فيعافيه الله ويبتليك » . وقال ﷺ : « من شمت بالمصيبة ابتلى بها » . وقال : « من عير أخاه المسلم بذنب لم يمت حتى يعمله » ويروى : « بذنب قد تاب منه » . وقال ﷺ : « إذا قال الرجل هلك الناس فهو أهلكهم » . قال مالك : يعني إذا قال ذلك عجباً بنفسه ، تصاغراً للناس ، فإن قاله تحزناً لما يرى من أمر دينهم ، ويرى نفسه مع الهالكين معهم فلا بأس به . وقال ﷺ : « لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال حبة من كبر » فقال رجل : إن الرجل يحب أن يكون نعله حسنة ، وثوبه حسناً . فقال ﷺ : « إن الله تعالى جميل يحب الجمال ، الكبر بطر الحق ، وغمض الناس(١) » . قال الغزالي : والأنفة من الحق ، والاستحقار بالخلق ، يغلق باب السعادة ، فلا تحتقرن أحداً فلعله ولي من أولياء الله تعالى .

عاشرها : المواعيد الكاذبة قال الله تعالى : (كبر مقتاً عند الله أن تقولوا مالا تفعلون) قال الواحدي : أي إن الله تعالى يبغض بغضاً شديداً أن تعدوا أنفسكم ثم لم تفوا به . وقال ﷺ : « العدة دين » وقالت امرأة لولدها الصغير : تعال أعطك ، فقال صلى الله عليه وسلم : « وماذا كنت تعطيه لو جاءك ؟ قالت تمرة ، قال : « أما لو لم تفعلي كتبت عليك كذبة » وقال ﷺ : « آية المنافق ثلاث : إذا حدث كذب ، وإذا وعد أخلف وإذا ائتمن خان ، وإن صام وصلى وزعم أنه مسلم » . وقال ﷺ :

---

(١) بطره : أي دفعه وإبطاله . وغمض الناس : ويروى وغمط : ومعناهما الاحتقار .

« المسلمون على شروطهم ، إلا شرطاً حرم حلالا أو أحل حراماً » .
وقال النووى : وخلف الوعد عندنا مكروه ، وأما من واعد صاحبه وفى نيته أن يجيبه ثم عاقه عائق من مطر أو مخافة أو مرض ، لم يسم ناقضاً لموعده ، إنما وعده كان بشرط السلامة وارتفاع الموانع . من كتاب الحلل
وقال خوات : مرضت فعادنى ﷺ فقال : « صح الجسم يا خوات » فقلت : وجسمك يا رسول الله ، قال « فف لله بما وعدته » قال ما وعدت الله شيئاً ، قال : « بلى ! ما من عبد يمرض إلا أحدث لله خيراً ، فف لله بما وعدته » .

الخطر الحادى عشر : الكذب . وهو من أقبح الذنوب ، قال الله تعالى : (إنما يفترى الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله) وقال تعالى : (قتل الخراصون (١)) وقال ﷺ : « كل خصلة يطبع عليها المؤمن إلا الكذب والخيانة » . وقال ﷺ : « ويل لمن يتحدث بالكذب ليضحك به القوم ، ويل له ويل له » . وقال صلى الله عليه وسلم : « الكذب ينقص الرزق » وقال ﷺ : « إياكم والكذب ، فإن الكذب يهدى إلى الفجور ، وإن الفجور يهدى إلى النار » . فبان لك أن الكذب حرام فى كل شىء ، إلا لضرورة ، وهو الإخبار عن الشىء بخلاف ما هو به ، سواء جهلت أم تعمدت لكن لا إثم إلا فى العمد .

واعلم أن كل مقصود أو محمود أمكن التوصل إليه بالكذب ولم يمكن بالصدق ، فالكذب مباح إن كان تحصيل ذلك المقصود مباحاً ، وواجب إن كان واجباً ، ولا يباح لجلب زيادة مال وجاه . قال الغزالى رحمه الله : وفيه يكون كذب أكثر الناس ، فإذا اختفى مسلم من ظالم وجب الكذب

(١) يعنى لعنوا : وهم الخطاط والكتاب والعياف والنجام والكهان والحساب وكل كاذب أو قائل بالظن .

بإخفائه عنه ، وكذا لو كان مقصود حرب أو صلح أو استمالة قلب مجنى عليه لا يحصل بالكذب فلا يحرم . وفى معناه كذبه ليستر مال غيره عن ظالم ، وإنكاره لشىء غيره ، وكذا كل ما ارتبط به غرض صحيح مقصود كأن سأله ظالم عن ماله ليأخذه ، أو سأله الإمام عن فاحشة ارتكبها بينه وبين ربه تعالى فله الإنكار ، وكإنكاره مع زوجته أن تكون ضرتها أحب إليه ، وكأن يسأل عن سر أخيه فينكره ، وكإنكاره خيانة نفسه على غيره ليطيب قلبه ونحو ذلك ، فكل هذا مباح وذلك يرجع إلى دفع المضرات .

قال ابن عيينة : ولو أن رجلا اعتذر إلى آخر لحرف الكلام وحسنه ليرضيه بذلك لم يكن كاذباً ، لأن إصلاحه فيما بينه وبين صاحبه أفضل من إصلاحه ما بين الناس . وقد قال ﷺ : « لا يحل الكذب إلا فى ثلاث : كذب الرجل على امرأته ليرضيها ، والكذب فى الحرب ، والكذب ليصلح بين الناس » . وقال صلى الله عليه وسلم : « من لم يقبل العذر ممن تنصل إليه صادقاً أو كاذباً لم يرد على الحوض إلا متضحاً » . وقال ﷺ : « لا أحد أحب إليه العذر من الله تعالى » . وقال ﷺ : « ما من أحد يعتذر إليه أخوه فلم يقبل عذره ، إلا كان عليه خطيئة صاحب مكس[1] » . وقال صلى الله عليه وسلم : « ليس الكاذب من أصلح بين الناس فقال خيراً أو نمى خيراً[2] » .

ويجوز الكذب لإظهار الحق ، قال الله تعالى : (بل فعله كبيرهم هذا وقال : (إن هذا أخى له تسع وتسعون نعجة ولى نعجة واحدة) فينبغى أن يقابل بين مفسدة الكذب والمفسدة المترتبة على الصدق ، فإن كان المفسدة فى الصدق جاز له الكذب ، وإن كان عكسه أوشك حرم .

﴿ فصل ﴾ وفى المعاريض مندوحة — أى سعة وغنى — عن الكذب

(١) وهو العشار . (٢) أى أبلغ ورفع للإصلاح .

وهو أن يطلق لفظاً هو ظاهر فى معنى يريد به معنى آخر يتناوله ذلك اللفظ لكنه خلاف ظاهره ، وهو ضرب من الخداع ، فإن دعت إليه مصلحة شرعية راجحة على خداع المخاطب أو حاجة لامندوحة عنها إلا بالكذب. فلا بأس بالتعريض والتورية ، وإن لم يكن شيء من ذلك كره ، وليس بحرام إلا أن يتوصل به إلى أخذ باطل أو دفع حق ، وهذا ما لم يحلفه القاضى ، فإن حلفه القاضى بالله فى دعوى فالاعتبار بنية القاضى .

مثال التعريض المباح : الله يعلم ماقلت من ذلك من شيء ، أطلبه فى المسجد ، خرج أبى فى وقت قبل هذا ، ما رأيته ، ما ذكرته ، ما قبلته ، ماخدعته، ماحلفته ، أى ماضربت ورأيته وذكره، وقلبه وأخدعه وحلفه أنا على نية موهماً أنه صائم ونحو ذلك ، فلو حلف على شيء من ذلك وورى لم يحنث ، وإن حلف بالطلاق ونحوه .

ومن الكذب قولهم فى المبالغة : قلت لك، أو طلبتك مائة مرة ونحوه فإن لم يكن طلبه إلا مرة فقط كان كاذباً ، وإن طلبه مرات لايعتاد مثلها كثرة لم يأثم ، وإن لم يبلغ مائة . فقد قال ﷺ : « أبو جهم لا يضع عصاه عن عاتقه » . ومعلوم أنه كان يضعها وقت الصلاة والنوم والأكل ، على أى تأويل كان . وقال فى الكهان : « ليسوا بشيء » . وقال سليمان عليه السلام : وأوتينا من كل شيء . ومعلوم أنه لم يؤت ما مع بلقيس . وقولها : وأوتيت من كل شيء : ومعلوم أن النبوة وملك سليمان شيء كبير لم تؤته . ومنه قوله لمن يخاصمه : يا تيس ، ويا كلب ونحوه ، بخلاف قوله : ياظالم فإنه يتسامح به فى المخاصمة لأنه قل أن يوجد إنسان إلا هو ظالم لنفسه وغيرها .

وينبغى للإنسان أن لا يحدث بكل ما سمع إذا لم يظن صحته ، قال صلى الله عليه وسلم : « كفى بالمرء إثماً أن يحدث بكل ما سمع » . وقال : « بئس مطية الرجل زعموا » .

﴿ فصل ﴾ واعلم أن اليمين مكروهة وإن كانت فى صدق لقوله ﷺ : « اليمين حنث أو ندم » فإن كانت فى طاعة كالبيعة على الجهاد ، أو صادقة فى الدعوى ، أو دعت إليها حاجة كتوكيد كلام ، أو تعظيم أمر ، لم تكره فى شىء من ذلك ، فاليمين الغموس كبيرة وهى أن يحلف على ماض كاذباً وهو عالم قال ﷺ : « اليمين الفاجرة تعقم الرحم وتدع الديار بلاقع » . وقال ﷺ : « من حلف على يمين مصبورة كاذبة فليتبوأ مقعده من النار » . وقال ﷺ : « اليمين الفاجرة تذهب بالمال » . وقال ﷺ : « إن اليمين الكاذبة نحس على ذرية الحالف إلى يوم القيامة » . وقال ﷺ : « لا تكثروا الحلف فى البيع فإنه ينفق ثم يمحق » . وقال ﷺ « الحلف منفقة للسلعة ممحقة للبركة » . وقال ﷺ : « من ادعى دعوة كاذبة ليتكثر بها لم يزده الله إلا قلة » . وقال ﷺ : « من اقتطع حق امرىء مسلم بيمينه فقد أوجب الله له النار ، وحرم عليه الجنة وإن كان قضيباً من أراك » ثم قرأ : (إن الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمناً قليلا أولئك لا خلاق لهم فى الآخرة ولا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم يوم القيامة) الآية .

ولغو اليمين معفو عنه ، وهو أن يسبق لسانه إلى لفظها بلا قصد كقوله فى غضب أو لجاج أو عجلة أو صلة كلام : لا والله ، وبلى والله ، أو كان يحلف على شىء فسبق لسانه إلى غيره أو سبق إلى حلف بغير الله بلا قصد ، فإنه لا إثم فى شىء من ذلك ولا كفارة ، قال ﷺ : « أيمان الرماة لغو لا كفارة فيها ولا عقوبة » ، ومن اللغو قوله : هذا الطعام أو الثوب حرام على ، أو إن فعلت كذا فذلك حرام على ، فإنه لا يحرم شىء من ذلك ولا كفارة ولا غيرها .

ويكره الحلف بغير أسماء الله تعالى وصفاته ، سواء فى ذلك الأنبياء والملائكة ، والكعبة ، والحياة ، والروح ، وغير ذلك ، ومن أشدها (كراهة) الحلف بالأمانة . قال ﷺ : « من حلف بالأمانة ليس منا » .

وقال ﷺ : « إن الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم . من كان حالفاً فليحلف بالله أو ليصمت » . وقال ﷺ : « من حلف بغير الله فقد أشرك » .

قال في البيان : ولا يخلو الحالف بغير الله من أقسام ، أحدها : أن يقصد قصد اليمين ولا يعتقد في المحلوف به من التعظيم ما يعتقد بالله ، فهذا يكره ولا يكفر به . الثاني : أن يقصد اليمين ويعتقد في المحلوف به من التعظيم ما يعتقد بالله فهذا يحكم بكفره . الثالث : أن يجرى على لسانه من غير قصد إلى المحلوف به ، فهذا لا يكره كلغو اليمين المتقدم ومن قال إن فعلت كذا فأنا يهودى ، أو برىء من الله أو الرسول أو الكعبة ، أو الإسلام ، أو مستحل للخمر ، أو الميتة ، أو الدم ، فلا يمين ، فإن قصد تبعيد نفسه عنه لم يكفر لكن ارتكب محرماً فليتب ويأت بالشهادتين ندباً ، ويستغفر وإن قصد الرضا بذلك وما في معناه إذا فعله كفر حالا .

قال الله تعالى في الذين يظاهرون من نسائهم : (وإنهم ليقولون منكراً من القول وزوراً) .

﴿ فصل ﴾ والنذر منهى عنه لقوله ﷺ : « النذر لا يغنى من القدر شيئاً ، وإنما يستخرج به من البخيل » وقال ﷺ : الطلاق يهتز منه العرش » ويروى : « أبغض الحلال إلى الله الطلاق » وقال ﷺ : « ما حلف بالطلاق أو استحلف به إلا منافق » .

الخطر الثانى عشر : الغيبة ، وهى محرمة قال تعالى : (ولا يغتب بعضكم بعضاً) الآية . وقال تعالى : (ويل لكل همزة لمزة) قال الواحدى : وهو الذى يغتاب الناس ويبغضهم . وقال النبى ﷺ : « إياكم والغيبة فإنها أشد من الزنا ، وإن الرجل ليزنى ويتوب فيتوب الله عليه ويغفر له ، وصاحب الغيبة لا يغفر له حتى يغفر له صاحبها » . وقال ﷺ : « الغيبة أشد من ثلاثين زنية في الإسلام .

وقال ﷺ : «من اغتاب جاره المسلم حول الله قبله إلى دبره يوم القيامة».

وقال ﷺ : «الربا اثنان وسبعون باباً أدناها مثل إتيان الرجل أمه، وإن أربى الربا استطالة الرجل فى عرض أخيه المسلم». ويروى: «إن الله عز وجل أوحى إلى موسى: ياموسى أتحب أن أنصرك فى الدنيا والآخرة؟ قال: نعم! قال: لا تذكر مسلماً بما يكرهه إلا كان آخر من يدخل الجنة. ومن مات مصراً عليها فهو أول من يدخل النار».

وقال الجنيد رحمه الله: ترك الغيبة أفضل من سبعين حجة، ومن عتق عشر رقاب. ومن إنفاق جبل (من مال) ويروى: من اغتيب بغيبة غفر الله له نصف ذنوبه.

والغيبة هى كل ما أفهمت به غيرك نقصان مسلم بما فيه مما يكره، سواء كان فى بدنه أو دينه أو دنياه أو خلقه أو خلقه أو والده أو ولده، أو زوجه أو خادمه أو لباسه أو دابته أو ماله أو حركاته أو فى شىء مما يتعلق به، تلفظت بذلك أو كتبت أو أشرت أو لوحت. ذكر عنده ﷺ رجل فقيل: ما أعجزه؟ فقال ﷺ : «اغتبتموه» وقالت عائشة فى امرأة خرجت من عندها: ما أطول درعها! فقال ﷺ : «قد أكلت لحمها ياعائشة» وقالت: حسبك من صفية كذا كذا - تعنى قصيرة - فقال لها: «لقد قلت كلمة لو مزج بها البحر لمزجته»(١).

واعلم أن السكوت على الغيبة ونحوها حرام. قال ﷺ : «المغتاب والمستمع شريكان فى الإثم». وقال تعالى: (فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا فى حديث غيره إنكم إذاً مثلهم) - يعنى فى الإثم - فيجب على سامعها ردها وإبطالها، فإن عجز فارق ذلك المجلس، فإن تعذر قعد كارهاً ويشغل نفسه بذكر أو فكر حتى لا يسمعها.

---

(١) أى لو جعلت فى البحر لغيرته لشدة نتنها وقبحها.

﴿ فصل ﴾ وتباح بأحوال — أحدها غيبة المجاهر بفسقه فيما يجاهر به لاغير ، وعليه يحمل قوله ﷺ : « ليس لفاسق غيبة ، ومن ألقى جلباب الحياء فلا غيبة له » وللمتظلم إلى من له قـــدرة على أن ينصفه من ظالمه ، وللمستعين على إزالة المنكر إلى من يرجو قدرته على إزالته ، وللمستفتى كقوله : ظلمني أبي أو زوجي بكذا فما ترى فيه ؟ وللتعريف فيذكره بلقبه كالأعرج والأقرع والحداد والإسكاف ، ناوياً التعريف لاغير ، ولتحذير المسلمين من الشرك ، قال ﷺ : « أترعون عن ذكر الفاجر ؟ متى يعرفه الناس ؟ اذكروا الفاجر بما فيه يحذره الناس » وذلك كمن استشارك فى معاملة شخص أو مصاهرته يجب أن تذكر ما تعلمه منه على وجه النصح إن لم يحصل الغرض إلا بصريح ذلك . وكبيان عيب السلعة إن لم يعلمه المشترى ، وكجرح المجروح من الرواة والشهود ، فيجب كل ذلك ، وكما إذا أنت رأيت من له نيابة لا يقوم بها على وجهها يجب ذكر ذلك لمن له عليه زاية أوولاية عامة ليزيله ، أو يعلم ذلك منه فيعامله بمقتضى حاله ولا يغتر به ، أو رأيت من يأخـــذ العلم من مبتدع أو فاسق وخفت تضرره بذلك ، وجب بيان حاله بقصد النصح فى كل ذلك .

﴿ فصل ﴾ ويحرم أيضاً أن تحدث نفسك بمساوى مسلم ، وأن تسىء الظن به وتعقد عليه قلبك . قال ﷺ : « إن الله حرم من المسلم دمه وماله وأن تسىء الظن به » وقال ﷺ : « إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث ، ولا تجسسوا ، ولا تنافسوا ، ولا تحاسدوا ، ولا تباغضوا ولا تدابروا ، وكونوا عباد الله إخواناً كما أمركم الله ، المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره ، التقوى هاهنا — وأشار إلى صدره ثلاثاً — بحسب امرىء من الشر أن يحقر أخاه المسلم ، كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه ، إن الله لا ينظر إلى أجسادكم ولا إلى صوركم ولا إلى أعمالكم ، ولكن ينظر إلى قلوبكم » .

قلت : وما أحسن فوائد هذا الحديث ، وما أحسن قول المتنبي في الظن :

إذا ساء فعل المرء ساءت ظنونه   وصدق ما يعتاده من توهم
وعادى محبيه بقول عداته   فأصبح في ليل من الشك مظلم

وقال ﷺ : « من ساء الظن بأخيه فقد أساء بربه » . وقال ﷺ : « حسن الظن من حسن العبادة » . وقال أبو داود : يريد أن تحسن الظن بالناس وتلتمس لهم المخارج . وقال صلى الله عليه وسلم : « إذا ظننت فلا تحقق » وقول عمر : احتجزوا من الناس بسوء الظن ، أي لا تثقوا بكل أحد فإنه أسلم لكم ، كما قال ﷺ : « الحزم سوء الظن ، والثقة بكل أحد عجز » .

وقال الجنيد : معناه أسيئوا الظن بأنفسكم تسلموا من الناس ، وقال الله تعالى : (إن بعض الظن إثم) ، قال سفيان : الإثم هو أن تظن ظناً وتتكلم به . قلت : وتحققه . فأما الخواطر وحديث النفس بالغيبة والكفر وغير ذلك مالك ما لم يستقر ويستمر عليه صاحبه — فعفو عنه باتفاق العلماء .

قال ﷺ : « إن الله تعالى تجاوز لأمتي عما تحدثت به أنفسها مالم تتكلم به أو تعمل » لكن يجب دفع الخاطر بالإعراض عنه ، وذكر التأويلات الصارفة له عن ظاهره ، ومهما خطر لك سوء في مسلم فزد في إكرامه ، فإن ذلك يغيظ الشيطان ، ومهما عرفت هفوة مسلم بحجة لاشك فيها فانصحه في السر ، ولا يخدعنك الشيطان فيدعوك إلى اغتيابه . وذكره الغزالي رحمه الله وغيره .

فينبغي لكل بالغ عاقل حفظ لسانه إلا عن كلام تظهر فيه المصلحة ، ومتى استوى الكلام وتركه في المصلحة أوشك فيمسك عنه . وقال ﷺ : « من حفظ لسانه ستر الله عورته ، ومن كف غضبه كف الله عنه عذابه ،

ومن اعتذر إليه فى الدنيا قبل الله معذرته فى الآخرة ، قال الحكيم الترمذى : إن الله تعالى بكرمه ولطفه ، يقبل من المعتذر صادقاً كان أو كاذباً .

الخطر الثالث عشر : النميمة وهى كبيرة ، قال الله تعالى : (هماز مشاء بنميم) . وقال ﷺ : « لايدخل الجنة نمام » . وقال ﷺ : « من مشى بالنميمة قطع له نعلان من نار يغلى منهما دماغه وأكثر عذاب القبر من النميمة ، والبول ، والخيانة . وهى إفشاء السر وهتك الستر عما يكره كشفه ، سواء كرهه المنقول عنه أوالمنقول إليه أوغيرهما ، سواء كان الكشف بالقول أو الكتب أو الرمز أو نحوه ، سواء كان المنقول عملا أوقولا عيباً أوغير عيب ، حتى لو رآه يخفى مال نفسه فذكره فهو نميمة .

فينبغى لكل أحد أن يسكت عما يراه من أحوال الناس إلا ما فى حكايته فائدة لمسلم أو دفع معصية . قال ﷺ : « ما من مسلم يريد لمسلم فضيحة إلا فضحه الله فى الدنيا والآخرة ، ومن شيع فاحشة على مسلم عذبه الله فى الدنيا والآخره ، وذلك قوله تعالى : (إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة فى الذين آمنوا لهم عذاب أليم فى الدنيا والآخرة) وشر خلق الله فى عباده أبصرهم بعيوب الناس . وقال ﷺ : « لاتتبعوا عورات المسلمين فإنه من تتبع عورة أخيه المسلم تتبع الله عورته ، ومن تتبع الله عورته يفضحه ولو فى جوف رحله ، وقال ﷺ : « من أشاع على مسلم عورة يشينه بها بغير حق شانه الله بها يوم القيامة فى النار ، وقال ﷺ : « من أشاع فاحشة فهو مثل من أبداها » — أى فهو كفاعلها لإشاعته إياها — وقال ﷺ : « اغفر الذنب واستر العيب يفعل الله لك ذلك ، وقال ﷺ : لا يستر عبد عبداً فى الدنيا إلا ستره الله فى الآخرة ، وقال ﷺ : « إنما يتجالس المتجالسان بأمانة الله ، ولايحـــل لأحدهما أن يفشى لصاحبه ما يكره » .

وقال ﷺ : « إذا حدث الرجل الحديث ثم التفت فهو أمانة » وقال صلى الله عليه وسلم : « إن أحبكم إلى الله أحاسنكم أخلاقاً ، الموطئون أكنافاً ، الذين يألفون ويؤلفون ، وإن أبغضكم إلى الله المشاؤن بالنميمة الملتمسون لهم العثرات ، المفرقون بين الأحباب » .

ويروى أن الله تعالى قال لموسى : لا تتعرض لهتك ستر مسلم بما قد صنع ، فإني أهتك ستر من لا يستر الناس . ويروى أن موسى قال : يارب أي عبادك أقبل ؟ قال : من إذا رأى سيئة أفشاها . قال ﷺ : « من استمع إلى حديث قوم وهم له كارهون صب فى أذنيه الآنك يوم القيامة » .

﴿ فصل ﴾ وهنا أذكر الأمر بالمعروف وهو واجب الشرع ، والنهى عن المنكر وهو محرمه ، وذلك واجب على آحاد المسلمين ، قال الله تعالى : (وأمر بالمعروف وأنهى عن المنكر) الآية وقال فى قوم جعل منهم القردة والخنازير (كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه) الآية . وقال ﷺ : « مروا بالمعروف وانهوا عن المنكر قبل أن تدعوا فلا يستجاب لكم » . وقال صلى الله عليه وسلم : « إذا عظمت أمتى الدنيا نزعت منها هيبة الإسلام ، وإذا تركت الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر حرمت بركة الوحى ، وإذا تسابت أمتى سقطت من أعين الله » .

وقال ﷺ : « إذا رأوا المنكر ولم يغيروه أوشك أن يعمهم الله بعقاب منه » وقال الله تعالى فى قوم نهوا فلم ينتهوا : (فلما نسوا ما ذكروا به أنجينا الذين ينهون عن السوء وأخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس(١) بما كانوا يفسقون) فذكر أنه أنجى الآمرين بالمعروف وأهلك الآخرين .

وقال أبو الدرداء رضى الله عنه : لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن

---

(١) أى شديد .

المنكر أو ليسلطن الله عليكم سلطاناً ظالماً لا يجل كبيركم ولا يرحم صغيركم ، وتدعون عليه فلا يستجاب لكم ، وتنتصرون فلا تنصرون ، وتستغفرون فلا يغفر لكم .

ولا يسقط بكونه يظن أنه لا يفيد ، أو يعلم بالعادة أن كلامه لا يؤثر ، ولا يكون المأمور أجل من الآمر وأفضل. ولا يشترط كونه ممتثلا ما يأمر به، مجتنباً ما ينهى عنه ، بل عليه الأمر والنهى فى حق نفسه وحق غـــيره ، فإن أخل بأحدهما لم يجز الإخلال بالآخر . قال ﷺ : « مروا بالمعروف وإن لم تفعلوا به كله . وانهوا عن المنكر وإن لم تنتهوا عنه كله » وأما قوله تعالى : (عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم) فالمراد بالاهتداء امتثال أمره تعالى . ومنه الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، فإنما يأمر وينهى من كان عالماً بما يأمر به وينهى ، فإن كان من الواجبات المشهورة كالصلاة والصوم ، أو المحرمات المشهورات كالزنا والسرقة ، فكل المسلمين علماء بهما ، وإن كان من دقائق الأقوال والأفعال وما يتعلق بالاجتهاد فذلك للعلماء ومن أعلموه. ولا ينكر إلا ما أجمع العلماء على إنكاره لا ما اختلف فيه ، ويغيره بكل وجه أمكنه ، ولا يكفى الوعظ لمن أمكنه إزالته باليد ، ولا تكفى كراهة القلب لمن قدر على النهى باللسان .

وينبغى أن يرفق فى التغيير بالجاهل والظالم الذى يخاف منه ، فإن لم يمكنه الاستقلال استعان إن قدر، ما لم يؤد إلى إظهار حرب أو سلاح، فإن عجز رفع إلى صاحب الشرطة ، فإن عجز عن ذلك كله كرهه بقلبه ، وذلك أضعف الإيمان .

وليس له البحث والتجسس واقتحام الدور بالظنون، بل إن رأى شيئاً غيره إلا أن يكون فيه هتك حرمة يفوت تداركها بأن يخبره ثقة أن رجلا اختلى بآخر ليقتله، أو بامرأة ليزنى بها ، فيجوز حينئذ التجسس والإقدام على الإنكار ، ولا يسقط الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر إلا بأن

يخاف على نفسه أو ماله ، أو يخاف الاستخفاف بجاهه بوجه يقدح في مروءته ، أو يخاف على نفسه مفسدة أعظم من مفسدة المنكر الواقع .

روى الخطابي بإسناده : أن النبي ﷺ قال : « إن الله عز شأنه يسأل العبد حتى يقول : ما منعك إذا رأيت المنكر في الدنيا أن تنكره ، فإذا لقن الله عبداً حجته قال يا رب رجوتك في وخفت الناس » .

قال : فعلى هذا لا يخرج المرء إن شاء الله إذا ترك الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، إذا خاف عاديتهم ولم يأمن بوائقهم ، ما دام كارهاً لفعلهم بقلبه مصارماً لهم بعزمه .

قلت : ويجوز بل يستحب التبرؤ من أهل البدع والمعاصي ، ودليله في الصحيحين مشهور ، ومن أحب عمل قوم خيراً كان أو شراً فهو كمن عمله .

الخطر الرابع عشر : كلام ذى اللسانين ، وهو أن يتردد بين المتعادين ويتكلم كل واحد منهما بما يوافقه لغير الإصلاح . قال الغزالي : وذلك عين النفاق .

قال ﷺ : « من كان له وجهان في الدنيا كان له لسانان من نار يوم القيامة » وروى : شر عباد الله ذو الوجهين الذى يأتى هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه . وقال ﷺ : « كبرت خيانة أن تحدث أخاك حديثاً هو لك مصدق وأنت له به كاذب » وقال الجنيد رحمه الله : إن المؤمن من تلقاه الزمان بعد الزمان بأمر واحد ، ووجه واحد ، ونصيحة واحدة ، وإنما يتبدل المنافق ليستأكل كل قوم ويسعى مع كل ريح .

وأما ماروى أن رجلا استأذن النبي صلى الله عليه وسلم فقال: « إيذنوا له ، بئس أخو العشيرة هو » فلما دخل عليه انطلق في وجهه وانبسط إليه ،

فإن هذا منه ﷺ من باب المداراة والتأليف إلى الخير، لا من باب النفاق وكان قوله « بئس أخو العشيرة » بياناً لحاله وتحذيراً منه ، لئلا يغتر به .

وقول أبي الدرداء : إنا لنكشر في وجوه قوم وإن قلوبنا لتلعنهم ، محمول على ذلك ، وكذا قول ابن مسعود : خالط الناس وزايلهم ودينك لا تكلمنه والله أعلم .

والخطر الخامس عشر : المدح قال الله تعالى : (فلا تزكوا أنفسكم) الآية . وقال ﷺ : « إذا رأيتم المداحين فاحثوا في وجوههم التراب » ، ومدح رجل آخر عند النبي صلى الله عليه وسلم : فقال له : « ويحك قطعت عنق أخيك أو صاحبك ولو سمعها ما أفلح » . وقال صلى الله عليه وسلم : « إذا مدح الفاسق اهتز العرش » . وقال ﷺ : إياكم والمدح فإنه الذبح » .

لكن إذا لم يجازف ولم يدخل في حد الكذب وكان في غيبة الممدوح فلا بأس به وهو يزيد في المحبة ، وإن ترتبت عليه مصلحة ولم يجر إلى مفسدة بأن يبلغ الممدوح فيفتتن ونحوه مستحب . وأما المدح في الوجه : فإن كان الممدوح كامل الإيمان حسن اليقين والرياضة ، ذا معرفة تامة بحيث لا يفتتن ولا يغتر فلا بأس به ، وإن خيف شيء من ذلك كره ، وأما مدح النفس فإن ذكره للافتخار وإظهـــار الارتفاع والتميز على الأقران ونحوه كره ، وإن كان في ذكره مصلحة دينية بأن يكون آمراً أو ناهياً أو مشيراً بمصلحة أو معلماً أو مصلحاً ، أو بدفع عن نفسه شراً ونحوه فلا بأس به ، فيذكر محاسنه ناوياً أن يكون هذا أقرب إلى قبول قوله ونحوه . وقيل لبعض الحكماء ما الصدق القبيح ؟ قال : ثناء المرء على نفسه .

الخطر السادس عشر : الإفساد والتحريش : قال ﷺ : « ليس منا

من حبب امرأة على زوجها ، أو عبداً على سيده — أى أفسده — فيحرم أن تحدث عبد غيرك أو زوجته أو ابنه أو خادمه ونحوه بما يفسدهم عليه إذا لم يكن أمراً بمعروف أو نهياً عن منكر . وقال صلى الله عليه وسلم : « لا يبلغنى أحد من أصحابى عن أحد شيئاً ، فإنى أحب أن أخرج إليكم وأنا سليم الصدر » . وقال ﷺ : « إذا ابتغى الأمير الريبة فى الناس أفسدهم » وقد نهى صلى الله عليه وسلم عن التحريش بين البهائم ، وهو الإغراء بينهن حتى يتقاتلن ، فما ظنك بالآدميين ؟ وقال قتادة والحسن : إن من الجن شياطين ، ومن الإنس شياطين ، وإن شيطان الجن إذا أغوى المؤمن وعجز عن إغوائه ذهب إلى متمرد من الإنس — وهو شيطان الإنس — فأغراه بالمؤمن ليفتنه فلا يغرى إلا شيطان .

الخطر السابع عشر : سب المسلم وإذاؤه وهو حرام . قال النووى رحمه الله : ويحرم أن يقال : لمسلم يا كافر ، ويا عدو الله ، وأن يدعى عليه بسلب الإيمان ونحوه قال الله تعالى : (والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتاناً وإثماً مبيناً) . وقال ﷺ : « لا يرمى رجل رجلا بالفسوق ، ولا يرميه بالكفر ، إلا ارتدت عليه إن لم يكن صاحبه كذلك » . وقال صلى الله عليه وسلم : « من دعا رجلا بالكفر ، أو قال يا عدو الله وليس كذلك ، إلا حار عليه » . وقال صلى الله عليه وسلم : « سبابُ المسلم فسوق ، وقتاله كفر » وقال ﷺ : « سباب المؤمن كالمشرف على الهلكة » ، وقال صلى الله عليه وسلم : « المتسابان ما قالا ، فعلى البادى منهما ما لم يعتد المظلوم » وقال صلى الله عليه وسلم : « ما من مسلمين إلا وبينهما ستر من عباد الله عز وجل ، فإذا قال أحدهما لصاحبه كلمة هجر خرق ستر الله تعالى » . وقال ﷺ : « من آذى مؤمناً فقيراً بغير حق فكأنما هدم الكعبة عشر مرات ، وكأنما قتل ألف ملك من المقربين

وقال صلى الله عليه وسلم : « إذا كنتم ثلاثة فلا يتناج اثنان دون صاحبهما فإن ذلك يؤذي المؤمن والله يكره أذى المؤمن » .

قال بعض العلماء : فإن كانوا أكثر من ثلاثة فلا بأس بالمسارة ، فقد سار رسول الله ﷺ فاطمة بحضرة جميع أزواجه . وقال لأبي بكر حين أراد أن يسر إليه « أخرج من عندك » فقال إنما هم أهلك ، فذكر حديث الهجرة . وقال صلى الله عليه وسلم : « لا يحل لمسلم أن يهد إلى أخيه بنظرة تؤذيه » . وقال ﷺ : « لا يحل لمسلم أن يروع مسلماً » وقال : « إن روعة المسلم عند الله عظيم » .

الخطر الثامن عشر : المن بالعطية : وهو حرام ، وقد تقدم بيانه في القسم الثامن . وقال ﷺ : « ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم » فقرأها ثلاث مرات . فقال أبو ذر : خابوا وخسروا ، من هم يارسول الله ؟ قال : « المسبل والمنان والمنفق سلعته بالحلف الكاذب » . وقال ﷺ : « لا يدخل الجنة : خب ، ولا بخيل ولا منان » .

الخطر التاسع عشر : شهادة الزور وهي كبيرة قال الله تعالى : (واجتنبوا قول الزور) . وقال ﷺ : « ألا أنبئكم بأكبر الكبائر » ثلاثاً ، قالوا بلى يا رسول الله ! قال : « الإشراك بالله تعالى . وعقوق الوالدين ، وقول الزور ، وشهادة الزور » قال الراوي : فما زال يكررها حتى قلنا ليته سكت ، وقال ﷺ : « عدلت شهادة الزور بالشرك بالله » وقال ﷺ : « شاهد الزور لن تزول قدماه حتى يتبوأ مقعده من النار . ويروى : « يبعث شاهد الزور يوم القيامة مدلعاً لسانه في النار » وقال صلى الله عليه وسلم : « من شهد شهادة ليستباح بها مال امرىء مسلم فقد استوجب النار » وقال ﷺ : « من كتم شهادة إذا دعي كان كمن شهد بالزور » وقال تعالى في الذين يظاهرون : (وإنهم ليقولون منكراً من القول وزوراً) .

ومن ذلك الطعن فى النسب الثابت فى ظاهر الشرع ، وقذف المحصن وذلك حرام . قال الله تعالى : (إن الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات لعنوا فى الدنيا والآخرة ولهم عذاب عظيم) الآيات ، وقال الله تعالى : (ومن يكسب خطيئة أو إثماً ثم يرمى به بريئاً فقد احتمل بهتاناً وإثماً مبيناً) .

وقال ﷺ : « قذف محصنة يحبط عمل مائة سنة » . وقال : « اثنتان فى الناس هما بهم كفر ، الطعن فى النسب ، والنياحة على الميت » . وقال ﷺ : « أيما امرأة أدخلت على قوم من ليس منهم فليست من الله فى شىء ولن يدخلها الله جنته ، وأيما رجل جحد ولده وهو ينظر إليه إلا احتجب الله عنه يوم القيامة وفضحه على رؤوس الخلائق فى الأولين والآخرين » وقول الله تعالى : (ولا تقف ما ليس لك به علم) معناه : لا تقل ما ليس لك به علم .

قال قتادة : لا تقل علمت ولم تعلم ، وسمعت ولم تسمع ، ورأيت ولم تر (إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا) . وفى هذا زجر عن النظر إلى ما لا يحل ، والاستماع إلى مايحرم ، وإرادة ما لا يجوز .

الخطر العشرون : الشعر : سئل النبى ﷺ فقال : « كلام حسنه حسن وقبيحه قبيح »[1] ويحرم هجو مسلم فيه ولو بما فيه ، والتجرد له ، والاقتصار عليه مذموم على كل حال ، قال ﷺ وقد عرض له شاعر ينشد شعراً : « لأن يمتلىء جوف أحدكم قيحاً خير له من أن يمتلىء شعراً » فما كان منه فى المواعظ والحكم وذكر نعم الله ، وصفة المتقين ، فهو حسن . وماكان

---

(١) فإن الشعر كالنثر يحمد حيث يحمد ويذم حيث يذم ، ولا بأس باستماع نشيد الأعراب ، وهو إنشاد الشعر من غير لحن ، فقد استنشد ﷺ الشريد من شعر أمية بن أبى الصلت كلما أنشده بيتاً قال ﷺ : هيه حتى أنشده مائة بيت .

من ذكر الأطلال والأزمان والأمم فهو مباح، وما كان من هجو وسخف لحرام، وما كان من وصف الخدود والقدود والشعور فهو مكروه، كذا فصله أبو النجيب السهروردى . وكثرة إنشاده وإنشائه حتى يترك به مهماته، أو يجعله مكسبة له نقص فى المروة ترد به الشهادة .

قال الوالد الفقيه موسى بن أحمد الوصابى رحمه الله : والغناء من غير آلة مطربة ممنوع منه شرعاً ، وقال فى البيان: هو مكروه ولا محرم ولا مباح، وقال مالك وأبو حنيفة وغيرهما : هو مباح . والشعر والرجز والهزج والنصب وجميع ضروب الشعر يسمى غناء إذا أخذ بلحن، أى طريقة . قال ﷺ : « ما من رجل يرفع صوته بالغناء إلا بعث الله إليه شيطانين ، أحدهما على هذا المنكب والآخر على هذا المنكب، يضربانه بأرجلهما حتى يكون هو الذى يسكت » .

قال فى الروضة : ويحرم الغناء بالآلة المطربة التى هى شعار شاربى الخمر، كالعود . والصنج ، والمعازف ، والأوتار ، والمزمار العراقى ، والشبابة ، والضرب بالصفارتين ، ولا يحرم من الطبول إلا المكوبة وهو طبل واسع الطرفين ضيق الوسط . وقال : وتكره أشعار المولدين المشتملة على الغزل والبطالة ، ويحرم التشبب بمعينة ولو بزوجته وأمته فى الأصح إذا ذكر ماحقه الإخفاء . ولا بأس للنساء بضرب الدف فى العرس والختان، ولو ذا جلاجل ، وفى غيرهما خلاف .

قلت : وكل ما حرم فعله أو قوله حرم القصد لاستماعه والنظر إليه ، ولا بأس أن ينشد على الأرجوحة ما يباح ، ولا بالحداء فى السير للسرعة وتنشيط النفوس وترويحها ، ذكره النووى ، ودلائله كثيرة . وعلى هذا مشايخ الصوفية بارك الله فيهم، يجتمعون وحدهم فى مكان فيقرأ أحدهم شيئاً من القرآن، ويحدوا حاديهم بذكر الجنة والنار والشوق إلى العزيز الغفار ،

فهذا القدر لمثلهم لا يقال بإنكار ، ذكره فى كتاب المعتمد ، ولا يبعد أن يقرب من ذلك ما يقوله المشتغلون بأعمالهم من ارتجازاتهم التى تزيد فى نشاطهم ، ويستدل لذلك بما روى فى الصحيحين عن البراء قال : كان رسول الله ﷺ : ينقل التراب يوم الخندق ويقول : « والله لولا الله ما اهتدينا . ولا تصدقنا ولا صلينا » إلى قوله :

« إذا أرادوا فتنة أبينا » يرفع بها صوته « أبينا أبينا » .

قال أنس : جعل المهاجرون والأنصار يحفرون الخندق ويقولون :

نحن الذين بايعوا محمدا   على الجهاد ما بقينا أبدا

فيجيبهم ﷺ :

اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة   فاغفر للأنصار والمهاجرة

وقال ﷺ — وقد زوجت جارية من الأنصار — « ألا أرسلتم معهم من يقول أتيناكم أتيناكم ، فحيانا وحياكم » ذكره ابن السنى .

الخطر الحادى والعشرون : الافتخار : قال ﷺ : « إن الله أوحى إلى أن تواضعوا حتى لا يفخر أحدكم على أحد ، ولا يبغى أحدكم(١) على أحد » . وقال ﷺ : « لينتهين أقوام يفتخرون بآبائهم الذين ماتوا ، إنما هم فحم من جهنم ، ليكونن أهون على الله من الجعل يدهده الخرأ بأنفه ، إن الله قد أذهب عنكم عتية(٢) الجاهلية وفخرها بالآباء ، إنما هو مؤمن تقى ، أو فاجر شقى ، الناس كلهم بنو آدم وآدم من تراب » .

الخطر الثانى والعشرون : ما هو ردة عن الإسلام يبيح الدم والمال ، ويحبط جميع الأعمال ، وذلك كأن أنكر الربوبية أو سخر باسم من أسماء

---

(١) فى ن : أحد على أحد .   (٢) قوله العتية بضم العين : وهو الكبر .

الله تعالى أو بأمره ، أو وعيده ، أو نسبه إلى الظلم ، أو قال : لو أمرني بكذا لم أفعل ، ولو صارت القبلة هذه الجهة ما صليت إليها ، ولو شهد الأنبياء والملائكة بكذا ما صدقتهم ، ولو كان فلان نبياً لم أؤمن به ، أو كذب رسولا أو سبه أو استخف به ، أو صغر عضواً من أعضائه على سبيل الاستهانة ، أو قال : إن كان ما قال الأنبياء صدقاً نجونا إذاً ، أو ادعى النبوة ، أو أنه يوحى إليه ، أو إنه يدخل الجنة ويأكل من ثمارها ، أو قال : كان النبي ﷺ أسوداً ، أو قال مات قبل أن يلتحى ، أو سأله كافر يريد الإسلام أن يعلمه التوحيد ، فقال اصبر إلى آخر المجلس ، أو أشار عليه بأن لا يسلم ، أو أشار على مسلم بأن يرتد ، أو كذب المؤذن(١) ، أو قال قصعة ثريد خير من العلم ، أو قال اليهود خير من المسلمين ، أو قال القرآن غير معجز ، أو أنكر مكة أو الجنة أو النار أو البعث والحساب ، أو قال لا أخاف القيامة ، أو جحد آية من القرآن مجمعاً عليها ، أو زاد فيه كلمة أو اعتقد أنها منه ، أو قال الأئمة أفضل من الأنبياء ، أو لا أدري ما الإيمان . أو لم يكن أبو بكر من الصحابة ، أو تمنى أن لا يحرم الله الزنا ، وكل ما لم يكن حلالا في زمان ، أو قال لمسلم ياكافر بلا تأويل ، أو جحد مجمعاً عليه أو استحل حراماً بالإجماع ، فكل لفظة من هذه كفر تبيح القتل وتخلد في النار . فليحذر الإنسان من إطلاق لسانه في نحو ذلك لئلا يحبط عمله وهو لا يدري ، قال الله تعالى : (ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فأولئك حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) . وممن نص على أن ذلك كفر النووي رحمه الله في كتاب الروضة حاكياً عن العزيز .

الخطر الثالث والعشرون : في أشياء مجموعة منها ما يكره ، ومنها ما يحرم

---

(١) أي قال وهو يسمع المؤذن : إنه يكذب .

ومنها ما يباح ، وقال ﷺ : « لا يقل أحدكم ما شاء الله وشئت ، ولكن ليقل ما شاء الله ثم شئت » قال العلماء : ويكره أن يقال لولا الله وفلان لكان كذا ، أو أن يقول أعوذ بالله وبك ، ولكن ليقل ثم بك ، بلفظه ثم ، وقال ﷺ : « لا تقبحوا الوجه — أى لا تنسبوه إلى القبح — فإن الله أحسن كل شىء » وقيل : « لا تقولوا قبح الله وجهه » . وقال ﷺ « لا تسبوا الدهر فإن الله هو الدهر » . . وقال ﷺ : « إن أصابك شىء فلا تقل : لو أنى فعلت كذا كان كذا وكذا ، ولكن قل قدر الله ما شاء فعل ، فإن لو تفتح عمل الشيطان » . وقال ﷺ : « لا تقولوا المنافق يا سيد ، فإنه إن لم (١) يكن سيدكم فقد أسخطتم ربكم » .

قال العلماء : فإن كان المسود فاضلا لعلم أو صلاح ونحوه ، أو زوجاً ونحوه فلا بأس بأن يقال له : سيد والسيد ومولى والمولى وسيدى ومولاى وقال ﷺ : « لا يقل أحدكم أطعم ربك . واسق ربك ، وليقل سيدى ومولاى » قال العلماء : والرب لا يطلق إلا على الله خاصة ، فأما مع الإضافة فليقل رب المال ونحوه بلا كراهة . ويكره للمملوك أن يقول لمالكه يا ربى ، وقال ﷺ : « لا يقولن أحدكم عبدى وأمتى ، ولكن ليقل غلامى وجاريتى ، وفتاى وفتاتى » . وقال ﷺ : « لا يقولن أحدكم جشت نفسى ولا جاشت ، ولكن ليقل لعست(٢) » .

وقال ﷺ : « لا تسموا العنب الكرم ، فإن الكرم المسلم ، ولكن قولوا العنب والحبلة » . وقال ﷺ : « لا تسبوا الحمى فإنها تذهب خطايا بنى آدم كما يذهب الكير خبث الحديد » . وقال ﷺ : « لا تسبوا الديك ، فإنه يوقظ للصلاة » ويروى : « لا تسبوا البراغيث ، فإنها توقظ للصلاة » ونهى

---

(١) فى ن : بإسقاط لم .
(٢) قلت أو يقول : تبعثرت ، فهو فى حديث أبى هريرة .

عن سب الريح والإبل والأيام والشمس والقمر والنجوم ، ونهى عن السمر إلا لمصل أو مسافر . وقال ﷺ : « من سأل عرافاً لم تقبل له صلاة أربعين ليلة » .

قال النووى : ويجوز أن يذكر الإنسان من يتبعه من غلام وولد ومتعلم ونحوه باسم قبيح ليؤدبه ويزجره ، ويجوز لكل مؤدب أيضاً أن يقول لمن يخاطبه : ويلك ، أو يا ضعيف الحال ، أو ياظالم نفسه ، بحيث لا يتجاوز إلى الكذب ، ولا يكون فيه لفظ قذف كناية ولا تعريضاً ، ولو كان صادقاً فى ذلك . قال لا بأس بقولك للعالم والصالح : جعلنى الله فداك أبى وأمى ، وإن كانا مسلمين ، وأنا فداؤك .

ويكره أن يقال للرجل عند الغضب : اذكر الله ونحوه ، ويكره أن يسمى المحرم صفراً ، والعشاء عتمة ، والمغرب عشاء ، ولا يكره تسمية الصبح غداة ، ولا تسمية المغرب والعشاء عشاءين ، ويكره لمن صلى العشاء أن يتحدث بالحديث المباح فى غير هذا الوقت ، ولا بأس به فى الخير كمع الضيف ومذاكرة العلم أو مكارم الأخلاق . قال ويكره للعالم أن يحدث الناس بما لا يفهمونه . أو يخاف أن يحملوه على خلاف المراد به ، ويكره أن يقال فى المال المخرج فى طاعة الله كالحج والضيافة والختان والعرس خسرت أو غرمت أو ضيعت ، بل ينبغى أن يقول أنفقت ونحوه ، لأن تلك الألفاظ لا تستعمل إلا فى المعاصى .

وينبغى أن لا يقول لغيره : أنعم صباحاً ، وأنعم الله بك عيناً ، أو أنعم الله عينك ونحوه . ويكره أن يقول : نسيت آية كذا ، بل يقول أنسيتها أو أسقطتها ، ويكره أن يقال لمن أعاد القرآن خائض . أو هو يخوضه ونحوه ، لأن هذا اللفظ لا يستعمل إلا فى الباطل ، ولا بأس أن يقال رمضان للشهر وإن لم تدل قرينة على أنه الشهر فى الأصح . ولا بأس

بقوله سورة البقرة والعنكبوت ونحوه ، ولا بقوله هذه قراءة نافع أو أبي عمرو أو غيرهما ، ولا بقوله سمعت الله تعـــالى يقول ، ولا بتسمية الطواف شوطاً أو دوراً ، والأولى أن يقال طوفة أو طوفتان أو ثلاث، ولا بأس بأن يقول لولد غيره يا بنى أو يابنية ، قال النحاس : وكره بعض العلماء أن يقال : ما كان معى خلق إلا الله ، قال النووى رحمـــه الله : وينبغى أن يقول بدل ذلك ، ما كان معى أحد إلا الله .

قال البغوى فى شرح السنة : ولا بأس أن يسمى القائم بأمر المسلمين أمير المؤمنين أو الخليفة ، وإن كان مخالفاً لسيرة أئمة العدل . قال ويسمى أحد خلفة الله بعد آدم وداود ، وقال أبو الحسن الماوردى : فيقال الخليفة الإطلاق ، أو خليفة رسول الله ﷺ .

قال النووى : والصواب أن يقـال فى المكوس التى تؤخذ ممن يبيع ويشترى ونحوهما المكس ، أو ضريبة السلطان ونحوه . ولا يقال لذلك حق السلطان ونحوه ، مما يتضمن تسميته حقاً أو لازماً . قال بعض العلماء: من سمى هذا حقاً فهو كافر . قال النووى : والصحيح أنه لا يكفر بمجرد ذلك إلا إذا اعتقده حقا مع علمه بأنه ظـــلم ، قال ومن أقبح الألفاظ المذمومة ما يقول من يريد أن يحلف على شىء فيتورع عن قوله والله — كراهة الحنث أو تصونا عن الحلف ونحوه — فيقول الله يعلم ، أو علم الله ما كان كذا ولقد كان كذا ونحوه . قال النووى رحمه الله : وفى هذه العبارة خطر . فإن تيقن أن الأمر كما قال فلا بأس ، وإن شك فى ذلك فهو من أقبح القبائح ، لأنه تعرض على الكذب على الله سبحانه وتعالى كفر ، وفيه دقيقة أقبح ، وهو أنه تعرض لوصف الله تعالى بأنه يعلم الأمر على خلاف ما هو ، وذلك لو تحقق كان كفراً .

قلت ونحو ذلك من يريد أن ينكر شيئاً فيقول ماسمع الله بهذا ونحوه.

﴿ فصل ﴾ وينبغى للعالم والمعلم والقاضى والمربى ونحوهم ممن يقتدى به أن يجتنب الأقوال والأفعال التى ظاهرها خلاف الصواب وإن كان محقا فيها ، لأنه إذا فعل ذلك ترتب عليه مفاسد منها توهم أن ذلك جائز على ظاهره بكل حال . ومنها وقوع الناس فيه واعتقادهم نقصه ، وإساءة الظن فيه فينفرون عنه وينفرون ، فإن احتاج إلى شىء من ذلك وكان محقا فى نفس الأمر لم يظهره ، فإن أظهره أو ظهر أو رأى مصلحة بإظهاره ، فينبغى أن يقول هذا الذى فعلته ليس بحرام وإنما فعلته لتعرفوا أنه إذا كان على هذا الوجه الذى فعلته عليه لم يحرم ، وهو كذا وكذا ودليله كذا وكذا . روى أن عليا رضى الله عنه شرب قائماً وقال رأيت النبى ﷺ فعل كما رأيتمونى فعلت .

ويسن للتلميذ إذا رأى من شيخه وغيره شيئا فى ظاهره مخالفة للمعروف أن يسأله بنية الاسترشاد ، حتى إن كان قد فعله ناسيا تداركه ، وإن كان عمداً وهو صحيح بينه له . ويسن لمن أراد أن يلقى على الناس وعظاً أو علماً أن يستنصتهم .

﴿ فصل ﴾ ويكره أن يقال مطرنا بنوء كذا ، وقال ﷺ : « ثلاث من أمر الجاهلية : الظن فى الأنساب ، والإنواء »(١) .

---

(١) أراد بالأنواء منازل القمر وهى ثمانية وعشرون نجما : السرطان ، والبطين والثريا ، والدبران ، والهقعة ، والهنعة ، والذراع ، والنثرة ، والطرف ، والجبهة ، والزبرة . والصرفة ، والعواء ، والسماك ، والغفر ، والزبانا ، والإكليل ، والقلب ، والشولة ، والنعائم ، والبلدة ، وسعد الذابح ، وسعد بلع ، وسعد السعود ، وسعد الأخبية . والفرع المقدم والفرع المؤخر ، وبطن الحوت . وهى معروفة المطالع فى أزمنة السنة كلها من الصيف والخريف والشتاء والربيع يسقط منها فى كل ثلاث عشرة ليلة نجم فى المغرب مع طلوع الفجر ويطلع آخر يقابله فى المشرق من ساعته وكلاهما معروف ، وانقضاء هذه الثمانية والعشرين كلها مع انقضاء السنة ، ثم يرجع الأمر إلى النجم الأول مع استئناف السنة المستقبلة ، كانت العرب إذا سقط =

فورد النهى عن ذلك بأحاديث كثيرة ، فمن قاله معتقداً أن الكوكب هو الفاعل كفر ، وإن قاله معتقداً أن الله هو الفاعل وأن النوء علامة لنزول المطر لم يكفر بل ارتكب مكروهاً لتلفظه بلفظ كانت الجاهلية تستعمله ، وقد نهينا عن استعمال ألفاظهم . قال ﷺ : « ليس منا من ضرب الخدود أو شق الجيوب ، أو دعا بدعوى الجاهلية » . وقال ﷺ : « من تعزى بعزاء الجاهلية فأعضوه بهن أبيه (١) » قال وأما الحديث الآخر : « من لم يتعز بعزى الإسلام فليس منا » فعزى الإسلام أن يقول يا للمسلمين .

﴿ فصل ﴾ واعلم أن التمنى نوعان ، أحدهما : محرم وهو أن يتمنى مال غيره أن يكون له ، ويخرج من صاحبه على جهة الحسد ، وهو المراد بقوله تعالى : (ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض) والثانى : مباح وهو أن يتمنى مثل ما لصاحبه من غير أن يحب زواله على صاحبه ، قال ﷺ : « إذا تمنى أحدكم فليكثر فإنما يسأل ربه (٢) » . وقال ﷺ : « ليت رجلا صالحاً يحرسنى الليلة » . وقال ﷺ : « وددت أن عندى خبزة بيضاء من برة سمراء ملبقة بسمن ولبن » وقال عمر لما ذكر عنده الجراد : وددت أن عندنا منه قفة أو قفتين ونحو ذلك كثير .

﴿ فصل ﴾ ويكره نعى الجاهلية ، وهو أن عادتهم كانت إذا مات منهم

= منها نجم وطلع منها آخر ، قالوا لابد عند ذلك من مطر ورياح ، فينسبون كل غيث يكون عند ذلك إلى ذلك النجم الساقط حينئذ ، وقال الأصمعى : إلى الطالع فيقولون مطرنا بنوء الثريا ونحوه .

(١) قال أبو عبيدة وهى الدعوى للقتال كقولهم يال فلان يا آل فلان .

(٢) قال أبو عبيد : لجعل التمنى هنا المسألة وهى الأمنية التى أذن فيها ، لأن القائل إذا قال ليت الله يرزقنى كذا ، فقد تمنى ذلك أن يكون له ، قال الله تعالى : ﴿ واسألوا الله من فضله ﴾ .

شريف بعثوا راكباً إلى القبائل يقول نعايا فلان «أو يانعايا العرب» أى هلكت العرب بهلك فلان ، ويكون مع النعى ضجيج وبكاء .

ويسن الإنذار بالميت وإشاعة موته بالنداء والإعلام ، سواء الغريب وغيره لما فيه من كثرة المصلين عليه والداعين له ، ذكره النووى .

ويكره الأنين وكثرة الشكوى للمريض ، قال ﷺ : «من إجلال الله ومعرفة حقه أن لا تشكو وجعك ، ولا تذكر مصيبتك» وقال : قال الله تعالى : «إذا ابتليت عبدى ببلاء فصبر، ولم يشكنى إلى العباد أبدلته لحماً خيراً من لحمه ، ودماً خيراً من دمه ، فإن أبرأته أبرأته ولا ذنب عليه ، وإن توفيته توفيته إلى رحمتى . وقال ﷺ : قال الله تعالى : (إذا وجهت إلى عبد من عبيدى مصيبة فى بدنه أو ماله أو ولده ، ثم استقبل ذلك بصبر جميل استحييت منه يوم القيامة أن أنصب له ميزاناً أو أنشر له ديواناً) . ويروى : «أنه من وعك يوما ولم يشك ربه سقى يوم الظمأ وخرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه ، وستر الله عليه فى الآخرة كما ستر بلاء الله عنده فى الدنيا» .

قال النووى : ولا بأس بقوله : أنا شديد الوجع ، أو موعوك ، أو وارأساه ونحو ذلك بلا كراهة، إذا لم يكن شىء من ذلك على وجه السخط وإظهار الجزع .

ويحرم الندب على الميت ، وهو تعديد شمائله كيا سيداه ، والنياحة عليه والصياح وراء الجنازة ، والدعاء بالويل والثبور . ويحرم الدعاء بالمغفرة للكفار أحياء وأمواتا .

ويستحب الدعاء بها لكل مسلم ، ويتأكد الدعاء بها لكل مسلم من والديه جميعاً ، فيدخل فيه كل من أسلم من آبائه وأجداده إلى آدم وحواء ،

وأدلة جميع ما ذكرته أكثر من أن تحصى ، ويحرم كل صوت رفيع ، وكل كلام يشعر بخلاف الانقياد لأمر الله تعالى ، ذكره فى البسيط .

﴿ فصل ﴾ واعلم أن المبالغة فى رفع الصوت مكروهة ولو بذكر الله تعالى إلا فى المواضع التى نص على الجهر فيها ، كالأذان والتلبية وتكبير العيدين ونحوهما . قال الله تعالى : (ادعو ربكم تضرعاً وخيفة ودون الجهر من القول) وقال تعالى : (ادعوا ربكم تضرعاً وخيفة إنه لايحب المعتدين) قال ابن جريج : من الاعتداء رفع الصوت بالدعاء والنداء والصياح ، وكانوا يؤمرون بالتضرع والاستكانة ومايسمع لهم صوت إلا كان همساً بينهم وبين ربهم . وقد ذكر الله عبداً صالحاً ورضى فعله فقال : (إذ نادى ربه نداء خفياً) وقال حاكيا عن قول لقمان لابنه : (واغضض من صوتك قال ابن عباس : اغضض من صوتك إذا دعوت وناجيت ربك . وكذا وصية الله تعالى فى الإنجيل لعيسى بن مريم . مر عبادى إذا دعونى يخفضوا أصواتهم فإنى أسمع وأعلم ما فى قلوبهم . وقال ﷺ : « خير الرزق ما يكفى وخـــير الرزق الذكر الخفى » . وقال ﷺ لأصحابه حين هللوا وكبروا وارتفعت أصواتهم : « اربعوا (١) بأنفسكم فإنكم لا تدعون أصم ولا غائباً إنه معكم سميع قريب » ، وقال ﷺ : « اذكروا الله ذكراً خاملا (٢) » . وقال الحسن : بين دعوة السر ودعوة العلانية سبعون ضعفا ولقد أدركنا أقواما ما كان على الأرض من عمل يقدرون أن يعملوه فى السر فيكون علانية أبداً .

﴿ فصل ﴾ فهذا ما وفق الله تعالى لذكره يفهمك إن شاء الله ما يغنيك عما لا يعنيك ، وهو قليل بالنسبة إلى ما ذكره العلماء فيه .

ويروى أن صبيين تخايرا إلى الحسن بن على أيهما أحسن خطاً ؟ فقال له

---

(١) أى ارفقوا . (٢) أى خفياً .

أبوه احذر يا بنى فإن الله سائلك عن هذا . ولما سئل ابن عباس عمن طلق زوجته ألفاً . قال ثلاث تحرمها ، وما بقى عليه وزره . فإذا كان مثل هذا يأثم فيه ، فكيف بما يضر مسلماً أو يؤذيه ، لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم، فاجتنب من هذه الأخطار وما استطعت لتربح أجراً كثيراً . قال ابن مسعود رضى الله عنه : ما من شىء أحق بطول السجن من اللسان .

ويروى أنه اجتمع قيس بن ساعدة وأكثم بن صيفى ، فقال أحدهما لصاحبه : ما وجدت فى ابن آدم من العيوب؟ قال هى أكثر من أن تحصى والذى أحصيته ثمانية آلاف عيب . ووجدت خصلة إن استعملها سترت العيوب كلها وهى حفظ اللسان .

وقال ﷺ : « وهل يكب الناس على وجوههم إلا حصائد ألسنتهم » . وقال ﷺ : « إن الله عند لسان كل قائل ويده » .

وقال الفضيل : من عد كلامه من عمله ، قل كلامه فيما لا يعنيه . وقال ابن عباس فى تفسير قوله تعالى : « واستفزز من استطعت منهم بصوتك » ، قال : كل متكلم فى غير ذات الله تعالى فهو صوت شيطان . وقال فى المهذب والبيان : الحدث حدثان ، حدث الفرج وحدث اللسان ، وأشدهما حدث اللسان .

قال فى المهذب : والمستحب أن يتوضأ من الكلام القبيح فانظر كيف شبهوا ما يخرج من الفم مما لا خير فيه ، بالنتن الذى يخرج من الفرج ، فإن استطعت أن لا تخرج جيفة تؤذى بها الناس فافعل .

واعلم أنك لا تسلم من هذه الأخطار إلا بالعزلة وترك الخلطة ، فقد بان لك بما قررته وهذبته وأوضحته أن فى الصمت جماع كل الخير ، وحرزاً من الشيطان ، وأماناً من غضب الرحمن ، وتحبباً إلى الإخوان ، وزيادة فى الأرزاق ، وهو من آداب الحضرة وتهذيب الأخلاق ، ويكره صمت يوم إلى الليل عن الخير أو بعض يوم يقصده . والله أعلم .

القسم السابع عشر : التبكير فى طلب العلم والرزق ، واختيار الأيام .
وعن صخر الغامدى قال : قال رسول الله ﷺ : « اللهم بارك لأمتى فى بكورها » ويروى : « فى يوم سبتها وخميسها » ويروى :« واثنينها» أيضاً وكان صخر تاجراً ، فكان يبعث تجارته أول النهار فأثرى وكثر ماله.
قال الترمذى : وفى الباب عن على وابن مسعود وابن عباس رضى الله عنهم وابن عمر وبريدة وأنس وجابر رضى الله عنهم قال ﷺ :« باكروا فى طلب الرزق ، فإن الغدوة بركة ونجاح ، وقال ﷺ : « سافروا يوم الاثنين فإنه نجاح » وقال ﷺ ، « من غدا يوم السبت فى طلب حاجة يحل طلبها ، فأنا ضامن قضاءها » . وقال ﷺ : « اطلبوا العلم فى كل يوم اثنين ، فإنه لطالبه » ويروى : « كل اثنين وخميس » ويروى : « تبركوا بيوم الأحد ، فإنه اسم من أسماء الله تعالى » ويروى : « ما من شىء بدىء فى يوم الأربعاء إلا وتم » .

القسم الثامن عشر : التزوج قال الله تعالى : (وانكحوا الأيامى منكم والصالحين من عبادكم وإمائكم إن يكونوا فقراء يغنيهم الله من فضله) الآية وقال ﷺ : « ثلاثة حق الله عونهم : المكاتب يريد الأداء والناكح يريد العفاف ، والمجاهد فى سبيل الله تعالى » وقال ﷺ : « عليكم بالتزويج ، فإنه يجلب الرزق » ويروى : « التمسوا الرزق بالنكاح » . وقال ﷺ : « ومن تزوج امرأة ليعف بها عن فرجه أو يصل بها رحماً ، كفاه الله تعالى همّ آخرته ودنياه ، ومن تزوج امرأة لغناها أفقره الله ، ومن تزوج امرأة ليعز بها ، أذله الله تعالى » وقال ﷺ : « من ترك النكاح مخافة العيال فليس منا ، ويوكل الله به ملكين يكتبان بين عينيه يا مضيع سنة الله أبشر بقلة رزق الله » . وقال ﷺ : « ركعة من متأهل ، خير من سبعين ركعة من أعزب » . وقال ﷺ : « مسكين مسكين رجل بلا امرأة وإن كان غنياً »

مسكينة مسكينة امرأة بلا زوج وإن كانت غنية » . ويروى أن رجلا أتى النبي ﷺ فشكا إليه الحاجة ، فقال ﷺ : « عليك بالباءة » . وجاء رجل إلى أبي بكر رضي الله عنه بعد النبي ﷺ فشكا إليه الحاجة . فقال عليك بالباءة . وكذا قال عمر رضي الله عنه لرجل آخر ، وكذا قال عثمان لرجل آخر .

﴿ فصل ﴾ : وتزوج البكر الولود أولى لقوله ﷺ : « عليكم بالأبكار فإنهن أعذب أفواهاً ، وأنتق أرحاماً ، وأرضى باليسير» ويروى : «وأثبت مودة » ويروى : وأعز أخلاقاً » . وقال ﷺ : « تزوجوا الودود الولود فإني أباهي بكم الأمم يوم القيامة حتى بالقسط » . وقال ﷺ : « سوداء ولود ، خير من حسناء لا تلد » وقال ﷺ : « لحصير في ناحية البيت ، خير من حسناء لا تلد » وقال ﷺ : « اطلبوا الولد والتمسوه ، فإنه قرة العين وريحانة القلب . وإياكم والعجز والعقر » . وقال ﷺ : « لا خير في امرأة عقيم » .

ولم تزل العرب تكره من لا تلد . قال أبو صرد في عجوز بحضرة النبي ﷺ : والله ما فوها ببارد ، ولا ثديها بناهد ، ولا بطنها بوالد ، ولا زوجها بواجد ، ولا درها بماكد (١) ، فكل هذا حث أكيد على التماس الولد ، لأنه إن عاش فله رزق من الله تعالى ، قال الله فيهم : (نحن نرزقهم وإياكم) . ولعل والده يسعد به ، ولهذا قال ﷺ لرجل شكا إليه أخاه : « لا تعيبه لعلك به ترزق » . وقال ﷺ : « بيت لا صبيان فيه لا بركة فيه » . وقال ﷺ : « من كان له مال فليستكثر من العبيد ، فرب عبد قسم له من الرزق ما لم يقسم لمولاه » فالولد كذلك .

﴿ فصل ﴾ والولد خير في كل أحواله إن شاء الله تعالى . قال ﷺ :

---

(١) أي بدائم .

« بكاء الصبي في المهد أربعة أشهر توحيد ، وأربعة أشهر صلاة على نبيكم ﷺ ، وأربعة أشهر استغفار لأبويه ، وهو إن مات في صغره ، كان فرطاً لوالديه تثقل به موازينهما ، وإلى الجنة يقودهما » . قال ﷺ : « إن الطفل يجر أبويه بسرره إلى الجنة » ويروى : « إن الأطفال يجتمعون في موقف القيامة عند عرض الخلائق للحساب ، فيقال للملائكة اذهبوا بهم إلى الجنة فيقفون على بابها ، فيقال لهم مرحبا بذرارى المسلمين ، ادخلوا الجنة لاحساب عليكم ، فيقولون : ونذر (١) آباءنا وأمهاتنا ؟ فيقال إنهم ليسوا مثلكم لهم ذنوب يحاسبون عليها . فيتضاغون ويضجون على باب الجنة ضجة واحدة ويقولون : لا ندخل الجنة إلا مع آبائنا ، فيقول الله تعالى للملائكة تخللوا الجمع فخذوا بأيدى آبائهم وأمهاتهم فأدخلوهم معهم » .

وقال ﷺ : « لأن أقدم سقطاً أحب إلى من أن أخلف مائة فارس كلهم يقاتلون في سبيل الله » وهو إن عاش فما اكتسب من حسنة شاركه الوالد في ثوابها . روى الثعالبي أن النبي ﷺ قال : « خير الناس وخير من يمشى على جديد الأرض المعلمون ، كلما خلق الدين جددوه ، أعطوهم ولا تستأجروهم فتحرجوهم ، فإن المعلم إذا قال للصبي : قل بسم الله ، فقال الصبي بسم الله ، كتب الله براءة للصبي وبراءة لأبويه وبراءة للمعلم من النار » .

وقال ﷺ : « المولود حتى يبلغ الحنث ما ترك من حسنة كتبت لوالديه ، فإن عمل من سيئة لم تكتب عليه ولا على والديه ، فإذا بلغ الحنث وجرى عليه القلم أمر الله الملكين اللذين معه يحفظانه ويسددانه ، فإذا بلغ أربعين سنة في الإسلام أمنه الله من البلايا الثلاث ، من الجنون ، والجذام ، والبرص ، فإذا بلغ ستين سنة رزقه الله الإنابة إليه فيما يحب ،

---

(١) ن : أين آباؤنا إلخ .

فإذا بلغ سبعين سنة أحبه أهل السماء ، فإذا بلغ ثمانين سنة كتب الله حسناته وتجاوز عن سيئاته ، فإذا بلغ تسعين سنة غفر الله ما تقدم من ذنبه وما تأخر وشفعه فى أهل بيته وكان اسمه أمير الله فى أرضه(١) ، فإذا بلغ أرذل العمر كتب الله له مثل ما كان يعمل فى صحته من الخير ، وإن عمل سيئة لم تكتب عليه » رواه الواحدى والحكيم الترمذى بإسنادهما . وغيرهما : فإذا شب الطفل ووحد الله وقرأ وصلى كان ذلك زيادة فضل .

قال ﷺ : « من قرأ القرآن وعمل بما فيه ألبس والداه تاجاً يوم القيامة ضوءه أحسن من ضوء الشمس » وقال ﷺ : «من استظهر القرآن خفف الله عن أبويه العذاب وإن كانا كافرين » . قال ﷺ : « من رفع كتاباً من الأرض فيه اسم من أسماء الله تعالى ، رفع الله اسمه فى عليين وخفف عن أبويه العذاب وإن كانا كافرين » . وقال ﷺ : « إن القوم ليبعث الله عليهم العذاب حتما مقضياً ، فيقرأ صبى من صبيانهم فى الكتاب فاتحة الكتاب الحمد لله رب العالمين ، فيسمعه الله تعالى ويرفع عنهم بذلك العذاب أربعين سنة » وقال ﷺ : « إذا أفصح أولادكم فلقنوهم لا إله إلا الله ، ثم لا تبالوا متى ماتوا » وقال ﷺ : « من ربى صبياً حتى يقول لا إله إلا الله لم يحاسبه الله » . وقال : « إذا نظر الوالد إلى ولده فسره ، كان للوالد بكل نظرة عتق نسمة . وقال ﷺ : « من هلك من أمتى فخلف خلفاً يصلى صلاته ويقوم قيامه فلم يمت » وأما قوله تعـالى : (إن من أزواجكم وأولادكم عدواً لكم فاحذروهم) فالمراد به الولد الذى يدعو والده إلى الكفر والضلالة وترك الهجرة ، كذا قاله المفسرون . ثم إذا مات والده ودعا له نفعه ذلك ، قال ﷺ : « إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث : صدقة جارية ، أو علم ينتفع به ، أو ولد صالح يدعو له » .

---

(١) وفى ن : فى الأرض .

قال الغزالى فى وسيطه : وليست الصدقة الجارية إلا الوقف . وقال ابن المسيب : إن الرجل ليرفع بدعاء ولده من بعده ، وقال بيده نحو السماء يرفعها ، ويروى مرفوعاً .

﴿ فصل ﴾ والمرأة اليسيرة المهر أولى ، قال ﷺ : « إن أعظم النساء بركة أحسنهن وجوهاً وأرخصهن مهوراً » ، وقال ﷺ : « من بركة المرأة سرعة تزويجها ، وسرعة رحمها — يعنى الولادة — ويسر مهرها » . وقال ﷺ : « البركة المرأة والفرس والدار » رواه الحميدى . ويروى : « فيمن المرأة : قلة مهرها وحسن خلقها وكثرة ولدها ، وفى الفرس : رخصها وقلة عللها وكثرة نسلها ، وفى الدار : رخصها وسعتها وصلاح جيرانها » ويروى « الشؤم فى ثلاثة » وذكر هذا ، وهو إذا كانت بالضد ، فينبغى أن لا ينقص الصداق عن عشرة دراهم ولا يزيد عن خمسمائة درهم قفلة » . وقال ﷺ : « تزوجوا الزرق ، فإن فيهن يمناً » وقال ﷺ : « إذا أراد أحدكم أن يتزوج امرأة فليسأل عن شعرها كما يسأل عن وجهها ، فإن الشعر أحد الجمالين » وقال : « إنما النساء لعب ، فإذا اتخذ أحدكم لعبته فليستحسنها » وقال ﷺ : « إياكم وخضراء الدمن » ، وقال ﷺ : « إياكم والزنج ، فإنه خلق مشوه » وقال ﷺ : « تخيروا لنطفكم » وغير القريبة أولى لقوله ﷺ : « لا تنكحوا القرابة القريبـــة فإن الولد يخلق ضاوياً أى نحيفاً » ويروى : « اغتربوا ولا تضووا(١) » وقال : هاجروا تورثوا أبناءكم مجداً(٢) » . وقال ﷺ : « من تزوج من بلدة فهو من أهلها » قال النووى : وقرابته غير القريبة أولى من الأجنبية ، وذات الدين أولى ، وذات الجمال والعقل أولى .

---

(١) أى انكحوا فى الغرائب ، فإن ولد الغريبة أنجب وأقوى ، وأولاد القريب أضوى أى أضعف . وقال عمر يا بنى السائب قد أضويتم فانكحوا فى الغرائب . ونحوه عن على رضى الله عنه .

(٢) أى تزوجوا من غير قبيلتكم .

وندب أن لا يزيد على امرأة من غير حاجة ظاهرة ، وأن لا يتزوج من معها ولد من غيره من غير مصلحة ، وأن لا يتزوجها إلا بعد بلوغها إن لم يكن حاجة ومصلحة ، وبعـــد النظر إليها ليكون أحرى أن يؤدم بينهما .

ويسن لأرحام المرأة زيارتها يوم ثامن زفافها فقد زوج ابن المسيب بنته من أبي هريرة فحملها هو بنفسه إليه ليلا، فلما أدخلها من الباب انصرف ثم جاء بعد سبعة أيام فسلم عليها . ويسن لهم أن يبعثوا إليها بهدية يوم ثاني زفافها والله أعلم .

القسم التاسع عشر : إكثار حمد الله تعالى وشكره . قال الله تعالى : (لئن شكرتم لأزيدنكم) . وقال ﷺ : « لا يرزق الله العبد الشكر فيحرمه الزيادة » . وقال ﷺ : « ما أنعم الله على عبد من نعمة صغرت أو كبرت فقال الحمد لله ، إلا كان قد أعطى أفضل مما أخذه » . وقال ﷺ: « أول من يدعى إلى الجنة الحامدون الذين يحمدون الله في السراء والضراء » . وفي صحيح مسلم أنه ﷺ قال: « إن الله ليرضى عن العبد يأكل الأكلة فيحمده عليها ويشرب الشربة فيحمده عليها » ويروى : « من عطس أو تجشأ فقال الحمد لله على كل حال دفع عنه سبعين داء أهونها الجذام » وقال ﷺ : « من ابتلى فصبر، وأعطى فشكر ، وظلم فغفر، وظلم فاستغفر أولئك لهم الأمن وهم مهتدون » وقال ﷺ : « الطاعم الشاكر، بمنزلة الصائم الصابر » . وقال: « من لا يشكر الناس لا يشكر الله، ومن يشكر القليل لا يشكر الكثير وإن حديثاً بنعمة الله شكر ، وإن السكوت عنه كفر » . وقال ﷺ : « أسرع الذنوب عند الله ، عقوبة كفران النعمة » وقال ﷺ : « إن الله

يحب أن يرى أثر نعمته على عبده » . وقال ﷺ : « من أعطى خيراً فلم ير عليه ، سمى بغيض الله ، محاربا لنعمة الله » .

﴿ فصل ﴾ وحقيقة الشكر أن تظهر فى قلبك الفرح بالله ، وبنعمته وفضله عليك ، ثم تخوض فى العمل بموجبه ، وذلك بالجوارح والقلب واللسان . أما الجوارح : فاستعمالها فى طاعة الله ، والتوقى من الاستعانة بنعمه على معاصيه .

فشكر العين : ستر كل عيب تراه من المؤمن ، وأن لا تنظر بها إلى المعاصى ، وقال ﷺ : « من نظر فى كتاب أخيه بغير إذنه ، فكأنما ينظر فى النار » وقال سفيان رحمه الله : النظر إلى وجه الظالم خطيئة .

وشكر الأذن : ستر كل ما تسمع من العيوب وأن لا تسمع بها إلا مباحا .

وشكر البطن : حفظه عن تناول الحرام والشبه .

وشكر اليد : الإعانة للمسلمين ، والتقوى بها على الدين ، وحفظها عن أن يضرب بها مسلماً ، أو يتناول بها حراماً ، أو يؤذى بها أحـــداً . أو يخون مسلماً فى أمانة أو وديعة ، أو يكتب بها ما لا يجوز النطق به ، فالقلم أحد اللسانين :

فلا تكتب بكفك غير شىء يسرك فى القيامة أن تراه

وتأمل قوله عليه السلام : « لا تمسح يدك بثوب من لا تكسوه » . وقوله ﷺ : « من أشار إلى أخيه بحديدة ، فإن الملائكة تلعنه حتى وإن كان أخاه لأبيه وأمه » . وقوله ﷺ : « لا يأخذن أحدكم عصا أخيه لاعباً ولا جاداً » . وقوله ﷺ : « من قتل عصفوراً عبثاً » . وقوله ﷺ : « كل مصور فى النار » ونهيه عن الحذف ونحوه .

وشكر الفرج : حفظه عما حرم الله من الزنا واللواطة ونحوه ،

ولا تصل إلى حفظه إلا بحفظ العين عن النظر ، والقلب عن الفكر ، والبطن عن الشبع .

والرجل : شكرها السعى إلى الطاعات والشفاعات والإعانة فى الحاجات وحفظها عن المشى إلى المحرمات وإلى أبواب الظلمة ، فإن المشى إليهم من غير ضرورة معصية ، فإنه تواضع لهم وإكرام ، وقد نهينا عنه . قال الثورى : من تبسم فى وجه ظالم أو وسع له فى مجلسه أو أناله من عطائه ، فقد قطع عرى الإسلام وكان من أعوانهم . وقال ﷺ : « ما ازداد أحد من السلطان قرباً إلا ازداد من الله بعداً » وقال حذيفة : اتقوا أبواب الأمراء ، فإنها مواقف الفتن . وقيل من شاركهم فى عز الدنيا شاركهم فى ذل الآخرة . وشاركهم فى ذل الدنيا أيضاً .

وقال ﷺ : « من اقترب من باب السلطان افتتن » فإن كان ذلك بسبب طلب أموالهم ، فهو سعى إلى حرام . وقد قال ﷺ : « من تواضع لغنى ذهب ثلثا دينه » وهذا فى غنى صالح ، فما ظنك فى الظالم ؟ اللهم إلا أن تقرب إليهم لمصلحة غيره فذلك لا بأس به ، فقد روى أن نبياً من الأنبياء كان يأخذ بركات الملك يتألفه بذلك لقضاء حوائج الناس. وقال ابن عطاء : لأن يراق الرجل سنين ليكتسب جاها يعيش فيه مؤمن أنجى له ، من أن يخلص العمل لنجاة نفسه . ولكن لا يصلح هذا إلا لعبد اطلع الله على باطنه أنه لارغبة له فى شىء من الجاه والمال ، ولو أن ملوك الأرض وقفوا فى خدمته ما طغى ولا استطال . وعلى الجملة فحركاتك وسكناتك بأعضائك نعمة من الله تعالى عليك، فشكرها استعمالها فى الطاعة وأن لا تحرك شيئاً منها فى معصيته .

﴿ فصل ﴾ وأما القلب فشكره دوام المراقبة ، وتخوفك من الله تعالى فإنه يراك ، والتفكر فى الملكوت وماخلق الله من شىء ، فقد قال ﷺ : « تفكر ساعة أفضل من عبادة سنة » وحسن ظنك بالله وبالمسلمين ،

ورحمتك لجميع الخلق ، واضمارك الخير لهم ، وحفظه عن الحسد والرياء والكبر والعجب . فالحسد هو أعظم من الشح ، لأن الشح هو البخل بما فى يده على غيره ، والحسود يبخل بنعمة الله على غيره وإن لم تحصل له . قال ﷺ : « الغل والحسد يأكلان الحسنات كما تأكل النار الحطب » .

والرياء هو طلب المنزلة فى القلوب لينال بها الجاه والحشمة ، وذلك من الهوى المتبع وفيه هلك الأكثرون . قال ﷺ : « ثلاث مهلكات : شح مطاع ، وهوى متبع ، وإعجاب المرء بنفسه » وكل ما يرائى به فى الدين فهو حرام . قال الغزالى رحمه الله : بل هو من الكبائر ، سواء كان فى البدن كإظهار التحول والحزن ، أو بالهيئة كالإطراق ، أو فى اللباس كلبس الخشن المرقعة ، أو بالقول كتحسين اللفظ ، أو بالعمل كتحسين الصلاة ، أو بكثرة الأصحاب ونحو ذلك فكله حرام . قال الغزالى : بل هو شرك لقوله ﷺ : « من صلى صلاة يرائى بها فقد أشرك ، ومن صام صوماً يرائى به فقد أشرك » .

وأما طلب المنزلة بغير عبادة فلا يحرم ما لم يكن فيه تلبيس كمن ينفق فى الضيافات وعلى الأغنياء ليعتقدوا سخاءه ، لا ليعتقدوا صلاحه وورعه ، فليس بحرام ، وكذا طلب الجاه للأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وإعزاز الدين ونصر المظلومين ، فجائز إن شاء الله تعالى .

وأما العجب والكبر فهو نظرك إلى نفسك بعين الاستعظام ، وإلى غيرك بعين الاحتقار ، والمتكبر هو الذى إن وعظ عنف ، وإن وعظ أنف ، وإن رد كلامه عليه استنكف ، قال ﷺ : « لا يدخل الجنة أحد فى قلبه مثقال حبة من خردل من كبر » رواه مسلم . وقال حاتم الأصم : لا يخرج المتكبر من الدنيا حتى يريه الله الهوان . قال الغزالى رحمه الله : وكل من يرى نفسه خيراً من أحد من خلق الله فهو متكبر ، بل ينبغى

أن يعلم أن الكبير والخير من هو كبير خير عند الله في الدار الآخرة ، وذلك غيب موقوف على الخاتمة . فشغلك بخوف سوء الخاتمة عن التكبر مع الشك أولى ، فرب كافر ختم له بخير فصار من الفائزين ، ومسلم ختم له بشر فعاد من الخاسرين .

قال الغزالي رحمه الله : ومن الكبر أن يحمل ما يجرى للناس بسببه ، فمن أذاه فمات أو مرض قال قد رأيتم ما فعل الله به ، ويقول عند الإيذاء سترون ما يجرى عليه ، ولم يعلم أن جماعة نالوا من الأنبياء عليهم السلام فعاشوا بلا انتقام ، وربما أسلم بعضهم فسعد في الدارين بالإسلام .

وأصل هذه الخصال حب الدنيا ، ولهذا قال ﷺ : «حب الدنيا رأس كل خطيئة ، فمن أخذها للتنعم فهي مهلكته ، ومن أخذها بقدر الضرورة ليستعين بها على الآخرة فهي مزرعته .

﴿ فصل ﴾ واللسان شكره ذكر الله تعالى ، وتلاوة كتابه ، وإرشاد الخلق إلى طريق الخير وطريق السلامة ، والدعاء لهم وحفظه من الآفات وقد تقدمت .

وأجل التحاميد أن يقول : الحمد لله حمداً يوافى نعمه ، ويكافىء مزيده . وأعظم الثناء وأحسنه قولك : سبحانك لا نحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك ، فلك الحمد حتى ترضى ، ذكره أبو سعد المتولى وغيره .

ويروى أن آدم عليه السلام قال : يارب شغلتنى بكسب يدى فعلمنى شيئاً فيه مجامع الحمد والتسبيح ، فأوحى الله إليه : يا آدم إذا أنت أصبحت فقل ثلاثاً ، وإذا أمسيت فقل ثلاثاً ، الحمد لله رب العالمين حمداً يوافى نعمه ويكافىء مزيده ، فذلك مجامع الحمد والتسبيح . وفي صحيح مسلم أن رجلا

جاء إلى الصلاة وقد حفزه النفس ، فقال : الله أكبر الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه ، فلما قضى النبى ﷺ صلاته قال : « أيكم المتكلم بالكلمات؟ لقد رأيت أثنى عشر ملكاً يبتدرونها أيهم يرفعها » .

وسأورد فى الباب السادس والسابع من أذكار اللسان مافيه مقنع لكل إنسان إن شاء الله تعالى . وقال ﷺ : « كل أمر ذى بال لا يبدأ فيه بالحمد لله فهو أقطع » ويروى « أجذم » وكل خطبة ليس فيها تشهد فهى كاليد الجذماء(١) » فيسن ابتداء كل قول ونحوه بالحمد لله .

وقيل الشكر معرفة المنعم . قال ﷺ : « ما مست عبداً نعمة فعلم أنها من الله إلا كتب الله له شكرها وإن لم يحمده » رواه الواحدى فى وسيطه بإسناده والله أعلم .

القسم العشرون : إكثار الصلاة والتسليم على النبى ﷺ قال الله تعالى : (يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما) . وقال ﷺ : « من صلى فى اليوم مائة مرة قضى الله له مائة حاجة . سبعين منها لآخرته وثلاثين لدنياه » . وقال أبى : يارسول الله إنى أكثر من الصلاة عليك ، فكم أجعل لك من صلاتى ؟ قال : « ما شئت » قال الربع ؟ قال : « ما شئت ؟ وإن زدت فهو خير » قال الثلث ؟ قال « ما شئت وإن زدت فهو خير » قال النصف ؟ « ما شئت وإن زدت فهو خير » قال الثلثين ؟ قال « ماشئت وإن زدت فهو خير » قال فأجعل صلاتى كلها لك ؟ قال : « إذن تكفى همك ويغفر ذنبك » .

قال ﷺ : « من صلى على فى كتاب لم تزل الملائكة تستغفر له ما دام اسمى فى ذلك الكتاب » وقال ﷺ : « من صلى على فى كل يوم خمسمائة

---

(١) قول أجذم : أى ناقص قليل البركة ، ذكره النووى .

مرة لم يفتقر أبداً » . وقال ﷺ : « مامن مسلم يصلى بقربى سمعتـــه » ، « ومن صـــلى علىّ نائياً بلغته » . وقال ﷺ : « ما من مسلم يصلى على إلا حملها ملك حتى يؤديها إلى ، حتى أنه يقول إن فلاناً يقول كذا وكذا » . وقال ﷺ : « ما من أحد يسلم علىّ ، إلا رد الله على روحى حتى أرد عليه السلام . وقال ﷺ ; « البخيل من ذكرت عنده فلم يصل على » . وفى جامع الترمذى : أن من صلى على النبى ﷺ فى مجلس مرة ، أجزأعنه ما كان فى ذلك المجلس .

﴿ فصل ﴾ وأفضل الصلاة على النبى ﷺ أن تقول : اللهم صل على محمد عبدك ورسولك النبى الأمى وعلى آل محمد وأزواجه وذريته كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم ، وبارك على محمد النبى الأمى وعلى آله وأزواجه وذريته كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد . ذكره النووى وغيره .

وقال ﷺ : من سره أن يكتال بالمكيال الأوفى إذا صلى علينا أهل البيت فليقل : « اللهم صل على محمد النبى الأمى وأزواجه أمهات المؤمنين ، وذريته وأهل بيته كما صليت على إبراهيم إنك حميد مجيد » وذكر كثير من متأخرى أصحابنا أن أفضل الصلاة على النبى ﷺ أن يقول : « اللهم صل على محمد وعلى آله كلما ذكره الذاكرون وكلما سهى عنه الغافلون » وقيل : « اللهم صل على محمد أفضل صلواتك وعدد معلوماتك وملء أرضك وسمواتك » وقال ﷺ : « لا تجعلونى كقدح الراكب(١) ، بل اجعلونى أول الدعاء وآخره » ﷺ .

﴿ فصل ﴾ ويسن إكثار الصلاة عليه فى كل وقت، ويتأكد الأمر بها

---

(١) يعنى آخر الدعاء فإن الراكب إنما يأخذ قدحه آخر متاعه .

عند ذكره وسماع اسمه أو كتبه ، وأول الدعاء وآخره ، وعند الأذان ودخول المسجد والخروج منه ، وتجب فى التشهد الأخير ، وصلاة الجنازة وخطبتى الجمعة .

وينبغى أن تكتب فى صدور الرسائل بعد البسملة الصلاة عليه وعلى آله ﷺ . قال القاضى عياض : على هذا مضت الأمة وعمل الناس به فى أقطار الأرض ، قال ومنهم من يختم بها الكتب أيضاً . قال النووى : ويسن أن يجمع المصلى عليه بين لفظ الصلاة والتسليم ولا يقتصر على أحدهما ، ويرفع قارىء الحديث ونحوه صوته مبالغة ، وهما مستحبان أيضاً على سائر الأنبياء والملائكة استقلالا ، ويجوز على غيرهم بالتبعية لهم . ويكرهان على غير الأنبياء استقلالا كراهة تنزيه فى الأصح . ويسن الترضى والترحم على الصحابة ومن تبعهم بإحسان إلى وقتنا ، فيقال : على رضى الله عنه ، أو رحمه الله ونحوه ، وأبو حنيفة ومالك والشافعى وأحمد رضى الله عنهم .

القسم الحادى والعشرون : الإحسان إلى اليتيم وهو من أب له ولا جد ، قال الله تعالى : (فأما اليتيم فلا تقهر) وشكا رجل إلى النبى ﷺ قساوة فى قلبه ، فقال : « أتحب أن يرق قلبك وتدرك حاجتك ؟ قال نعم ! قال : ارحم اليتيم وامسح برأسه ، وأطعمه من طعامك ، يلن قلبك وتدرك حاجتك » . وقال ﷺ : « من كان فى منزله يتيم رحمه الله وأعانه » . وقال ﷺ : « من ضم يتيما من المسلمين إلى طعامه وشرابه أوجب الله له الجنة البتة ، إلا أن يعمل عملا لا يغفر له » . وقال ﷺ : « من أذهب الله كريمتيه — يعنى عينيه — فصبر واحتسب أوجب الله له الجنة البتة ، إلا أن يعمل عملا لا يغفر له » وقال ﷺ : « لا يلى أحدكم يتيما فيحسن ولايته ويضع يده على رأسه ، إلا كتب الله بكل شعرة حسنة ، ومحى

عنه بكل شعرة سيئة ، ورفع له بكل شعرة درجة » . وقال ﷺ : « من مسح على رأس يتيم لم يمسحه إلا لله ، كان له بكل شعرة تمر عليها يده حسنات » .

وينبغى أن يقول إذا مسحه : جبر الله يتمك وجعلك خلفاً من أبيك . ورأس اليتيم يمسح من وسطه إلى ناصيته ، ومن له أب يمسح من ناصيته إلى وسطه . كذا قاله ﷺ . وقال ﷺ : « خير بيت فى المسلمين بيت فيه يتيم يحسن إليه ، وشر بيت فى المسلمين بيت فيه يتيم يساء إليه » . وقال ﷺ : « إن اليتيم إذا ضرب اهتز العرش لبكائه » فيقول الله تعالى : من أبكى الذى غيبت أباه فى التراب ؟ — وهو أعلم به — فتقول الملائكة : لا علم لنا به ، فيقول الله تعالى : (فإنى أشهدكم أن من أرضاه فإنى أرضيه من عندى) .

وكانت عائشة رضى الله عنها ، لا ترى بأساً باستصلاحه كما يستصلح الإنسان ولده . وقال إبراهيم : حكم اليتيم كما تحكم ولدك (١) .

وقد عد العلماء من الكبائر أكل مال اليتيم بغير حق لقوله تعالى :(إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً إنما يأكلون فى بطونهم ناراً) الآية . لكن إذا افتقر وليه ، أو كان يفوته كسبه لشغله بمال اليتيم ، فله الأكل منه بالمعروف ، وهل يضمن ؟ على وجهين .

قال النووى رحمه الله: وله خلط ماله بماله والأكل جميعاً ، وأن يضيف من ذلك المشترك من شاء بشرط أن لا يكون على اليتيم حيف فى شىء من ذلك . وذكر فى العزيز عن الزيادات لأبى عاصم أنه إذا خاف الوصى أن يستولى على المال غاصب ، فله أن يؤدى شيئاً ليخلصه به ، والله يعلم المفسد من المصلح . قلت : والمسجد كاليتيم والله أعلم .

---

(١) أى أمنعه من الفساد وأصلحه كولدك .

القسم الثانى والعشرون : التيسير على المعسرين ، وإعانة المسلمين ، ورحمة المخلوقين ، ونصرة المظلومين . قال ﷺ : « من نفس على مؤمن كربة من كرب الدنيا ، نفس الله عنه كربة من كرب الآخرة ، ومن يسر على معسر ، يسر الله عليه فى الدنيا والآخرة ، ومن ستر مسلماً ستره الله تعالى فى الدنيا والآخرة ، والله فى عون العبد ما كان العبد فى عون أخيه ومن سلك طريقاً يلتمس بهـــا علماً ، سهل الله له به طريقاً إلى الجنة ، وما اجتمع قوم فى مسجد من المساجد الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة، وحفتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده ، ومن بطأ به عمله لم يسرع به نسبه » رواه مسلم فى صحيحه وهو كثير الفوائد .

وقال ﷺ : « من أحب أن تستجاب دعوته ، وتكشف كربته ، فليسر على المعسر » . وقال ﷺ : « إذا أيسرتم على معسر يسر الله عليكم كل عسير » . وقال ﷺ : « من أقال مسلماً ، أقاله الله تعالى عثرته يوم القيامة » . وقال ﷺ : « من قضى لأخيه حاجة من حوائج الدنيا ، قضى الله له اثنين وسبعين حاجة من حوائج الآخرة أسهلها المغفرة » . وقال ﷺ : « من قضى لأخيه حاجة فكأنما خدم الله عمره » . وقال ﷺ : « من مشى فى حاجة أخيه ساعة من ليل أو نهار قضاها أو لم يقضها ، كان له خيراً من اعتكاف شهرين ، ومن قام فى حاجة أخيه المسلم حتى يستتمها ثبت الله قدميه يوم القيامة حين تزول الأقدام ، فإن مات قبل ذلك مات شهيداً » .

وقال ﷺ : « ما من عبد خطا خطوة فى قضاء حاجة أخيه المسلم ، إلا كتب له أجر شهيد ، ودفع عنه سبعين نوعاً من البلاء » . وقال ﷺ : « الخلق عيال الله ، فأحب الخلق إلى الله من نفع عيال الله وأدخل على

أهل بيت سروراً ، ومشى مع أخ مسلم فى حاجة أحب إلى الله من اعتكاف شهرين فى المسجد الحرام » ويروى : « من أدخل على أهل بيت سروراً ، خلق الله من ذلك السرور خلقاً يستغفر له يوم القيامة » . وقال ﷺ : « أفضل الأعمال أن تدخل المسلم سروراً » وقال ﷺ : « خير الأصحاب عند الله خيرهم لصاحبه » ويروى : « خير الناس أنفعهم للناس » .

وقال ﷺ : « إن لله خلقاً خلقهم لحوائج المسلمين تقضى حوائج الناس على أيديهم أولئك الآمنون يوم القيامة » . وقال ﷺ : « الخادم فى أمان الله مادام فى خدمة المؤمن ، وللخادم فى الخدمة أجر الصائم بالنهار والقائم بالليل » وأوصى جعفر الصادق حاجباً لابن عمار فقال : اضمن لى واحدة أضمن لك ثلاثاً : اضمن لى أنك لا تلقى أحداً موالياً فى دار الخلافة إلا قمت فى قضاء حاجته ، وأنا اضمن لك أن لا يصيبك حد السيف أبداً وأن لا يظلك سقف السجن أبداً وأن لا يدخل الفقر بيتك أبداً . وقال ﷺ : « ما من مسلم يخذل مسلماً فى موضع تنتهك فيه حرمته وينتقص فيه من عرضه ، إلا خذله الله فى موطن يحب فيه نصرته ، وما من مسلم ينصر مسلماً فى موضع ينتقص فيه من عرضه ، وينتهك فيه من حرمته ، إلا نصره الله فى موطن يحب فيه نصرته » وقال ﷺ : « من اغتيب عنده أخوه المسلم وهو يقدر على نصرته فنصره ، نصره الله فى الدنيا والآخرة » وقال صلى الله عليه وسلم : « من رد الغيبة عن أخيه المسلم رد الله عنه سبعين آفة ونصره على من عاداه » .

﴿ فصل ﴾ وقال صلى الله عليه وسلم : يقول الله تعالى : (إن كنتم تريدون رحمتى ، فارحموا خلقى) وقال (إنما يرحم الله من عباده الرحماء) وقال صلى الله عليه وسلم : « الراحمون يرحمهم الرحمن ، ارحموا من فى الأرض يرحمكم من فى السماء » . وقال صلى الله عليه وسلم : « إن الله

لا يرحم من لا يرحم ، ولا يغفر لمن لا يغفر ، ولا يتوب على من لا يتوب ومن لا يرحم الناس لا يرحمه الله » . وقال صلى الله عليه وسلم : « ينادى مناد فى النار ياحنان يا منان نجنى من النار ، فيأمر الله مالكاً فيخرجه حتى يقف بين يدى الله عز وجل ، فيقول الله تعالى له : هل رحمت فى شىء قط فأرحمك فيقول : يا رب رحمت عصفوراً » .

ويروى أن رجلا نزل به ضيف فذبح له عجلا عند أن ولد ولم يرحم أمه فأصبح وقد شلت يده اليمنى ، ثم مر يوما بعصفورة قد سقطت من جحرها فأدخلها فيـــه ، فرأى فى منامه كأنه يقال له : إذا رحمت رحمت فأصبح وقد زال الشلل من يده وروى أن عابداً مر بصبيان ينتفون ريش ديك وهو حى ، فخسف الله بالعابد كما يرحمه ويستنقذه من أيديهم . وقال ﷺ : « لا توله والدة بولدها » ويروى : « لعن الله من فرق بين الوالد وولده ، وبين الأخ وأخيه » ويروى : « من فرق بين والدة وولدها فرق الله بينه وبين أحبته يوم القيامة » .

وقد كره ﷺ ذبح ولد الناقة قرب الولادة لثلاث خصال : لأنه لا ينتفع بلحمه وتبقى الأم بلا ولد ترضعه فينقطع درها ، ولأنه يولهها بذبحه ويفجعها فيه فيأثم . ذكره أبو عبيد . وقال ﷺ : « بدلاء أمتى لا يدخلون الجنة بكثرة صلاة ولا صيام ، ولكن برحمة الله وسلامة الصدور ، وسخاوة النفوس ، والرحمة لجميع المسلمين » . وقال صلى الله عليه وسلم : « من مشى فى قضاء حاجة مسلم ، كان الله له عوناً متى احتاج إليه » . وقال ﷺ : يقول الله تعـالى : « من لم يقبل من عبادى الميسور ويدع المعسور ، لم أنفس كربه ، ولم أسمع دعاءه » .

وأنشد بعضهم فى معنى ذلك فقال :

إذا شئت أن تبقى من الله نعمـــة
عليـــك فسارع فى حوائج خلقـــه

ولا تحسبن الله ما نلت ثروة
فيحظر عنك الله واسع رزقه

القسم الثالث والعشرون : فى زيارة الضعفاء والغرباء وإكرامهم ، وإلانة القول معهم . قال ﷺ : « أكرموا الضعفاء ، فإنما تنصرون وترزقون بضعفائكم » . وقال « إن الله ينصر المسلمين بدعاء المستضعفين » وقال ﷺ : « بفقراء أمتى تنزل الرحمة فى الدنيا والآخرة » وقال ﷺ : « إنما نصر الله هذه الأمة بضعفائها ، بدعواتهم وصلواتهم وإخلاصهم » . وقال صلى الله عليه وسلم : « من أكرم الضعيف أكرمه الله ، ومن أبغض الضعيف أبغضه الله » . وقال ﷺ : « ألا أخبركم من ملوك الجنة ؟ كل أغبر ذى طمرين لا يؤبه له ، لو أقسم على الله لأبره » . وقال لأبى بكر : « إن كنت أغضبتهم — يعنى الضعفاء — فقد أغضبت ربك » .

وقال ﷺ : « لولا الفقراء لهلك الأغنياء » . وقال ﷺ : « من أكرم غريباً فى غربته ، وجبت له الجنة ، وقال ﷺ : « طوبى للغرباء ، يفسح للغريب فى قبره على قدر بعده من أهله » . وقال ﷺ : « من مشى إلى فقير ليزوره عشرين خطوة ، كتب الله له سبعين حجة مقبولة » .

ويروى أن الله قال لموسى عليه السلام : إذا ذكر أهل الغنى أهل الفقر وأهل السعة أهل الضيق ، وأهل العافية أهل البلاء ، أتممت عليهم نعمتى . وقال موسى عليه السلام : إلهى أين أطلبك ؟ قال عند المساكين المنكسرة قلوبهم من أجلى . ويروى : جالسوا المساكين ، فإن رحمتى لا تفارقهم ويروى : ما أهلك الله قوماً وإن عملوا ما عملوا حتى أهانوا الفقراء وأذلوهم . قال القشيرى : والفقراء صفوة الله عن عباده ، ومواضع أسراره بين خلقه ، بهم يصون الخلق ، وببركتهم يبسط الرزق .

القسم الرابع والعشرون : طلب العلم وإكرام المشايخ والعلماء، والتماس البركة فى مؤاكلتهم ومجالستهم، وترك الوقيعة(١) فيهم. قال ﷺ : « البركة مع أكابركم » – يعنى به العلماء والأتقياء – دليله قوله ﷺ : « المشى بين يدى الكبراء من الكبر ، ولا يمشى بين يدى الكبراء إلا ملعون » قالوا ومن الكبراء ؟ قال : « العلماء والصالحون » . وقال ﷺ « من غدا فى طلب العلم ، صلت عليه الملائكة ، وبورك له فى معاشه ، ولم ينقص له من رزقه ، وكان عليه مباركاً » . وقال ﷺ : « من طلب العلم ، تكفل الله برزقه » . وقال ﷺ : « إن الملائكة لتضع أجنحتها رضـــا لطالب العلم » .

وقال ﷺ : « أكرموا العلماء ، فإنهم ورثة الأنبياء ، من أكرمهم فقد أكرم الله ، ومن أكرم عالماً فقد أكرم سبعين نبياً ، ومن أكرم متعلماً فقد أكرم سبعين شهيداً ، ومن أحب العلم والعلماء لا تكتب عليه خطيئة أيام حياته » . وقال ﷺ : « إن من إجلال الله تعالى إكرام ذى الشيبة المسلم ، وحامل القرآن غير الغالى فيه والجافى عنه ، وإكرام ذى السلطان » . وقال ﷺ : « أفضل الأعمال الجهاد فى سبيل الله ، والتواضع للعالم ، وكرامة الشيخ » . وقال ﷺ : « ما وقر شاب شيخاً لسنه ، إلا وقيض الله له فى سنه من يوقره » .

قال الغزالى : وفى هذا تبشير بطول العمر ، قال فى المهذب : والشيخ من جاوز الأربعين سنة . وقال ﷺ : « من شاب شيبة فى الإسلام كانت له نوراً يوم القيامة » وقد أقام ﷺ العالم مقام نفسه فقال : « من زار عالماً فكأنما زارنى ، ومن صافح عالماً فكأنما صافحنى » . وقال ﷺ : « النظر إلى وجه الوالد عبادة ، والنظر إلى الكعبة عبادة ، والنظر فى المصحف عبادة » وفى رواية : « والنظر إلى وجه العالم عبادة ، والنظر

(١) أى اغتيابهم .

فى المصحف عبادة ، وفى رواية : « والنظر إلى وجه العالم عبادة ، والجلوس معه عبادة . والأكل معه عبادة » .

ويروى أن الله تعالى يحاسب عبداً فترجح سيئآته على حسناته ، فيؤمر به إلى النار ، فإذا ذهب به يقول الله عز وجل لجبريل عليه السلام : أدرك عبدى وسله هل جلس فى مجلس عالم فى الدنيا فأغفر له بشفاعته ، فيسأله جبريل فيقول : ماجلست فى مجلس عالم قط ، فيقول جبريل يارب أنت أعلم بحال عبدك ، فيقول الله تعالى يا جبريل سله هل أحب عالماً قط ؟ فيسأله فيقول لا ، فيقول يا جبريل سله هل جلس على مائدة عالم قط ؟ فيسأله فيقول لا ، فيقول ياجبريل سله عن اسمه وعن نسبه فإن وافق اسمه اسم عالم غفرت له ، فيسأله جبريل فلا يوافق أسمه اسم عالم ، فيقول الله لجبريل خذ بيده وأدخله الجنة فإنه كان يحب رجلا كان ذلك الرجل يحب عالماً فيغفر له ببركته .

وقال ﷺ : « قال لى جبريل : يا محمد لا تحقرن عبداً آتاه الله علماً ، فإن الله لم يحقره حين علمه ، إن الله جامع العلماء فى بقيع واحد فيقول لهم : إنى لم أستودعكم علمى إلا لخير أردته بكم ، فقد غفرت لكم ما كان منكم » . وقال ﷺ لهلال بن يسار : « لا تفارق المحبرة ، فإن الخير فيها وفى أهلها إلى يوم القيامة » . وقال ﷺ : « من حقر عالماً فهو ملعون فى الدنيا والآخرة » وقال ﷺ : « العالم سلطان الله فى الأرض ، فمن وقع فيه فقد هلك » . وقال ﷺ : « قال الله تعالى من عادى لى ولياً فقد بارزنى بالمحاربة » . وقال الشافعى وأبو حنيفة رضى الله عنهم : إن لم تكن العلماء أولياء ، فليس لله ولى .

﴿ فصل ﴾ إذا عرفت هذا فاعلم أن كل ماتقدم لايتم إلا بالعلم . فالعلم هو الأصل ، والعمل فرعه . قال ﷺ : « العلم إمام العمل . والعمل تابعه ،

وإنما صار أصلا متبوعاً لأن العبادة لا تحصل إلا بعده ، لأنه يجب أن يعرف المعبود ثم يعبد ، وكيف يعبد من لا يعرف بأسمائه وصفاته ، وما يجب له وما يستحيل فى نعته . وقال ﷺ : « لأن يغدو أحدكم فيتعلم باباً من العلم ، خير له من صـــلاة مائة ركعة » . وقال ﷺ : « أفضل العبادة الفقه » .

قال الغزالى رحمه الله : ومن اجتهد بالحج والصوم ونحوهما من العبادات ولم يقدم شروطها من التوبة ورد المظالم ، ولم يتعلم من علم الآفات ما يحتاج إليه من تنقية الظاهر والباطن فهو من المغرورين ، وقد قال ﷺ : « حبذا نوم الأكياس وفطرهم ، كيف يغبنون سهر الحمق واجتهادهم ، ولمثقال حبة من صاحب تقوى ويقين خير من ملء الأرض من المغترين ، فعرف بهذا ونحوه أنه أفضل من كل شىء سواه ، وصاحبه هو الذى يتق الله ويخشاه ، وهو أكبر فضيلة ، وأحسن موهبة جليلة ، لأنه الحامى عن كل رذيلة ، وهو إلى الخيرات أكبر وسيلة :

به يعبد الرحمن حقاً ويقدر ... به يعرف التوحيد والحق يظهر
به يعرف الحل الصريح جميعه ... وماحرم البارى وعرف ومنكر
به تعرف الأحكام والطرق التى ... إلى جنة الفردوس بالعلم يخبر

﴿ فصل ﴾ : واعلم أنى إنما عنيت بذلك العلم الشرعى المأخوذ من كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ ، دون غيره من العلوم الباطـــلة والمحرمة : كالتنجيم ، والسحر ، والرمل ، وهو الخط ، والطرق بالحصا ونحوه ، والكهانة ، وعلم الفلسفة والطبائعيين ، فكلها محرمة ، نص على ذلك النووى وغيره .

ثم العلوم الشرعية تعود إلى ثلاثة ، أحدها : علم التوحيد الذى هو أول واجب على المكلفين ، وهو أن تعلم أن لك إلهاً عالماً قادراً حياً

متكلماً * ليس كمثله شيء وهو السميع البصير * وهو الذى لا إله إلا هو وحده لاشريك له* له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو حي لا يموت * بيده الخير وهو على كل شيء قدير ، أرسل نبيه محمداً ﷺ إلى الإنس والجن كافة وهو خاتم الأنبياء لا نبي بعده ، وهو الصادق فيما جاء به عن الله ، وفيما ورد على لسانه من الأمور ﷺ ، ثم أنزل عليه القرآن الذى هو أكبر معجزة وبرهان ، وهو كلام الله القديم ، وصراطه المستقيم الذى عجز الخلق عن الإتيان بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً ، وهو المكتوب فى المصاحف من أول الحمد لله رب العالمين إلى آخر قل أعوذ برب الناس .

والثانى : علم الأحكام الباطنة : وهى عبادة القلب ، وهى : اكتساب واجتناب . فالاكتساب : مثل معرفة الله تعالى على ماورد فى الكتاب والسنة ، ومعرفة صدق رسله ، والتزام التقوى والتوكل والإخلاص والصبر وشبه ذلك ، والاجتناب : مثل ترك الحسد والغضب والرياء والعجب والكبر ، وترك اعتقاد ما يخالف الشرع .

والثالث : علم الشريعة الظاهرة ، وهى اكتساب واجتناب أيضاً ، فالاكتساب : مثل النطق بالشهادتين وفعل الطهارة والصلاة والصوم وما جرى على هذا المجرى ، والاجتناب : مثل اجتناب الزنا والغصب والسرقة .

فمن ذلك ما هو متعين على كل أحد : كعلم التوحيد الماضى ، وصدق الرسول ، والتصديق بما جاء به القرآن ، والتزام التقوى ، ونحو ذلك من عبادات القلب المكتسبة ، وما يحتاج إليه لإقامة الفروض . كالوضوء والصلاة والصوم وغيرها . وكالزكاة لمن له مال زكوى ولا يسقط عنه بالساعى . وكمن يبيع ويتجر يتعين عليه معرفة أحكام التجارة وما يصح

من المعاملات ، وأنه لا يجوز بيع مطعوم بمطعوم نسيئة ، إذ هو عين الربا ، ونحو ذلك من المهمات ، وكذا ما يحتاج إليه صاحب كل حرفة يتعين عليه تعلمه ، كالخباز يجب عليه العلم بأنه لا يجوز بيع الخبز بالحب بالحب والدقيق وشبهه ونحو ذلك .

وأما علم القلب هو معرفة أمراضه المحرمة ، كالغضب والحقد والحسد والكبر والرياء فمن رزق قلباً سليما منها كفاه ذلك ، ومن لم يسلم وتمكن من تطهير قلبه من غير معرفة أسبابها وحدودها وعلاجها وحب تطهيره ، وإن لم يتمكن إلا بتعلم تعين ذلك . مثال علاجها أن يعالج الغضب عند هيجانه بأن يعلم ثواب كظم الغيظ ، ويذكر قوله تعالى لموسى عليه السلام « من ذكرنى حين يغضب ذكرته حين أغضب ، ولم أمحقه فيمن أمحقه » . وقوله له أيضاً « أتحب أن تأخذ أماناً من غضبى ! قال : نعم . قال لا تغضب على ما من تحت يدك » ثم يخوف نفسه ويعلم أنه هو أقدر عليه ويحذر نفسه عاقبة الانتقام ، فإن العدو يشمر لمجازاته فتصير العداوة طويلة ويتفكر فى قبح صورة غيره عند الغضب ، فيقيس نفسه عليه ، ويعلم أنه يشبه السبع الضارى إذا استعمله ، ومتى استعمل الحلم والعفو أشبه الأنبياء والأولياء ، ثم يتعوذ من الشيطان ويقول : اللهم رب النبى محمـــد اغفر لى ذنبى ، واذهب غيظ قلبى ، وأجرنى من مضلات الفتن ، ويتوضأ ويتحول من مكانه ، وليجلس إن كان قائماً ، وليضطجع إن كان جالساً ، وعلاج سائر هذه الأمراض مشهور ، وفى كتب الغزالى وغيرها مذكور .

﴿ فصل ﴾ ثم بعد معرفة ما يتعين عليك ، فتعلم العلم النافع أفضل من النوافل ومن سائر العلوم . قال الغزالى رحمه الله : والعلم النافع هو ما يزيد فى خوفك من الله ، وفى بصيرتك بعيوبك ، وفى معرفتك بعبادة ربك ، وفى رغبتك فى آخرتك ، ويقلل رغبتك فى الدنيا ، ويقصر أملك ،

ويفتح بصيرتك بآفات عملك لتحترز منها ويطلعك على مكايد الشيطان وتلبسه على علماء السوء حتى أكلوا الدنيا بالدين ، واتخذوا علمهم وصلة إلى السلاطين وأكل مال الوقف والمساكين ، وصرف همتهم إلى طلب الجاه والمنزلة فى قلوب المخلوقين ، واضطرهم إلى المراء والمنافسة ومايغضب رب العالمين .

قال : وكل علم يدعوك من الدنيا إلى الآخرة فالجهل أعوذ عليك منه ؛ فإن فرغت من هذا العلم النافع وأصلحت نفسك ظاهراً وباطناً : فلا بأس باشتغالك بعلم المذهب فى الفقه ، لتعرف الفروع النادرة فى العبادات ، وطريق التوسط بين الخلق فى الخصومات ، وسائر الأحكام والمعاملات ، فكل ذلك من فروض الكفايات ، ومن ذلك أيضاً الطب والحساب المحتاج إليه لقسمة المواريث ونحوها ، ومعرفة أصول الفقه والنحو واللغة والتصريف ، وأسماء الرواة والجرح والتعديل ، واختلاف العلماء واتفاقهم. قال الغزالى رحمه الله : وكما أن الشرعيات تفضل غيرها من العلوم ، فالعلم الذى يتعلق بحقائق الشرعيات يفضل ويزيد على الأحكام الظاهرات ، فالفقيه يحكم على الظاهر بالصحة والفساد ، ورواة العلم الذى يتعرف به كون العبادة مقبولة أو مردودة ونحو ذلك من علوم أهل الباطن والمكاشفات .

﴿ فصل ﴾ واعلم أنه لا يتم لعالم علمه حتى يكون عاملا بمقتضاه ، معرضاً عن حب دنياه ، هارباً عما يصده عن الله ، إلا ما لابد منه أن يتولاه ، قال ﷺ : « لا يكون العالم عالما حتى يكون بالعلم عاملا » . وقال ﷺ : « إنما العالم من عمل بعلمه » . وقال ﷺ : « من ازداد علماً ولم يزدد هدى ، لم يزد من الله إلا بعداً » . وقال ﷺ : « العلماء رجلان رجل عالم أخذ بعلمه فهذا ناج ، ورجل تارك لعلمه فهذا هالك ، وإن أهل النار ليتأذون من ريح العالم التارك لعلمه » .

وقال الفضيل رحمه الله : إذا كان العالم راغباً فى الدنيا حريصاً عليها ، فإن مجالسته تزيد الجاهل جهلا ، والفاجر فجوراً . وقال الغزالى رحمه الله : والناس فى طلب العلم ثلاثة أحوال : رجل طلب العلم إلى الهداية ليتخذه زاداً إلى المعاد ولم يقصد به إلا وجه الله تعالى فهو من الفائزين ، وهو الذى أثنى عليه سيد المرسلين بقوله : « الفقيه أشد على الشيطان من ألف عابد » وهو الذى يستغفر له من فى السماوات والأرض ، حتى الحيتان فى البحر ، كما ورد فى الحديث . ورجل طلبه ليستعين به على حياته العاجلة ، وينال به العز والمال ، وهو مع ذلك مستشعر فى نفسه ضعف حاله وخسة قصده ، فهذا إن مات قبل التوبة خيف عليه ، وإن وفق لها قبل الأجل ، وأضاف إلى العلم العمل . وتدارك ما فرط ، التحق بالفائزين . ورجل اتخذ علمه ذريعة إلى التكاثر بالمال ، والتفاخر بالجاه ، يدخل بعلمه كل مدخل ليقضى من دنياه وطره ، ويضمر أنه عند الله بمكان لاتسامه بسمة العلماء فى الزى والمنطق مع تكاليفه على الدنيا ظاهراً وباطناً ، فهذا من الهالكين المغرورين وهذا هو العالم السوء الذى حذر منه سيد المرسلين ﷺ .

فنسأل الله تعالى أن يوفقنا لطاعته ، ويجنبنا معصيته بمنه ورحمته آمين . وخوف منه أشد من تخويفه من الدجال اللعين ، فهذا هو الساعى فى هلاك نفسه وبيع آخرته بدنياه ، ومعكم من هذه صفته معين على العصيان ، وشريك له فى الخسران ، كبائع سلاح من حربى ، أو قاطع طريق ، ومن أعان على معصية ولو بتلويح وبشطر كلمة كان شريكا له .

قال : وعلماء الآخرة هم الذين لا يأكلون بالدين ، ولا يبيعون الآخرة بالدنيا ، لما علموا من عز الآخرة وذل الدنيا . ومن لم يعلم معاندة الدنيا للآخرة ومضارتها فليس من العلماء ، ومن أنكر ذلك فقد أنكر ما دل عليه القرآن والآثار ، ومن علم ذلك ولم يعمل به فهو أسير الشيطان ، فقد

أهلكته شهوته ، وغلبت عليه شقوته ، فكيف يعد من حزب العلماء من هذه صفته ؟!

قال : وقد مرض العلماء فى هذه الأعصار مرضاً عسر عليهم علاج أنفسهم ، لأن المهلك هو حب الدنيا وقد غلب ذلك على العلماء ، فاضطروا إلى الكف عن تحذير الخلق عن الدنيا كى لا تنكشف فضيحتهم ، اصطلحوا كى يفتضحوا على الإقبال على الدنيا والتكالب عليها ، فبهذا السبب عم الداء ، وانقطع الدواء ، واشتغل الأطباء بفنون الإغواء ، فهم وإن صرفوا الناس عن الدنيا بذمهم وقولهم ، فقد دعوهم إليها بحرصهم وأفعالهم ، ولسان الحال أنطق من لسان المقال ، فليتهم إذا لم يصلحوا لم يفسدوا ، وليتهم سكتوا وما نطقوا ، بل قد كان كل واحد منهم كأنه صخرة فى فم الوادى ، لا هى تشرب ولا تترك الماء يشرب به غيرها ، هذا كلامه رحمه الله .

قلت : وإذا كان هذا فى عصره وهم أولو الحقيقة ، فكيف فى وقتنا هذا ، وقد أهمل الناس عن العلم بالطريقة ، وراموا عقوقه ، وأباروا سوقه ، حتى تخيلوا من تشبه بالعلماء عالماً ، ومن سمى بالفقيه فقيهاً حاكماً ، وهيهات هيهات ، هذه هى الترهات !!

يقرأ الإنسان مسألتين ، أو إلى باب المسح على الخفين ، ثم يلبس عمامة ويضم على عصاه يمينه ، ويقبل على هذه الدنيا المهينة ، فيعمل فى اكتسابها حيله ، ويهمل من أخراه عمله ، يفتى بالجهالة ، ويحكم بالرذالة ، ويظن أنه قد فاز بالسلامة ، واستوجب الكرامة بنفيه الكرامة . وهيهات بل هو فى أسفل سفل ، وأقبح شغل ، صار فى دنياه مشغولا ، وفى أخراه مسئولا فياليته كان مجهولا ، وأنا والله أكثر تلبيسا ، وأفحش تزويقاً وتدنيساً وأدوم على الدنيا تعريساً .

أسأت فاعذرى إذا انكشف الغطا وأظهر رب العرش ما أنا أستر

إذا الله ناداني بيوم قيامة ... تعديت حد العلم هل أنت تؤجر
أسأت إلى خلقي وحقي تركته ... فأين الحيـا مني فإني أكـبر
دعوت إلى علم وأظهرت حكمة ... وأنت على الدنيا عكوف مشمر
وخالفت ما قد قلت وازددت غفلة ... وقلبك للذات والغش تطمر
ظننت بأني مهمل لامرىء عصى ... كأنك لم تعلم بأنك تحشر
هنالك يمتـاز المسيئون كلهم ... فواحسرتا إن كنت ممن يجير
فيا حي يا قيوم يا خير راحم ... وما أنت للزلات والذنب تغفر
عصيتك من لؤمي ونفسي ظلمتها ... وذنبي في عمري يزيد ويكثر
ولكنني إن جئت ذنباً وزلة ... أرجيك يا رحمن للوهن تجبر
وتغفر لي ذنبي وتصلح عشيتي ... وترحم آبائي فإنك تقـدر
وأرجوك يا رحمن إذ ما سترتني ... بدنياي في يوم القيامة تستر

اللهم إني أسأت بوجهك الكريم، وكلامك العظيم. ونبيك الرحيم، أن تغفر لي كل ذنب وتختم لي بخير ياحليم يالطيف يا رحيم. لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين، يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث فارحمني، واغفر لي ولوالدي ولأحبائي ولجميع المسلمين آمين.

ذكر الغزالي في كتاب الإحياء فقال: بعد فراغك من عام الآخرة اشتغل بفروض الكفايات عن التدريج، فابتدىء بكتاب الله تعالى. ثم بسنة رسوله ﷺ وأقل ما في ذلك تحصيل ما في الصحيحين تحصيلا تقدر به على ما تحتاج إليه عند الحاجة، ولا يشترط حفظ متونه. ثم تعلم التفسير، وأقله ضعف القرآن كوجيز الواحدي، وما زاد على وسيطه فاستقصاء مستغنى عنه. ثم بسائر علوم القرآن من ناسخ ومنسوخ، ومحكم ومتشابه وغيرها، وكذا في السنة. ثم اشتغل بالفروع وهو علم المذهب من علم الفقه، وأقله معرفة ما في خلاصة المختصر ونحوها، ثم أصول الفقه، ثم بعلم الطب والحساب. وهكذا في بقية العلم على مايتسع

له العمر ، ويساعد فيه الوقت ، ولا تستغرق عمرك بفن واحـــد طلباً للاستقصاء فى العلم ، فالعلم كثير ، والعمر قصير ، واقتصر من شائع اللغة ، على ما ينطق به ويفهم به كلام العرب . ومن غريب علمها على غريب القرآن والحديث . ومن النحو على ما يتعلق بالكتاب والسنة وإياك والتعميق فيه .

وأما علم الشعر : فعلم لاينفع ، والجهل به لايضر ، وكتب غير نافعة فى الدنيا والآخرة ، ويكفيك فى حفظ أسامى الرجال ما فى كتب من قبلك ، وعلم الكلام : مقصوده حماية المعتقدات التى نقلها أهل السنة من الخلق لاغير ، ومقصود حفظ السنة تحصـــل رتبة الاقتصاد منها بمعتقد مختصر منها . وأما علم النجوم كالرمل : فعلمها حرام إلا بقدر مايعرف به القبلة وأوقات الصلاة ، وجميع علم السحر ونحوه حرام والله أعـــلم . ذكره الغزالى بما هذا معناه .

وهذا الترتيب فى العلوم الشرعية محتاج إليه . وأما علم الخلاف والجدل فلا طائل تحته ، وعلم المذهب قد ذكرت ما فيه . والله أعلم .

القسم الخامس والعشرون : الاجتماع والألفـــة ، وحسن المداراة والصحبة ، وما يورث المحبة ، قال الله تعالى : (واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا)(١) قال ﷺ : « إذا تواصل أهل البيت وتحابوا ، أجرى الله عليهم الرزق » وقال ﷺ : « لا تزال أمتى بخير ما تحابوا » . وقال ﷺ : « التودد نصف العقل » وروى : « رأس العقل بعد الإيمان بالله مداراة الناس . والتودد إلى الناس » . وقال ﷺ : « لا تختلفوا فإن من كان

---

(١) قال أبو عبيد : يعنى عليكم بكتاب الله وترك الفرقة ، فإنه أمان لكم وعهد من عذاب الله وعقابه .

قبلكم اختلفوا فهلكوا » . وقال الله تعالى : « ولا تنازعوا أى لا تختلفوا فيما بينكم — فتفشلوا — فتجبنوا عن عدوكم — وتذهب ريحكم » أى نصركم، وقيل جرأتكم ، وقيل دولتكم .

قال الواحدى : والريح هنا عن نفاذ الأمر وجريانه على المراد . وقد حض ﷺ على الجماعة فى كل الطاعات ، وأمر الله باجتماع الناس كل يوم خمس مرات للصلوات ، وفى كل أسبوع مرة للجمعات ، وحتم انضمام أهل البلدان المتفرقة للحج فى عرفات ، وندب إلى المشاورة فى الأمور المهمات ، وأمر باجتماع الأمة بإمام واحد حذراً من المشاجرات ، وتأكيد للألفة بين المؤمنين ، وحثاً على المواصلات ، ولقبول طاعة البعض ببركة البعض رحمة من رب السماوات ، وليقتد الطالح بالصالح فيزيد فى الطاعات ويقلع عن المحرمات وإلى هذه الأسباب أشار ﷺ بقوله : « الجماعة رحمة والفرقة عذاب » وقال ﷺ : « يد الله مع الجماعة » . وقال ﷺ : « المرء كثير بأخيه ، والمؤمن مرآة المؤمن ، وما التقى مؤمنان إلا استفاد أحدهما من صاحبه خيراً ، والمؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً » . والمراد بذلك من يصلح أمر الدين والدنيا بموافقته ، وما سواه فلا بأس بمهاجرته .

وقال عمر رضى الله عنه: إذا رأى أحدكم وداً من أخيه فليستمسك به. وقال ﷺ : « تفتح أبواب الجنـــة يوم الاثنين ويوم الخميس ، فيغفر لكل عبد لا يشرك بالله شيئاً ، إلا رجل بينه وبين أخيه شحناء ، فيقال أنظروا هذين حتى يصطلحا ، رواه مسلم .

فعلى العاقل أن يخرج من قلبه الحسد والغش والعداوة والبغض ، وأن يحب المسلمين لإسلامهم ويصلح ذات بينهم ، فقـــد كان علماء الدين يستروحون عند اللقاء ، ويتناصرون ويتساهمون فى السراء والضراء .

حتى قال الشافعى رحمه الله : العلم بين أهل العلم رحم متصل . فكيف يدعى الاقتداء به جماعة صار عليهم عداوة قاطعة .

وقال ﷺ : « ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصدقة والصلاة ؟ قالوا بلى يا رسول الله . قال : « إصلاح ذات البين وفساد ذات البين هى الحالقة » .

وقال ﷺ : « إن الله ليغفر ليلة النصف من شعبان لجميع من فى الأرض ، إلا من كان مشركا أو مشاحناً » . وقال ﷺ : « يقول الله تعالى وجبت جنتى للمحتاجين فى ، والمتجالسين فى ، والمتزاورين فى ، والمتباذلين فى » . وقال ﷺ : « لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليال ، يلتقيان فيعرض هذا ويعرض هذا ، وخيرهما الذى يبدؤ بالسلام» ويروى : « فمن هجر أخاه فوق ثلاث فهو فى النار » .

وقال النووى رحمه الله : وهذا إذا كان هجره لحفظ النفس وتعنت أهل الدنيا فإن كل لابتداعه ونحوه فلا بأس به . وقال ﷺ : « من نظر إلى وجه نظر ود غفر الله له » . وقال ﷺ : « من أحب قوماً فهو منهم يوم القيامة — أو قال — فهو معهم يوم القيامة » ، ولم يفرح المؤمنون بحديث كفرحهم بهذا الحديث . وقد كانت أخوة الإسلام منعقدة بين الصحابة وهى الأخوة العامة . قال الله تعـــالى : (إنما المؤمنون إخوة) وقال الله تعالى : (فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فإخوانكم فى الدين) . ثم آخى ﷺ : بين أصحابه أخوة خاصة ، وحالف بين قريش والأنصار فى دار أنس .

وقال ﷺ : « المتحابون فى الله على منابر من نور فى ظل العرش يوم لا ظل إلا ظله » ، ولما قال رجل من الأنصار يوم السقيفة : منا أمير ومنكم أمير ، قال عمر : سيفان فى غمد لا يصطلحان ، ثم بايع لأبى بكر رضى الله

عنه فبايع الناس ، وذلك أنه إذا بويع لاثنين تغير الأمر وتبدد ، وقوى العدو وتمرد ، واشتد الخلاف وتجدد ، وتنغص العيش وتنكد :

فالافتراق مذل مابه رشد والاجتماع يعز الأهل والخلا

وفى اجتماع القلوب ، تزول الكروب ، قال الله تعالى فى قوم مقتهم : (تحسبهم جميعاً وقلوبهم شتى ذلك بأنهم قوم لا يعقلون) .

﴿ فصل ﴾ إذا فهمت هذا فيما يورث التحاب ويزرع فى القلوب المودة ، الصلاح . وقال الله تعالى : (إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن وداً) أى محبة فى القلوب . ومنه الزهد : قال ﷺ : « إزهد فى الدنيا يحبك الله ، وازهد فيما فى أيدى الناس يحبك الناس » .

ومنه العفو : قال الله تعالى : (ادفع بالتى هى أحسن فإذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم) . قال ﷺ : « تعانوا تسقط الضغائن بينكم » ومنه التواضع : قال ﷺ : « ثمرة التواضع المحبة » .

ومنه السخاء : قال ﷺ : « من طلب محبة الناس فليبذل ماله » . وقال ابن مهران : من طلب مرضاة الإخوان بلا شىء فليصادق أهل القبور .

ومنه الهدية قال ﷺ : « تهادوا تحابوا ، وتذهب الشحناء » . وقال ﷺ : « نعم المفتاح الهدية أمام الحاجة » . وقال ﷺ : « الهدية تذهب السخيمة » أى الحقد والغل . وأنشد بعضهم فى ذلك :

إذا أتت الهدية دار قوم تطايرت الفظاظة من كواها

وقال ﷺ : «تهادوا الطعام بينكم، فإن ذلك توسعة لأرزاقكم» ، وقال ﷺ : « الهدية رزق من الله طيب » .

﴿ فصل ﴾ وقال ﷺ : « من أهديت إليه هدية وعنده قوم ، فهم شركاؤه فيها ، وإن كانت ورقاً أو ذهباً » ، وقد أمر ﷺ : بالمكافأة بها

وإعطاء خـــير منها ، وعوض بـكر ست بـكرات ، وبطبق رطب وقثاء بملء كفه حلياً .

وقال وهب : وترك المكافأة من التطفيف ، ولا بأس بإهداء القليل قال ﷺ : « لا تحقرن جارة لجارتها ولو فرسن شاة — وهو نصف الظلف — » وقال : « لو أهدى إلى ذراع لقبلت » وقد كن أزواجه ﷺ يتهادين الجراد بينهن . ويكره رد الهدية ، ومن منعه من قبولها مانع شرعى فليحسن العذر .

ومنه المصافحة : قال ﷺ : « تصافحوا يذهب الغل » وقال ﷺ : « من أخذ بيد أخيه المسلم إكراماً له ، كرمه الله » . وقال ﷺ : « من تمام التحية الأخذ باليد » . وصافح حماد بن المبارك بيديه وقال ﷺ : « زر غباً ، تزدد حباً » . وقال ﷺ : « إذا أحب أحدكم أخاه فليعلمه » . وقال ﷺ : « إذا آخى الرجل الرجل فليسأله عن اسمه واسم أبيه وممن هو ، فإنه أوصل للمودة » . وقال ﷺ : « جبلت القلوب على حب من أحسن إليها ، وبغض من أساء إليها » وفى المثل : قطع الضراوة عداوة — أى قطع العادة — ومن ذلك الدعاء للمؤمنين والمؤمنات ، قال ﷺ : « من أراد أن يجعل الله له عهداً عنده وفى قلوب المؤمنين مودة ، فليكثر من الاستغفار للمؤمنين والمؤمنات » .

ومنه تسوية الصفوف فى الصلاة ، قال ﷺ : « استووا ولا تختلفوا ، فتختلف قلوبكم » ومن ذلك إفشاء السلام . ومعناه أن تسلم عليه كلما لقيته . قال ﷺ : « لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا ، ولا تؤمنوا حتى تحابوا ، أو لا أدلكم على شىء إذا فعلتموه تحاببتم افشوا السلام بينكم » .

﴿ فصل ﴾ وهنا أشرح آداب السلام ، ومافيه من تفصيل وأحكام ،

ومن يسلم عليـــه ومن لا ، وما أفضل ذلك وأولى ، واختصر فى ذلك جهدى ، وآتى منه بكل ماعندى .

فاعلم أن ابتداء السلام سنة مؤكدة على الكفاية ، فإن سلم ولو صبياً على واحد ، وجب عليه الرد إن كان بالغاً ، وندب إن كان صبياً ، أو على جماعة فالرد فرض كفاية ، فإن رد أحدهم سقط الإثم عن الباقين ، وإن ردوا كلهم كان أفضل ، وكانوا مؤدين للفرض ، سواء ردوا معاً أو مرتباً ، فإن امتنعوا كلهم أثموا كلهم ، ولا يسقط الفرض برد غيرهم ، ولا برد صبى منهم . وفى وجوب الرد على المجنون والسكران جوابان للعلماء ، وعندى أنه يجب على السكران دون المجنون .

ولابد فى السلام ورده من رفع الصوت بقدر ما يحصل به الإسماع ، ويسن رفعه حتى يسمعه سماعاً محققاً ، فإن شك فى ذلك زاد فى رفعه واستظهر ، وإن سلم على أيقاظ عندهم نيام ، فليخفض صوته بحيث يحصل إسماع الأيقاظ ولا يستيقظ النيام . وندب أن يرسل بالسلام إلى من غاب عنه من أهل الإسلام ، ويلزم الرسول أن يبلغه ، لأنه أمانة ، ولو ناداه بالسلام من وراء حائل أو كتب كتاباً وسلم عليه فيه ، أو أرسل رسولا فقال : سلم على فلان ، فبلغه الرسول والكتاب وجب الرد على الفور .

ويسن الرد على الرسول أيضاً فيقول : وعليك وعليه السلام ، ولو سلم على أصم أتى باللفظ وأشار باليد ، وإلا لم يستحق جواباً . وكذا فى جواب سلام الأصم يجب الجمع بينهما ، ويكره للناطق الإشارة بالسلام باليد ونحوها من غير لفظ ، والجمع بينهما حسن ، وسلام الأخرس وجوابه بالإشارة معتد به ، والأفضل أن يقول المسلم : السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ومغفرته ، أو سلام عليكم ، وبالتعريف أفضل ، ويأتى بصيغة الجمع وإن سلم على واحد فلو قال للواحد : السلام عليك أو سلام عليك حصل أصل السنة أيضاً .

ويكره الابتداء بقوله عليكم السلام ، أو عليك السلام ، ويجب به الرد . فلو قال وعليكم السلام بالواو ، فليس بسلام ، فلا يستحق جواباً ، ويجب أن يكون الرد متصلا بالسلام كاتصال الإيجاب والقبول في العقود ، فإن أخر ثم رد لم يكن جواباً وأثم . وأقل الجواب عليكم السلام أو عليك السلام للواحد ، والأفضل عليكم السلام ورحمة الله وبركاته ومغفرته ورضوانه ، أو عليك السلام للواحد ، فيأتي بالواو أوله ، فإن حذفها أجزأه على الأصح . وكذا ولو قال السلام عليكم ، أو سلام عليكم فلو قال عليكم أو وعليكم بلاتعرض اسلام ، لم يكن جواباً ، كما أنه لو قال : السلام ولم يقل عليكم لم يكن سلاماً ، وفيه احتمال .

ولو سلم عليه جماعة فقال وعليكم السلام وقصد الرد عليهم ، جاز وسقط الفرض ، فإن تلاقى اثنان فسلم كل منهما على صاحبه مرتباً ، كان الآخر جواباً ، أو معاً كان كل منهم مبتدئاً ، فيجب على كل أن يجيب ، والابتداء بالسلام أفضل ، فينبغي لكل أحد أن يحرص على أن يسبق فيبتدىء به . ومن سلم على واحد فغاب ثم لقيه على قرب ، يسن أن يسلم ثانياً وثالثاً وأكثر ، كما لو تماشوا جماعة فحال بينهم شجرة ونحوها ثم التقوا ، وكذا إذا كانوا قياماً فاستيقظوا ندب أن يسلم بعضهم على بعض . وندب أن يسلم الماشي على الجالس والراكب على الماشي والقليل على والكثير ، والصغير على الكبير ، ولا يكره ابتداء الجالس والماشي والكثير والكبير وإن كان خلاف الأولى ، هذا إذا تلاقوا في طريق ، فأما إذا ورد على قاعدة أو قعود فالوارد يبدأ صغيراً كان أو كبيراً ، قليلا أو كثيراً ، ويقطع القراءة ليسلم .

وندب البداءة بالسلام قبل كل كلام ، ولو سلم فأجيب ثم كرر السلام مراراً فمقتضى أن إجابته واجبة كلما سلم ، لعموم قوله تعالى : (وإذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها) الآية ، ما لم يقصد التلاعب .

ولو لقى صاحبه أو ورد عليه فلم يسلم لنسيان أو نحوه فهل يتداركه ؟ ينبغى أن يكون كمن ترك تحية المسجد حتى جلس ، على الخلاف فى ذلك .

ويكره أن يخص طائفة من الجمع بالسلام ، وأن يسلم على مشتغل بالبول ، أو الجماع ونحوهما ، أو على نائم أو ناعس ، وعلى المصلى ، وعلى المؤذن حال أذانه وإقامته ، وعلى من فى حمام ونحوه ، ومن يأكل واللقمة فى فمه ، ومن هو مشتغل بالدعاء مستغرق فيه منجمع القلب عليه ، فإن فعل لم يستحق رداً فى كلها ، ويكره للبائل ونحوه رده .

ويسن للمصلى بالإشارة ، بيده أو برأسه ، فلا يتلفظ بشىء ، فإن رد بعد فراغها فلا بأس ، ولو قال عليه السلام ، لم يضر وكذا لو قال للعاطس يرحمه الله لم يضر ، فإن أتى بلفظ الخطاب بطلت صلاته ، ذكره فى الروضة ويسن للآكل والمؤذن رده ، ويكره السلام على الملبى ، فإن فعل وجب الرد لفظاً .

ويكره السلام والإمام يخطب ، فإن فعل وجب الرد فى الأصح ، وأما الآكل ولا لقمة فى فمه ، ومن هو فى مبايعة أو سوم أو معاملة أو قراءة ، فيسلم عليهم ويجب الرد لفظاً ، ويستأنف القارىء التعوذ ومن مشى فى شارع أو سوق ونحوه سلم على من شاء . ولو دخل على جماعة يعمهم سلام واحد اقتصر عليه لجميعهم ، وما زاد من تخصيص بعضهم فهو أدب ، ويكفى رد أحدهم كما مر ، فإن زادوا فأفضل ، فإن كانوا جمعاً لا ينتشر فيهم سلام واحد كالجامع ، فسنة السلام أن يبدأ به إذا شاهدهم ، فيكون مؤدياً سنته فى حق من سمع ، ويجب الرد على من سمعه على الكفاية ، فإن جلس فيهم سقط عنه سنة السلام فيمن بعده ممن لم يسمعه ، وإن أراد الجلوس فيمن بعدهم ممن لم يسمعه سلم عليهم أيضاً . وقيل قد حصلت السنة بالسلام على أوائلهم .

﴿ فصل ﴾ ومن أراد الجلوس بين قوم جلس حيث ينتهى به المجلس ولا يقيم أحداً من موضعه، فإن آثره غيره لم يقبل إلا أن يكون فى تقديمه مصلحة، أو أمره شيخه بذلك، ولا يجلس وسط الحلقة إلا لضرورة، ولا يجلس بين صاحبين إلا بإذنهما، فإن فسحا له قعد وضم نفسه، ومن قام من مجلسه ثم رجع فهو أحق به، ولا يترك أحد السلام لغلبة ظنه أن المسلم عليه لا يرد لسبب ما. وسلام النساء على النساء كسلام الرجال على الرجال ولو سلم رجل على امرأة أو عكسه فإن كانت زوجته أو أمته أو بينهما محرمية فالسلام سنة والرد واجب، وإن كانت أجنبية يخاف الافتتان بها لم يسلم، فإن فعل حرم عليها الرد، ولا تسلم هى عليه فإن فعلت كره أن يرد. وإن كانت عجوزاً جاز السلام ووجب الرد، وإن كن جمعاً فسلم عليهن الرجل أو الرجال جمعاً فسلموا على المرأة، جاز ما لم يخف فتنة، ويجوز السلام بالعجمية، وإن قدر على العربية إذا فهم المخاطب، ومن لا يستقيم نطقه سلم كيف أمكنه. والسلام عند الانصراف عن القوم سنة كهو عند القدوم ويجب جوابه فى الأصح.

ولا يجوز أن نبتدىء الذمى بسلام. ومن سلم على من لا يعرفه فبان ذمياً، ندب أن يقول استرجعت سلامى أورده على تحقيراً له، فإن سلم هو على مسلم لم يزد فى الرد على وعليكم.

ويكره أن نبتدىء الذمى بشىء من الإكرام، ومن احتاج إليه لعذر حياه بغير سلام ورحمة، كقوله: هداك الله، أنعم الله صباحك، أو صبحك الله بالخير، أو بالسرور أو بالعافية، أو السعادة، ونحوه. ومن مر على جماعة فيهم مسلم أو مسلمون وكفار سلم عليهم، وقصد المسلم أو المسلمين ومن كتب كتاباً إلى مشرك قال فيه سلام على من اتبع الهدى. وأما المبتدع ومن اقترف ذنباً ولم يتب منه، فينبغى أن لا يسلم عليه

ولا يرد عليه سلام . فإن اضطر إلى السلام على الظلمة بأن خاف ترتب مفسدة فى دينه أو دنياه أو غيرهما إن لم يسلم ، سلم ونوى أن السلام اسم من أسماء الله تعالى — المعنى الله عليكم رقيب — ذكر كل ذلك النووى رحمه الله .

قال : ولا ينبغى فى غير الأنبياء أن يقال فلان عليه السلام ونحوه . سواء الأحياء والأموات إلا إذا كان خطاباً أو جواباً . قال : والتحية عند الخروج من الحمام لا أصل لها، لكن لو قال له حفظاً لوده ومؤانسة له: أدام الله لك النعيم ونحوه من الدعاء فلا بأس . قال ولو ابتدأ المار فقال : صبحك الله بالخير أو بالسعادة ، أو لا أوحش الله منك ونحوه ، لم يستحق جواباً ، لكن لو دعا له قبالته كان حسناً إلا أن يريد ترك ذلك تأديباً له ولغيره لإهمال السلام .

ويسن لمن سلم على إنسان أسمعه كلامه وتوجه عليه الرد بشروطه فلم يرد أن يقول له بعبارة لطيفة : رد السلام واجب ، فينبغى أن ترد على ليسقط عنك الفرض ، فإن لم يرد ندب أن يحلله من ذلك فيقول : أبرأته من حقى فى رد السلام ، أو جعلته فى حل منه ويتلفظ به ، فإنه يسقط به حق هذا الآدمى .

ويكره أن يقول لغيره أو يكتب إليه : أطال الله بقاءك ، فأول من كتبها الزنادقة ، ومكاتبة المسلمين كانت من فلان إلى فلان : أما بعد سلام الله عليك، فإنى أحمد الله إليك الذى لا إله إلا هو، وأسأله أن يصلى على محمد وعلى آل محمد .

﴿ فصل ﴾ ويسن للبالغ إذا أراد الدخول على قوم ولو على أمه ونحوها ، أن يستأذن فيسلم ثم يقوم على الباب بحيث لا ينظر إلى من

داخله فيقول : السلام عليكم أدخل ؟ فإن لم يجبه أحد قال ذلك ثانياً وثالثاً فإن لم يجبه أحد انصرف ، ولا يعيد الاستئذان على أصح الأوجه ، ويستأذن بالدخول على أهل الذمة ولا يقدم لفظ السلام ، فإذا استأذن بذلك أو بدق الباب فقيل له من أنت؟ فينبغي أن يصف نفسه بما يعرف به، فيقول أنا فلان بن فلان ، أو المعروف بكذا ، وإن كان فيه صورة تبجيل كالقاضي فلان أو الشيخ فلان . ويكره اقتصاره على أنا ، أو على الخادم ، أو بعض الأصحاب ونحوه .

وسئل النبي ﷺ عن الاستئناس في قوله تعالى : (لا تدخلوا بيوتاً غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها) فقال : « يتكلم الرجل بالتكبيرة والتحميدة ويتنحنح ، يؤذن أهل البيت » .

وأما المملوك والأطفال، فيستأذنون في ثلاثة أوقات في اليوم والليلة : أحدها من قبل صلاة الفجر ، والثاني وقت الظهيرة حين يضع ثوبه ، والثالث بعد صلاة العشاء حين يفضي الرجل إلى امرأته ، ولا يحتاجون إلى استئذان فيما عدا ذلك ، فإذا بلغ الأطفال استأذنوا لكل دخول كغيرهم . ومن دعي فجاء مع الرسول فذلك إذنه، ويعتبر قول الصبي المميز بالإذن بالدخول وإيصال الهدية ونحوها .

﴿ فصل ﴾ ويستحب استحباباً مؤكداً زيارة الصالحين ، والجيران والأصدقاء والأقارب ، وإكرامهم وبرهم لما قدمنا ، ولقوله ﷺ : « من عاد مريضاً أو زار أخاً له في الله ، ناداه مناد بأن طبت وطاب ممشاك، وتبوأت من الجنة منزلا » .

ولتكن زيارته على وجه لا يكرهونه في وقت يرتضونه، وندب طلب الإنسان من صاحبه الصالح أن يزوره ويكثر زيارته ، ومن زار قوماً

فلا بأس أن يأكل طعامهم ويقبل عندهم ، ولا ينقص حظه به ، ولا بأس بزيارة العجائز للتبرك والدعاء . قال أبو بكر : قوموا بنا نزور أم أيمن كما كان ﷺ يزورها .

﴿ فصل ﴾ ويسن إكرام الواصل بالقيام له . ويكون للبر والإكرام لا للرياء والإعظام . وأن يقام لقيامه إذا انصرف حتى يتوارى ، ويكره حنى الظهر والرأس في كل حال لكل أحد، ويحرم أن يطمع في قيام القوم له والله أعلم .

وقال ﷺ : « إذا جاءكم الزائر فأكرموه » . وقال ﷺ : « أفضل الحسنات تكرمة الجلساء » .

وقال صلى الله عليه وسلم : « إن الجواب الكتاب حقاً كرد السلام » .

القسم السادس والعشرون : السلام عند دخول البيت وإن لم يكن فيه أحد ، قال الله تعالى : (فإذا دخلتم بيوتا فسلموا على أنفسكم تحية من عند الله مباركة طيبة) الآية .

وقال ﷺ لأنس : « إذا دخلت على أهلك فسلم ، تكن بركة عليك وعلى أهلك » .

ويروى : « من لقيت من أمتي فسلم عليه ، يطل عمرك ، وسلم على أهل بيتك ، يكثر خير بيتك » .

وقال: « ورجل دخل بيته بسلام فهو ضامن على الله تعالى» فإن لم يكن فيه أحد قال : السلام عليكم أهل البيت ورحمة الله وبركاته ، السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين .

القسم السابع والعشرون: مما يورث البركة وينفي الفقر، المواظبة على الدعاء الذي من قاله أذهب الله همه، وقضى دينه، ولو كان مثل جبل كبير. وهو أن يقول إذا أصبح وإذا أمسى: «اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن، وأعوذ بك من العجز والكسل، وأعوذ بك من الجبن والبخل، وأعوذ بك من غلبة الدين وقهر الرجال». هكذا رواه أبوداود عن النبي ﷺ ويزيد: «اللهم اكفني بحلالك عن حرامك، واغنني بفضلك عمن سواك». ذكره الترمذي في حديث حسن. وروى ابن السني أن النبي ﷺ قال: «ما يمنع أحدكم إذا عسر أمر معيشته أن يقول إذ خرج من بيته: بسم الله على نفسي ومالي وديني، اللهم رضني بقضائك وبارك لي فيما قدر لي، حتى لا أحب تعجيل ما أخر ولا تأخير ما عجلت». وقال ﷺ: «من قال في كل يوم مائة مرة: لا إله إلا الله الملك الحق المبين، كان له أماناً من الفقر» ذكره في الفائق. وقال ﷺ: «إذا تعسر عليك أمر دنياك ووقعت في ضيق وضنك، فأكثر من لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، فإن الله تعالى يفرج عنك كل هم وغم» وقال مكحول: من قال لا حول ولا قوة إلا بالله، ولا ملجأ من الله إلا إليه صرف عنه سبعين باباً من الضر. ويروى من الفقر ذكره الترمذي في جامعه. وقال بعض التابعين: من كثرت همومه فعليه بالاستغفار، ومن ألح عليه الفقر، فليكثر من قوله لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

القسم الثامن والعشرون: تسمية الله في جميع الأعمال، وتكرار التسمية في كل الأحوال حتى عند دخوله الخلاء والوقاع ونحوه. روى الثعالبي أنه ﷺ قال: «حلف الله بعزته أن لا يسمى اسمه على شيء إلا شفاه الله، ولا يسمى اسمه على شيء إلا بارك الله عليه» ومن قرأ بسم الله الرحمن الرحيم دخل الجنة. وروى الترمذي أنه ﷺ كان يأكل طعاماً في ستة من أصحابه، فجاء أعرابي فأكله بلقمتين، فقال: «أما إنه لو سمى

لكفاكم » . وقال ﷺ : « كل أمر ذى بال لا يبدأ فيه ببسم الله الرحمن الرحيم فهو أقطع (١) » .

فالتسمية سنة فى ابتداء كل قول وعمل ، كائناً ما كان خلا الاستنجاء ، ويأتى بها الجنب والحائض ولا يقصد القرآن ويجهر بها حيث يسمع رفقته ليقتدوا به فيها ، فإن سمى أحـــد الآكلين ونحوهم أجزأ عن الباقين . والأفضل أن يأتوا بها كلهم فإن اسمه تعالى دواء مجرب يذهب الداء ويجلب الدواء ، به تستنزل البركات وبه ينجى من الهلكات . قال ﷺ : « جعل الله هذه الآية شفاء من كل داء وعوناً لكل دواء ، وغنى من كل فقر ، وستراً من النار ، وأماناً لهذه الأمة من الخسف والمسخ والغرق والقذف ما داموا على قراءتها ولا يرد دعاء أوله بسم الله الرحمن الرحيم » رواه النقاش فى تفسيره .

وقد أمر ﷺ بكتبها فى صدور الرسائل والدفاتر ، وهى آية من الفاتحة . وقد رددها فى قراءته عشرين مرة ، وأمرت عائشة رضى الله عنها خياطة أن تنقض رقعة ثوبها لأنها لم يسم الله عليها ، وينبغى لمن كتب بسم الله الرحمن الرحيم أن يجودها ، قال ﷺ : « من كتب بسم الله الرحمن الرحيم فجودها تعظيما لله غفر الله له » . وقال ﷺ : « إذا كتبت فبين السنة فى بسم الله الرحمن الرحيم » . وقال ﷺ : « إذا كتبت ألق الدواة ، وحرف القـــلم وأقم الباء ، وفرق فى السين ، ولا تعور الميم ، وحسن الله ، ومد الرحمن ، وجود الرحيم » ذكره فى كتاب الشفا .

القسم التاسع والعشرون : سكنى المواضع المعهودة بالبركة ، وتجنب مايدعو إلى الهلكة . روى مالك فى الموطأ أن امرأة قالت : يا رسول الله

---

(١) قال النووى : ناقص قليل البركة . وقوله ذو بال : أى حال يهتم به .

داراً سكناها والعدد كثير ، والمال وافر ، فقل العدد ، وذهب المال ؟ فقال : « دعوها ذميمة » ونحوه فى سنن أبى داود . وفيه أيضاً قال فروة : « يا رسول الله أرض عندنا يقال لها أرض أبين ، وهى أرض ريفنا وميرتنا وإن وباءها شديد » فقال : « دعها عنك ، فإن من القرف التلف (١) » .

قال مالك رحمه الله : كم دار سكنها ناس فهلكوا ، ثم آخرون فهلكوا . وكتب عمر إلى أبى عبيدة وهو بالشام لما وقع بها الطاعون إن الأردن أرض غميقة : أى كثيرة الأنداد والوباء — وإن الجابية أرض نزهة ، أى بعيدة من ذلك — فاظهر بمن معك من المسلمين إلى الجابية . وقال ﷺ : فى البصرة : « إياك وسباخها وكلأها وسوقها عليك بضواحيها فإنه يكون بها خشف وقذف ورجف » . وقال ﷺ : « إن مصراً ستفتح بعدى ، فانتجعوا خيرها ولا تتخذوها داراً ، فإنه يساق إليها أقل الناس أعماراً » . وقال ﷺ : « رأس الكفر نحو المشرق » وقال ﷺ : فى نجد : « هناك الزلازل والفتن ومنها يطلع قرن الشيطان » وقال ﷺ : « لا يزال أهل الغرب بخير حتى يأتى أمر الله »(٢) . وقال ﷺ : « من تعذر عليه الملتمس فعليه بهذا الوجه » ـ وأشار إلى اليمن ـ .

وقال ﷺ : « عليكم باليمن إذا هاجت الفتن ، فإن قومه رحماء ، وإن أرضه ، مباركة » . وقال ﷺ : « اللهم بارك لنا فى شامنا ، اللهم بارك لنا فى يمننا » ، وقال ﷺ : « عليكم بالشام فإنها خيرة الله من أرضه ، يجتبى إليها خيرته من عباده » . وقال ﷺ : « طوبى للشام ، لأن

---

(١) القرف : مدانات المرض ، أى قرب الوباء يتلف ، وسماعنا أبين بفتح الهمزة ، ويروى بكسرها .

(٢) أراد أهل المغرب ذكره فى الشام .

ملائكة الرحمن باسطه أجنحتها عليها » . وقال ﷺ : « أوتاد الأرض من أمتى أبدال الشام ، وعصب اليمن أربعون صديقاً ، لا يموت منهم أحد إلا أبدل الله مكانه مثله » .

ولا يخفى فضل مكة والمدينة والأرض المقدسة : ومن هنا روى أنه لما خلق الله الخلق ، خلق معهم عشرة أشياء وهى : الإيمان ، والحياء ، والكفر ، والنفاق ، والهجرة . والسيف ، والغنا ، والذل ، والشقاء ، والفقر . فقال الإيمان : أنا راحل إلى اليمن ، وقال الحياء : وأنا معك ، وقال الكفر : أنا راحل إلى العراق ، وقال النفاق : وأنا معك ، قالت الهجرة : أنا راحلة إلى الشام ، قال السيف وأنا معك، قال الغنى : أنا راحل إلى مصر . قال الذل : وأنا معك . قال الفقر : أنا راحل إلى البادية . قال الشقاء وأنا معك .

وقال كعب لعمر رضى الله عنه : لا تخرج إليها — يعنى العراق — فإن فيها تسعة أعشار السحر والشر ، وبها فسقة الجن ، وبها الداء العضال يعنى الهلاك فى الدين .

وفى حكمة عمر أنه قال : فرقوا عن المنية ، واجعلوا مرأس رأسين ، ولا تلبثوا بدار معجزة ، وأصلحوا مثاويكم — أى منازلكم — وأخيفوا الهوام قبل أن تخيفكم ، واخشوشنوا واخشوشبو وتمعددوا (١) .

---

(١) قوله فرقوا عن المنية : أى إذا أراد أحدكم أن يشترى شيئاً من الحيوان من رقيق أو غيره من الدواب فلا يغالين فيه فإنه لا يدرى ما يحدث به . ولكن ليجعل ثمنه فى رأسين . وإن كانا دون الاول فإن مات أحدهم بقى الآخر . والمنية : الموت . والإلباث : الإقامة . يقول لا تقيموا ببلد قد أعجزكم فيه الرزق، ولكن اضربوا فى البلاد . وهذا شبيه بقوله : إذا اتجر أحدكم فى شىء ثلاث مرات فلم يرزق فيه فليدعه . وقوله : أخيفوا الهوام قبل أن يخيفكم أى =

القسم الثلاثون : التجارة والسفر لابتعاد الرزق ، قال الله تعالى :

= دواب الارض كالعقارب والحيات . يقول احترسوا منهن ولايظهر لكم منهن شيء إلا قتلتموه. والهوام كل مايدب من الحيوان وإن لم يقتل كالحشرات. ومنه قوله لكعب : أتؤذيك هوام رأسك - يعنى القمل - ثم منها مايستحب قتله للمحرم وغيره ، وهى المؤذيات كالحية والعقرب والفأرة والقراد والبق والبرغوث والقمل وسام أبرص والوزغ . قال ﷺ : « من قتل حية فكأنما قتل كافراً » وقال ﷺ : « من قتل وزغاً فى أول ضربة كتب له مائة حسنة . وفى الثانية دون ذلك . وفى الثالثة دون ذلك » رواه مسلم . ومنها ما يكره قتله وهو مالايظهر فيه نفع ولا ضرر كالخنافس والجعلان وبنات وردان . ومنها نوع يحرم قتله كالضفادع والنمل والذر ونحوها . قال النقاش : ويقال قتلها ينقص من رزق المرء ولايجوز إحراق شيء من الحيوان فى النار حياً والله أعلم.

وقوله واخشوشنوا : هو من الخشونة فى اللباس والمطعم . واخشوشبوا — بالباء — شبيه به وهو كل شيء غليظ خشن ، فهو خشن وخشب وهو من الغلظ وابتذال النفس فى العمل ، والاحتفاء فى المشى ليغلظ الجسد ويصلب . وقد قال ﷺ : « تمعددوا واخشوشنوا وانتعلوا وامشوا حفاة » وقوله تمعددوا : فيه قولان . يقال هو من الغلظ أيضاً . ومنه قيل للغلام إذا شب وغلظ : قد تمعدد . قال الراجز :

ربيتــه حتى إذا تمعــددا   كان جزائى بالعصا أن أجلدا

يقال : تمعددوا تشبهوا بعيش معد . وكانوا أهل قشف وغلظ فى المعاش . يقول فكونوا مثلهم ودعوا التنعم وزى العجم . قال فضالة : كان النبى ﷺ ينهانا عن كثير من الإرفاه . وكان يأمرنا أن نحتفى أحياناً . وقد كان الصحابة رضى الله عنهم يمشون حفاة ويصلون على الارض بلا سجادة. ويأكلون الطعام المديس بالدواب وهى قد تبول عليه ، ويمسحون أيديهم بعــد الغمر بأخمص نعالهم ، أو يعركونها بالتراب ، ثم يصلون من غير مس ماء . وعدوا الاشنان بدعة. ولم يحترزوا عن عرق الدواب المتمرغة بالنجاسة. عمدوا إلى الباطن فطهروه تأديباً وهذبوه تهذيباً . ووقفوا فى الظاهر على ماجوزه الشرع تقريباً وترغيباً.

(فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه) وقال (وآخرون يضربون فى الأرض يبتغون من فضل الله) أى يتجرون — وقال ﷺ : «سافروا تصحوا ويغنموا» ويروى : تصحوا وترزقوا» وقال ﷺ : «البركة فى التجارة وصاحبها لا يفتقر، إلا تاجر حلاف مهين» . وقال ﷺ : «بيعوا وابتاعوا، فإن لم تربحوا بورك لكم» . وقال ﷺ : «تسعة أعشار الرزق فى التجارة، والجزء الباقى فى السابيا» يعنى النتاج ويروى : «الخير عشرة أجزاء، أفضلها التجارة إذا أخذ الحق وأعطاه» وقال ﷺ : «التاجر الصدوق الأمين، مع النبيين والصديقين والشهداء» .

قال ﷺ : «البيعان بالخيار ما لم يفرقا، فإن صدقا وبينا، بورك لهما فى بيعهما، وإن كذبا وكتما محقت البركة من بيعهما» وقال ﷺ : «ما أملق تاجر صدوق» : وقال ﷺ : «من استطاع أن يشترى دابة فليشترها، فإنها تأتيه برزقها وتعينه على رزقه، وسافروا يوم الاثنين فإنه نجاح» . وقال موسى عليه السلام : سافروا وأمـلوا فى أسفاركم البركة، فإنى قد سافرت وما أؤمل كل ما أتانى . وينشد فى المعنى :

تغرب على اسم الله فى طلب العلا وسافر ففى الأسفار خمس فوائد
تفرج هم واكتساب معيشة وعلم وآداب وصحبة ماجـد

قال العلماء رضى الله عنهم : والتجارة هى الاسترباح بالبيع والشراء، وقد كان ﷺ وأبو بكر وعمر وعثمان وابن عوف وطلحة وابن مهران وابن سيرين بزازين، والزبير وعمرو بن العاص وابن كريز خرازين . وكان العباس عطاراً، وأبو سفيان وأيوب السختيانى بيعان الجلود، ومالك ابن دينار وراقاً . رضى الله عنهم أجمعين .

القسم الحادى والثلاثون : مما فيه البركة، وينمى المال اتخاذ الغنم . قال ﷺ : «الغنم بركة، والإبل عز لأهلها» وقال ﷺ : «صلوا فى مرابض

الغنم فإنها بركة » ويروى : « اتخذوا الغنم فإنها بركة » ويروى : « بركة الأموال الغنم » ويروى : « أفضل الأموال الغنم » . قال ﷺ : « « خير الماء الشبم ، وخير المال الغنم ، وخير المرعى الأراك والسلم » : وقال ﷺ : « عليكم بالضأن فإنه مال يغمى » وقال ﷺ : « خير المال الشاة » وقال ﷺ : « الشاة بركة ، والشاتان بركتان ، والثلاث شياه ثلاث بركات » وقال ﷺ : « السكينة فى أهل الغنم وهى من دواب الجنة ، وما من نبى إلا رعاها » ويروى : « استوصوا بالمعز خيراً ، فإنه مال رقيق (١) وانفشوا له عطنه أى نقوا مرابضها مما يؤذيها من حجارة وشوك وغيره .

ويروى أن أبا هريرة قال لحميد بن مالك أحسن إلى غنمك ، وامسح الرغام عن أنوفها — وهو ماء يسيل منها — وأطب مرحها وصل فى ناحيتها والذى نفسى بيده ليوشك أن يأتى على الناس زمان يكون فيه الثلة من الغنم أحب إلى صاحبها من دار مروان . وقال ﷺ : « يأتى على الناس زمان خير مال المسلم الغنم يتبع بها شعف الجبال ومواضع القطر ، يفر بدينه من الفتن » . وقال ﷺ : « شر الرعاة الحطة (٢) » وقال عمر إن الزجر شديد عليها — يعنى الحبس للأول عن الآخر — قال الهروى رضى الله عنه : وفى الحديث أن امرأة شكت إليه قلة نسل غنمها ورسلها — أى لبنها — وأنها لا تنمو ، فقال لها النبى ﷺ : « ما ألوانها ؟ » قالت سود ، قال لها عفرى(٣) .

---

(١) يعنى ليس له صبر كصبر الضأن على البرد والحفا وفساد المأوى .

(٢) وهو الذى لا يرفق بالماشية بل يسوقه سوقاً عنيفاً حتى يحطم بعضها بعضاً .

(٣) يعنى اخلطيها بعفر أى اجعلى مكانها عفراً واستبدلى بيضاً فالبركة فى البيض .

﴿ فصل ﴾ وقال ﷺ : « سيد البهائم البقر » . وقال فى الإبل : « إنها خلقت من الشياطين فلا يأتى نفعها إلا من جانبها ، الأشأم وأن على ذروة كل بعير شيطاناً » . وقال أكثم : عليكم بالإبل فأكرموها فإنها حصون العرب ، وفيها ثمن الكريمة ، وفكاك الدم ، وفى ألبانها يتحف الكبير ويغذى الصغير ، ولو كلفت الإبل الطحن لطحنت .

القسم الثانى والثلاثون : اتخاذ النخل فإنها بركة ، قال ﷺ : « إن من الشجر لما بركته كبركة المسلم » — يعنى النخلة — وقال الله تعالى فيها : (كشجرة طيبة) الآية ، أراد بها النخلة ، وقال ﷺ : « نعم المال النخل ، الراسخات فى الوحل ، المطعمات فى المحــــل » ــ يعنى الجدب ــ . وقال ﷺ : « أكرموا النخلة فإنها عمتكم » . وقال ﷺ : « لا يجوع أهل بيت عندهم التمر » .

وقال ﷺ : « إذا أفطر أحدكم فليفطر على تمر فإنه بركة فإن لم يجد تمراً فليفطر على الماء فإنه طهور » . وقال ﷺ : « التمر البرنى ، فيه شفاء من كل داء » وقال ﷺ : « خير تمركم البرنى يذهب بالداء ولا داء فيه ، ولا ضرر من التمر » . وقال ﷺ : « من تصبح بسبع تمرات عجوة ، لم يضره ذلك اليوم سم ولا سحر » . روى فى الصحيحين . وقال ﷺ : « ينفع من الجذام والبرص أن تأخذ سبع تمرات كل يوم من عجوة المدينة تفعل ذلك كل يوم » رواه أبو نعيم(١) وقال ﷺ : « كلوا البلح بالتمر فإن الشيطان يحزن إذا رأى ابن آدم يأكله يقول عاش ابن آدم حتى أكل الجديد بالخلق » وقال ﷺ : « أطعموا نساءكم فى نفاسهن التمر ، فإن من كان طعامها التمر فى نفاسها خرج ولدها حليما ، رواه الحافظ أبو نعيم .

---

(١) وقال أهل الطب : العجوة صنف من التمر كريم صاب مكرز متين القوة وهى شفاء من السم ، لاسيما السموم الباردة . وهى تنفع من لسعة العقرب وذلك مجرب وغير ذلك ، قاله الهروى والازهرى والصيخانى منها .

وقال ﷺ : « إذا ولدت امرأة فليكن أول ما تأكل رطباً ، فإن لم يكن فتمرة ، فإنه لو كان شيء أفضل منه أطعمه الله مريم حين ولدت عيسى» وكان لا يغدو يوم الفطر حتى يأكل تمرات وتراً ، ولا يطعم يوم الأضحى حتى يصلي .

وقال ﷺ : « نعم سحور المؤمن التمر» وقال ﷺ: « أكل التمر أمان من القولنج » والله أعلم .

القسم الثالث والثلاثون : مما روى أن فيه أن فيه البركة العسل ، قال الله تعالى : (يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس) .
وقال ﷺ : « جعل الله البركة فى العسل وفيه شفاء من جميع الأوجاع » .
وقال ﷺ: « من شرب العسل فى كل شهر مرة - يريد ما جاء به القرآن - عوفى من سبعة وسبعين داء » . وقال ﷺ : « نعم الشراب العسل » .
وقال ﷺ : « من لعق العسل ثلاث غدوات كل شهر لم يصبه عظيم من البلاء » وقال ﷺ : « عليكم بالعسل ، فوالذى نفسى بيده ما من بيت فيه عسل ، إلا وتستغفر الملائكة لأهل ذلك البيت ، فإن شربه رجل منهم فى جوفه ألف دواء ، وخرج منه ألف داء ، فإن مات وهو فى جوفه لم تمس النار جسده » . وقال ﷺ : « عليكم بالشفاءين، العسل والقرآن» .
وقال ﷺ : « ما طلب الدواء بشيء أفضل من شربة عسل » . وقال ﷺ فى العسل : « إنه يسرو عن فؤادى ، ويجلو لى عن بصرى » وقال: « الذباب كله فى النار إلا النحلة » .

وكان ابن عمر رضى الله عنه لا يشكو قرحة ولا شيئاً إلا طلى عليه بالعسل حتى الدمل ، ويقول : قد جعل الله فيه شفاء للناس .

وقال علي رضى الله عنه : إذا اشتكى أحدكم شيئاً من بطنه ، فليسأل امرأته ثلاثة دراهم من صداقها ، وفى رواية أربعة دراهم ، فيشترى بها عسلا ويشربه بماء السماء ، فيجمع الله الهنيء والمريء والشفاء المبارك .

القسم الرابع والثلاثون : مما يورث البركة كيل الطعام وتقويته. وحسن التدبير والتقدير . قال ﷺ : « كيلوا طعامكم يبارك لكم فيه » . وفى حديث آخر : « قوتوا طعامكم ، يبارك لكم فيه »(١) . وروى « الطعام المكيل بركة » ، ويروى أن قوماً شكوا إلى النبي ﷺ سرعة فناء طعامهم فقال : « أتكيلون أم تهيلون » ؟ قالوا : بل نهيل ، قال لهم : « فكيلوا ولاتهيلوا » – أى لاتصبوه صباً – وقال ﷺ : « التدبير نصف المعيشة » . وقال ﷺ : « من فقه المرء رفقه فى معيشته » . وقال ﷺ : « من قدر رزقه الله ، ومن بذر حرمه الله » . وقال ﷺ : « من قصد فى معيشته رزقه الله » . وقال ﷺ : « إياكم والسرف فى النفقة ، وعليكم بالاقتصاد فما افتقر قوم اقتصدوا » ويروى : « ما عال من اقتصد »(٢) . ويروى : « ما عال امرؤ مع الاقتصاد نصف العقل والنصف الآخر فى مداراة الناس ، والتحبب إلى الناس مع الصدق من أخلاق الصالحين » .

وقال ﷺ : « لو أن المؤمن عبدَ الله عبادة نوح ألف سنة لما نفعه ذلك عند الله تعالى حتى تكون فيه ثلاث خصال : اقتباس العلم ، والاقتصاد فى النفقة ، وورع يحجزه عن معاصى الله تعالى » .

وقال مجاهد : إذا كان فى يد أحدكم شيء فليقتصد ، فإن الرزق مقسوم ، فلعل رزقه قليل وهو ينفق نفقة الموسع عليه ، وربما أنفق ماله أجمع فى الخير ثم لم يزل عائلا حتى يموت . وأنشد بعضهم :

قليل المال تصلحه فيبقى ولا يبقى الكثير مع الفساد
لحفظ المال أيسر من سؤال وضرب فى البلاد بغير زاد

---

(١) وقال الأوزاعى : يعنى به صغر الأرغفة ، وقيل هو كقوله كيلوا طعامكم .

(٢) أى ما افتقر من أنفق على أهله وعياله من غير إسراف ولا إقتار ، ذكره فى شرح الشهاب .

﴿ فصل ﴾ وينبغى إذا أراد الكيل أن يطوف حول الصبرة ثلاثاً ، ويسمى الله تعالى ويدعو بالبركة ثم يكيل ، قال جابر : مات أبى وتركت بنات وديناً كثيراً ، فعرضت على غرمائه أن يأخذوا التمر بما عليه فأبوا ، فقال ﷺ : اذهب فبيدر كل تمر على ناحية . ففعلت ، ثم دعوته فطاف حول أعظمهما بيدراً ثلاث مرات ثم جلس عليه ، فما زال يكيل لهم حتى أدى الله أمانة أبى ، وأنا والله راض أن يؤدى الله أمانة والدى ولم أرجع إلى إخوتى بتمرة واحدة ، فسلم الله البيادر كلها حتى أنى أنظر إلى البيدر الذى عليه رسول الله ﷺ كأنه لم ينقص تمرة واحدة ، ثم يأخذ من جانب الصبرة ولا يأخذ من وسطها كما يفعل فى الأكل . قال ابن يسار(١) : كان للنبى ﷺ قصعة يحملها أربعة رجال يقال لها الغراء ، فلما أضحوا وسجدوا الضحى أتى بتلك القصعة وقد ثرد فيها ، فأتى بها فالتفوا عليها . فلما كثروا جثا ثم قال : «كلوا من جوانبها ودعوا ذروتها يبارك فيها ، ويكثر ذكر الله ولو بقلبه ، ولا يدق رأس المكيال ولا يزلزله ولا يلف يده على رأسه ، لكن ماحمله المكيال وهو أن يكال برأسه ، وإن كان الطعام فى إناء فيأخذ منه قليلا قليلا ولا يصبه صبة واحدة ، فإن البركة تنزل فيما بقى فى الإناء ما لم يحص كم بقى فيه .

قال أبو هريرة: قال لى النبى ﷺ: «هل بقى فيه من شىء ؟» قلت نعم التمر فى المزود ، قال : «فأدخل يده فأخرج قبضة فبسطها ردعا فيها بالبركة ، ثم قال : ادع عشرة ، فأكلوا حتى شبعوا ، ثم عشرة فأكلوا حتى شبعوا ، ثم عشرة كذلك حتى أطعم الجلساء كلهم وشبعوا ، ثم قال : «خذ ماجئت به وأخل يدك واقبض منه ولا تصبه» فقبضت على أكثر مما جئت به ، فأكلت منه وأطعمت حياة رسول الله وأبى بكر وعمر وعثمان ، وحملت من ذلك التمر كذا وكذا من وسق فى سبيل الله . وقالت عائشة: مات النبى ﷺ

---

(١) ن . ابن بسر .

وما في بيتي شيء يأكله ذو كبـد حراء إلا شطر (١) شعير في زق لي ، فأكلت منه حتى طال علي ، فكلته ففنى ، ولو كنا تركناه لأكلنا منـه ذكره الترمذي . وجاء رجل يستطعم النبي ﷺ فأطعمه شطر وسق من شعير ، فما زال يأكل منه وامرأته وضيفهما حتى كاله ففنى ، فأتى النبي ﷺ فأخبره ، فقال له : « لو لم تكله لأكلتما منه حتى تملانه ولقام بكم » .

وكان لأم مالك عكة تقيم لها أدم بيتها حتى عصرتها . فقال ﷺ : « لو تركتها ما زال قائماً » .

﴿ فصل ﴾ ومن أعدل المكاييل المكيال المعروف بالأرضي(٢) عندنا، فإنه قدر صاع النبي ﷺ . أخبرني شيخي برهان الدين بن العلوي رضي الله عنه أن معه عيار صاعه ﷺ ، وأخبرني من أثق به أنه عاير عليه فوجدنا ذلك العيار كالأرضي ، والذي به التعامل اليوم نصف الأرضي الصاع ، والمد ربع أرضي والله أعلم ، وتقدير الصاع وزناً ستمائة درهم قفلة ، ذكر النووي رحمه الله . وقال الرافعي : ستمائة وثلاثة وتسعون وثلث والله أعلم .

﴿ فصل ﴾ ومن هذا إجادة العجين،قال عمر وهو على المنبر: أملكوا العجين ، فإنه أحد الريعين . ويروى : خير الطينين(٣) . وقال عمر رضي الله عنه : لا يذرن أحدكم الدقيق في البرمة حتى يغلي الماء .

---

(١) قولها شطر شعير : أي شيء من شعير .

(٢) الأرضي بفتح الراء : منسوب إلى أرضه . وهي قرية من قرى وصاب فيها سوق جمعة . وهي قريبة إلى عركبة التي يقول فيها محمد بن الحسن الكلاعي سنة أربع وأربعمائة في قصيدته المفحمة :

وعركبة فيها الشراحة طنبوا　　وكان بمقرى ترخمى عشنزو

(٣) أي أجيدوا عجنه وأنعموا ، والريع : الزيادة ، فالريع الأول الزيادة عند الطحن ، والثاني عند العجن .

القسم الخامس والثلاثون : التوسعة على العيال سيا فى يوم عاشوراء من المحرم ، وفى الأيام الفاضلة كشهر رمضان، وعشر عرفة . قال ﷺ: « من وسع على عياله يوماً لم يسأل الله شيئاً إلا أعطاه إياه . وقال ﷺ : « ما وسع قط على عياله أحداً ، إلا وسع الله عليه » . وقال ﷺ : « من وسع على عياله يوم عاشوراء ، وسع الله عليه السنة كلها » . ويروى : « سائر السنة » ويروى : « السنة جميعها » وقال سفيان رضى الله عنه : إنا جربناه خمسين سنة فوجدناه كذلك . قلت : وهذا حسن مجرب ينبغى الاعتماد عليه . وقال ﷺ : « من اغتسل يوم عاشوراء مرتين لم يمرض تلك السنة إلا مرض الموت ، ومن اكتحل بالأثمد يوم عاشوراء لم يضره رمد تلك السنة » ويروى«من اكتحل بالأثمد يوم عاشوراء لم ترمد أبداً » ، رواه الثعالبى مسند .

وقال يحيى بن أبى كثير : من اكتحل يوم عاشوراء بكحل فيه مسك لم يشك عينيه . قال الترمذى : وقد اختلف أهل العلم فى يوم عاشوراء أى يوم هو ؟ فقال بعضهم : العاشر من المحرم ، وقال بعضهم التاسع منه . قلت . ودليله قوله ﷺ : « لئن عشت إلى قابل لأصومن التاسع والعاشر » وقال بعضهم : هو الحادى عشر ، والأصح أنه العاشر والله أعلم . ولكن ينبغى الاستظهار بصيام كلها والتوسعة فيها . وأنشد السلفى :

صوم عاشوراء قد جاء عن المـ ... ـصطفى فيه أحاديث صحاح
فاغتنمه ثم أبشر بعــده ... بصلاح وفلاح ونجاح
فالذى قـــد جاء عنه ... وســـواه فرياح فى رياح

وقال ﷺ : « ما من أيام أعظم عند الله من أيام العشر . فأكثروا فيها من التحميد والتهليل والتكبير والصلاة على النبى ﷺ ، فيها ليلة عرفة وهى ليلة مباركة ، ويوم عرفة يوم مبارك ، ويوم عرفة سيد الأيام » .

وقال ﷺ : « ما من أيام العمل الصالح فيهن أحب إلى الله تعالى من هذه الأيام » - يعنى العشر - . ويروى : « أن صيام يوم منها ليعدل بصيام سنة ، وليلة منها بليلة القدر ، وأنشد السلفى فيها :

صم عشر ذى الحجة وارغب إلى رب العلا فى الفوز بالجنة
فهو كما قد جاء لمن صـــامه فى عرصـــات الحشر كالجنة

وقد تقدم فى فضل من أكرم عياله ما يكفى .

القسم السادس والثلاثون : الاجتماع على الطعام ، وأن يبدأ أفضلهم فى السن أو الأحكام . قال ﷺ : « الجماعة بركة » وقال ﷺ : « عليكم بالجماعة وإياكم والفرقة ، فإن الشيطان مع الواحد وهو من الاثنين أبعد » . وروى أن ناساً شكوا إلى النبى ﷺ أنهم يأكلون ولا يشبعون ، قال : « فلعلكم تتفرقون » ؟ قالوا نعم ! يا رسول الله ، قال : « فاجتمعوا على طعامكم واذكروا اسم الله تعالى يبارك لكم فيه » . وقال ﷺ : « كلوا جميعاً ولا تفرقوا فإن البركة مع الجماعة » . وقال ﷺ : « خير الطعام ما كثرت عليه الأيدى » . وقال ﷺ : « الأكل مع الإخوان شفاء » .

وقال الحسن رحمه الله : أخرجوا نهدكم فإنه أعظم للـــبركة وأحسن لأخلاقكم(١) . وقال حذيفة : كنا إذا حضرنا طعاماً لم نضع أيدينا حتى يضع النبى ﷺ يده قبلنا ، وأتى ﷺ بطعام فقال : « يستحب أن يبدأ رجل صالح ، خذ يا أبا عبيدة » . وكان إذا استن أعطى السواك الأكبر وإذا شرب أعطى الذى عن يمينه . وكان ﷺ يقول : « بدؤا بالأكابر » .

---

(١) النهد : إخراج الجماعة النفقة السوية يوماً بيوم وجمعها فى السفر وغيره ، ولا بأس أن يأكل بعضهم أكثر من بعض إذا تحقق أن أصحابه لا يكرهون ذلك . قال النووى رحمه الله وليس من باب الربا فى شىء بل هو سنة حسنة .

وقال محمد بن علي الترمذي : وهذا في السواك والشراب وكل شيء ، وإذا لم يبدأ به لم يوقره . وقد كان ﷺ يقول : « ليس منا من لم يرحم صغيرنا ولم يوقر كبيرنا » . وقال طلحة بن مصرف لرجل : لو علمت أنك أكبر مني بليلة ما تقدمتك - يعني في الطريق . وقال ﷺ لابن سهل لما افتتح الكلام وهو أصغرهم : « كبر الكبر » أي ليلي الكلام الأكبر ، وكذلك سائر الأفعال .

ويسن الجلوس أيمن الإمام الصالح ، وأن يبدأ فيما يناول طعام وشراب وطيب ونحوها بالأفضل ، ثم بمن على يمينه .

القسم السابع والثلاثون : إكرام الطعام ، ولعق الأصابع ، واتخاذ الخل والبقل والملح . قال ﷺ : « أكرموا الخبز . فإن الله سخر لكم بركات السماء والأرض والحديد وابن آدم » . وقال ﷺ : « ما أهان قوم طعاماً إلا ابتلاهم الله بالجوع » ، ورأى كسرة ملقاة في بيت عائشة ، فمشى إليها فمسحها . وقال : « ياعائشة أحسني جوار نعم الله ، فإنها قل ما نفرت عن أهل بيت فكانت ترجع إليهم » قال الحكيم الترمذي في نوادره : وبلغنا أن امرأة أنجت صبياً لها بكسرة من خبز ووضعتها في جحر ، فابتلى أهل ذلك الزمان بقحط اضطرت المرأة من شدة الجوع إلى أن طلبت تلك الكسرة حتى وجدتها فأخذتها فأكلتها . وقال ﷺ :« نعم الإدام الخل ، اللهم بارك في الخل ، فإنه كان إدام الأنبياء قبلي ، ولم يقفر بيت فيه خل[1] وقال : « سيد الإدام الملح » .

قال أصحابنا : والإدام كل ما يؤتدم به في العادة ، سواء اصطبغ به أم لا ، كاللحم والجبن والبيض واللبن والسمن والشيرج والملح والبقول

---

(١) قوله : يقفر بتقديم القاف ، من القفار ، وهو أكل الخبز يابساً بغير إدام.

والبصل ومايؤكل مع الخبز . وروى : «أن الملائكة تحضر المائدة إذا كان عليها بقل» وروى : «زينوا موائدكم بالبقل(١)، فإنه مطردة للشيطان».

﴿ فصل ﴾ ومن إكرام الطعام ترك انتظار الإدام ، واستقباله بالأدب وأكله على السنة . فمن ذلك غسل اليدين قبل الأكل وبعـــده فى طست واحد وسيأتى دليله فى الباب الخامس إن شاء الله تعالى . ومسح العينين ببل اليد ولا ينفضها . والقعود على الرجل اليسرى متواضعاً واليمنى منصوبة ، وأن يخلع نعليه ويبدأ بالملح ويختم به . قال ﷺ : «عليكم بالملح فإنه شفاء من سبعين داء منه الجنون والجذام والبرص ، والتسمية : وقد ذكرت . والأكل بالأصابع الثلاث فيما يتأتى بذلك ، وأن يكون أكله منفرداً كأكله مع الناس. لكن له ترك الأكل وإن لم يكتف بما قد أكل حيث يعلم بعده من يحتاجه ، أو ينتظر سؤره ، أو جرت عادة بالاحتشام من استيفائه ونحوه ، وليصغر اللقمة ويجود المضغ إذا كان فيـــه رفق بالجليس ، أو تعليم الأدب ، أو كان ضيفاً وفى الطعام قلة ، أو كان فيه شبعاناً ، وإذا رفع يده رفع غيره ممن له حاجة ونحو ذلك من المقاصد الصالحة ، فإنه يسن أن يمد الأكل مع رفقته مادام يظن أن لهم حاجة إليه ، ويسن أن يؤثرهم بفاخر الطعام كقطعة لحم أو خبز طيب ، ونحوه . وما كان من بركة أو فاضل ندب أن يشارك به أحبابه ، وأن يقول لغيره أفضل لى من ذلك ونحوه

ومن تناول طعاماً ونحوه فليشارك به أهل مجلسه ، ولا يأكل مما يلى أكيله ، ولا ينتظر على الطعام ولا يتبع نظره لقمة صاحبه ولا يأكل من أعلا الثريد وغيره ووسط القصعة ، وسيأتى دليله . ولا بأس فى ذلك فى الفواكه ، ولا بأس بتتبع حوالى القصعة لطلب قطع اللحم ونحوها إن لم

---

(١) البقل : معروف ، وهو فى اللغة : كل نبات اخضرت له الارض .

يكن يكره صاحبه . ويسن أن لا يتميز على جلسائه بنوع إلا لحاجة كدواء أو غيره ، وندب مدح الطعام الذى يأكل منه . والاستكثار من الماء المبارك ونحوه ، وتعليم من يسىء الأكل وتأديبه وتنبيه على البسملة ، والحديث على الطعام بما لا إثم فيه .

ويجوز أن يقول لا أشتهى هذا ونحوه إذا دعت الضرورة إليه .

﴿ فصل ﴾ ويسن إذا فرغ أن يلعق أصابعه أو يلعقها ، وأن يلعق القصعة ، ويأكل اللقمة الساقطة ما لم تتنجس ، ويتعذر تطهرها . قال ﷺ: « إن الشيطان يحضر أحدكم عند كل شىء من شأنه ، حتى يحضره عند طعامه ، فإذا سقطت من أحدكم اللقمة فليمط ما كان بها من أذى وليأكلها ولا يدعها للشيطان ، فإذا فرغ أحدكم فليلعق أصابعه ، فإنه لا يدرى فى أى طعامه تكون البركة » ويروى : « فإن آخر الطعام بركة » وقال ﷺ : « من أكل فى قصعة ثم لحسها ، استغفرت له القصعة » ويروى : « أنها تقول . أعتقك الله من النار كما أعتقتنى من الشيطان » . وقال ﷺ : « من وجد كسرة ملقاة فمسحها وأكلها لم تستقر فى بطنه حتى يغفر له ويعتق من النار » وقال ﷺ : « من أكل ما سقط من القصعة والخوان ، رفع الله عنه الجنون والبرص والحمق ، وعن أولاده تغيير اللون والحمق والجنون » . وقال ﷺ: « من أكل ما يسقط من المائدة لم يزل فى سعة من الرزق » .

﴿ فصل ﴾ وقد نهى النبى ﷺ عن الأكل منبطحاً ، ومتكئاً ، وبالشمال ، وعن التنفس فى الإناء ، وعن قصع الرطبة وهو إخراجها من قشرها ، وعن النفخ فى الطعام والشراب وقال « النفخ فى الطعام يذهب بالبركة » ونهى عن الشرب من فم القربة والإناء ، قيل لأنه ينتنه ، وقيل لأنه يخاف أن تكون فيه دابة أو جان ، فإن قلنا بالثانى وتيقن أن لا شىء فيه لم يكره ، وإن قلنا بالأول كره بكل حال ، ولا بأس بالكرع فى الحوض ونحوه — وهو الشرب منه — بالفم من غير عذر باليد .

﴿ فصل ﴾ ويكره الشرب من ثلمة الإناء ، وأن يعيب الطعام والشراب، وأن يقرن بين تمرتين ونحوهما إلا بإذن ، وأن يتمخط أو يبصق حال أكلهم إلا لضرورة ، وأن يوضع الرغيف تحت القصعة ، وأن يشم الطعام كما تشمه السباع ، وأن يقرب فمه من القصعة بحيث يرجع منه شيء إليها ، ويكره الأكل على الطبق المقلوب وقطع الخبز واللحم بالسكين ، وقد قطع ﷺ بها جبنة ، والأكل والشرب قائماً جائز للحاجة ، ولا يكره لغير حاجة بل هو خلاف الأولى ، وإذا كان المأكول شيئاً له عجم فلا يجمع من ذلك ما يرمى به وما يؤكل على الطبق . ولا فى كفه ، بل يضعه على ظهر كفه من فيه ويرمى به ، فقد كان ﷺ إذا أكل التمر وضع النواة على ظهر أصبعيه ، الوسطى والمشيرة . ثم ألقاها ، وأشار الراوى - وهو شعبة - بأصبعيه .

قال الحكيم الترمذى وإنما فعل ذلك لأنه لو أخذ النواة بباطن أصابعه ثم أعاد إلى بقية التمر لكان لا يخلو أن تكون أصابعه مبتلة من ريق الفم عند أخذ النواة ، فكره أن يعود إلى بقية التمر وفى يده بلة النواة ، لحرمة الأكيل والصاحب وليتأدب به من بعده ، فإنه قد يعاف الرجل فعله ذلك ويكره . فكان يلتقى النوى بظاهر أصبعيه ويستعمل باطنهما فى تناوله . وفى حديث آخر مايحقق ماقلناه . حدثناه عمر بن أبى عمر بإسناده وهو أنه ﷺ نهى أن يجمع بين التمر وبين النوى ، وبين الرطب والنوى على الطبق ، ثم قال : حدثنا عمر قال حدثنا الحارث بإسناده أنه ﷺ أتى بطبق من رطب ، فأكل منه شيئاً ثم ألقى النوى من فمه بشمال ، فمرت به داجنة فناولها إياه فأكلت . هذا آخر كلام الترمذى .

قلت : وعلى هذا يكره للآكل إذا أراد أن يعود للأكل . أن يلعق أصابعه كما ذكر ، وإنما يسن له لعقها آخر أكله حتى لا يعود بعده ، وهو المفهوم من الأحاديث والله أعلم .

وقال جعفر الصادق : إذا جلستم مع الإخوان على المائدة فأطيلوا الجلوس ، فإنها الساعة التي لا تحسب عليكم من أعمـــاركم : وقال ﷺ : « لاتزال الملائكة تصلى على أحدكم مادامت مائدته موضوعة بين يديه حتى ترفع » . وقال ﷺ : « الطعام البارد فيه بركة ، والطعام الحار لا بركة فيه » . وقال ﷺ : « الثريد بركة » .

وروى أنه دعا يوما بقرص فكسره فى صحفة ، ثم وضع فيها ماء سخناً ووضع فيها ودكاً ، وصنع منه ثريدة ثم شعشعها ثم لبقها ثم صنبهـا (١) . وقال ﷺ : «إن فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام» .

﴿ فصل ﴾ وأعلم أنه يكره أن يأكل الإنسان من الحلال فوق شبعه ، وأكل طعام المباهاة ، وما تكلف للأعراس والتعازى ، وطعام الظلمـــة والفسقة ، وإن كان من وجه وأما المجهول : فإن لم يمكن ترك طعامه إلا بالإيذاء فعليك أن تأكل ، فإن طيبة قلب المسلم وصيانته عن الأذى أولى وأهم من الورع ، ذكره الغزالى .

﴿ فصل ﴾ ويسن التخلل بعد الفراغ بالسواك أو قبله بغير قصب الحرث ، ومن عود السواك أحب . قال ﷺ : « حبذا المتخللون من الطعام ، فإنه ليس شيء أشد على الملكين من أن يريا المؤمن يصلى وفى فه وأضراسه شيء من طعام ، ولا يبلغ الخارج بالخلال فإن منه تكون الدبيلة وهى قرح يخرج فى الرئة – ولا بأس بمـا يلوكه بلسانه . والمضمضة بعد الطعام سنة ، وقد شرب ﷺ لبناً فمضمض وقال : « إن له دسما » .

﴿ فصل ﴾ ويسن إذا استضاف مسلم ، لا ضرورة به ، مسلماً أن

---

(١) قوله لبقها : يعنى جمعها بالمقدحة ، وهى المغرفة ، وشعشعها : أفرغ عليها رعلة من السمن فرواها بها . وفرقها بها ، وصنبها : أى رفع رأسها .

يضيفه ويكرمه ، وقد مر دليله فى قسم الصدقة . وقال ﷺ : «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه» ، والضيف جائزته يوم وليلة ، والضيافة ثلاثة أيام ، وما كان بعد ذلك فهو صدقة ، فمن إكرام الضيف أن يبدأ بالسلام ، ثم بالطعام ، ثم بالكلام ، كصنع إبراهيم عليه السلام . ومنه كثرة الترحيب ، وحمد الله على حصوله ضيفاً عنده ، وسروره بذلك ، وثناؤه عليه لكونه جعله أهلا لتضيفه . ومنه اختيار الحلو من الأطعمة والأكل على السفر ونحوها ، ومنه الذبح للضيف وخدمته بنفسه .

وندب أن يقول لضيفه عند التقديم : باسم الله ، أو كلوا ، أو الصلاة ونحو ذلك من العبارات المصرحة بالإذن فى الأكل ولا يجب ذلك . إذا رفع يده من الطعام فليقل له : كل ، ويكرر ذلك عليه ، ما لم يتحقق أنه اكتفى ، وكذا يفعل فى الشراب والطيب ، حتى يسن أن يقول ذلك لزوجته وغيرها من عياله . ومنه أن لا يستخدم ضيفه ، ولا يغسل يديه قبله ، ولا يحلف على أحد ، ولا يتكلف لضيفه إلا أن يكون له فيه نية من كثرة الإنفاق ، ولا يفعله حياء وتفاخراً .

وأما الضيف : فأدبه أن يجلس حيث أجلس ، وأن لا يستحقر ما قدم له ، وإذا تبعه غيره ، قال إن هذا تبعنا فإن شئت أذنت له ، وإن شئت رجع ولا يخرج إلا بإذن بعد رفع المائدة إن أمكن . قال تعالى : (إذا دعيتم فادخلوا فإذا طعمتم فانتشروا) قال ابن أبى حكيم : هذا أدب أدب الله به الثقلاء . ولا يصوم الضيف تطوعاً إلا بإذن ، ولا يدخل على قوم وقت أكلهم قاصداً إلا إذا تحقق فرحهم بذلك ، وليخرج مع ضيفه إلى باب الدار ، ويحفظ عليهم وقت الصلاة ، ويجوز تقليد رب البيت فى قبلة بيته ، وليدع له الضيف عند الخروج .

ويسن تلقيم الضيف إن لم يكرهوا ذلك قال ﷺ: «إذا أكل أحدكم

مع الضيف فليلقمه بيده ، فإن فعل ذلك كتب الله له بكل لقمة عمل ستين سنة » . وإلقام الخادم والزوجة أيضاً سنة ، والأكل مع الضيف سنة ، ولا يجوز إلقام الضيف ضيفاً آخر ، وإن خصصه المضيف بطعام لم يطعم منه غيره وكره تخصيصه . وقال الله تعالى : (ولا على أنفسكم) ، أى ليس عليكم حرج فى أنفسكم (أن تأكلوا من بيوتكم) أى من أموال عيالكم ومن أموال أزواجكم ، وبيت المرأة كبيت الرجل ، (أو بيوت آبائكم أو بيوت أمهاتكم أو بيوت إخوانكم أو بيوت أخواتكم أو بيوت أعمامكم أو بيوت عماتكم أو بيوت أخوالكم أو بيوت خالاتكم) قال الواحدى: وهذه فى أكل مال القرابات وهم لا يعلمون ذلك ، كرخصته لمن دخل حائطاً وهو جائع أن يصيب من ثمره ، أو مر فى سفر بغنم وهو عطشان أن يشرب من رسلها توسعة منه ولطفاً بعباده ، ورغبة بهم عن دناءة الأخلاق ، وضيق النظر ، ثم قال تعالى : (أو ما ملكتم مفاتحه) يعنى بذلك وكيل الرجل وقيمه فى ضيعته وماشيته ، لا بأس عليه أن يأكل من ثمر حائطه ، ويشرب من لبن ماشيته . ثم قال تعالى : (أو صديقكم) ليس عليكم جناح أن تأكلوا من هؤلاء إذا دخلتموها ، وإن لم يحضروا من غير أن تترددوا وتحملوا (ليس عليكم جناح أن تأكلوا جميعاً أو أشتاتاً) ـ أى متفرقين ـ .

اعلم الله أن الرجل إذا أكل وحده فلا حرج عليه ذكره الواحدى .

قال النووى : وإنما يجوز الأكل من طعام القريب والصديق بلا إذن إذا غلب على الظن أنه لا يكره ذلك ، فإن شك ولم تكن ضرورة حرم ، ويجوز الشرب من الحباب الموضوعة فى الطرق ، ويجوز أن يأخذ الضيف ما يتيقن رضا المالك به ، وليس له إطعام سائل وهرة فى الأصح ، ويملك الضيف الطعام بالبلع فى الأصح ، والأكل والشرب فى السوق نقص مروءة

إلا لمن عليه العطش ، والوليمة أيضاً سنة ، وهى كل دعوة تتخذ لحادث سرور ، كإعذار للختان ، والعقيقة يوم سابع الولادة ، والخرس للسلامة من الطلق ، والنقيعة لقدوم المسافر ، والوكيرة للبناء ، والمأدبة لغير سبب ، والإجابة إليها كلها سنة وقيل واجبة . وتجب وليمة النكاح وإجابتها فى الأصح والله أعلم .

القسم الثامن والثلاثون : تسمية الولد محمداً وأحمد أحب الأسماء . قال ﷺ : « سم ابنك محمداً يكثر خير بيتك » وقال ﷺ : « لا يدخل الفقر بيتاً فيه اسمى » وقال ﷺ : « إذا كان فى البيت من اسمه محمد كثر خيره وحضرته الملائكة » وقال ﷺ : « أيما أهل بيت لم يكن فيهم محمد لم تنزل فى ذلك البيت بركة » . وقال ﷺ : « أيما أهل بيت ليس فيهم محمد لم تنزل البركة فى ذلك البيت ما دام محمد حياً » وفى تفسير الثعالبى قال ﷺ « إذا سميتم الولد محمداً فأكرموه وأوسعوا له فى المجلس ، ولا تقبحوا له وجهاً ، وما من قوم كانت لهم مشورة فحضر معهم من اسمه أحمد أو محمد فأدخلوه فى مشورتهم إلا خير لهم ، وما من مائدة وضعت فحضرها من اسمه أحمد أو محمد إلا قدس فى كل يوم ذلك المجلس مرتين » . وقال ﷺ : « ما اجتمع قوم فى مشورة معهم رجل اسمه محمد أو أحمد فلم يدخلوه فى مشورتهم إلا لم يبارك الله لهم فيها » . وقال مالك رضى الله عنه : سمعت أهل مكة يقولون : ما من بيت فيه اسم محمد إلا نما ورزقوا . وقال ﷺ : « أحب الأسماء إلى الله عبد الله وعبد الرحمن ، وأصدقها حارث وهمام » وقال ﷺ : « إنكم تدعون يوم القيامة بأسمائكم وأسماء آبائكم ، فحسنوا أسماءكم » .

فيسن لكل أحد أن يسمى ولده محمداً ، وباسم حسن ولو كان سقطاً . ويسن تغيير الاسم إلى أحسن منه ، ويكره كل ما يتطير بنفيه كأفلح ،

وبركة ويسار ، وما يتطير بإثباته كجمرة وحرب وشهاب ، ويكره تسمية المرأة ست الناس ونحوه - أى كست الكل ، وست الأعمام ، وستى أنا قال ﷺ : « إن أخنع (١) الأسماء عند الله ، أن يتسمى رجل باسم ملك الأملاك » .

﴿ فصل ﴾ ويسن كنية أهل الفضل من الرجال والنساء ، وأن يخاطبوا سواء كان له ولد أم لا ، وسواء الصغير والكبير ، وسواء كنى بولده أو بغيره ، لكن الأولى أن يكنى بأكبر أولاده ، ولا بأس بمخاطبة الكافر بها إذا لم يعرف بغيرها . أو خيف فتنة من ذكره باسمه ،

ويجوز أن يكنى الرجل بأبى فلانة ، وأبى فلان والمرأة بأم فلانة وأم فلان ، والأدب أن لا يذكر الإنسان كنيته فى كتابه إلا أن لا يعرف إلا بها ، وكانت أشهر من اسمه ، ولا يجوز التكنى بأبى القاسم لمن اسمه محمد ولغيره فى الأصح ، ويحرم التنابذ بالألقاب سواء كان لقباً له أو لأبيه ونحوه وذلك كالأعرج والإسكاف والحداد ونحوها .

وينبغى أن يدعوه بأحب الأسماء إليه ، وإذا أراد نداء من لا يعرف اسمه ناداه بعبارة لا يتأذى فيها ولا يكون فيها كذب ولا ملق كقوله : يا أخى ، يافقيه ، يا هذا ، ياصاحب الثوب الفلانى ، أو الجمل ، أو السيف ونحوه على حسب حال المنادى والمنادى . ويجوز ترخيم الاسم وتصغيره إذا لم يتأذ صاحبه . ويجوز بل يستحب اللقب الذى يحبه صاحبه . ذكر أكثر ذلك النووى . ولا بأس بتسمية الدواب وتلقيبها ، فقد كانت بغلة

---

(١) قوله أخنع : أراد أقتل الأسماء وأهلكها له ، ويروى : أخنع أراد أشدها ذلا وأوضعها عند الله . قال سفيان : وذلك كقولهم شاهان شاه . وقال غيره : هو أن يتسمى بأسماء الله كقوله : الرحمن والجبار والعزيز ، قال أبو عبيد : وكلا القولين له وجه والله أعلم .

النبى ﷺ تسعى دلدل ، وناقته العضبا والقصوى(١)، وحماره يعفور ، وسيفه ذو الفقار ، وجفنته الغراء . والله أعلم .

القسم التاسع والثلاثون : التأدب بهذه الآداب . قال ﷺ : « ان يهلك امرؤ بعد مشورة » وقال ﷺ : « ما شقى عبد بعد مشورة ، ولا سعد من استغنى برأى ، وإذا أراد الله أن يهلك عبداً كان أول ما يفسد منه رأيه » . وقال ﷺ : « ما خاب من استخار ، ولا ندم من استشار » . وقال الحسن رضى الله عنه : والله ما تشاور قوم قط إلا هـداهم الله لأفضل مايحضرهم . وقال الله تعالى فى مدح قوم رضى الله عنهم : (وأمرهم شورى بينهم) فيسن لمن هم بأمر أن يشاور جماعة ممن يثق بدينهم ومحبتهم وخبرتهم وحذقهم ونصيحتهم ويعرفهم قصده وما فى ذلك الأمر من مصلحة ومفسدة إن علم ذلك ، ويبذل المستشار وسعه فى النصح وإعمال الفكر فى ذلك ، والإشارة حق كفاية لأعين ، وليقبل إشارة الموصوفين إن لم يظهر فيما أشاروا به مفسدة ، ثم يصلى صـلاة الاستخارة وستأتى صفتها فى آخر الكتاب إن شاء الله تعالى .

﴿ فصل ﴾ وقال ﷺ : « احفظ الله يحفظك ، احفظ الله تجده أمامك ، تعرف إلى الله فى الرخاء يعرفك فى الشدة ، إذا سألت فاسأل الله تعالى ، وإذا استعنت فاستعن بالله ، فقد مضى القلم بما هو كائن ، واعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك ، وما أخطأك لم يكن ليصيبك ، فلو جهد الناس أن ينفعوك بما لم يقضه الله لك لم يقدروا عليه ولو جهد الناس أن يضروك بما لم يكتبه الله عليك لم يقدروا ، واعلم أن النصر مع الصبر . وأن الفرج مع الكرب ، وأن مع العسر يسرا » .

---

(١) القصوى : التى قطع طرف أذنها . ولم تكن ناقة النبى ﷺ كذلك . وإنما كان لقباً لها . من كتاب تيسير الوصول فى حديث الرسول ﷺ للديبع رحمه الله .

وقال ﷺ : « من يصبر على الرزية يعوضه الله ، وأفضل العباد انتظار الفرج » وقال ﷺ : « من يستعفف يعفه الله ، ومن يتصبر يصبره الله . ومن يستغن يغنه الله ، ولن تعطوا عطاء خيراً وأوسع من الصبر » . وقال ﷺ : « الصبر ضياء (١) » . وقال ﷺ : « ما أعز الله بجهل قط ، ولا أذل بحكم قط » وقال ﷺ : « الأناة من الله ، والعجلة من الشيطان » . وقال ﷺ : « إياكم والدين ، فإنه همّ بالليل ومذلة بالنهار » وقال ﷺ : « أقلل من الدين تعش حراً » وقال ﷺ : « الإيمان بالقدر يذهب الهم والحزن » وقال ﷺ : « لا ينبغى للمرء أن يذل نفسه ، يتعرض من البـــلاء لما لا يطيق » .

﴿ فصل ﴾ وقال ﷺ : « إذا أمسيتم فكفـــوا صبيانكم ، فإن الشياطين تنتشر حينئذ » ويروى : « فإن للجن انتشار وخطفة ، فإذا ذهب ساعة من الليل نخلوهم » . وقال ﷺ : « إذا سمعتم نباح الكلب ونهيق الحمار من الليل ، فتعوذوا بالله من الشيطان ، فإنهن يرين مالا ترون . وأقلوا الخروج إذا هدأت الأرجل ، فإن الله يبث من خلقه فى ليله ما يشاء ، وأجيفوا الأبواب واذكروا اسم الله وغطوا الجرار واكفؤا الآنية - أى غطوها - وما كان منها فارغاً فكبوه على وجهه وأوكئوا القرب » أى اربطوها - ويروى : « وخمـــروا آنيتكم واذكروا اسم الله ولو أن تعرضوا عليها شيئاً ، واطفئوا المصابيح . ويروى : واذكروا اسم الله فى كل ذلك ، ويروى : « فإن الشيطان لا يفتح باباً إذا أجيف وذكر اسم الله عليه ، ولا يكشف إناء عليه وكاؤه » ويروى : « فإن فى السنة ليلة ينزل

---

(١) أى الصبر المحبوب وهو الصبر على طاعة الله تعالى ، وعلى البلاء ومكاره الدنيا وعن المعاصى ، لا يزال صاحبه مستضيئاً مستمراً على الصواب . وقيل فى قوله (صبراً جميلا) إن الصبر الجميـــل أن يكون ذو المصيبة مع القوم لا يدرى أيهم هو .

فيها وباء لا يمر بإناء ليس عليه غطاء أو سقاء ليس عليه وكاء ، إلا نزل فيه من ذلك الوباء » (١) ويروى : « إذا بات الإناء ليس عليه غطاء بزق الشيطان فيه ، أو شرب منه » ويروى : « لا ترسلوا فواشيكم وصبيانكم إذا غابت الشمس حتى تذهب فحمة العشاء » (٢) . وقال ﷺ : « لا تشربوا من حيال العروة فى الإناء ، فإنها مقعد الشيطان » .

﴿ فصل ﴾ وقال ﷺ : لو يعلم الناس ما فى الوحدة ما أعلم ، ما سار راكب بليل وحده » وقال ﷺ : « لا تنزلوا الأودية ، فإنها مأوى السباع والحيات » وقال ﷺ : « تبقه وتوقه (٣) » . وقال ابن الزبير : « الذل أبقى للأهل والمال (٤) » . وقال ﷺ : « اعقل وتوكل » وقال مطرف : من نام تحت هدف مائل وهو ينوى التوكل ، فليرم نفسه من طمار - أى الموضع المرتفع - وهو ينوى التوكل . قال الهروى : فوجب أن يحتاط الإنسان جهده ولا يعتمد احتياطه ، ولا ينبغى أن يعرض نفسه للمهالك ويقول قد توكلت . وقال ﷺ : « الشيطان يهم بالواحد وبالإثنين ، فإذا كانوا ثلاثة لم يهم بهم ، إن الله رفيق يحب الرفق ويرضى به ، فإذا ركبتم هذه

---

(١) قيل إنها فى كانون الأول .

(٢) الفواشى بالفاء لكل منتشر من الإبل والبقر والغنم وغيرها ، ذكره الجوهرى . وفحمة العشاء : سواده ، وذلك أول الليل ، فإذا اشتبكت النجوم قلت الظلمة .

(٣) أى استبق النفس ولا تعرضها للهلاك ، وتوقه أى احترز من الآفات .

(٤) أى إنه إذا صبر على الضيم وأطاع المسلط عليه حمى أهله . وأحرز دمه وماله . فإن طالب العز والمعالى عودى وقوتل . وربما كان هلاكه وتلف ماله وأهله ، اهـ . هروى بالمعنى . وماأحسن قول المتنبى :

ذرينى أنل مالا ينال من العلا ... فصعب العلا فى الصعب والسهل فى السهل
تريدين إدراك المعالى رخيصة ... ولابد دون الشهد من إبر النحل

الدواب العجم فأنزلوها منازلها ، فإن كانت الأرض جدبة فانجوا عليها بنقيها ، وعليكم بسير الليل فإن الأرض تطوى بالليل ما لا تطوى بالنهار وإياكم والتعريس على الطرق ، فإنها طرق الدواب ومأوى الحيات ، وإن السفر قطعة من العذاب ، يمنع أحدكم طعامه وشرابه ونومه . فإذا قضى أحدكم نهمته من سفره فليجعل إلى أهله » . وقال ﷺ : « سرعة المشى تذهب بهاء المؤمن » وقال ﷺ : « استكثروا من النعال ، فإن الرجل لا يزال راكباً ما انتعل » وقال ﷺ : « لا يمشين أحدكم فى نعل واحدة ، ليحفهما جميعاً أو لينعلهما جميعاً » . وقال ﷺ : « إذا صلى أحدكم فلا يضع نعليه عن يمينه ولا عن يساره ، إلا أن لا يكون عن يساره أحد ، وليضعهما بين رجليه أو ليصل فيهما » ونهى ﷺ أن ينتعل الرجل قائماً.

وقال ابن عباس رضى الله عنه : من السنة إذا جلس الرجل أن يخلع نعليه ويضعهما بجنبه . وقال ﷺ : « لا تطرق الفرخ فى العش ، فإنه فى أمان الله حتى يطير ، فإذا طار فارمه بقوسك وأنصب له فخك » . وقال ﷺ : « من نام على سطح غير محجور عليه ، فقد برئت منه الذمة ، ومن ركب البحر إذا التج — أى اضطرب — فقد برئت منه الذمة » . وقال ﷺ : « إذا كان أحدكم فى الفىء فقلص عنه فصار بعضه فى الشمس ، فليقم فإنه مجلس الشيطان » . وقال ﷺ : « لا تصلوا فى القرع ، فإنه مصلى الخافين (١) » ويروى : « لا تحدثوا فى القرع » وقال ﷺ : « استعينوا على كل صنعة بصانعها » . وقال ﷺ : « استعينوا على نجاح الحوائج بالكتمان لها » ويروى : « استعينوا على أموركم بالكتمان ، وكل ذى نعمة محسود » .

---

(١) والقرع : الموضع يكون فى وسط الزرع أو الكلأ خالياً من النبات .

قال بعضهم : إذا خفت حسد حاسد فعم عنه أمورك ، ومن كتم سره جهل العـــدو أمره . وقال آخر : لا تعلم أهلك وولدك فضلا عن غيرهم مقدار مالك ، فإنهم إن رأوه قليلا هنت عليهم ، وإن كان كثيراً لم تبلغ رضاهم .

وقال ﷺ : « اغتنم خمساً قبل خمس : شبابك قبل هرمك ، وصحتك قبل سقمك ، وغناك قبل فقرك ، وفراغك قبل شغلك ، وحياتك قبـل موتك » . وقال ﷺ : « كن فى الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل ، وعد نفسك من أهل القبور » . وقال ﷺ : « ثلاثة يدعون الله فلا يستجاب لهم : رجل تحته إمرأة سيئة الخلق فلم يطلقها ، ورجل كان له على رجل دين فلم يشهد عليه ، ورجل أعطى سفيهاً ماله » وقـــد قال الله تعالى : (ولا تؤتوا السفهاء أموالـكم التى جعل الله لـكم قياماً) (١) . وقال ﷺ : « طاعة النساء ندامة » . وقال ﷺ : « لا يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة » .

وقال عمر رضى الله عنه : خالفوا النساء ، فإن فى خلافهن البركة . وقال معاوية عودوا نساءكم لا ، فإنهن سفيهات ، إن أطعت المرأة أهلـكتك وأمر عليه السلام بالتعوذ من إمرة الصبيان وبإكرام الشهود ، وفى نسخة وقال : « أكرموا الشهود » وقال ﷺ : « اطلبوا الخير عند حسان الوجوه » وقال ﷺ : « إذا كتب أحدكم كتاباً فليتربه ، فإنه أنجح للحاجة » . وقال ﷺ : « كرم الـكتاب ختمه » . وقال ﷺ : « قيدوا العلم بالـكتابة » . وقال ﷺ : « ضع القلم على أذنك ، فإنه أذكر للمآل » . وقال ﷺ : « عقوا عن أولادكم ، فإنه نجاة لهم من كل آفة » . وقال ﷺ : « كل غلام مرهون بعقيقته تذبح يوم سابعة ، ويحلق ويسمى » . وقال ﷺ : « اذبحوا لله فى أى شهر كان ، وبروا لله وأطعموا » .

---

(١) أراد بالسفهاء النساء لضعف عقولهن وقيل الاولاد مالم يؤنس رشدهم وقيل الأيتام : وقيل الجهال .

﴿ فصل ﴾ ومن ذلك النظافة . قال ﷺ : « غسل الآناء وطهارة الفناء يورثان الغنى » . وقال ﷺ : « بنى الدين على النظافة » . وقال ﷺ : « إن الله طيب يحب الطيب ، نظيف يحب النظافة ، كريم يحب الكريم جواد يحب الجواد ، فنظفوا أفناءكم وساحاتكم ، ولا تشبهوا باليهود يجمعون الأكباء فى دورهم »(١) .

وقال على كرم الله وجهه : « طهروا بيوتكم من نسج العنكبوت ، فإن تركه فى البيت يورث الفقر » .

وقال ﷺ : « لا تدخل الملائكة بيتاً فيه كلب ولا جرس ولا نجس ولا صورة ولا جنب ولا جلد نمر » . وقال ﷺ : « لا تبيتوا منديل الغمر معكم، فإن الشيطان يمسى عليه » . وقال ﷺ : « لبس الثوب النظيف ينفى الهم ، والبخور ينفى الغم » . وقال ﷺ : « فإنه أنقى وأبقى » وقال ﷺ : « تخللوا ، فإنه نظافة ،والنظافة تدعو إلى الإيمان » .

﴿ فصل ﴾ ومن النظافة حلق العانة وقص الشارب بحيث يبين طرف شفته بياناً ظاهراً لا غير ، وتقليم الأظافر ، ونتف الإبط وقص ما طال من شعر الأنف، ويسن تعاهدها فى كل جمعة ، ويكره تأخيرها عن أربعين يوماً . ومنها فرق شعر الرأس .

قال النووى : ولا بأس بحلقه لمن لم يخف عليه تعاهده ، ولا بتركه لمن خف عليه ذلك ويكره حلق بعض الرأس وهو القزع ، سواء كان مفرقاً أو مجتمعاً بل سنة الحلق أن يستقبل المحلوق القبلة، ويبتدىء الحالق بمقدم رأسه ، فيحلق منه الشق الأيمن ، ثم الأيسر ثم يحلق الباقى ، ويبلغ بالحلق العظمين الذين عند منتهى الصدغين ، ثم يدفن شعره وأظفاره ونحوهما ،

---

(١) يعنى الكناسات .

وكذا دم الفصد والحجامة ، وقد تعود الناس التحذيف ولا بأس به(١) ، ويسن ترجيل الشعر وتسريح اللحية ودهنهما غبا ـ أى بعد أن يجف الأول ـ وأن يبدأ بدهن حاجبه ومشطه، ثم الرأس ثم اللحية بعدهما، فمن فعل هكذا لم يصدع رأسه ، ذكره الترمذى فى نوادره .

وقال ﷺ : « من كان له شعر فليكرمه » . وقال فى علامة الفرقة المارقة من الدين : « التسبيد فيهم فاش »(٢) . وقال ﷺ : « نعم الرجل حزيم لولا طول جمته » وقيل : « نعم الرجل حزم لولا طول جمته فقصرها من شحمة أذنيه . قال الهروى : وفى الحديث أنه ﷺ : رأى رجـــلا طويل الشعر فقال : « هذا ذباب » أى هذا شؤم وقال ﷺ : « المشط يذهب بالغم والوباء والفقر » . وقال ﷺ : « من امتشط قائماً ركبه الدين» وقال : « تسريح اللحا بالمشط عقب الوضوء ينفى الفقر» وقال ﷺ : «من أراد أن يأمن الفقر وشكاية العين والبرص والجنون ، فليقلم أظفاره يوم الخميس بعد العصر » وقال ﷺ: « الأظفار تقص يوم الخميس ويوم الجمعة، فإن ذلك يورث الغنى » . وذكر الغزالى أن الاختيار أن يبدأ بسبابة اليد اليمنى إلى خنصرها ، ثم بخنصر اليسرى إلى إبهامها ويختم بإبهام اليمنى . هكذا فعل النبى ﷺ ، وأما الرجل فيبدأ بخنصر الرجل اليمنى إلى خنصر الرجل اليسرى كالتخليل فى الوضوء . ذكره فى الأحياء وغيره . وأنشد بعضهم فى تقليم الأظافر :

---

(١) قال الغزالى رحمه الله : وهو القدر الذى إذا وضع طرف خيط على رأس الأذن والطرف الثانى على زاوية الجبين . وقع جانب الجبهة ونحوه فى المستعذب . قال الفارقى : وكانت بنو هاشم يحذفون عنه الشعر ، قال شيخنا برهان الدين : وليس من القزع فى شىء ، قال وينبغى للمتزوج فعله ليتزين لأهله.

(٢) قال أبو عبيدة : هو ترك التدهن . وغسل الرأس ، وقيل : هو الحلق واستئصال الشعر قلت : ودليله أن فى رواية : سيماهم التحليق ، قال أبو عبيدة: وقد يكون الأمران جميعاً .

ابدأ بيمناك وبالخنصر ... في قصك الأظفار واستبصر
وثن بالوسطى وثلث بما ... قد جاء بالإبهام والبنصر
واتبع البنصر سبابة ... في اليد والرجل ولا تقصر
فذلك أنس لك إن رمته ... من وجع العين فلا تنكر

﴿ فصل ﴾ ومنها غسل البراجم — وهي عقد الأصابع ومفاصلها — وإزالة ما يجتمع من الوسخ ، في معاطف الأذن وصماخها ، وفي الأنف والأظفار وسائر البدن .

ومنها الغسل في كل حال تتغير به رائحة البدن ولكل اجتماع .

﴿ فصل ﴾ ومنها السواك . قال ﷺ : « السواك مطهرة للفم مرضاة للرب » . وقال ﷺ : « السواك يزيد الرجل فصاحة» وقال ﷺ : « صلاة بسواك خير من سبعين صلاة بغير سواك » .

وقال علي رضي الله عنه : السواك يجلب الرزق ، ذكره في البيان وكان السواك من أصحاب محمد ﷺ بمنزلة القلم من أذن الكاتب ، وهو سنة في كل وقت ، ولا يكره بحال إلا للصائم بعد الزوال ، ويتأكد استحبابه للصلاة والذكر والتلاوة ، وتغيير النكهة ، وبعد الأكل وعند نومه ، ودخوله بيته ، واستيقاظه ، وتسن أن يكون بعود من أراك ، وأن يكون يابساً قد ندى بالماء ، ويستاك عرضاً . ناوياً الإتيان بالسنة ، ويمره على الظاهر والباطن من أسنانه . وعلى سقف حلقه برفق ، ويعود الصبي ليألفه . ولا بأس أن يستاك بسواك غيره بإذنه ذكره النووي . وينبغي أن يغسل السواك عند إرادته ، وفي الحديث : « نظفوا الصماغين بالماء ، فإنهما مقعد الملكين » — وهما مجتمع الريق في جانب الشفة .

﴿ فصل ﴾ ومن ذلك طي الثياب . قال ﷺ : « اطووا الثياب ، فإن راحتها في طيها ترجع إليها أرواحها ، وإن الشيطان لا ينشر ثوباً مطوياً » .

وقال ﷺ : « كل ثوب لا يطوى بالليل ويذكر اسم الله عليه يستمتع به الشيطان » .

﴿ فصل ﴾ ويسن لبس خاتم الفضة للرجـــل فى الخنصر فى اليمين أو اليسار لا فيهما معاً . وقال ﷺ : « التختم بالزمرد ، ينفى الفقر » . وقال ﷺ : « من تختم بالعقيق ، لم يقض له إلا بالذى هو أسعد » ويروى : « لا يصيب أحدكم غم ما دام عليه » وقال ﷺ : « من تختم بالياقوت الأصفر ، لم يفتقر » . وقال ﷺ : « ما طهر الله يداً فيها خاتم حديد » .

﴿ فصل ﴾ ويسن إطفاء المصابيح عند النوم بغير النفس . وقال ﷺ : « ولا تتركوا النار فى بيوتكم حين تنامون » .

مسألة : قال العجيلى فى شرح الوجيز : ويكره البول والغسل بالماء الجارى بالليل ، قال لأن الماء بالليل مأوى للجن فربما يصيبه شىء من جهتهم .

﴿ فصل ﴾ وقد نهى ﷺ عن أكل الحدف - أى ما لا يغطى من الطعام والشراب - وعن البول فى الجحر ، وفى الماء الراكد ، وفى الطرق ومواضع الاجتماع ، وتحت الشجر المثمر . ونهى عن قتل حيات البيوت ، وعن الحصاد فى الليل ، وعن تعاطى السيف مسلولا . وعن قد السير بين أصبعين ، وعن الجلوس فى وسط الحلقة ، وعن جلوس القوم عزين - أى متفرقين - وعن نتف الشيب . ونهى عن اللبسة الصماء - وهى تجليل البدن بالثوب مع رفع طرفيه على عاتقه الأيسر ، وقيل مع رفع أحد جانبيه على أحد عاتقيه ، وقيل هو النافع وهو أن يشتمل بثوب واحد ويجلل به جسده فلا يرفع منه جانباً يخرج منه يده ، وهذا اشتمال اليهود . وقيل هى أن يلتحف الثوب ثم يخرج يده من قبل صدره - ونهى أن يحتبى الرجل بثوبه ليس على فرجه منه شىء .

ونهى ﷺ عن السوم قبل طلوع الشمس(١) ، ونهى أن يبيت الرجل في بيت ليس عليه باب ، وعن النوم فوق سطح غير محجور عليه ، وأمر بالإسراع تحت الهدف المائل ونحوه ، (فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم) .

﴿ فصل ﴾ قال الكاشغرى فى بعض مصنفاته : ومما يورث الغنى حسن الخط ، وقراءة تبارك ، والمزمل ، والليل ، وألم نشرح ، وحضور المسجد قبل الأذان ، وترك كلام الدنيا بعد الوتر ، قال الهروى وفى الحديث: « من اتخذ قوساً عربياً وجفيرها(٢) ، نفى عنه الفقر » .

القسم الأربعون : اجتناب هذه الأشياء التى تورث الهم والفقر وهى : سب الريح . شكا الرجل إلى النبى ﷺ الفقر ، فقال : « لعلك تسب الريح وهاجت ريح فقال رجل : اللهم العنها ، فقال ابن مسعود لأمه : فإنها نذر ومبشرات ولواقح . فالريح مبشرة بالمطر الذى هو الرحمة ، والنعمة والرزق ، وهى التى تحمل الماء فتمجه فى السحاب ، ثم تمر به فيدر كما تدر اللقحة ، وهى الملقحة الشجر ، وهى المطيعة لله ، وبها يستدل على القبلة ، وبها يصح الهواء والجو .

ومنها الصبا ، وهى الريح التى تأتى من المشرق ، وهى ريح النصر . قال الواحدى : إذا هبت على الأبدان نعمتها ولينتها ، وهيجت الأشواق إلى الأحبـــاب ، والحنين إلى الأوطان ، ويستروح بهـا كل حزين ومكروب وينشد :

---

(١) السوم : رعى الإبل لأنها إذا رعت قبل أن تطلع الشمس وهو ند أصابها منه الوباء وربما قتلها . وقيل السوم : أن يسام بالساعة فى ذلك الوقت لأنه وقت الذكر . اهـ هروى .

(٢) الجفير : الكنانة .

فإن الصبا ريح إذا ما تنفست على نفس مهموم تجلت همومها

قال الجوهرى : ويقال إذا كثرت المؤتفكات زكت الأرض . وهى التى تختلف مهابها . قال ﷺ : « الريح الجنوب من الجنة » وهى اللواقح ، وفيها منافع للناس(١) . وقال ابن عباس رضى الله عنه : الرياح ثمان ، أربع رحمة ، وأربع عذاب ، نسأل الله تعالى خيرها ونعوذ به من شرها .

﴿ فصل ﴾ ومنها منع الماء والخير . قال ابن عباس رضى الله عنه : منع الخير يورث الفقر ، ومنع الملح يورث الداء ، ومنع الماء يورث الندامة ، ومنع النار يورث الشقاق والعداوة . قال ﷺ : « خمسة أشياء لا يمنعن ، فمن منعهن منعه الله خيره يوم القيامة : الماء ، والملح ، والنار ، والإبرة ، والخير » . قالت عائشة : فما تكون النار ؟ قال : « أيما أهـــل بيت أعطوا ناراً فما طبخ به فكأنما تصدق به ، ومن سقى مسلماً أو أعطاه وضوءاً خلق الله من كل نقطة ملكاً يستغفر له إلى يوم القيامة » . ومن سقى مسلماً والماء موجود فكأنما أعتق ستين رقبة من ولد إسماعيل عليه السلام ، ومن سقى مسلماً فى عطشه فكأنما أحيا نفساً ، ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعاً ، ومن أعطى أخاه إبرة كان له كحجة ، ومن أعطى خميراً فما طيب به كمن تصدق به ، ومن منع هذه الخمسة منعه الله خيره يوم القيامة » رواه النقاش فى تفسيره .

وفى تفسير الواحدى : قال ﷺ : « من سقى مسلماً شربة من ماء حيث ما يقدر على شربة الماء ، أعطاه الله بكل شربة سبعين ألف حسنة » .

﴿ فصل ﴾ ومنها كثرة النوم وقد مضى ذكره قال الشاعر :

سرور الناس فى لبس اللباس وجمع الخير فى ترك النعاس

---

(١) والجنوب : هى التى تأتى من جهة اليمن .

وقد أجمع رأى سبعين صديقاً على أن كثرة النوم من كثرة شرب الماء .

﴿ فصل ﴾ ومنها الظلم وهو البغى ، قال الله تعالى : (فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا) وقال عز وجل : (ولقد أهلكنا القرون من قبلكم لما ظلموا) وقال تعالى : (وتلك القرى أهلكناهم لما ظلموا) . وقال ﷺ « الظلم يدع الديار بلاقع (١) » .

لا تظلمن إذا ما كنت مقتدراً فالظلم آخره يأتيك بالندم
تنام عيناك والمظلوم منتبه يدعو عليك وعين الله لم تنم

وقال وهب بن منبه : إذا هم الوالى بالظلم أو عمل به ، أدخل الله النقص فى أهل مملكته ، حتى فى الأسواق والأرزاق والزرع والضرع وكل شىء وإذا هم بالخير والعدل ، أدخل الله البركة فى أهل مملكته كذلك . وقال ﷺ : حاكياً عن ربه عز وجل : « اشتد غضبى على من ظلم من لا يجد ناصراً غيرى » . وقال ﷺ : « من أعان ظالماً سلطه الله عليه » .

وقال مالك بن دينار رضى الله عنه : وجدت فى بعض كتب الله المنزلة أن الله تعالى قال : أفنى أعدائى بأعدائى ، ثم أفنيهم بأوليائى . وقال ﷺ : « اتقوا الحرام فى البنيان فإنه أساس الخراب » . وقال ﷺ : « إياكم ودعوة المظلوم وإن كان فاجراً » . وقال ﷺ : « مطل الغنى ظلم » . وقال ﷺ : « من مشى مع ظالم فقد أجرم » والله تعالى يقول : (إنا من المجرمين منتقمون) وقال تعالى : (إنما بغيكم على أنفسكم) (٢) .

وقال ﷺ : « ذنبان لا يغفران ويعجل بصاحبهما العقوبة : البغى وقطيعة الرحم » وروى : « ما من عمل يعصى الله به بأعجل عقوبة من بغى »

(١) يعنى يذهب ما فى البيت من المال ويتفرق شمله .
(٢) قال الهروى : أى راجع إليكم .

وقال ﷺ : « إياكم والبغى ، فإن من بغى عليه لينصرنه الله ، وإياكم والمكر ، فإنه لا يحيق المكر السيء إلا بأهله » . وقال تعالى : (وما كان ربك ليهلك القرى بظلم - أى بشرك - وأهلها مصلحون) فيما بينهم ، أى ليس من سبيل الكفار إذا قصدوا الحق فى المعاملة وتركوا الظلم أن ينزل الله عليهم عذاباً يهلكهم .

قال ابن عباس : فبين أن الناس لا يهلكون بالشرك إذا لم يتظالموا ، ولكن يهلكون بالظلم ، والظلم هو وضع الشيء فى غير موضعه ، والتصرف فيما لا يملك . وقال ﷺ : « يقول الله تعالى يوم القيامة أنا الديان لا ظلم عندى ، وعزتى وجلالى لا يجاوزنى اليوم ظلم ظالم ولو لطمة بكف ، وضربة بيد على يد ، ولأقصن للجماء من القرناء ، ولأسألن الحجر لم نكب حجر ، ولأسألن العود لم خدش صاحبه » .

ومن أعظم الظلم القتل بغير حق ، قال ﷺ : « لزوال الدنيا أهون على الله من قتل مسلم بغير حق » وقال : « لو أن أهل السماء والأرض اشتركوا فى دم مؤمن ، لكبهم الله فى النار » والإثم متعلق فى قتل العمد . قال الله تعالى : (ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم خالداً فيها وغضب الله عليه ولعنه) الآية . وهو أنواع ، منها الغيلة : وهو أن يخدع الرجل حتى يصير إلى موضع يستخفى فيه فيقتله فيه، وهو الذى يقول فيه أهل الحجاز ليس للوالى أن يعفو عنه ، ومنه الفتك : وهو أن يأتى الرجل رجلا وهو قار مطمئن لا يدرى مكان الذى يريد قتله فيقتله ، أو يكمن له ليلا أو نهاراً فإذا وجد غرة قتله ، قال ﷺ : « قيد الإيمان الفتك ، لا يفتك مؤمن » . والصبر : وهو أن يأخذ الأسير فيقتل . والغدر : وهو أن يعطى غيره أماناً ثم يقتله ، وهو شر الوجوه كلها ، وهو المراد بالحديث . قال ﷺ : « ذمة المسلمين واحدة ، فإذا أجارت جارية فلا تخفروها ، فإن لكل غادر

لواء من نار يوم القيامة » . وقال ﷺ : « من أمن رجلا ثم قتله فأنا برىء منه ، وإن كان المقتول فى النار » .

وقال ﷺ حاكياً عن ربه عز وجل : ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة ، ومن كنت خصمه خصمته (١) ، رجل أعطى بى(٢) ، ثم غدر(٣) ، ورجل باع حراً فأكل ثمنه ، ورجل استأجر أجيراً فاستوفى منه ولم يوفه أجره .

﴿ فصل ﴾ ومنها الزنا . قال ﷺ : « لا تزنوا فإن الزنا يقطع الرزق ، ويهدم العمر ، ويدخل النار ، ويسود الوجه والصحائف » وقال ﷺ : « لا تزال أمتى بخير مالم يفش فيهم الزنا ، فإذا فشا فيهم فيوشك أن يعمهم الله بعذاب » . وقال عكرمة : إذا كثر أولاد الزنا قل المطر . وقال وهب رضى الله عنه : مكتوب فى التوراة : الزانى لا يموت حتى يفتقر ، والقواد لا يموت حتى يعمى ، وقالت زينب : أنهلك وفينا الصالحون ؟ قال ﷺ : « نعم إذا كثر الخبث » - يعنى الزنا - .

﴿ فصل ﴾ ومنها الربا ، قال تعالى : (يمحق الله الربا ويربى الصدقات) وقال ﷺ : « إن الربا وإن كثر فعاقبته تصير إلى قل » . وقال ﷺ : « لا بركة فى مال خالطه ربا » . وقال ابن مسعود : ما أهلك الله أهل نبوة قط حتى يكثر فيهم الربا والزنا . ويقال : ما ظهر الزنا وأكل الربا فى بلدة إلا وخربت . ولقد كان أبو حنيفة رضى الله عنه : لا يجلس فى ظل شجرة غريمه ، ويقول فى الخبز : « كل قرض جر نفعاً فهو ربا » .

﴿ فصل ﴾ ومنها الخيانة فى الكيل والوزن ، وهى كبيرة ، قال الله

---

(١) قوله : خصمته أى غلبته . (٢) أى عهد الله وميثاقه .
(٣) أى ترك الوفاء ، مأخوذ من الغدو وهو الظلام .

تعالى : (ويل للمطففين) الآيات . وقال ﷺ : « لم تظهر الفاحشة فى قوم حتى يعلنوا ، إلا فشا فيهم الطاعون والأوجاع التى لم تكن مضت فى أسلافهم الذين مضوا ، ولم ينقصوا المكيال والميزان إلا أخذوا بالسنين وشدة المؤنة وجور السلطان عليهم ، ولم يمنعوا زكاة أموالهم إلا منعوا القطر ، ولولا البهائم لم يمطروا ، ولم ينقضوا عهد الله وعهد رسوله ، إلا سلط الله عليهم عدوهم ، وما ترك أئمتهم الحكم بكتاب الله تعالى ، إلا جعل الله بأسهم بينهم » .

ويروى أن ليث بن عبد الرحمن قال : إنما يؤذن فى هلاك القرى إذا استحلوا أربعاً : إذا نقصوا الميزان ، وبخسوا المكيال ، وأظهروا الزنا ، وأكلوا الربا ، فإذا أظهروا الزنا أصابهم الوباء ، وإذا نقصوا الميزان وبخسوا المكيال منعوا القطر ، وإذا أكلوا الربا جرد فيهم السيف .

﴿ فصل ﴾ ومنها الخيانة فى كل شىء ، قال ﷺ : « الأمانة تجر الرزق والخيانة تجر الفقر » وقال ﷺ : « نزلت المائدة خبز ولحم وأمروا أن لا يخونوا ولا يدخروا لغد ، فخانوا وادخروا وخبؤوا لغد ، فرفعت المائدة » . ويروى : « فمسخوا قردة وخنازير » . وقال ﷺ : « يقول الله أنا ثالث الشريكين مالم يخن أحدهما صاحبه ، فإذا خانه خرجت من بينهما - يعنى نزعت البركة - ودخل الشيطان » وقال ﷺ : « من أشار على أخيه بأمر يعلم أن الرشد فى غيره ، فقد خانه » . وقال ﷺ : « لا يؤم الرجل قوماً فيخص نفسه بالدعاء دونهم ، فإن فعل فقد خانهم » . ويقال : إفشاء الأسرار ، يورث البوار ، والإعراض عن النصيحة ، يورث الفضيحة ، وأعظم الديانة ، ترك الخيانة ، والله لا يحب الخائنين .

﴿ فصل ﴾ ومنها مخالطة العلماء والقراء الكبراء والأمراء ، قال ﷺ : « لا تزال يد الله على هذه الأمة ، مالم يعظم أبرارهم فجارهم ، وما لم يوافق

شرارهم خيارهم ، وما لم يمل قراؤهم إلى أمرائهم ، فإذا فعلوا ذلك رفع الله عنهم البركة ، وسلط عليهم جبابرتهم ، وقذف فى قلوبهم الرعب ، وأنزل بهم الفاقة » . وقال ﷺ : « يخرج فى آخر الزمان قوم يختلون الدنيا بالدين ، يلبسون للناس جلود الضأن من اللين . ألسنتهم أحلى من السكر ، وقلوبهم قلوب الذئاب ، يقول الله تعالى : أبى يغترون ، أم على يجترئون ، فبى حلفت لأبعثن على أولئك فتنة تدع الحكيم منهم حيران » .

﴿ فصل ﴾ ومن ذلك الحكم بغير ما أنزل الله ، والحرص على الولاية والجور . وقال كعب لابن عباس : إذا رأيتم السيوف قد أعريت ، والدماء قد أهرقت ، فاعلموا أن حكم الله قد ضيع ، فانتقم الله لبعضهم من بعض . وإذا رأيتم الطاعون قد فشا ، فاعلموا أن الزنا قد فشا . وقال ﷺ : « ما نقض قوم العهد ، إلا سلط الله عليهم عدوهم ، وما حكموا فى غير ما أنزل الله ، إلا فشا فيهم الفقر » وقال ﷺ لأبى ذر : « إنى أحب لك ما أحب لنفسى ، لا تتأمرن على اثنين ، ولا تتولين مال يتيم » . وقال ﷺ : « لا خير لمؤمن فى الإمارة : أولها ملامة ، وثانيها ندامة ، وثالثها عذاب يوم القيامة . وقال ﷺ : « ما من وال يلى شيئاً من أمور المسلمين إلا أتى به يوم القيامة مغلولة يده إلى عنقه ، يوقف على جسر من النار ينتفض به ذلك الجسر انتفاضة تزيل كل عضو منه عن موضعه ، ثم يعاد فيحاسب ، فإن كان محسناً نجا بإحسانه ، وإن كان مسيئاً انخرق به ذلك الجسر ، فيهوى به فى النار سبعين خريفاً (١) » .

وقال ﷺ : « من جعل قاضياً فقد ذبح بغير سكين » . وقال ﷺ : « يجاء بالقاضى العدل يوم القيامة فيلقى من شـــدة الحساب ما يود أن

---

(١) والجسر : بفتح الجيم وكسرها . وهو هاهنا الصراط ، وأصلها القنطرة التى يعبر عليها ا هـ مشارق .

لو يكن قضى بين اثنين ». وقال ﷺ : « من قضى بجهالة أو تكلف لقى الله كافراً ، ومن قضى لخاف متعمداً لقى الله كافراً ، ومن قضى بنية أو فقه واجتهاد ، فذلك لا له ولا عليه ».

وقال ﷺ : « ما من وال يغلق بابه عن ذى الخلة والحاجة والمسكنة إلا أغلق الله أبواب السماء عن خلته وحاجته ومسكنته » .

وقال ﷺ : خمسة غضب الله عليهم ، إن شاء أمضى غضبه عليهم فى الدنيا ، وإلا فثواهم فى الآخرة النار . أحدهم : أمير قوم يأخذ حقه من رعيته ولا ينصفهم من نفسه ولا يدفع المظالم عنهم » . وقال ﷺ : « من ولى من أمور أمتى شيئاً فحسنت سيرته فيهم رزق الهيبة من قلوبهم ، وإذا بسط يده لهم بالمعروف رزق المحبة منهم ، وإذا وفر عليهم أموالهم ، وفر الله عليه ماله ، وإذا أنصف الضعيف من القوى ، قوى الله سلطانه » .

﴿ فصل ﴾ ومن ولى من أمور المسلمين شيئاً وجب الصبر تحت لوائه . وإن جار وعمل الكبائر ، ولا يجوز الخروج على الولاة . قال ﷺ : « اسمعوا وأطيعوا ، وإن استعمل عليكم عبد حبشى كأن رأسى زبيبة » وقال ﷺ : « من رأى من أميره شيئاً يكرهه فليصبر ، فإنه ليس أحد يفارق الجماعة شبراً إلا مات ميتة جاهلية » وقال ﷺ : « من يطع الأمير فقد أطاعنى ، ومن يعص الأمير فقد عصانى » . وقال ﷺ : « من ولى عليه وال فرآه يأتى شيئاً من معصية الله ، فليكره ما يأتى به من معصية الله ، ولا ينزعن يداً من طاعة » . وقال ﷺ : « من خلع يداً من طاعة ، لقى الله يوم القيامة لا حجة له ، ومن مات وليس فى عنقه بيعة مات ميتة جاهلية » .

وقال ﷺ : « من أتاكم وأمركم جميعاً على رجل واحد فأراد أن يشق عصاكم ويفرق جماعتكم فاقتلوه » . وكل هذه قد خرجها مسلم فى صحيحه .

وقال ﷺ : « من فارق الجماعة واستذل الإمارة ، لقى الله ولا وجه له عنده » . وقال ﷺ : « من أهان سلطان الله فى الأرض أهانه الله ، ومن أكرم سلطان الله أكرمه الله » وقال ﷺ : « السلطان ظل الله فى الأرض ، يأوى إليه كل مظلوم(١) » وأنشد السلفى فى طاعة أولى الأمر ، ومن خصه الله بالولاية والقهر :

عليك بطاعة السلطان سراً	وجهراً ما بقيت مدى الزمان
ولا تعبأ بذى سفه وطيش	رقيع قـــد يمنيك الأمانى
فطاعة من له أمر ونهى	أمان فى أمان فى أمان

فإن أصلح وعدل زاد فضله وتضاعف أجره . وقال ﷺ : « إن أحب الناس إلى يوم القيامة وأقربهم منى مجلساً ، إمام عادل » . وقال ﷺ : « والذى نفس محمد بيده إن الوالى العدل ليرفع له كل يوم مثل عمل رعيته ، وصلاته تعدل سبعين ألف صلاة ، وإن جار وظلم ثقل حمله وعليه وزره ، وذلك بذنوبنا » . وقال ﷺ : « اسمعوا وأطيعوا ، فإنما عليه ما حمل وعليكم ما حملتم » : وقال ﷺ : « ما من وال يلى رعيـــة من المسلمين فيموت وهو غاش لهم إلا حرم الله عليه الجنة » وقال ﷺ : « كما تكونون يولى عليكم » ويروى : أسد حطوم ، خير من وال ظلوم ، ووال ظلوم خير من فتنة تدوم .

﴿ فصل ﴾ ومن ذلك الاحتكار فى الأقوات ، وهو أن يشترى طعاماً فى الغلاء ، ويمسكه حتى يضر بالناس فيزداد الثمن . قال ﷺ : « الجالب مرزوق ، والمحتكر ملعون ، ومن احتكر على المسلمين طعاماً ، ضربه الله بالجذام والإفلاس » .

قال العلماء ، وأما إذا اشتراه فى الرخص وانتظر به الغلاء أو دخل

(١) قوله ظل الله : أى ستر الله ، وقيل خاصة الله .

عليه غلة من ملكه فتربص به الغلاء ، فليس باحتكار ولا يأثم بذلك ، وهذا المعنى أراد والذى رضى الله عنه بقوله :

واحفظ طعامك فى حال الأمان إذا طاب المكان حتى يهب غلاء

اللهم إلا إن كان بالناس ضرورة وعنده ما يفضل عن مؤنته ومؤن سنة ، فإنه يجب عليه بيع الفضل ، فإن لم يفعل أجبره السلطان على ذلك والله أعلم .

﴿ فصل ﴾ ومن ذلك الإساءة إلى أولياء الله ، وهم الذين إذا رؤوا ذكر الله . قال ﷺ : « يقول الله تعالى : من أهان لى ولياً فقد بارزنى بالمحاربة ، وإنى لأسرع شىء إلى نصرة أوليائى ، إنى لأغضب لهم كما يغضب الليث الحرب »[1] وقال ﷺ : « إياك ونار المؤمن لاتحرقك ، وإن عثر كل يوم سبع مرات فإن يمينه بيد الله ، إذا شاء أن ينعشه نعشه » وقال ﷺ : « رب أشعث أغبر لا يؤبه له لو أقسم على الله لأبره » . وقال ابن عمر رضى الله عنه — وقد نظر إلى الكعبة : ما أعظم حرمتك ؟ وإن المؤمن لأعظم منك حرمة عند الله . وقال ﷺ : « ملعون من ضار مؤمناً أو مكر به » .

﴿ فصل ﴾ ومن ذلك قطع الشجر المنتفع به فى الطرق ونحوها . قال ﷺ : « من قطع سدرة ، صوب الله رأسه فى النار » قال أبو داود : هذا مختصر ، أراد من قطع سدرة من فلاة ظلماً وعتواً بغير حق له فيها كان يستظل بها ابن السبيل والبهائم صوب الله رأسه فى النار . قال الكاشغرى : والتحرز عن قطع الأشجار الرطبة يزيد فى العمر ، وإذا كان ذلك فقطعها ينقصه والله أعلم .

---

(١) أى شديد الغضب .

وقد نهى ﷺ عن قطع شىء من نبات الأرض ثم قرأ : (وإن من شىء إلا يسبح بحمده) الآية .

قلت : وأما للمصالح فلا بأس بقطع النبات وقلعه ، فقد قطع نخل بنى النضير وحرقه . وروى أبو عبيد بإسناده فى الذى قضى له النبى ﷺ بالأرض وقد غرس فيها . قال الراوى : فلقد رأيتها يضرب فى أصولها بالفؤس ، وإنها لنخل عم - أى تامة فى طولها والتفافها والله أعلم .

﴿ فصل ﴾ ومن ذلك السؤال عن ظهر غنى . قال ﷺ : « ما فتح عبد على نفسه باب مسألة،إلا فتح الله عليه باب فقر » ويروى: « سبعين باباً من الفقر » وقال ﷺ : « من سأل الناس عن ظهر غنى ، فصداع فى الرأس ، وداء فى البطن » ، وقال ﷺ : « من احتاج إلى الناس فكتم ما به وأفضى إلى الله أمره ، كان حقاً على الله أن يفتح له برزق واسع من حيث لا يحتسب » . وقال ﷺ : « من أصابته فاقة فأنزلها بالناس لم تسد ، وإن أنزلها بالله أغناه » .

وقال عمر رضى الله عنه : مكسبة فيها بعض الريبة ، خير من المسألة . وقال بعضهم : لا تسألوا غير مولاكم ، فسؤال العبد غير سيده تشنيع على السيد ، وقال معاذ رضى الله عنه : ينادى مناد يوم القيامة : أين بغضاء الله فى أرضه ؟ فيقوم سؤال المساجد . وقال ﷺ : « إن المسألة لا تحل إلا لثلاثة : رجل تحمل بحمالة (١) بين قوم ، ورجل أصابته جائحة(٢)

---

(١) الحمالة : كأن يقع حرب بين فريقين تسفك فيها الدماء ، فيتحمل أذياتها رجل ليصلح ذات البين .

(٢) والجائحة : المصيبة تحل فى مال الرجل فتجتاحه كله ، كالجراد والبرد والسيل والفتنة .

فاجتاحت ماله فيسأل حتى يصيب سداداً من عيش ، ورجل أصابته فاقة حتى يشهد ثلاثة من ذوى الحجى من قومه أن قد أصابته فاقة ، وأن قد حلت له المسألة وما سوى ذلك من المسائل سحت » .

﴿ فصل ﴾ ومنها الحرص وكثرة الطمع والشره والرغبة فى الدنيا . قال ﷺ : « الطمع فقر حاضر » ويروى أن الله تعالى قال لموسى عليه السلام « أتريد أن لا تحتاج إلى النـــاس ؟ قال : نعم ! قال : لا تطمع فى أموال الناس » . وقال ﷺ : « إن هذا المال خضرة حلوة ، فمن أخذه بسخاوة نفس بورك له فيه ، ومن أخذه بإشراف نفس لم يبارك له فيه ، وكان كالذى يأكل ولا يشبع » ويروى : « الدنيا حلوة فمن أخذ عفوها بورك له فيها » .

وقال ﷺ : « إن روح القدس نفث فى روعى أنه لن يموت عبد حتى يستكمل رزقه ، فأجملوا فى الطلب ولا يحملنكم استبطاء الرزق على أن تطلبوا شيئاً من فضل الله بمعصيته ، فإنه لا ينال ما عند الله إلا بطاعته ، ألا وإن لكل امرىء ما رزقاً هو يأتيه لا محالة ، فمن رضى به بورك له فيه فوسعه ومن لم يرض به لم يبارك فيه ولم يسعه ، إن الرزق ليطلب الرجل كما يطلبه أجله » . وقال ﷺ : « الرغبة فى الدنيا ، تكثر الهم والحزن ، والزهد فى الدنيا يريح القلب والبدن » . وقال ﷺ : « إنك لا تدع شيئاً اتقاء الله ، إلا أعطاك خيراً منه .

وقال ﷺ : « ما ترك العبد شيئاً من الدنيا ، إلا أعطاه الله خيراً مما ترك » . وقال ﷺ : « ما ذئبان جائعان أرسلا فى غنم ، بأفسد لهما من حرص المرء على المال والشرف لدينه » وقال ﷺ : « من أحب دنياه أضر بآخرته ، ومن أحب آخرته أضر بدنياه ، فآثروا ما يبقى على ما يفنى » وقال ﷺ : « تعس عبد الدينار ، وعبد الدرهم ، وعبد الخميصة ،

إن أعطى رضى ، وإن لم يعط سخط ، تعس وانتكس وإذا شيك(١) فلا انتعش » . وقال ﷺ : « لعن عبد الدينار وعبد الدرهم » . وقال ﷺ « خيار المؤمنين القانع ، وشرهم الطامع » وقال ﷺ : « ليجيئن أقوام يوم القيامة وأعمالهم كجبال تهامة ، فيؤمر بهم إلى النار ، قالوا : يارسول الله مصلين ؟ قال : نعم ! كانوا يصلون ويصومون ويأخذون وهناً من الليل ، فإذا عرض لهم شيء من الدنيا وثبوا عليه » ويروى : « لاتنظروا إلى صوم الرجل وصلاته ، ولكن انظروا إلى ورعه إذا أشرف على الدنيا » :

لا يغرنك في المر ء رداء رقعه
وقيص فوق كعب الـ ساق منه رفعه
وجبين لاح فيه ـه قد خلعه
أره الدرهم تعرف غبه أم ورعه

﴿ فصل ﴾ ومن ذلك الذنوب والمعاصي كلها ، قال الله تعالى : (إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم) وقال تعالى : (ذلك بأن الله لم يك مغيراً نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم)(٢) . وقال ﷺ : « إن الرجل ليحرم الرزق بالذنب يصيبه » . وقال ﷺ : « لن يهلك الناس حتى يقدروا من أنفسهم » . وقال ﷺ : « من حاول أمراً بمعصية الله كان له أبعد مما رجا وأقرب مما اتقى ، ومن طلب محامد الناس بمعاصي الله ، عاد حامدهم منهم ذاماً له ، ومن أرضى الناس بسخط الله وكله الله إليهم ، ومن أرضى الله بسخط الناس كفاه الله شرهم ، ومن أحسن فيما بينه وبين الله أحسن الله بينه وبين الناس ، ومن أصلح سريرته أصلح الله علانيته ، ومن عمل لآخرته كفاه الله أمر دنياه » . وقال ﷺ : « من اعتز بالعبد أذله الله » .

---

(١) شيك : أى دخلت شوكة فى رجله .
(٢) أى حتى تكثر ذنوبهم وعيوبهم .

وقال ﷺ : « يقول الله تعالى : أنا الملك وقلوب الملوك بيدى ، فأى قوم أطاعونى جعلت قلوب الملوك عليهم رحمة ، وأى قوم عصونى جعلت قلوب الملوك عليهم نقمة ، فإذا رأيتم منهم ما تكرهون ، فلا تميلوا إليهم بالمعتبة وتربوا فإنى أعطف قلوبهم عليكم » وقال ﷺ : « مسكين ابن آدم ، لو خاف من النار كما يخاف من الفقر لنجا منهما جميعاً ، ولو رغب فى الجنة كما يرغب فى الغنى لوصل إليهما جميعاً ، ولو خاف من الله فى الباطن كما يخافه فى الظاهر ، لسعد فى الدارين جميعاً » .

فيا أيها المحب للسلامة سلم تسلم ، ولا تضر مسلماً تندم ، فكما تدين تدان ، وكما تذم تذم وتهان ، فلو مكروه أتاك أو أحد أذاك فبما كسبت يداك . قال الله تعالى : (وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم) .وقال تعالى : (ومن يعمل سوءاً يجز به).قال ﷺ : « هى المصيبات فى الدنيا » .

ويروى أن لباناً كان يخلط اللبن بالماء ويبيعه ، فجاء سيل عظيم فذهب بالغنم فجعل يبكى ويقول : اجتمعت تلك القطرات فصارت سيلا . فاعمل لله وللناس ما تحب أن يعمل لك تجد عملك .

﴿ فصل ﴾ ومما ينبغى اجتنابه حرق قشر البصل والثوم ، والنوم على الوجه ، وكنس البيت فى الليل ، وكنسه بالخرقة ، وترك الكناسة فى البيت ، وغسل اليدين بالطين والنخالة ، وفى الليـــل ، وفى الإناء الذى يأكل فيه ، والجلوس على العتبة وهى التى يوطأ عليها — والاتكاء على أحد زوجى الباب ، والتوضؤ فى المتبرز ، وخياطة الثوب على البدن ، وتجفيف الوجه بالثوب ، وترك اليد على الخاصرة ، والبول(١) عرياناً ، والأكل جنباً ، وإسراع الخروج من المسجد بعد صلاة الفجر ، والبكور إلى السوق ، وبطء الرجوع منه ، وشراء كسر السائلين ، ودعاء الشر على

(١) كذا فى الأصلين : ولعلها والنوم عرياناً .

الوالدين والأولاد على الولاة ، وترك تخمير الأوانى ، وإطفاء السراج بالنفس ، والرمى بالقملة وهى حية ، وغسل القدم باليمين ، والبول فى الماء الراكد ، ولبس السراويل قائماً ، والتعمم قاعداً ، وغسل الجنابة فى موضع البول والنجاسة ، والأكل بأصبعين ، والمشى بين الغنم ، وبين امرأتين ، وحجامة يوم سابع الشهر ، وكثرة العبث باللحيـــة . وقرع الأسنان ، وتشبيك الأصابع حول الركبتين ، وكثرة تفقيعها ، ووضع الكف على الأنف ، وقطع الظفر بالسن ، وكشف العورة فى وجه الشمس والقمر ، واستقبال القبلة ببول أو غائط ، والتثاؤب فى الصلاة ، والبصاق على الخلاء والرماد ، ووضع اليد على الخد وأنت قاعد بلا وجع .

ومن أعظم ذلك التهاون بالصلاة ، والتهاون بما يسقط من المائدة ، وترك التسمية على الطعام ، وكثرة الأكل ، والكذب ، ولبس نعل الشمال قبل اليمين ، والأكل على الطبق المقلوب ، فكل هذه الخصال تورث الهم والحاجة ، فينبغى اجتنابها . ذكر أكثرها الكاشغرى فى بعض مصنفاته والله أعلم .

﴿ فصل ﴾ فى التوبة ووجوبها وكيفيتها . قال الله تعالى : (وتوبوا إلى الله جميعاً أيها المؤمنون لعلكم تفلحون) . وقال تعالى : (إلا من تاب وآمن وعمل عملا صالحاً فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات) الآية وقال تعالى : (ثم إن ربك للذين عملوا السوء بجهالة ثم تابوا من بعــد ذلك وأصلحوا إن ربك من بعدها لغفور رحيم) . وقال تعالى : (إنما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب فأولئك يتوب الله عليهم) الآية . وقال تعالى : (إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين) .

وقال ﷺ : « الشاب التائب حبيب الله ، التائب من الذنب كمن لا ذنب له » . وقال ﷺ : « إذا تاب العبد فقبل الله توبته ، أنسى الحفظة

ماكان يعمل، وقيل للأرض ولجوارحه اكتمى عليه ولا تظهرى مساويه أبداً » . وقال ﷺ : « من تاب قبل طلوع الشمس من مغربها تاب الله عليه » . وقال الفضيل رحمه الله : لا يرد الجور بالسيوف ، وإنما ترد بالتوبة ، وقد اجتمعت الأمة على وجوبها ، لأن الانخلاع من المعاصى واجب على الدوام فصارت التوبة واجبة على الفور ، وهى من أصول الإسلام ، وهى منقسمة إلى توبة بين العبد وبين الله : وهى التى يسقط بها الإثم . وإلى توبة فى الظاهر : وهى التى تعود بها الشهادة والولاية .

أما الأولى : فإنه يندم على ما فعل ، ويترك فعله فى الحال ، ويعزم على أن لا يعود إليه أبداً ، فإن لم يتعلق به حق مالى لله ولا للعباد كقبلة الأجنبية ومباشرتها فيما دون الفرج ، فلا شىء عليه سوى ذلك . وإن تعلق بها حق مالى كمنع الزكاة والغصب والخيانة فى أموال الناس ، وجب مع ذلك تبرئة الذمة عنه بأن يؤدى الزكاة ويرد أموال الناس إن بقيت ، ويغرم بدلها إن لم تبق أو يستحل المستحق فيبرئه ، ويجب أن يعلم المستحق إن لم يعلم به ويوصله إليه إن كان غائباً وغصبه منه هناك ، فإن مات سلمه إلى وارثه ، فإن لم يكن له وارث وانقطع خبره دفعه إلى قاض حسن السيرة والديانة ، فإن تعذر تصدق به على الفقراء بنية الغرامة له إن وجده فإن كان معسراً نوى الغرامة إذا قدر ، فإن مات قبل القدرة وكان عاصياً بالتزامها ، فالظاهر ثبوت المطالبة بالظلامة ، والمرجو من فضل الله المغفرة .

فأما إذا استدان فى موضع يباح له الاستدانة واستمر عجزه عن الوفاء حتى مات ، أو أتلف شيئاً خطأ وعجز عن غرامته حتى مات ، فهـــذا لا مطالبة فى حقه فى الآخرة ، إذ لا معصية منه . والمرجو أن الله تعالى يعوض صاحب الحق . وتستباح الاستدانة لحاجة فى غير معصية ولا سرف

إذا كان يرجو الوفاء من جهة ، أو سبب ظاهر ، وإن تعلق بالمعصية حق ليس بمالى ، فإن كان حداً لله كالزنا ونحوه فإن لم يظهر عليه فله أن يظهره ويقر ليقام عليه الحد ، والأفضل أن يستر على نفسه لما قدمت فى أقسام اللسان ، فإن ظهر فقد فات الستر فيأتى الإمام ليقيم عليه الحد ، وإن كان حقاً للعباد كالقصاص وحد القذف ، فيأتى المستحق ويمكنه من الاستيفاء فإن لم يعلم المستحق وجب إعلامه ، فيقول أنا الذى قذفتك أو قتلت أباك ، فإن شئت فاقتص وإن شئت فاعف . وتصح التوبة من القتل الموجب للقود قبل تسليم القاتل نفسه للقصاص فى حق الله تعالى ، ويكون منعه للقصاص معصية مجددة تقتضى توبة لها ولا تقدح بالأولى .

وأما الغيبة : فإن لم تبلغ المغتاب فيكفيه الندم والاستغفار فى الأصح . قال ﷺ : « إذا اغتاب أحدكم أخاه من خلفه فليستغفر له ، فإن ذلك كفارة له » . فإن بلغته فيأتيه ويستحله ، ويشترط أن يبين له ما اغتابه به . ويسن للمغتاب أن يبرئه منها ، فإن تعذر لموته أو تعسر لبعده ، فقد تعذر تحصيل البراءة عنها ، ولكن ينبغى أن يكثر له الاستغفار له والدعاء ، ويكثر الحسنات ، ولا اعتبار بتحليل الورثة .

والتوبة من الحسد ونحوه ، وهو أن يهوى زوال نعمة الغير ويسر بنكبته ، تحصل بما تقدم ، فيسأل الله زوال هذه الخصلة ، ولا يستحب أن يخبر المحسود بحسده له ، فلو قصر فيما عليـــه من مظلمة ودين ومات المستحق واستحقه وارث بعد آخر ، ثم مات ولم يوفهم ، فالمستحق للمطالبة فى الآخرة صاحب الحق أولا فى الأصح ، فلو دفع إلى بعض الوارثين عند انتهاء الاستحقاق إليه خرج من مظلمة الكل إلا فيما سوف وماطل .

أما توبة الظاهر التى تتعلق بها عود الشهادة ، فهى فعلية : كالزنا والسرقة ونحوهما ، فلا يكنى فيها إظهار التوبة منها فى قبول الشهادة ، بل مدة يغلب على الظن أنه قد صلحت سريرته ، وأنه صادق فى توبته ، وذلك سنة على الصحيح وقيل نصفها ، وقيل لا تقدير لها .

وقولية : كالقذف ، فيشترط فى التوبة منه القول ، فيقول : قذفى باطل أو يقول : أنا نادم على ما فعلت ولا أعود ، أو يقول : ما كنت محقاً فى قذفى وقد ثبت منه ونحوه ، وليكن ذلك عند القاضى ، وسواء فى ذلك القذف على سبيل السب والإيذاء ، أو على صورة الشهادة ، فلو جاء ببينة على زنا المقذوف أو اعترف المقذوف أو قذف زوجته ولا عن لم يحتج إلى توبة .

وكذا ينبغى اشتراط التوبة بالقول فى سائر المعاصى القولية ، كالغيبة ونحوها ، فيقول فى شهادة الزور كذبت ولا أعود ويستبرأ المدة المذكورة ثم تقبل شهادته فى غير تلك الواقعة ، وسواء فى رد الشهادة والتوبة قذف محصناً أو غيره ، حتى لو قذف عبده أو ولده فالحكم كذلك ، فتحريم القذف سبب الرد ، وتصح التوبة من ذنب وإن كان ملابساً ذنباً آخر مصراً عليه وإذا تاب من ذنب توبة صحيحة ثم عاد إليه فى وقت ، أثم بالثانى ووجب عليه التوبة منه ولم تبطل توبته من الأول خلافاً للمعتزلة فى هاتين المسألتين ومن تاب من معصية وذكرها وجب تجديد الندم كلما ذكرها ، وقيل لا يجب فإن لم يجدد التوبة كان ذلك معصية جديدة والتوبة الأولى صحيحة .

وتجب توبة من ترك التوبة ، وإسلام الكافر ليس بتوبة من كفره .

وإنما توبته ندمه على كفره ، فيجب مقارنة الإيمان الندم على الكفر

ثم يسقط وزر الكفر بالإيمان والندم على الكفر إجماعاً قطعاً والله أعلم. ذكره النووى وغيره .

وقال ﷺ : « من حلف وقال فى حلفه واللات والعزى، فليقل لا إله إلا الله ، ومن قال لصاحبه تعـــال أقامرك فليصدق » . وقال ﷺ : « لا كبيرة مع استغفار ، ولا صغيرة مع إصرار » وقال بعضهم : الذنب الذى لا يغفر قول العبد : ليت كل شىء عملته مثل هذا ، فينبغى أن لا يستهزىء الإنسان بذنب وإن صغر ، فتواتر الصغائر عظيم فى تسويد القلب . اللهم اغفر لنا ولوالدينا ولأحبابنا ولأصحابنا ولجميع المسلمين .

—•—•—◇—•—•—

الباب الرابع

﴿ فى الطب والمنافع ﴾

اعلم أن التداوى مأمور به ، قال ﷺ : « يا عباد الله تداووا ، فإن الله يضع داء إلا وضع له شفاء ، غير داء واحد هو الهرم » .

قال الشافعى رضى الله عنه : العلم علمان : علم الفقه للأديان ، وعلم الطب للأبدان ، فإن قلت الرضا بالقضاء واجب فلعل التداوى خروج عن الرضا . فاعلم أن من جملة الرضا بقضاء الله تعالى ، التوصل إلى محبوباته بمباشرة ما جعله سبباً ، فليس من الرضا للعطشان أن لا يمد يده للماء زاعماً رضاه بالعطش الذى قضاه الله ، فإن الله تعالى قد أمرنا بإزالة العطش بالماء ، وقال : (وليأخذوا حذرهم) . فمعنى الرضا ترك الاعتراض على الله تعالى إظهاراً وإضماراً مع بذل الجهد فى التوصل إلى محبوباته ، وذلك بحفظ الأوامر وترك المناهى ، فافهم ذلك ذكره الغزالى .

وقد سئل ﷺ عن الأدوية والرقى هل ترد من قدر الله شيئاً ؟ قال : « هى من قدر الله » . إذا عرفت هذا فسأورد لك من الأحاديث المتضمنة للطب مافيه مقنع للأديب ، وتذكار للطبيب ، إن شاء الله تعالى ، وأذكره مشروحاً ولا ألتزم فيه ترتيباً والله أعلم .

القول فى الحمية وتقدير الأكل . قال الله تعالى : (كلوا واشربوا ولا تسرفوا) . وقال ﷺ : « لا تشبعوا من الطعام ثم تأكلوا عليه ، فإن ذلك أصل كل داء » . وقال ﷺ : « أصل كل داء البردة(١) » . وقال ﷺ :

---

(١) أى التخمة والبشم ، ويروى البرد بسكون الراء وحذف الهاء ، وهو ضد الحر .

« الأكل على الشبع يورث البرص » . وقال ﷺ : « إن الله تعالى يحمى عبده المؤمن من الدنيـــا ، وهو يحميه كما تحمون مريضكم من الطعام والشراب تخافون عليه » .

وقال عمر رضى الله عنه : إياكم والبطنة فى الطعام والشراب ، فإنها مفسدة للجسم مورثة للسقم ، مكسلة عن الصلاة ، وعليكم بالقصد فيهما ، فإنه أصلح للجسد ، وأبعد من السرف . وقال الحكماء : الشبع داعية البشم ، والبشم داعية السقم ، والسقم داعية الموت . قالوا : ولو سئل أهل القبور عن سبب آجالهم لقالوا : البطنة والتخم . قالوا : وليس للبطنة خير من مخمصة تتبعها . وقال ﷺ : « المعدة حوض البدن ، والعروق إليها واردة ، فإذا صحت المعدة صدرت العروق بالصحة ، وإذا سقمت المعدة صدرت العروق بالسقم » ويروى : « المعدة بيت الأدواء ، ويقال : دمك داؤك ، وأقاربك أعداؤك ، ومالك قاتلك ، ورأس الداء البطنة ، ورأس الدواء الحمية وعودوا كل جسم ما اعتاد .

وتقدير الأكل كما قال النبي ﷺ : « حسب ابن آدم أكلات يقمن صلبه ، فإن كان ولابد فاعلا ، فثلث للطعام ، وثلث للشراب ، وثلث للنفس » . وليقدم الألطف والأشهى والرطب على ضدها ، ويمزج الحلو بالحامض ، والرطب باليابس ، والبارد بالحار . وقد روى : « إذا أكلتم فرازموا(١) » . وعاد ﷺ مريضاً فقال له ما تشتهى ؟ قال خبز بر ، فقال ﷺ : « من كان عنده شىء من الخبز فليأتى به » ثم قال ﷺ : « إذا اشتهى مريض أحدكم شيئاً فليطعمه » . ففى هذا بيان أن المريض إذا تناول ما يشتهيه وإن كان أضر قليلا ، كان أنفع وأقل ضرراً مما يشتهيه وإن كان

(١) أى اخلطوا أكلكم فكلوا لبناً مع يابس ، وسائغاً مع خشن . وقيل كلوا يوماً لحماً ويوماً لبناً قفاراً ، وقيل رازموا : أى قولوا بين اللقم الحمد لله .

نافعاً لا سيما إذا كان ما يشتهيه غذاء ، ولهذا يستحب من الأطعمة ما كان أنضج طبخاً وأحسن لوناً ، وأزكى رائحة ، وأطيب طعماً ليكون الطبع إليه أميل فينهضم ، ويكون أبلغ فى التغذية والقوة .

وقد ترك ﷺ أكل لحم الضب حين عافه ولم يكن يعتاده ، وفى ذلك دليل على الامتناع عن الأطعمة التى تجر بها العادات ولم تشتهيها النفوس، وقد قال ﷺ : « لا تكرهوا مرضاكم على الطعام والشراب فإن الله يطعمهم ويسقيهم » وقالت أم المنذر : دخل النبى ﷺ ومعه على ولنا دوال معلقة — تعنى عناقيد من عنب — فجعل عليه السلام يأكل وعلى معه ، فقال له مه — أى اكفف — يا على ، فإنك ناقه » . قالت فجعلت لهما سويقاً وشعيراً ، فقال النبى ﷺ : « يا على من هذا فأصب ، فإنه أوفق لك (١) » .

وقد روى أن النبى ﷺ ناول علياً وهو محموم تمرة ثم أخرى ثم أخرى ثم أخرى حتى أكل سبعاً ، ثم قال : « حسبك يا على » . فنى هذا دليـــل على منع المريض مايزيد فى علته : ودليل على أن السبع التمرات فى حد القلة .

﴿ فصل ﴾ وأحسن الأطعمة وأغذاها خبز البر المحكم الصنعة ، وهو أن يكون من حنطة بكل نضجها بعد أن جفت منها الرطوبات ، وأن يكون الخبز خشكاراً ، وهو أن لا يقشر ولا يستأصل نخالته بالغربلة ، ويكون ظاهر الخمير والملح ، جيد العجين مخبوز فى التنور .

---

(١) الناقه : الذى صح ولم تتكامل قوته ، فهو لين العضو ضعيف الهضم ، فاللائق به تلطيف الغذاء وتقليله والدعة والروائح الطيبة وترك الرياضة ، وللشعير حسن تغذية بقوة ، وإن طحن طحناً ناعماً وطبخ وجعل ضماداً فوق السرة أخرج الدود من البطن .

وأما خبز الحوارى وهو ما نقى منه وبيض ، فإنه ليس كالأول ، وهو معتدل ، وأما الهريسة فدون ذلك . وقد قال ﷺ : « إن جبريل عليه السلام أطعمنى الهريسة يشد بها ظهرى لقيام الليل » ويروى : « ضعفت عن الصلاة والجماع حتى نزلت على قدر يقال لها الهريس ، فأكلت منها فزادنى قوة رأبعين رجلا ، وقد شكا نبى من الأنبياء إلى الله الضعف ، فأوحى الله إليه أن كل ملتاً بسمن » .

وفى حديث أبى هريرة بلغنى « أن من أكل خبزة بسمن[1] » . وقال ﷺ : « نعم الطعام الزبيب ، يطيب النكهة ، ويذهب البلغم ، ويصفى اللون ، ويشد العصب ، ويذهب الوصب ، ويطفىء الغضب ، وذكر خصالا عشراً ، ويروى : « عليكم بالزبيب ، فإنه يكشف المرة ، ويذهب بالبلغم ويذهب بالعيا ، ويحسن الخلق ، ويطيب النفس » .

قال الأطباء : الزبيب حار لين ينفع من وجع الأمعاء ، وعجمه بارد يابس ، يأكل البلغم ويذهب الغم ، وإن دق عجمه دقاً ناعماً وسقى منه وزن ثلاثة دراهم بماء فاتر نفع من الإسهال .

وأما التمر : فقد مضى فيه قسم فى الباب الماضى ، وفيه أنه ينفع من السم ، ومنه ما ينفع من الجذام والقولنج وغيرهما ، وقال ﷺ : « عليكم بالبغيض النافع — يعنى التلبينة — فو الذى نفسى بيده إنها لتغسل البطن كما يغسل أحدكم ثوبه من الوسخ » . وكان إذا اشتكى أحد من أهله لم تزل البرمة على النار حتى يأتى أحد طرفيه — يعنى يحيى أو يموت — وقال ﷺ : فى التلبين شفاء من كل داء ، وشكت عائشة خشونة فى صدرها ، ووجعاً فى رأسها ، فقال : « عليك بالتلبين — يعنى الحساء — فإنه له وجاء » . وقال : « إنه يرتو فؤاد الحزين — أى يشده ويقويه — ويسروا على فؤاد السقيم »

---

(١) كذا فى الأصلين ، وقال الأصمعى : هى التى عند العامة الملت .

أى يكشف . ويروى : « التلبينة مجمة لفؤاد المريض ، تذهب ببعض الحزن (١) . وقال ﷺ : « سيد طعام الدنيا والآخرة ، اللحم ثم الأرز» ويقال الأرز حار قابض ، ينفع من يبول الدم إذا أكله بلبن ، يأتى فيه حديث فى الباب الخامس إن شاء الله تعالى .

وعن على رضى الله عنه : من ابتدأ غذاءه بالملح ، أذهب الله عنه سبعين نوعاً من البلاء ومن أكل كل يوم سبع تمرات عجوة قتلت كل دابة فى بطنه ، والثريد طعام العرب ، واللحم ينبت اللحم ، والشحم يخرج مثليه من الداء والسمك يذيب الجسد ، ولم يستشف النساء بشىء من أفضل من الرطب ، وقراءة القرآن والسواك يذهب البلغم ، ولم يستشف الناس بشىء أفضل من السمن ، والمرء يسعى بجده ، والسيف يقطع بحده ، ومن أراد البقاء والإبقاء ، فليبكر العشاء — أى لا يؤخره — وليباكر الغداء وليقل غشيان النساء ، وليخفف الرداء — يعنى الدين — قال بعضهم : ومباكرة الغداء وإن قل ، تطيب النكهة ، وتطفىء المرة ، وتعظم القوة ، وتقلل شرب الماء .

ويروى عنه أيضاً : من أراد البقاء والإبقاء ، فليجود الحذاء ، وليأكل على نقاء ، ويشرب على ظماء ، وليقل من شرب الماء ، ويتمدد بعد الغداء ، ويتمشى بعد العشاء ، ولا يبيت حتى يعرض نفسه على الخلاء ، ودخول الحمام على البطنة من شر الداء وأكل القديد بالليل معين على الفناء ، ومجامعة

---

(١) التلبية : ماينقع من النخالة فيطبخ ماصفا من مائها ، أو حساء يعمل من الدقيق وربما جعل فيه عسل وسكر ، فإن شرب حاراً كان أكثر نفعاً ، وسماه بغيضاً لأن المريض يعافه وهو نافع له ، فن كان غذاؤه فى صحته الشعير أو الذرة عمل له الحساء من البر ، ومن كان الغالب على غذائه البر عمل له من الشعير . وقوله مجمة : أى مريحة .

العجائز تهدم أعمار الأحياء . وقال على رضى الله عنه أيضاً : عليكم بالثريد فإنه يطرد الفكر . وقد مضى فى قسم إكرام الطعام من صفـــة الثريد ما يكفى إن شاء الله تعالى .

القول فى المياه . قال الله تعالى : (كلوا واشربوا) وقال : (فكلى واشربى وقرى عيناً) وقال ﷺ : « سيد الشراب فى الدنيا والآخرة الماء » . وقال ﷺ : « خير الماء السنم (١) » ويروى : « خير المـــاء الشبم » وكان يستعذب له الماء من بئر السقياء — وهى عين بينها وبين المدينة يومان — وكان يكره شرب ماء الحميم . وقال لعائشة وقد سخنت ماء فى الشمس : « لا تفعلى هذا ، فإنه يورث البرص » . قال أبو نعيم : الماء يحفظ على البدن رطوبته وهو أنفع الأشربة وأوفقها ، وأنفع المياه أخفه وزناً ، وأعذبه طعماً .

والماء البارد على الريق يبرد الكبد جداً ، وعلى الطعام يقوى المعدة وينهض الشهوة ، وأجود المواضع لتبريد الماء المبردات والأشجار ، والمواضع الهوائية .

ومياه الأنهار الكبار أحمد المياه ، وأنفع المياه ما روق وسكن حتى يرسب ما خالطه ، وأرداؤها مياه العيون التى تجرى من ناحية الجنوب ، ومياه الشمال أخف المياه وألطفها ما لم يطـــل مكثه فى المصانع — أى البرك — ومياه السباخ أغلظها تتولد منها الأمراض البلغمية ، والمياه العذبة أنفع للاغتسال من المالحة والماء الحار المحرق مع العسل يحل القولنج ويفش الريح ، وكثرة الاغتسال بالماء مما يتغير به اللون ويشحب منه الجلد ، والبرد مبرد للمعدة ولا يحتمله إلا من كان حر المزاج ، وهو بركة تطهر به البطن . وأورد أبو نعيم فى خلال ذلك أحاديث كثيرة .

---

(١) أى الجارى الظاهر على وجه الأرض ، ويروى الشبم أى البارد .

ولا ينبغى الشرب عقب الجماع ، والرياضة ، والخروج من الحمام ، وأحسنه بعد ساعة يستقر بها الطعام فى البطن . وقال ﷺ : « إذا شرب أحدكم الماء فليشرب أبرد ما يقدر عليه ، لأنه أطفأ للمرة ، وأنفع للغلة » . وقال ﷺ : « الشرب فى أثر الدسم ، داء فى البطن » وأكل طعاماً ثم شرب ماء بارداً فى الصيف . وقال : « يا بردها على الكبد » وقال ﷺ : « الشرب من فضل وضوء المؤمن ، فيه شفاء من سبعين داء أوناها الهم » وقال ﷺ : « لا تشربوا فى نفس واحد ، واشربوا فى ثلاثة أنفاس ، فإنه أهنأ وأبرأ وأمرأ » . وقد شرب ﷺ فى نفسين ، ويروى أن الكباد — يعنى وجع الكبد — من العب ، وهو جرع الماء من غير مص . وقد أمر ﷺ بالمص ونهى عن العب ، وأمر بعب اللبن وقال : « من شرب الماء على الريق انتقصت قوته » .

القول فى اللباس . قال الله تعالى : (قد أنزلنا عليكم لباساً يوارى سوآتكم) . وقال ﷺ : « استدفوا من الحر والبرد » وقال : « عليكم بلباس الصوف ، تجدون حلاوة الإيمان فى قلوبكم ، وعليكم بلباس الصوف تجدون قلة الأكل ، وعليكم بلباس الصوف تعرفون به فى الآخرة ، وإن لباس الصوف يورث القلب التفكر ، والتفكر يورث الحكمة ، والحكمة تجرى فى الجوف الدم ، فمن كثر تفكيره قل طعمه وكل لسانه » .

وقد رخص للزبير وابن عوف بلبس الحرير من وجع كان بهما ويروى من القمل ، وقال للمرأة التى استحيضت : « أنعت لك الكرسف ، فإنه يذهب الدم ، يعنى القطن — وطبعه حار — والعمامة تكسب الحلم . وقال ﷺ : « اعتموا تزدادوا حلماً » وعن على وابن عباس : من لبس نعلا صفراء لم يزل فى سرور ما دام لابسها : ويروى : قل همه .

القول فى النوم : قال الله تعالى : (وجعلنا نومكم سباتاً) أى راحة

لكم ، ففى النوم راحة النفس ، وهو يسخن الباطن ويعين على الهضم ، فإن أفرط رطب الجسم وأرخاه وأطفأ حرارته . وقال ﷺ : « قيلوا ، فإن الشياطين لا تقيل » وقال ﷺ : « من نام بعد العصر فاختلس عقله ، فلا يلومن إلا نفسه » . وقال مكحول لرجل نام بعد العصر : لقد عوفيت ، لقد دفع عنك ، إنها ساعة مخرجهم وفيها ينتشرون -يعنى الجن والشياطين- وفيها تكون الخبطة - وهى الجنون والخبل - ويروى : النوم فى أول النهار حمق ، وفى وسطه خلق ، وفى آخره خرق ، وقد مضى فى القسم السابع من الباب الماضى فى النهى عن نومه الغداة ما يكفى إن شاء الله تعـــالى .

القول فى اللحم . قال الله تعالى : (لتأكلوا منه لحماً طرياً) . وقال ﷺ : « خير الإدام فى الدنيا والآخرة اللحم » وهو يزيد فى السمع ، وقال ﷺ : « إن اللحم لينبت اللحم ، فكلوه نهشاً فإنه ألذ ، وهو يقوى الجسم ، ومن ترك اللحم أربعين يوماً ساء خلقه ، ومن دام عليه أربعين يوماً قسا قلبه » ويروى : « أكل اللحم يحسن الوجه ، ويطيب النفس ويحسن الخلق » وقال ﷺ : « عليكم بأكل لحوم الإبل » وقال : « أطيب اللحم لحم الظهر » ويروى : « خير اللحم ما اتصل بالعظم » وقال : « إن للقلب فرحة عند أكل اللحم » وقال : « عليكم بألبان البقر ، فإنها دواء وأسمانها شفاء ، وإياكم ولحومها فإنها داء » .

قال الأطباء لحها بارد يابس ، ولحم العجل ، معتدل ، ولحم الضأن حار معتدل لين ، وكذا الدجاج والحمام ، ولحم المعز بارد لين ، ولحم الذكر أطيب ، ولحم الأنثى أرطب .

وقال ابن عباس : الجدى جيد لوجع الظهر . ونحوه عن على ، وهو الذكر من أولاد المعز . ويروى أن نبياً شكى إلى الله تعالى الضعف ، فأمره أن يطبخ اللحم باللبن ، فإن القوة فيهما .

القول فى البيض : روى أبو نعيم فى كتابه أن رجلا شكى إلى النبى ﷺ قلة الولد ، فأمره أن يأكل البيض : فقال يارسول الله وأى بيض؟ قال : « كل البيض ولو بيض النمل » . وقال : شكى داود عليه السلام إلى ربه قلة الولد ، فأوحى الله إليه أن يأكل البيض، ومخ البيض حار معتدل .

القول فى الألبان والأدهان : قال الله تعالى : (وإن لكم فى الأنعام لعبرة نسقيكم مما فى بطونها) إلى قوله : (لبناً خالصاً سائغاً للشاربين) . وقال ﷺ : « ليس شىء يجزىء عن الطعام والشراب غير اللبن » وقال: « تداووا بألبان البقر ، فإنى أرجو أن يجعل الله فيها شفاء وبركة ، فإنها تأكل من كل الشجر » ، وعن أنس : أن ناساً اجتووا المدينة — أى لم توافقهم — فأمرهم النبى ﷺ أن يلحقوا براعى إبله فيشربوا من ألبانها وأبوالها ، ففعلوا ذلك فصلحت أبدانهم . ويروى أنه أصابهم وعك شديد فاصفرت ألوانهم ونحلت أجسامهم وعظمت بطونهم ، فلما أصابوا لبن الإبل انقطعت عنهم الحمى وحسنت ألوانهم ، وخفت بطونهم ، ونبتت أجسامهم . وكان ﷺ إذا حلب اللبن لم يشربه حتى يشوبه بالماء ، وكان ﷺ يشرب اللبن المرضوف(١) .

قال الحافظ أبو نعيم : اللبن الحليب يخصب البدن ، وينفع من الربو والسعال ، ويزيد فى الباه . وألبان الغنم أكثرها فضولا ، وأدسمها ، فإذا شيبت بالماء كان أقل ضرراً لمن يعتريه الصداع ، ولبن المعز أعدل من لبن الضأن وأرق ، وألبان الأتن نافعة من سدد الرئة ، واللبن الحليب مع التمر مخصب للبدن جداً ، والزبد نافع للقوبا وخشونة الصدر ، والسمن أقوى الأدهان ، وأغذاها وأورد فى ذلك أحاديث كثيرة . قال : وألبان الإبل تشفى من فساد المزاج ، وتغير المياه والسدد .

---

(١) وهو الذى طرح فيه الرضفة ، وهى الحجارة المحماة .

وقال ﷺ : « فى ألبان الإبل وأبوالها شفـــاء للذربة بطونهم » . وقال ﷺ : « كلوا الزيت وادهنوا بالزيت ، فإن فيه شفاء من سبعين داء منها الجذام ، ومن ادهن بالزيت لم يقربه شيطان أربعين ليلة » . وقال ﷺ : « عليكم بهذه الشجرة المباركة زيت الزيتون ، فتداووا به فإنه مصحة من الباسور » ويروى : « عليكم بهذه الشجرة المباركة زيت الزيتون عند أوانه ، فإن فيه شفاء للناس ، وشجرة الزيتون كثيرة البركة ، وفيها أنواع المنافع ، لأن الزيت يسرج منه ، وهو إدام ودهان ودباغ ، ويوقد بحطب الزيتون وتفله ، ورماده يغسل به الإبريسم ، ولا يحتاج فى استخراج دهنه إلى عصار ، وطبع الزيت بارد ، وكان ﷺ ينعت الزيت والورث من ذات الجنب . قال قتادة : يلده من الجانب الذى يشتكيه .

وقال ﷺ : « فضل البنفسج على سائر الأدهان كفضلى على سائر الخلق » . وهو بارد فى الصيف حار فى الشتاء . ويروى : إذا وقع الوباء بلدة وأنت فيها فعليك بدهن البنفسج ، فإنه يذهب الوباء (١) » . وقال ﷺ : الدهن يذهب بالبؤس ، والكسوة تظهر الغنا » . وقال : « تحفة الصائم الدهن والمجمر » . وقال ﷺ : « إذا ادهن أحدكم فليبدأ بحاجبيه ، فإنه يذهب الوصب والصداع ، ويروى : « من أدمن على حاجبه المشط ، عوفى من الوباء » .

القول فى الملح : قد مضى فيه حديث عن النبى ﷺ وحديث عن على كرم الله وجهه . وقال ﷺ : « ابدأ بالملح واختم بالملح ، فإن فيه شفاء من سبعين داء ، منها الجنون والجذام والبرص ووجع البطن ووجع

---

(١) البنفسج نبات كالحشيش طيب الريح ، زهره أحمر يضرب إلى السواد ودهنه يرطب الدماغ ويزيل الشوقة .

الأضراس ، ولدغته عقرب فى إبهام رجله اليسرى فقال : « على بذلك الأبيض الذى يكون فى العجين » فأتى بملح فلعق منه ثلاث لعقات ، ثم وضع بقيته على اللدغة فسكنت . وقال : « إن مثل أصحابى فى أمتى كالملح فى الطعام ، لا يصلح الطعام إلا بالملح » والملح حار يابس فى الثالثة ، وإذا اكتحل به قطع الظفرة ، واللحم الزائد فى العين ، وإن جعل على حرق النار لم يتنفط .

القول فى العسل : قد مضى فيه قسم كامل فى الباب الثالث . وقال ﷺ : « عليكم بالشفاءين » - يعنى العسل والقـــرآن - وقال رجل : يا رسول الله إن أخى استطلق بطنه . فقال : « اسقه عسلا » ثم أتاه فقال فعلت فما زاده إلا استطلاقاً ، فقال : « اسقـــه عسلا » ثم أتاه الثالثة فقال فعلت فلم فما زاده استطلاقاً . فقال له النبى ﷺ : « صدق الله وكذب بطن أخيك اسقه عسلا فسقاه فبرأ » . ومن اعترض على هذا الحديث بأن الأطباء يجمعون على أن العسل مسهل فكيف يوصف لمن به الإسهال ؟ قلنا له إن المريض يكون الشىء دواءه فى ساعة ، ثم يكون داءه فى الساعة التى تليها لعارض يعرض من غضب يحمى مزاجه أو هواء يتغير، أو غير ذلك.

وجميع الأطباء يجمعون على أن المرض الواحد يختلف علاجه باختلاف الزمان ، والسن ، والعادة ، والغذاء المألوف ، وقوة الطباع ، فيحتمل أن يكون هذا الإسهال فى الشخص المذكور فى الحديث أصابه من امتلاء أو هيضة(١) ، فأمره النبى ﷺ بشرب العسل فزاده إسهالا ، فزاده عسلا إلى

(١) يعنى الخلفة ، وقال فى فقه اللغة : الهيضة أن يصيب الإنسان مغص وكرب يحدث بعدهما قىء واختلاف . والخلفة : أن لا يلبث الطعام فى البطن اللبث المعتاد بل يخرج سريعاً وهو بحاله لم يتغير من لذع ووجع واختلاف ضريرى . وقال الجوهرى : الهيضة : قياء وقيام معاه .

أن فنيت المادة فوقف الإسهال ، ويكون الخلط الذى كان به يوافقه شرب العسل وعن أبى سعيد رضى الله عنه أنه قال : دواء المبطون العسل . وفى الحديث : « هل عقيتم صبيكم » أى هل سقيتموه عسلا ليسقط عنه عقيه أى غائطه — وكان ابن سيرين إذا غدا إلى المصلى يلعق لعقة عسل ، وقال : إنه يحبس البول على .

وروى أبو نعيم أن رجلا أهدى إلى النبى ﷺ فرساً وكتب إليه أنه ظهرت به دبيلة ، فابعث إلى بدواء من عندك ، فرد النبى ﷺ الفرس لأنه لم يسلم ، وكان لايقبل زبد المشركين ، وأهدى إليه عكة عسل وقال له : « تداوى بهذا » والعسل حار يابس فى الثالثة ، وهو جلاء غسال مفتح ، إذا استعمل أكلا وطلاء ، وينقى البشرة وينعمها ، ويسمى الحافظ الأمين ، لأنه يحفظ مايودع فيه ، وإذا جعل فى اللحم الطرى حفظ طراوته ثلاثة أشهر ، وكذا إذا جعل فى القثاء والقرع وكثير من الفواكه حفظها ، وإذا لطخ به الشعر المقمل قتل قمله وصئبانه وطوله وحسنه ، وإذا ستن به جلا الأسنان وحفظ صحتها وصحة اللثة ، وإذا تغرغر به نفع من أوجاع الحلق والخناق ، وهو يوافق السعال البلغمى ، ويدر البول والحيض ، ويلين البطن ويفتح سددها ، ويفتح أفواه العروق ، وينفع من لسع الهوام ذوات السموم ، ومن عضة الكلب ، وهو غذاء وشراب ودواء وحده ، ومع الأدوية ، وهو حلواء وفاكهة ، ولعقه على الريق يذيب البلغم ويسخن المعدة باعتدال ويفتح سوددها ، ويدفع الفضل ، ويفعل كذلك بالكبد والكلا والمثانة ، وإذا لعقة صاحب السكتة نفعه .

وإن جعل فى فتيلة وأدخلت فى الأذن نفع من الماء الداخل فيها ، وإن خلط معه مرارة ديك أو ثور أو تيس واكتحل به أحد البصر ، وكذا إذا اكتحل به وبماء الرمان الحلو أو به وبماء الفجل جلا العين ، وإن جعل

معه مثله من ابن امرأة واكتحل به نفع من البياض فى عين الصبى ، وإن كان فى عين كبير فزبد البحر مع العسل يسحق سحقاً ناعماً ، ويكتحل به غدوة وعشية ، أو يطبخ بول الصبى فى إناء نحاس مع العسل ويكتحل به .

وإن عجن الثوم المحرق بالعسل أزال الأثر العارض تحت العين ، وإن خلط الثوم بعسل أيضاً نقى الوجه وأذهب كمنة الدم ، وإن خلط العسل مع كندر مدقوق منع تحلب الزكام ، وإن سقى صاحب الاستسقاء العسل مع بعر شاة نفعه ، وإن أحرق ظلف ماعز وعجن بعسل وشرب بماء نفع من البول فى الفراش . وإن خلط مع عود العنب بعد سحقه وطلى على اللثة شد الأسنان المسترخية وقطع الدم السائل ، وإن لت بالعسل فتيلة قوية وحقن بها وتركت ساعة ، نفع لانحصار الغائط ، وإن سحق القرنفل وديف بالعسل مع ماء فاتر وطلى على البهق أزاله .

القول فى الفواكه : قال ﷺ : « ربيع أمتى العنب والبطيخ » . وقال ﷺ : « فى العنب خمسة أشياء حلال تأكلونه عنباً وعصيراً ما لم ينش . وتتخذون منه زبيباً ، ورباً ، وخلا » . وعن عائشة رضى الله عنها قالت : كانت أمى تعالجنى بيعض السمنة لتدخلنى على رسول الله ﷺ فلم يتهيأ لها ذلك حتى أكلت القثاء بالرطب فسمنت كأحسن السمنة (١) .

وقال ﷺ : « تفكهوا بالبطيخ وعضوه ، فإن ماءه رحمة ، وحلاوته من حلاوة الجنة ، فمن أكل لقمة من البطيخ كتب الله له سبعين ألف حسنة ، ومحى عنه سبعين ألف سيئة ، ورفع له سبعين ألف درجة » . وقال : « البطيخ قبل الطعام يغسل البطن غسلا ، ويذهب بالداء أصلا » ، وأخذ ﷺ بطيخاً وشمه ثم وضعه وقال : « عظموا البطيخ ، فإنها من خال

---

(١) قال الجوهرى : القثاء هو الخيار .

الجنة ، ماؤها شفاء ، وحلاوتها من الجنة ، وكان أحب الفواكه إليه البطيخ والرطب . وكان ﷺ يأخذ الرطب بيمينه والبطيخ بشماله ويأكل منه . ويلقى النوى بين أصبعيه السبابة والوسطى ويقول : « نكسر حر هذا ببرد هذا » . وقال ﷺ : « عليكم بالبطيخ فإن فيه عشر خصال . هو طعام وشراب ، وهو أشنان ، وهو ريحان ، وهو يغسل المثانة ، وهو يغسل البطن ، ويكثر ماء الظهر ، ويزيد فى الجماع ، ويقطع الإبرد(١) وينقى البشرة » وأنشد بعضهم :

تحيات وفاكهـــة وأدم ... وهاضوم الثقيل من الطعام
وأشنان وحـــلاوى مهنأ ... ومُنق للمثـــانة كل عام

وقال على رضى الله عنه : ما من بطيخة إلا وفيها من ماء الجنة قطرة لا محالة ، فكلوا وتبركوا ، فإن استطعتم أن لا تطرحوا منها شيئاً فافعلوا ، وكلوها بقشورها وشحومها وبزورها ، ولا تصبوا ماءها فإنها ربيت بالبركة ، وحشيت بالرحمة ، إذا أراد المؤمن أكلها ، وما من طعام فى الجنة إلا وفيها من لذة ذلك الطعام .

وقال ﷺ : « من أكل رمانة حتى يستتمها ، نور الله قلبه أربعين ليلة » وقال على كرم الله وجهه : إذا أكلتم الرمان ، فكلوه بشحمه ، فإنه دباغ المعدة . وقال ابن عباس : ليس من رمانة إلا وفيها قطرة من الجنة ، فمن دخلت تلك القطرة فى جـــوفه أمرضت الداء الذى يوسوس فى القلب أربعين يوماً — الرمان نوعان : حلو وحامض . فالحلو : معتدل لا حار ولا بارد ، وأكله ينفع من السعال . والحامض : بارد يابس يعقل الطبيعة. وقال ﷺ : « كلوا السفرجل وتهادوا به ، فإن ذلك يثبت المودة » .

---

(١) والإبردة بكسر الهمزة والراء: علة من غلبة البرد والرطوبة تفتر عن الجماع.

وروى أن أول ما خلق الله تعالى من ثمار الجنة السفرجلة ، حلوة من غير قذى، صفراء من غير أذى . وقال ﷺ : « كلوا السفرجل وأطعموه الحوامل ، فإنه يزكى العقل » . وقال ﷺ : « إذا وجد أحدكم طخاء على قلبه ، فليأكل السفرجل » - والطخاء : هو ثقل وغشاء - . وقال ﷺ لرجل معه سفرجلة : « كلها فإنها تجم الفؤاد ، أى تريحه . ويروى : « فإنها تشد القلب ، وتطيب النفس ، وتذهب بطخاوة الصـــدر » ويروى : « كلوا السفرجل على الريق ، فإنه يذهب وغر الصدر » . وقال ﷺ : « عليكم بالأترج ، فإنه يشد الفؤاد ويزيد فى الدماغ » .

وقال ﷺ : « مثل المؤمن الذى يقرأ القرآن مثل الأترجة ، طعمها طيب وريحها طيب » . وقال أهل الطب : - الأترج - ويقال له ترنج أيضاً ، ينفع للزكام والسموم . وقال ﷺ : « كلوا التين فإن على كل حبة باسم الله القوى » ويروى : « أكل التين أمان من القولنج » .

وقال ﷺ : « كلوا التين ولو قل ، فإنها فاكهة نزلت من الجنة » . قلت هذه لأن فاكهة الجنة بلا عجم ، فكلوها فإنها تقطع البواسير وتنفع من النقرس .

وقال ﷺ : « من أحب أن يرق قلبه ، فليدمن أكل البلس » وقال نشوان بن سعيد رضى الله عنه فى تفسير هذا الحديث نفسه . والبلس : حار لين نافع فى نهش الهوام . وقال الجوهرى : البلس يشبه التين . وعن ابن عباس رضى الله عنه : لما أهبط الله آدم إلى الأرض كان أول شىء أكله من ثمارها النبق — والنبق هو ثمر السدر — فقشره بارد رطب ما دام غضاً ، فإذا اشتدت حلاوته فهو معتدل وفيه رياح ونواه حار يابس ، والذى فى بطن النوى حار يابس . والسدر شجر يغسل بورقه

الرأس . وقال ﷺ : « عليكم بالفواكه فى إقبالها ، فإنها مصحة للأبدان ، مطردة للأحزان ، واتقوها فى إدبارها فإنها داء فى البطن » .

القول فى العطر والرياحين : قال ﷺ : « إن أمثل ما تداويتم به ، الحجامة والعود البحرى » . وقال ﷺ : « لا تعذبوا صبيانكم بالغمز من العذرة ، وعليكم بالقسط » وقال على : ما تدغرن أولادكن بهذا العلاق ، عليكن بهذا العود الهندى فإن فيه سبعة أشفية — الدغر : غمز الحلق إذا أخذته العذرة ، وهى وجع يهيج فيه من الدم — يقول : لا ترفعوا الحنك على الأصبع ، ولكن عليكم بالقسط وهو عرق شجرة . وهو نوعان . بحرى وهندى ، فالبحرى : هو القسط الأبيض وهو أفضل من الهندى وأقل حرارة منه . وقيل هما حاران يابسان فى الثالثة . والهنــدى : أشد حراً .

وقد ذكر النبى ﷺ السبعة مجملا وذكر الأطباء أنه يدر الطمث والبول وينفع من السموم ، ويحرك شهوة الجماع ويقتل الدود . وحب القرع فى الأمعاء إذا شرب بعسل ويذهب الكلف إذا طلى عليه ، وينفع لبرد المعدة والكبد ، ومن حمى الورد والربع ، وغــير ذلك ذكره النووى فى شرح صحيح مسلم .

وقال فى شمس العلوم : القسط عود يتبخر به ، وهو أسود وأبيض ، والأبيض أجود ، ينفع من الطحال ويجفف القروح الرطبة . وإذا شرب ماؤه نفع من لسع الحيات ، وإذا سحق وطبخ بزيت أو سليط وطلى به البدن نفع من الفالج ، والارتعاش واسترخاء العصب ، وسكن النافض . وإذا عجن بالعسل أذهب الكلف ، وهو يسعط من العذرة ، ويلد من ذات الجنب . وإذا ديف بعسل ثم لعق نفع من سقوط اللهات . وإذا شم أو تبخر به فى الأنف نفع من الزكام . وقال ﷺ فى المحدة : « ولا تمس

طيباً إلا إذا طهرت نبذة من قسط وأظفار » ـ الأظفار : طيب يتبخر به .

وكان ﷺ يستجمر بالألوة وبكافور يطرحه معها ـ الألوة : العود الذى يتبخر به وينسب إلى مدينة فى اليمن يقال له عود ظفارى ـ وهو حار يابس فى الثانية مقو للدماغ والأعضاء ، يذهب كثرة رطوبة الجسد والمعدة ، ويطرح الريح ويفتح السدد ويحبس البطن وينفع من سلس البول . والكافور : ضرب من الطيب وهو صمغ شجر ، وهو المراد فى الحديث .

والكافور أيضاً نبات له نور وهو بارد يابس فى الثالثة ، قاطع لشهوة الجماع إذا شم أو شرب مذهب للصداع الحار ، وإذا شرب بماء، عقل البطن من إسهال الصفراء . ويروى أن النبى ﷺ دخل على بعض أزواجه وقد خرج فى أصبعها بثرة ـ أى خراج صغير ـ فقال لها : « عندك ذريرة ؟ » فوضعها عليها وقال : « قولى اللهم مصغر الكبير ومكبر الصغير صغر ما بى فطفئت . والذريرة : فتات قصب من قصب الطيب يجاء به من الهند ، وقال ﷺ : « عليكم بالأثمد المروح عند النوم » .

قال أبو عبيد : أراد المطيب بالمسك . رخص عليه السلام أن يكتحل بالمسك أو يتطيب به ، وكان يرى وبيصه فى مفرقه ، والمسك : أطيب الطيب ، وهو حار يابس فى الثالثة يقوى الأعضاء الضعيفة ، وينفع الشيوخ وأصحاب الرطوبات ، ويذهب الرياح من العين ومن سائر الجسد، وإذا شمه المغشى عليه أفاق ، وإذا أخذ منه وزن نصف عدسة مع مثله زعفران وأسعط به نفع من الصداع الحادث من الرطوبة والبرد ، وكل الأطياب حارة ما خلا الصندل والكافور .

وقال ﷺ : « عليكم بالمرزنجوش فشموه ، فإنه جيد يذهب

بالخشام المرزنجوش : هو الإزاب ، وشمه ينفع من الكابوس والسدر والدوار والصداع البارد ، وماؤه ينفع وجع الأذن من البرد يقطر فيها . وإن شرب طبيخه نفع من المغص وعسر البول . وإن طبخ ورقه بالأدهان حلل الأعياء ، وإن ضمد به الفالج واللقوة أذهبهما . قال أبو نعيم والخشام داء يأخذ الأنف وصاحبه مخشوم . وقال ﷺ : « إذا أعطى أحدكم الريحان فليشمه، فإنه خرج من الجنة » . وقال ﷺ : « إذا وضعت الحلوى فأصيبوا منها ولا تردوها ، وإذا وضع الطيب فأصيبوا منـــه ولا تردوا منه شيئاً » .

وقال ﷺ : « أهبط الله آدم من الجنة بثلاثة أشياء . الآسة : وهى سيدة ريحان الدنيا ، وبالسنبلة : وهى سيدة طعام الدنيا ، وبالعجوة : وهى سيدة ثمار الدنيا » وقال ابن عباس : أول غرس وضعه نوح عليه السلام فى الأرض حين هبط من السفينة الآس - يعنى الهدس - وهو شجر طيب الريح بارد فى الأولى يابس فى الثانية يجلو البهق ويسود الشعر، وإذا سحق وذرعلى القروح المترطبة جفها ، ويطيب الآباط المنتنة ، وحبه نافع لنفث الدم يقوى المعدة ، ويدر البول ، وينفع من أوجاع المفاصل إذا ضمد به . وكل الأزهار والرياحين حارة إلا الآس ، والخـــلاف ، والليئوفر ، والورد الأبيض والأحمر ، فإنها باردة .

وقال ﷺ : « شموا النرجس ولو فى اليوم مرة ، ولو فى الشهر مرة ، ولو فى السنة مرة ، ولو فى الدهر مرة ، فإن فى القلب حبة من الجنون والجذام والبرص لا يقطعها إلا شم النرجس » - والنرجس بفتح النون وكسر الجيم - ضرب من الشجر له زهر ، ظاهره أبيض وباطنه أصفر ، فى وسطه سواد يشبه العيون ، ورقه كورق البصل ، له عمود فى وسطه أجوف كساق البصل . وهو حار فى الثانية ، وخاصيته أنه يقطع الكلف

وينفع إذا شم من وجع الرأس الكائن من البلغم والسوداء . وقال ﷺ : « سيد الرياحين فى الدنيا والآخرة الفاغية » - يعنى زهر الحناء - وقيل الفاغية : ما أنبتت الصحراء من الأنوار الطيبة الرائحة التى لا تزرع .

القول فى الثوم والبصل والفجل والخس : قال ﷺ لعلى : « كل الثوم نيئاً فلولا أن الملك يأتينى لأكلته » . قال السافى : وهذا محمول على التداوى، وفى بعض الأشخاص لفائدة ، وفى ابتداء الإسلام ثم نسخ . فقد ورد النهى عن أكله ونحوه نيئاً أحاديث صحيحة ، ولا بأس بمطبوخه . وقال ﷺ : «كلوا الثوم وتداووا به ، فإن فيه شفاء من سبعين داء » وأصاب ابن عمر رضى الله عنه قطع أو بهر فكان يطبخ له الثوم فى الحساء فيأكله . القطع والبهر : تتابع النفس وعلوه . والثوم : حار يابس ترياق البدو ، ومنافعه كثيرة وهو ينفع من لسع الحيات إذا غلى بسمن وشرب ، وكذا إذا ضمد به وبالملح والسمن ، وإن شوى وأكل صفى الحلق ونفع الصوت ، وإن أخذ منه سن وجعل على الضرس المتأكل نفعه .

وقال ﷺ : « إذ دخلتم بلدة وبيئة نخفتم وباءها ، فعليكم ببصلها » . ويروى : « من أكل من فحا أرض لم يضره ماؤها » الفحا مقصور: البصل. وهو حار يابس نافع لمن انقطع حيضها من غير وقتها « وإذا أكل مشوياً صفى الصوت ، وماؤه نافع من الغشاء ، ومن ابتداء الماء فى العين إذا اكتحل به ، وإن كسر وشم حرك العطاس وأذهب الغم الشديد وهون المرض ، وإن طبخ مع لبن البقر أو مع اللحم زاد فى الباه وقوى الظهر وقوى الكليتين .

وعن ابن المسيب أنه قال : من أكل الفجل فسره أن لا يوجد ريحه . فليذكر النبى ﷺ أول قضمة . الفجل بضم الفاء وإسكان الجيم : وهو معروف خبيث الجشاء . وهو حار دسم يطرد الرياح ويزيد فى البلغم ويهضم الطعام ويجلو النظر وورقه خير من أصله والصغار أصلح من الكبار.

وقال ﷺ : « كلوا الخس ، فإنه يورث النعـــاس ، ويهضم الطعام » .
الخس : نبت ، وهو بارد لين يزيد فى الدم .

القول فى الحلبة والزنجبيل والفلفل والكمون والسنوت : قال ﷺ : « لو تعلم أمتى ما فى الحلبة لاشتروها ولو بوزنها ذهباً » . الحلبة : حارة لينة نافعة للجسم ولكل ورم ولضربان المفاصل وسكنى السعال والرياح ، وإن طلى بها على القروح برئت ، وإن دقت وجعلت فى برمة وأضيف إليها دقيق الكمون وصب عليها ماء وطبخها يسيراً وألزم على البطن والمعدة نفع من المغص ، وإن خيط دقيقها بدقيق الباقلاء وخلطا بعسل أو ضرب دقيقها بسمن قديم وجعل على الدمل فتحه وأخرج ما فيه أو جعل على الخنازير والورم خلف الأذن نفعه .

وأهدى ملك الروم إلى النبى ﷺ زنجبيلا ، فأطعم منه كل إنسان قطعه . الزنجبيل : معروف ، وهو حار فى الثانية رطب فى الأولى ، هاضم للطعام ، معين على الجماع ، يحلل الرياح الغليظة فى المعدة والأمعاء . ويروى أن أم سلمة طحنت شعيراً ثم جعلته فى قدر وصبت فيه زيتاً ودقت الفلفل والتوابل وقالت هذا مما كان يعجب النبى ﷺ ويحسن أكله . الفلفل حار يابس فى الرابعة ، إذا مضغ مع الزيت خفف البلغم ، وإذا اكتحل به نفع من ضعف النظر الحادث من الأخلاط الغليظة ، وإذا حملته المرأة بعد الجماع منع من الحبل . والتوابل جمع وهى الأبزار .

وقال ﷺ : « عليكم بالسنا والسنوت ، فإن فيها شفاء من كل داء إلا السام » . وقال ﷺ : « الكمون الأسود شفـــاء » . والسنوت هو الرازيانج ، وهو الشبار وهو محل الرياح ، وهو حار فى الثانية يابس فى الأولى ، والذى يستعمل منه بزره وورقه وأغصانه ولحا عروقه ، وهو يذهب الرياح ويفتح السدود ، ويدر البول والطمث ، وإذا غلى ونزعت

رغوته وشرب بعسل نفع من الحمى المتطاولة ، وإن ضمد به مع العسل نفع من عضة الإنسان ، وإن شرب بماء بارد سكن الغثيان .

وقيل : السنوت : الكمون ، وهو حار يابس يجفف الرطوبات ويحلل الرياح والنفخ فى البطن والمعدة ، فإذا شم : نقى الدماغ ، وإن مضغ : نفع من وجع المعدة ، وإن شرب مغلياً بشراب نفع من المغص ، وإذا تبخرت المرأة وهى فى الطلق به وبالورس ولدت سريعاً ، وإن مضغته وجعلته على ثديها ، نفع من وجعه ، وإن شرب منه وزن درهمين ومن السداب مثل ذلك قطع اللبن . وبزره نافع للفواق . وإن أضيف إلى الحلبة وجعل فى برمة بعد الدق وصب عليهما ماء وطبخا طبخاً يسيراً ووضعاً على البطن والمعـــدة نفع من المغص أيضاً ، وإن نفخ فى الأنف مسحوقاً قطع الرعاف . وقال ثعلبة بن سهل : ليس شىء يدخل الجوف إلا تغير إلا الكمون ، وقيل السنوت هو العسل ، وقد ذكر . وقيل : وهو عكة السمن تعصر فيخرج منها خطوط سود مع السمن ، وقيل : هو الشبت ، وقيل التمر ، وقد ذكر ، وقيل العسل الذى يكون فى السمن فيكسبه ذلك رطوبة ودهانة .

القول فى سائر الأشجار : وقال ﷺ : « إن الحبة السوداء شفاء من كل داء إلا السام » والحبة السوداء : الشونيز . ويروى أن أبا عتيق عاد مريضاً فقال : عليكم بالحبة السوداء فخذوا منها خمساً أو سبعاً فاسحقوها ، ثم قطروها فى أنفه بقطرات زيت فى هذا الجانب ، وفى هذا الجانب ، واستشهد بالحديث وكان ابن مسعود رضى الله عنه ، يأمر من وجع البطن أن يستف ثلاث سفات من شونيز ترض رضاً ، ويقول فى كل سفة : بسم الله الرحمن الرحيم ، رب العرش العظيم .

وقال ﷺ : « إذا اشتكى أحدكم بطنه فيأخذ فى كفه شونيزاً فيستفه

ويشرب عليه عسلا . والشونيز : هو الكمون الأسود ، ويسمى الهندى وهو حار يابس يشفى الزكام إذا قلى وشم دائماً ، ويحلل النفخ ويقتل الدود إذا أكل على الريق وطلى على البطن ، وإذا نقع منه سبع حبات فى لبن امرأة وسعط به صاحب اليرقان نفعه ، وإذا شرب حساء أدر الطمث والبول واللبن ، وإذا بخر به طرد الهوام ، وإذا علق فى عنق المزكوم نفعه ، وإذا شرب منه مثقال بماء نفع من البهر وضيق النفس ، وهو ينفع من نهش الربيلا وهى حية قصيرة ، وينفع من حمى الربع ، ويقتل حب القرع ، وينفع الصداع البارد إذا طلى به على الجبين ، وينفع البثور والجرب .

وقال ﷺ : لأسماء بنت أبى بكر رضى الله عنهما « بم تستمشين » ؟ قالت بالشبرم ، قال « حار يار » قالت ثم استمشيت بالسنا ، فقال « لو أن شيئاً فيه الشفاء من الموت ، لكان فى السنا » . والشبرم : حب كالحمص من شجر ترعاه الإبل والغنم ، له شوك وهو حار رطب بإفراط فى الدرجة الرابعة ، شديدة الحرارة ، ولهذا أكد بقوله ﷺ « يار » ، والمستعمل منه لبنه وقشور عروقه كذا فى شمس العلوم ، والشربة منه قيراط إلى ثلاثة قراريط ، والإكثار منه يقتل لحرارته ويبسه . والسنا بالمد والقصر نبت يتداوى به له حمل إذا يبس وحركته الريح سمعت له زجلا ، وهو حار يابس فى الأولى ، وأفضل ما يكون منه بمكة . وهو يقوى القلب ويخرج السوداء والصفراء ، وخاصيته النفع من الوسواس السوداوى ، ومن شقوق الأطراف ، وانتثار الشعر ، ومن القمل ، ومن الجرب والحكة ، وإن طبخ بزيت وشرب نفع من أوجاع الظهر والوركين . وقولها استمشيت : أى شربت دواء المشى وهو الإسهال ويروى : « لا بأس للمحرم أن يتداوى بالسناء والعتر » . والعتر : نبت يتـــداوى به كالمرزنجوش .

وروى أبو نعيم بإسناده أن النبي ﷺ مر بحائط وفيه شجرة نابتة فقالت خذني يا رسول الله فو الذي بعثك بالحق نبياً ما من داء إلا وفي منه دواء - يعني السعتر - فالسعتر : شجـــــر معروف وهو حار يابس في الثالثة يحل النفخ ويطرد الرياح وينقي الرئة والمعدة والكبد من البلغم ، وينزل الحيض ويدر البول ، وينفع من أوجاع الحلق . وإن قطر ماؤه في الأذن مع لبن امرأة نفع من وجعها . قال الجوهري : وبعضهم يكتبه بالصاد في كتب الطب لئلا يلتبس بالشعير . والمر : صمغ شجرة ، وهو حار يابس إذا وضع تحت اللسان وشرب ما ينحل منه صفى الصوت ، وإن در على قروح الرأس أبرأها وإن شرب منه وزن باقـــــلا نفع من السعال ووجع الصدر ، وإن لطخ به المنخر أذهب نزلة الزكام ، وإن مضغ طيب النكهة .

وروى أنه لما ولد عيسى بن مريم عليه السلام أتى باللبــــان والمر ، واللبان هو الكندر ، وهو حار قابض يجلو ظلمة البصر وينزف الدم من كل عضو وإذا مضغ حلل البلغم وأذهب خبث النفس ، وزاد في الحفظ ، وإذا شرب نفع من نفث الدم وإطلاق البطن ، وإذا دخل دخانه الأنف نفع من الزكام .

ومن عجائبه أنه ينقع هو والنوشادر في ماء حتى ينحل ، ثم يكتب بمائه في قرطاس أبيض ويتركه حتى يجف ثم يبخر بلبان فيظهر عجيباً ، وهذا سر لحفظ السر . وقد أمر عليه السلام بالتبخر باللبان . وقال ﷺ: « الكندر طيبي وطيب الملائكة » . وقال ﷺ : « عليكم باللبان فامضغوه ، فإنه يمسح الحزن من القلب ، ويشد القلب ، ويزيد في العقل ، ويذكي الذهن ، ويخلف الذاهب ويذهب النسيان » ويروى : « عليكم باللبـــــان فامضغوه ، فإنه يذهب بالبلغم ، وهو بخور الأنبياء ، ولا يصعد إلى السماء إلا ريحه . والبيت الذي يبخر به لا يدخله شيطان ثلاثة أيام » .

وقال ﷺ : « أطعموا نساءكم الحبالى اللبان ، فإنه يزيد فى عقل الصبى » ويروى : « أطعموا حبالاكم اللبان ، فإن يكن فى بطنها ذكر يكن ذكى القلب ، وإن تكن أنثى يحسن خلقها وتعظم عجيزتها » . وقال ابن عباس : خذ مثقال كندر ومثقال سكر ودقهما وأشربهما على الريق ، فإنه جيد للبول والنسيان . السكر والقند : عصارة قصب السكر . والسكر معتدل فى الحرارة واللين ، نافع لأرباب الأمزجة الملتهبة ، وقصبه يزيد فى الباه ، وينفع من السعال ، ووجع الصدر .

وقال ﷺ : « كلوا قصب السكر ، فإنه يهضم الشبعان ويشبع الجائع » وقال ﷺ : « بخروا بيوتكم باللبان والشيح » . وقال أبو نعيم : والشيح طعمه مر وريحه طيب ومنابته بالقيعان والرياض . قال غيره : وهو حار فى الدرجة الثانية ويابس فى الثالثة ، يدر البول والطمث ، وإذا تدخنت به المرأة خرج الجنين ، ودخانه يطرد الهوام ، وإذا ضمد به على لسعة العقرب نفع منها ، وإذا شرب ماء طبيخه بعسل قتل الدود فى البطن .

وقال ﷺ : « عليكم بالثفاء ، فإن الله جعل فيه شفاء من كل داء » وقال ﷺ : « ماذا فى الأمرين من الشفاء ، الصبر والثفاء » والثفاء على مثال القراء الحرف وهو حب الرشاد ويقال الحلف ، وهو حار يابس فى الرابعة ، ويحلل الرياح وأورام الطحال ، وينقى الرئة من البلغم اللزج ، ويسهل الطبيعة ، إذا شرب منه وزن خمسة دراهم مسحوقاً بماء حار وإن سحق سحقاً ناعماً وسف نفع من البرص ، وإن ضمد به عرق النساء سكن ضرباته ، وإن جعل صاحب العلقة شيئاً من حب الرشاد فى فمه وقفل عليه نزلت العلقة فيه .

وقال الجوهرى فى صحاحه : الثفاء الخردل ونحوه . حكاه الهروى عن الليث ، وهو أيضاً حار يابس فى الرابعة نافع من وجع الطحال والأوجاع

الحادثة من البلغم والسوداء ، وإن دق وعجن وديف بماء وعسل واكتحل به جلا غشاوة العين ، وإذا دق وقرب من المنخرين حرك العطاس وحرك المغمى عليه من الصرع . وعن ابن عمر رضى الله عنه : أنه ينفع من تقطير البول خردل يعجن بعسل وببندق ويؤخذ كل يوم منه على الريق وزن ثلاثة دراهم . والصبر معروف عصارة شجر ، ويقال له صبر سوقطرى ، وهو حار فى الثانية يابس فى الثالثة ، ينقى المعدة والرأس والمفاصل من البلغم ، ويسهل الطبيعة ويفتح سدد الكبد ، ويذهب اليرقان ، ويلصق القروح البطيئة الاندمال ، وإذا ديف بالماء أذهب الورم فى الأنف والعينين وسكن حكة العين والمآقى ومنافعه كثيرة .

وقال ﷺ : فى المحرم يشتكى عينه « يضمدها بالصبر » وقالت أم سلمة : دخل على النبى ﷺ حين توفى أبو سلمة . وقد جعلت فى عينى صبراً فقال : « ما هذا ؟ » فقلت : إنما هو صبر ليس فيه طيب . فقال : « إنه يشب الوجه » أى يحسنه ويوقره .

وقال ﷺ : « ضحكت الأرض فأخرجت الكبر » وهو الآصف . قال أبو نعيم : قال ابن الأعرابى : الآصف صغير الخصر ، شجر حار يابس فى الثالثة وأقواه لحا أصوله ثم ثمره ثم ورقه ثم زهره ، ومنه سهلى وجبلى. وقال فى شمس العلوم : الآصف هو اللصف وإذا خلط بدقيق شعير وضمد به الطحال نفع ، وإذا علق ورقه على امرأة لم تحبل ما دام عليها ورقه ، وأصله يحل الخنازير والأورام الصلبة ، وإذا خلط بماء حار وعسل ، نفع من النقرس وضعف الأوراك وإذا أخذ شىء من أصوله مع كف خردل ودق كل واحد منهما وحده ، ثم خيضا بالماء وطلى على خرقة وألزقت على الطحال نفع منه .

وقال ﷺ : « كلوا الهندباء ، فإنه ليس بشىء من الأيام يوم

إلا وقطرات من الجنة تقطر عليه » . ومر ﷺ بالرجلة وفى رجله قرحة فداواها فبرأت . فقال ﷺ : « بارك الله فيك ، انبتى حيث شئت ، فأنت شفاء من سبعين داء أدناها الصداع » . وكان ﷺ يحب من البقول الهندبا، والبقلة الحمقاء الهندبا يمد ويقصر : بقلة من أحرار البقول ، وهى ضربان: أهلى وبرى فالبرى هو الذى تسميه الأطباء الطرخشوف ، والعامة تسميه المرار ، وهو بارد فى أول الدرجة الأولى يابس فى آخرها ، والأهلى : صيفى وشتوى، والصيفى بارد يابس يبسه أكثر ، والشتوى : أكثر برودة وأقل يبساً ، والمستعمل عصارتها .

والبقلة الحمقاء : هى الرجلة وتسمى الفرفخ وعندنا الحرقب ، وهى بقلة حريفة باردة لينة تبرد حرارة الأورام وتنفع الصفراء وكثير من الأدواء وتجعل على الثآليل فتذهبها وتنفع لوجع الضرس ، إذا مضغت فى إبانها ، وإذا غمست فى عسل ومضغت نفع من السلاق .

وقال ﷺ : « كل الكرفس ، فإنها بقلة الأنبياء هى طعام الخضر وإلياس عليهما السلام » ـ والكرفس بفتح الكاف والراء وسكون السين وبفتحها : بقلة من أحرار البقول ، وهى تفتح السدد وتذكى القلب وتورث الحفظ ، وتطرد الجنون والجذام والبرص ، والمداومة على أكله تزيل البخر .

وقال ﷺ : « شكى نبى من الأنبياء إلى الله تعالى جبناً ـ أى خوفاً ـ فى قومه ، فأوحى الله إليه أن مرهم ليستفوا الحرمل ، فإنه يزيد الرجل شجاعة » ويروى : أن فيها شفاء من أثنين وسبعين داء فتبخروا بها . والحرمل بفتح الحاء والميم شجر وهو حار يابس فى الدرجة الثالثة يدر البول ، ويخرج دود البطن ، وينفع من عرق النسا ، والقولنج ، قال فى شمس العلوم : وهو ضرب من النبات تسميه أهل اليمن الحرمل الشامى ،

وهو نبت ينبت فى الأوديه والبلاد الحارة، له أغصان قدر ذراعين، ورقه أخضر، وزهره أبيض، وله حب كحب الحنطة فى قرون كقرون اللوبيا وهو حار رطب .

ويروى أن فاطمة رضى الله عنها عمدت إلى حصير فأحرقته وألصقته على جرح النبى ﷺ ليستمسك الدم فاستمسك، وكان هذا الحصير يعمل من البردى، وهو ورق ينبت فى المياه، وسطه عملوج طويل أخضر إلى البياض، وهو بارد يابس ولرماده قوة فى حبس الدم، وإذا نفخ فى أنف الراعف قطعه، وأبلغ شىء يقطع دم الفصاد، ثم يسحق ويجعل عليه .

وقال ﷺ : « أخضبوا بالحناء، فإنه يزيد فى شبابكم وجمالكم ونكاحكم، وكان يستعمل الحناء إذا وجد فى رأسه حرارة . ولا تصيبه قرحة ولا شوكة إلا وضع عليها الحناء . وقالت عائشة رضى الله عنها : ما شكا أحد إلى رسول الله ﷺ وجعاً فى رأسه، إلا قال له احتجم، ولا وجعاً فى رجليه إلا قال له اخضب رجليك . وقال على رضى الله عنه : الحناء بعد النورة أمان من الجذام . ذكر هذا كله الحافظ أبو نعيم فى كتاب الطب بأسانيده، وأورد ذلك وغيره أحاديث كثيرة مسندة، وأكثر ما فى هذا الباب من كتابه رحمه الله .

وقال ﷺ : « الخضاب بالحناء يجلو البصر، ويطيب النكهة، ويطرد الشيطان » الحناء معتدل الحرارة، وهو ينبت الشعر ويقويه ويحسنه، ويقوى الرأس وينفع حرق النار إذا صب طبيخه على الموضع، ومن خاصيته الترطيب والتبريد والتليين، وفيه قبض يشد الأعضاء، وإذا عجن بالسمن وضمد به الجرب المتقرح المزمن أبرأه، وإذا دق زهره مع خل

سكن صدع الرأس ، وينفع من الورم الحار ضماداً ، ومن قروح الفم والقلاع فى أفواه الصبيان إذا مضغ ، ولونه نارى محبوب .

وقال ﷺ فى جلد ميتة : « يطهره الماء والقرظ » ـ خص القرظ بذلك لأنه حريف يعمل فى نزع الفضول ، وإذا نقع ورقه وثمره فى ماء أياماً ثم طبخ حتى ينفسخ ثم صفى الماء وأعيد على النار حتى ينعقد ربه نفع ذلك من الحمرة والنملة والأورام الحارة والشقوق والداحس ، ويقطع سيلان الدم وسيلان الرطوبة من الرحم، ويزيد نتو المقعد والرحم البارزة إلى خارج . وإذا شرب عقل الطبيعة ، وهو بارد فى الأولى يابس فى الثانية، وكذا صمغه .

وقال ﷺ : « عليكم بالهليلج الأسود ، فإنه من شجر الجنة ، طعمه مر وفيه شفاء من كل داء » الهليلج الأسود : حب شجرة ، وهو ضربان: أسود انتهى نضجه ، وهو بارد يابس فى الأولى ، وأصفر : وهو بارد يابس فى الثانية .

وقال ﷺ : « كلوا اليقطين ، فلو علم الله شجرة أخف منها لأنبتها على أخى يونس . فإذا اتخذ أحدكم من اليقطين مرقاً فليكثر فيه من الدباء ، فإنه يزيد فى الدماغ وفى العقل » ـ واليقطين : هو الدباء وهو بارد رطب ـ ولا يقرب الذباب ما رش بماء ورقه . ذكره الجوزى .

وقال كعب : شكا نبى من الأنبياء إلى الله تعالى الصداع فأوحى الله تعالى إليه أن يأكل القرع باللبن ، والقرع هى الدباء .

وقالت أم سلمة : كنا نطلى وجوهنا بالورس من الكلف ـ الورس : حار يابس وهو صبغ أصفر فى اليمن يتخذ منه طـــلاء للوجه فيحسنه ، ويذهب الكلف والبهق الأبيض والحكة .

وقال ﷺ : « الكمأة من المن ماؤها شفاء للعين وهو شفاء من السم » ويروى : « عليكم بماء الكمأة الرطبة » . وقال أبو هريرة : أخذت ثلاثة أكؤا أو خمساً أو سبعاً ، فعصرتهن فجعلت ماءهن فى قارورة وكحلت منه جارية فبرأت ـ الكمأة جمـــع كم . : وهو نبات يخرج فينفض الأرض ، مستدير الأوراق يؤكل بعد أن يشوى ، وتسمى بنات الرعد لأنها تكثر به ، وهى باردة رطبة تنفع من ضعف البصر إذا اكتحل بمائها ، وإذا دقت بماء وخضب به العشر نفع من ابتداء الصلع العارض قبل وقته ، لكن منها صنف قتال يحدث أكله الاختناق .

وقال ﷺ : « الحوك بقلة طيبة كأنى أراها نابتة فى الجنة ، والجرجير : بقلة كأنى أراها نابتة فى النار » .

وقال ابن عباس رحمه الله : فى قوله تعالى : (ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة) : أنها الكشوث . وقال أنس رضى الله عنه : هى الحنظل . وقال تعالى : (والشجرة الملعونة فى القرآن) هى شجرة الزقوم .

وقال ﷺ « الجبن دواء ، والجوز داء ، فإذا اجتمعا صارا شفاءين » وعد ابن عباس مما يورث النسيان التفاح .

﴿ فصل ﴾ وقال ﷺ : « شكا نبى من الأنبياء إلى الله تعالى قساوة قلوب قومه ، فأوحى الله إليـــه وهو فى مصلاه أن أمر قومك يأكلوا العدس ، فإنه يرق القلب ويدمع العين ويذهب بالكبرياء وهو طعام الأبرار » . العدس : بارد يابس يهيج ويكثر المرة والدم ويسمى البلس وإذا صب ماء طبيخه على دقيق الدخن وأنعم عجنه وضمد على السرة نفع من وجع البطن . وسيأتى فيه حديث فى البـاب الخامس إن شاء الله تعالى .

وقال ﷺ : « من أكل فولة بقشرها ، أخرج الله عنه من الداء مثلها » ـ الفول : الباقلاء ـ . وعن على أنه قال : من أراد أن لا يؤذيه الباقلاء ، فليأكله بقشره .

القول فى المعادن وهى أشياء : منها الملح وقد ذكر ، والجبلى أفضل ، ومنها الأثمد . قال ﷺ : « عليكم بالأثمد عند النوم ، فإنه يجلو البصر وينبت الشعر » . ويروى : « ويذهب بالدمع » . وكانت له ﷺ مكحلة يكتحل منها كل ليلة ثلاثة فى هذه ، وأربعة فى هذه ، وقيل ثلاثة فى كل عين وهو الأصح . قال أبو عبيد : ويسمى الأثمد الجلاء ، لأنه يجلو البصر ويقويه ، ويحسنه ، وقال ﷺ : « عليكم بالأثمد ، فإنه منبتة للشعر ، مذهبة للقذى ، مصفات للبصر » ـ والأثمد : بارد يابس فى الرابعة ـ .

ومنها الذهب والفضة : روى أن عرفجة أصيب أنفه فاتخذ أنفاً من ورق ، فأنتن عليه ، فأمره النبى ﷺ أن يتخذ أنفاً من ذهب ـ الورق : الفضة ـ وهى باردة يابسة باعتدال . والذهب موافق للأجساد حتى إنه إذا كوى به الجسد لم يتنفط مكان كيه ، وأسرع برؤه ، وهو لا يبليه الثرى ولا يصديه التصدى ، ولا تنقصه الأرض ولا تأكله النار .

ومنها الحديد : ومنفعته ظاهرة . قال الله تعالى : (وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس) وهو محتاج إليه كل ذى حرفة ، وطبعه بارد يابس ، وإذا أحمى وأطفى فى ماء نفع من ورم الطحال وضعف المعدة والإسهال والهيضة وخبثه بارد يابس أيضاً إذا أخذ معه قشر الكندر ، ونقع فى شراب قابض وشرب منه قبل الطعام وبعده قطع الطمث ويحسن اللون ويذهب الصفار ، وقد أمر النبى ﷺ بالتختم بالعقيق .

وقال فى شمس العلوم : ومن تقلده أو تختم به سكنت عنه حـــدة

الغضب ، وإذا لبس منه ما كان غير صافى الحمرة على لون غسالة اللحم وفيه خطوط بيض نزف الدم من أى موضع كان . وكان لعائشة رضى الله عنها عقد من جزع ظفار - الجزع معروف - وإذا لف بشعر امرأة أسرع ولادتها . ويروى أن الملائكة تنفر من ريح النحاس وهو الصفر .

قال الأطباء : ولا ينبغى أن يأكل فيها ، فمن أدمن الأكل فيها : أصابته أدواء كثيرة كوجع الكبد والطحال . ومنه فى الحديث : أن رجلا دخل على النبى ﷺ وفى عضده حلقة أو خاتم من صفر ، فقال ما هذا ؟ قال له من الواهنة ، فقال له : إنها لا تزيدك إلا وهناً ، أى ضعفاً - والواهنة : عرق يأخذ فى المنكب وفى اليد كلها فيرقى منها . قال الهروى : وهى تختص بالرجال دون النساء . وقد كان للنبى ﷺ قدح من قوارير يشرب فيه . وقال ﷺ « غبار المدينة يبرىء من الجذام » وجاء إلى النبى ﷺ رجل فى كفه وضح ، فقال ﷺ : « انظر بطن واد لا منجد ولا متهم فتمعك فيه » ففعل فلم ير شيئاً حتى مات وأراد وادياً لا حداً من نجد وحداً من تهامة . وروى : « تنكبوا الغبار ، فمنه تكون النسمة » - وهى الربو الذى لا يزال صاحبه يتنفس نفساً ضعيفاً .

وقال ﷺ : « التراب ربيع الصبيان » وقال لعائشة : « لا تأكلى الطين ، فإنه يغير اللون ويعظم البطن ويعين على القتل ، من بات وفى بطنه مثال طين أكبه الله فى النار » .

﴿ فصل ﴾ روى أن النبى ﷺ كان يطلى بعيره بالقطران من الجرب . وفى هذا دليل على مداواة البهائم . والقطران : هو الهناء ، وهو حار يابس فى الرابعة ، ويسمى حياة الميت ، وإذا استنشق نفع من الوباء ، وإذا لطخ على الحلق نفع من الخناق ، وإن لثت به فتيلة وأدخلت الأذن قطع مدتها ، وإن قطر فيها قتل الدود والهوام الداخلة فيها ، وهو يطرد الهوام ، وإن

جعل فى بيوت النمل قلعها ، وإذا احتملته المرأة بصوفة أفسد النطفة وقتل الأجنة وأخرج الميتة ، وإن جعــــل مع جوف العفص على الضرس المتآكل نفعه .

القول فى المساكن : وقد مضى فى الباب الثالث قسم منها ، وأنه ﷺ نهى عن مواضع الوباء ، ولما نزل المدينة وكانت شديدة الوباء ، دعا الله أن ينقل وباءها إلى مهيعة وهى الجحفة ، فيختار سكن البرارى لصحة هوائها. قال أهل الطب : ونسبة هواء المدن إلى هواء البرارى كنسبة الماء الغليظ الجوهر الكدر إلى الماء الصافى ، وذلك لأن هواء المدن راكد لارتفاع مبانيها وكثرة ما يتحلل من فضلات ساكنيها ، وجيف دوابهم والشرف المرتفعة على التلال والجبال القليلة المياه والشجر أفضل ، فإذا لم يكن بد من سكنى المدن فليسكن المكشوفة الآفاق ، ويسكن أطرافها ، ومما يلى الشمال أفضل ، ولتكن مجالس السكنى عالية البنيان ، واسعة الفناء ، تخترقها ريح الشمال ، وتدخلها الشمس لتلطف هواءها وليبعــــد عنها المستراحات ما أمكنه .

﴿ فصل ﴾ فى السواك والخلال . قال ﷺ : « فى السواك عشر خصال : مطهرة للفم ، مرضاة للرب ، ومسخطة للشيطان ، ومحبة للحفظة ، ويشد اللثة ، ويطيب الفم ، ويقطع البلغم ، ويطفىء المرة ، ويجلو البصر ، ويوافق السنة » . وقد تقدم فيه زيادة فى آخر القسم التاسع والثلاثين .

وقال ﷺ : «نعم السواك الزيتون ، من شجرة مباركة ، تطيب الفم ، ويذهب الحفر ، هى سواكى وسواك الأنبياء من قبلى » وقد مضى فصل فى القسم السابع والثلاثين فى الخلال من الباب الماضى . وقال ﷺ : « لا تتخللوا بقضيب آس ، ولا بقضيب ريحان ، فإنى أكره أن يحركن

عرق الجذام ». وروى أنه نهى أن يستاك أو يتخلل بعود الآس والرمان وقال : إنه يحرق عرق الجذام ، ونهى عن التخلل بالتين والطرفا والقت والورد ، ثم قال ﷺ : « ومن لم يتجنب هذه فأصابه سوء . فلا يلومن إلا نفسه » . ويروى : أن رجلا تخلل بالقصب فنقر فمه – أى ورم – فنهى عن عمر التخلل بالقصب . وروى أن التخلـــل بعود الطرفا يورث السل .

﴿ فصل ﴾ وغسل اليد بعد الطعام متأكد ، وقد مضى ذكره وسيأتى دليله فى الباب بعد هذا إن شاء الله تعالى . وقال ﷺ : « إن الشيطان جساس لحاس ، فاحذروه على أنفسكم ، من بات وفى يده ريح غمز فأصابه شيء . ويروى « لمم » فلا يلومن إلا نفسه » ويروى : من أكل غمزاً ولم يغسل يديه فعرض له عرض فلا يلومن إلا نفسه » قال جعفر الصادق العرض هنا : الجذام .

﴿ فصل ﴾ كل الأيام صالحة لتقليم الأظفار إلا عشر عرفة للمضحى . وقال ﷺ : « من قلم أظفاره يوم الجمعة كان أماناً له من الجذام » ويروى : « حفظ من الجمعة إلى الجمعة » وعن حميد بن عبد الرحمن : من قص أظفاره يوم الجمعة أخرج الله منه الداء ، وأدخل فيه الشفاء ونحوه عن ابن عباس . وقال ﷺ : « يوم السبت يوم مكر وخديعة ، والأحد : يوم غرس وبناء ، والاثنين : يوم سفر وطلب رزق ، والثلاثاء : يوم حرب وبأس ، والأربعاء : يوم لا أخذ فيه ولا عطاء ، والخميس : يوم دخول على السلطان وطلب الحوائج ، والجمعة : يوم خطبة ونكاح » .

قلت : وقد روى أن النور خُلق يوم الأربعاء ، قال لأنه يوم نحس على الكفار فيكون سعداً على المؤمنين .

﴿ فصل ﴾ وقال ﷺ : « لا تطيلوا القعود فى الشمس . فإنها تظهر

الداء الدفين » . وقال ﷺ : « لا تطيلوا الجلوس فى الشمس ، فإن الشمس تغير اللون ، وتقبض الجلد ، وتبلى الثوب ، وتبعث الداء الدفين » . وقال على لرجل رآه فى الشمس : قم عنها ، فإنها مبخرة مجفرة ، تنقل الريح وتبلى الثوب وتظهر الداء الدفين . وقال ﷺ : « استقبلوا الشمس فى الشتاء بوجوهكم ، فإنها بكم برة ، تخرج الداء من الجوف والصداع من الرأس » . ونهى أن يقف الرجل بعضه فى الظل وبعضه فى الشمس . وقال لرجل شكى إليه النقرس : « كذبتك الظهائر » أى عليك بالمشى فيها .

وشكى رجل إلى عمر المعص فقال : كذب عليك العسل — أى عليك بسرعة المشى إليه — والمعص : التواء فى العصب . وشكى قوم إلى النبى ﷺ العيا فى المشى فقال : « عليكم بالنسلان » فنسلوا فخفت أجسادهم وقطعوا الأرض . وفى حديث آخر : أن قوماً شكوا الضعف فقال : « عليكم بالنسل » — يقال : نسل فى المشى : إذا سارع وقارب الخطوة .

(القول) فى الحجامة . قال ﷺ : « خير الدواء الحجامة والفصاد » وقال ﷺ : « الحجامة على الريق تزيد فى العقل ، تزيد الحافظ حفظاً ، ومن احتجم فى يوم الخميس أو الأحد كذلك يوم الاثنين والثلاثاء ، فإنه يوم دفع الله فيه عن أيوب البلاء ، وضرّ به يوم الأربعاء ، لا يبدأ بأحدكم داء : من جذام ولا برص إلا يوم الأربعاء وليلة الأربعاء . وقال : « الحجامة فى الرأس شفا من سبع أدواء لصاحبها : من الجنون والجذام ، والبرص ، والنعاس ، ووجع الأضراس ، والصداع ، والظلمة يجدها فى عينيه وقال : « عليكم بالحجامة فى جورة القمحدودة ، فإنه شفاء من اثنين وسبعين داء من الجنون والجذام والبرص ووجع الأضراس » — القمحدودة — : فاس القفا التى إذا استلقى الإنسان أصابت الأرض من رأسه .

وقال ﷺ : « استعينوا على شدة الحر بالحجامة » . وقال ﷺ : « نعم العبد الحجام يذهب الدم يخف و الصلب ويجلو البصر » . ونهى عن الحجامة فى النصف الأول من الشهر ، وأمر بها فى كل النصف الآخر . وقال ﷺ : « من احتجم لسبع عشرة وتسع عشر وإحدى وعشرين كان شفاء من كل داء » . وقال : « إن فى الجمعة لساعة لا يحتجم فيها أحد إلا مات » . وقال : « إن يوم الثلاثاء يوم الدم وفيه ساعة لا يرقأ فيها الدم » وقال : « من احتجم يوم الثلاثاء لسبع عشرة خلت من الشهر ، أخرج الله منه داء السنة » . وقال : « من احتجم أو أطلى يوم السبت أو يوم الأربعاء فأصابه برص فلا يلومن إلا نفسه » .

وقال الغزالى : وما أعظم حماقة من يصدق المنجم والطبيب ولا يصدق المصطفى ﷺ : المكاشف بأسرار الملكوت ، فلو أن المنجم قال لك : إذا كان يوم كذا أصابتك مصيبة فاحترز ذلك اليوم ، لم تزل خائفاً مستشعراً ويروى لك حديث النبى ﷺ فتقول ضعيف ، أو لعله لا يكون كذلك ، وهذا يكون شرك .

وقد احتجم بعض المحدثين يوم السبت وقال هذا حديث ضعيف فبرص وعظم عليه ذلك ، فرأى النبى ﷺ فى نومه فشكا إليه فقال : « لم احتجمت يوم السبت ؟ » فقال لأن الراوى ضعيف . قال : أليس قد نقل عنى ؟ قال قد تبت يا رسول الله ، فأصبح وقد زال مابه . وقد احتجم ﷺ وهو محرم من رهصة أصابته . واحتجم على وركه من وثء كان به ، ويروى من شقيقة كانت به وهو صائم .

القول فى الكى والتكميد ، ويروى أن النبى ﷺ أتى بسارق فقال اقطعوه ثم احسموه — أى اقطعوا عنه الدم بالكى . والحسم : كى العرق بالنار لينقطع الدم — والكى يقطع الدم ويخفف الرطب ويسخن البارد

ويشد الرخو ، وقد كوى رسول الله ﷺ أسعد من الشوصة ـ وهى ورم فى حجاب الأضلاع من داخل ـ وكواه فى حلقه من الذبحة ـ وهى وجع الحلق ، وبعث ﷺ إلى أبى بطبيب فكواه وفصده فى العرق ، وكوى أبو عبد الرحمن السلمى غلاماً له وقال : هو دواء العرب ، وكوى أنس من اللقوة ـ وهى داء تصيب الوجه وعلامته إذا رام تغميض عينيه بقيت التى فى الجانب الصحيح مفتوحة ، وكوى ابن عمر من اللقوة أيضاً ، ورقى من العقرب ، واكتوى خباب سبع كيات ، وأتى ﷺ برجل نعت له الكى فقال اكووه وأرضفوه ـ والرضف الحجارة تسخن ثم يكمد بها ـ . وقال ﷺ : « مكان الكى التكميد ، ومكان العلق السعوط » وعاد ﷺ سعيد بن العاص من القولنج فكمده بخرقة ـ أى سخنه ـ ويروى بخرقة فيها ملح وشعير مشوى . وقال ﷺ : « الشفاء فى ثلاثة : شرطة محجم ، أو شربة عسل ، أو كية بنار . وما أحب أن أكتوى » وهذا الحديث من بديع الطب ، لأن الأمراض الامتلائية دموية ، أو صفراوية ، أو بلغمية ، أو سوداوية ، فما كان دموياً : فشفاؤه إخراج الدم ، وما كان من الثلاثة : فشفاؤه الإسهال بالمسهل اللائق بكل خلط منها ، فكأنه ﷺ عبر بالعسل عن المسهلات ، وبالحجامة عن إخراج الدم بها ، وبالفصد ووضع العلق وغيرها ، وأخر الكى لأنه يستعمل عند عدم نفع المشروبة ونحوها ، فقوله ما أحب أن أكتوى ، إشارة إلى تأخير العلاج بالكى حتى يضطر إليه .

القول فى السعوط واللدود والمشى والعلق . قال ﷺ : « إن خير ماتداويتم به السعوط واللدود والحجامة والمشى ، ويروى : « والعلق » ويروى : « اللدود أحب إلى من الأعلاق » ، فالسعوط صب الدواء فى الأنف واللدود صب الدواء فى جانب الفم ، والمشى الإسهال ، سمى

بذلك لأنه يكثر المشى إلى المتوضأ — والأعلاق : العلق يجعل فى محجمة فيمتص الدم .

باب منافع الصلاة والقراءة والصوم والصدقة : قد مضى فى أقسامها ما يكفى فى بيان فضلها وأنها جامعة لخيرى الدنيا والآخرة . وقال ﷺ : « من كثرت قراءته بالنهار كثر جماعة بالليل » وسيأتى فى الباب السادس والسابع من منافع آيات ودعوات ما تقر به العين إن شاء الله تعالى ؛ وقال ﷺ : « من كثرت صلاته بالليل حسن وجهه بالنهار » وقال أبو هريرة : قال لى النبى ﷺ : « اشكبندردم(١) ؟ » قلت نعم ، قال : « قم فصل ، فإن الصلاة شفاء » .

فى هذا فائدتان : إحداهما تكلمه بالفارسية ومعناه : وتوجعك بطنك ، والثانية : أن الصلاة شفاء ، وهى تبرىء من ألم الفؤاد والمعدة والأمعاء ، وكثير من الآلام ، وكثرة الصلاة والتهجد تحفظ الصحة ، لأنها مشتملة على انتصاب وركوع وسجود وغير ذلك ، فيتحرك معها أكثر الأعضاء لا سيما المعدة والأمعاء ، والسجود الطويل ينفع صاحب النزلة والزكام ويمنع انصباب النزلة إلى الحلق ، وهو معين على فتح سدة المنخرين فى علة الزكام ، وهو يعين على نفض الإخبثين ، وحدر الطعام عن المعدة والأمعاء ، وتحريك الفضول وغير ذلك . فإن حصل فى الصلاة خشوع ونية صالحة وخضوع حصل فيها خيرات الدنيا والآخرة ، وفضائل النفس والجسد وهى تسر النفس وتمحق الهم والحزن ، وتزيل الأمل الخائب . وتكشف الوهم الكاذب ، ويصفو فيها الذهن ، ويتفرغ البال ، وهى تطفىء نار الغضب وغير ذلك من فوائد الدنيا والآخرة التى لا تحصى . كذا ذكره بعض العلماء رضى الله عنهم .

---

(١) فى ن : اشكندر . وفى الثالثة : اشكندردم .

وقال ﷺ : « عليكم بالصوم ، فإنه محسمة للعروق مذهبة للأشر » وقال لعبد الله بن عمرو حين يذكر قيام الليل وصيام النهار قال: « إذا فعلت ذلك هجمت عيناك - أى غارت ودخلت - ونفهت نفسك » - أى أعيت . وقال للنساء : « إذا جعتن دقعتن ، وإذا شبعتن خجلتن » الدقع : الخضوع، والخجل : الكسل ، وقيل البطر . وقال ﷺ : « داووا مرضاكم بالصدقة » .

القول فى الحمام . قال ﷺ : « غسل القدمين بالماء البارد عند الخروج من الحمام ، أمان من القولنج والصداع » ويروى : « أمان من النقرس » وعن ابن عمر : نعم البيت الحمام ، ينقى الوسخ ويذكر النار . وقال ثعلبة ابن سهل : الحمام جيد للتخمة . وقد دخلت عائشة رضى الله عنها حماماً لسقم بها . وقيل : بولة فى الحمام قائماً فى الشتاء أنفع من شربة دواء ، ونومة فى الصيف بعد الحمام تعدل شربة دواء ويكره صب الماء البارد على الرأس وشربه بعد الخروج منه ، وسيأتى فيه زيادة كلام فى القسم السادس من الباب الآخر إن شاء الله تعالى .

القول فى الاستقاءة : يروى عن أنس أنه كان إذا وجد شيئاً خلط من هذه الأطعمة ثم استقاء ، وقال وجدته نافعاً .

القول فى الرقى والتمائم والسحر والنشرة : يروى أن النبى ﷺ استؤذن فى رقية فقال : من استطاع منكم أن ينفع أخاه ، فليفعل ، وفى حديث آخر أنه ﷺ قال : « إن الرقى والتمائم والتولة من الشرك » أراد بالرقى ما ليس بلسان العربية مما لا يدرى ما هو ، لأنه ﷺ قد رخص فى الرقية من العين والحمة والنملة ، وهى تخرج فى الجنب ، ورأى جارية فى وجهها سفعة - أى صفرة تضرب إلى السواد - فقال : « استرقوا لها ، فإن بها النظرة - يعنى العين من نظرة الجن - والتمائم : خرزات وسيور كانت

العرب تعلقها فى أولادهم يتقون بها العين بزعمهم ، فنهى عنه النبى ﷺ وقال : « من تعلق شيئاً وكّل إليه ، والتولة بكسر التاء ويجوز ضمها : الذى يحبب المرأة إلى زوجها وهو من السحر . والتأخيـــذ تبغيضها إليه . قالت امرأة لعائشة : أقيد جملى ؟ قالت : نعم ! فقالت : أقيد جملى ؟ فلما علمت ماتريد قالت : وجهى من وجهك حرام ، أرادت بجملها زوجها وتقيده أن تأخذه عن النساء بالسحر وهو حرام .

قال العلماء : وللسحر حقيقة وتأثير فى الأجسام ، وقد يقتل كثيراً ، ويفرق به بين الزوجين ، وقد يكون فعلا كالتدخين ، ويكون قولا كالرقية وهو من الكبائر .

وقد سحر المصطفى ﷺ حتى كان يخيل له أنه يفعل الشىء وما يفعله ، وأنه يأتى النساء ولا يأتيهن ، فأتى ﷺ فى النوم فقيل له : إنك مطبوب من فلان ، وإنه فى مشط ومشاطة وجف طلعة ذكر تحت راعوفة فى بئر ذروان ، فذهب ﷺ فاستخرجه منها . وكان ماؤها نقاعة الحناء ، وأمر بالبئر فدفنت .

ومرضت عائشة فقال لها سندى : إنك مطبوبة — يعنى مسحورة — فقالت من طبنى ؟ قال امرأة من نعتها كذا وكذا ، وقد بال صبى الآن فى حجرها ، فنظرت عائشة فإذا هو نعت مدبرتها ، فسألتها فأقرت ، ثم أريت عائشة فى النوم أن اغتسلى من ثلاثة أبيار يمد بعضها بعضاً . فإنك تشفين . فوجدت بوادى قناه فاستقى لها من كل بئر فاغتسلت به فشفيت . قال أبو عبيد : وفى حديث رسول الله ﷺ حين قال : « لعل طباً أصابه » يعنى سحراً ، ثم نشره بقل أعوذ برب الناس ، وذكر فى الشفاء أن رسول الله ﷺ تنشر . وروى البخارى جواز ذلك عن ابن المسيب وغيره وأجاز

الطبرى وغيره ـ والنشرة بالضم : هى ضرب من العلاج وهو ما يتخذه المعروضون بالجنون والصروع من أدويه يجعلونها فى إناء ويوقدون النار تحتها وغير ذلك مما يتعاطونه .

وكان إبراهيم النخعين يأمر بنشرة من الحمى أن يؤخذ دلو جديد فيجعل له عرقوتان من جريدتين ذكر وأنثى ـ يعنى النخل الذكر والأنثى ـ ثم يملأ من ماء ينزع من البئر ويجعل فيه سبع تمرات عجوة ، وتجعل عليه جريدة ثم يعلق تحت النجوم ، فإذا أصبح اغتسل به ، يفعل ذلك ثلاث غدوات متواليات .

ويروى أن قوماً مروا بشجرة فأكلوا منها فكأنما مرت بهم ريح فأخمدتهم ، فقال ﷺ : « قرشوا الماء فى الشنان ـ أى بردوه ـ وصبوه عليهم فيما بين الأذانين » ـ أى الفجر أذان والإقامة ـ وقال أبو عبيد : الشنان الأسقية ، والقرب الخلقان خصها دون الجدد لأنها أشد تبريداً ، قال وهذا الفعل شبيه بالنشرة ، ورد رخصه فى غير إصابة العين .

قلت : وسيأتى فى الباب الذى بعدهذا القول فى العين مستقصى وكيفية الاغتسال منها إن شاء الله تعالى .

القول فى البضاع والولادة والرضاع . قال النبى ﷺ : « إذا أعجب أحدكم بامرأة فليأت أهله ، فإن ذلك يرد من نفسه » وقال ﷺ : « من استطاع منكم الباءة فليتزوج . فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج ، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء » ـ الباءة والباه الجماع ـ قال الشاعر :

والباه مثل الباء يخـ ـفض للدناءة أو يجر

فى هذا حض على النكاح وندب إليه ، وكان الأنبياء عليهم السلام

كثيرى التزويج . كان لسليمان بن داود عليه السلام سبعمائة مهرية وثلثمائة سرية ، وكان لداود عليه السلام مائة زوجة ، وكان نبينا محمد ﷺ يطوف على نسائه فى الليلة الواحدة وهن إحدى عشر امرأة ، وقد أعطى ﷺ قوة أربعين رجلا . ثم إن منافعه كثيرة : إذا كان به هم سرى عنه ، وإذا كان قلبه متعلقاً بالحرام زال عنه ذلك ، ويزول به الوسواس عن القلب ، ويسكن الغضب ، وينفع من القروح فى النفس لمن طبعيته الحرارة .

ويقال : كل شهوة يعطيها الرجل نفسه ، فإنها تقسى قلبه إلا الجماع . قالوا : وقد يؤدى تركه إلى الصداع والصرع والماليخوليا ، وهو اختلاط الذهن وكثرة الهذيان والغم والتخيلات والأفكار الردية ، وقد يحدث من تركه مع كثرة الشهوة ما يعمى عن القلب ، وتسد عن الفكر بابه ، وعلى الدين أسلوبه ، ويحدث سوء تدبير ، وقد يبرىء استعماله من هذه الأمراض وكثرته فى الصيف والخريف أكثر ضرراً، وفى الشتاء والربيع أقل ضرراً ومن مضاره أنه يضعف البدن والبصر، ويحدث منه وجع الظهر والرأس سيما لمن طبيعته البرودة أو اليبوسة ، وكثرته تضعف الكلى وتيبس الدماغ وتضر بالروح .

قال معاوية بن أبى سفيان: إدمان النكاح فناء العمر . وسئل عنه مالك فقال: هو نور عينيك، ومخ ساقيك، فأقلل منه أو أكثر . ويقال إن وقاع العجوز يضعف ويسرع الهرم ، ووقاع المريضة يورث المرض إلا لشبق مفرط، والوقاع حال خلو المعدة أقل ضرراً، وحال امتلائها أكثر ضرراً، ويظهر ذلك فى الولد، وهو على الامتلاء يورث القولنج والفالج والنقرس والحصاة ، والوقاع قائماً يضعف البدن، وقاعداً يورث وجع الكلا والمثانة والبطن ، وعلى الجنب الأيمن يضعف الكلا ، وعلى الأيسر يورث ورم الرئة ، والإسراع يورث الفالج واللقوة .

وينبغي لمن يريدا الولد أن يكونا في موضع نظيف طيبي الرائحة خفيفي المعدة جافين عن الرطوبة ، ويلتفا بثوب واحد ، فإذا فرغا تركا عليها ، وتوقع المرأة نفسها على أحسن إنسان تعرفه وتضمره في قلبها ذلك الوقت حتى يصير في داخل ضميرها كأن ذلك الإنسان بين يديها تبصره .

قال الغزالي في كتاب الأربعين : عرف بالتجربة أن المجامع حال مباشرته لو أدمن النظر إلى بياض مشرق ، أو حمرة قانية حتى غلبت تلك الصورة على نفسه ، مال لون المولود إلى ذلك اللون الذي غلب عليه ، وأن الجنين وقت ما يتحرك في البطن تميل صورته إلى الحسن إن كانت الأم مشاهدة تلك الحالة لصورة حسنة بحيث غلبت تلك الصورة على نفسها . ولذلك أمر النبي ﷺ المباشر عند مباشرته أن يحضر في قلبه إرادة صلاح المولود ، ويدعو الله بذلك . هذا كلام الغزالي رحمه الله .

وينبغي أن يكون ذلك في قبل الطهر بعد مداعبة . قال ابن قتيبة : إذا غشيت المرأة في قبل الطهر ، وأول الشهر ، وعند طلوع الفجر أنجبت . وقد جمعت هذه المعاني في قول الشاعر :

لقحت في الهلال عن قبل الطهر   وقد لاح للضياء بشـــير

قال : وإن الرجل إذا غشيها وهي مذعورة فأكرهها أذكرت لجاءت به لا يطاق . ثم إذا قضى حاجته فلا يقوم قائماً ولا عن يساره بل عن يمينه ويضجع فإنه أصح لجسمه ، وأسرع للقاح ، ولا يغتسل فورياً فإنه يخشى منه الحمى . بل بعد ساعة يسكن فيها تعبه .

وقال ﷺ : « إن الله تعالى أمرني أن أعلمكم مما علمني وأؤدبكم : لا يكثرن أحدكم الكلام عند المجامعة ، فإنه يكون منه العمى ، ولا يقبلن أحدكم امرأته إذا جامعها ، فإنه يكون منه صمم الولد » ويروى : « النظر إلى الفرج يورث الطمس » أي العمى . قيل عمى الناظر ، وقيل إن حدث ولد كان أعمى القلب أبله .

وقال ﷺ : « لا تقربوا المرأة وهى حائض ، فإنه إن قضى بينكما ولد كان أجذم ، وقال ﷺ : « لا تغيلوا أولادكم سراً » فإن الغيل يدرك الفارس فيدعثره - أى يهدمه ويطحطحه بعد ما صار رجلا ، والغيل : أن ترضع ولدها وهى حامل ، والغيلة الاسم منه ، وهو أن يطأ المرأة وهى مرضع - فكره النبى ﷺ أن يجامع امرأته وهى ترضع ولم يحرمه . وقالت عائشة رضى الله عنها : نظرت إلى النبى ﷺ ووجهه يتلألأ ، فقلت لأنت أحق بقول أبى كبير :

ومبرأ من كل غبر حيضة ... وفساد مرضعة وداء مغيل

فقال ﷺ : « وأنت مبرأة من أن تكون أمك حملت بك فى غير الحيض » أى بقيته . وقد ورد نهى عن ذلك فى أوقات مخافة على الولد ، فن ذلك : أول يوم من الشهر ، وآخر ليلة منه مخافة الجنون على الولد وليلة الأربعاء أو يومها لئلا يكون قتالا ، وليلة الأحد أو يومها لئلا يكون عاقا ، وليلة النصف لئلا يصرع ، وليلة عيد الفطر ويومها لئلا يكون عقيما ولا ليلة الأضحى ويومها لئلا تزيد أصابعه ، ولا آخر النهار فيكون أحول ولا فى المواضع التى يطلع عليها الشمس ، ولا يكشف عورتها فى النجوم ولا من قيام فيكون بوالا فى الفراش ، ولا بشهوة لامرأة غيرها ، فإن الولد يكون مخنثاً ، ولا يمسحا بعد الجماع بخرقة واحدة . وسيأتى فى الباب السادس ما يقال عند الوقاع إن شاء الله تعالى . فاعتمد عليه .

﴿ فصل ﴾ وقد قال ﷺ : « إن جز الشعر يزيد فى الجماع » ويروى : « صوموا ووفروا أشعاركم فإنها مجفرة » - أى مقطعة للنكاح - وتقص للباه ، ويروى : « أن رجلا شكى إليه عليه السلام التعزب ، فقال له : « عف شعرك » ففعل فسكن ما به . وقال مجاهد : النطفة تزيد فى الولد .

وقال ﷺ: «إذا أتى أحدكم أهله فأراد أن يعود فليتوضأ» وقال ﷺ: «رُفع عن الحبالى الحيض وجعل رزقاً للولد». وقال ﷺ: «إن للرجل تسعة وتسعين عرقاً وللمرأة مثل ذلك، فإذا كان حين الولد اضطربت العروق كلها ليس منها عرق إلا يسأل الله تعالى أن يجعل الشبه به».

وقال ﷺ: «إن الرجل ربما أشبه أخواله، والولد لا يكون إلا من الماءين ماء الرجل وماء المرأة، فماء الرجل يخرج من صلبه، وماء المرأة من ترائبها وهو موضع القلادة من الصدر، فإن سبق ماء الرجل أشبهه الولد وإن سبق ماء المرأة أشبهها الولد». ويروى أن النطفة إذا استقرت فى الرحم أحضرها الله تعالى كل نسب بينها وبين آدم وفى أى صورة ما شاء ركبه، فى أى شبه من أب أو أم أو خال أو عم أو غيرهم.

﴿ فصل ﴾ ويروى أن عمر رضى الله عنه مر بامرأة قد ولدت، فدعا بشربة من سويق وقال اشربى هذا، فإنه يقطع الحس ويدر العروق - والحس وجع يأخذ النساء عقب الولادة - وسيأتى فى الباب السادس ما يقال عند تعسر الولادة إن شاء الله تعالى، وفى الباب الأخير ما يقال بعد الولادة إن شاء الله تعالى. قال ﷺ: «أشمى ولا تنهكى، فإنه أنور للوجه، وأحظى عند الرجل». أى أكثر لماء الوجه ودمه وأحسن عند الجماع. بيانه قول عائشة رضى الله عنها لختانة: إذا أخفضت الجوارى فلا تستوعبيه، فيذهب ماء وجهها ولذة زوجها.

﴿ فصل ﴾ وقال ﷺ: «الرضاع يغير الطباع». وقال ﷺ: «لا تسترضعوا أولادكم الحمق، فإن اللبن يعدى» ويروى: «يشبه عليه». معناه: أن المرضعة إذا أرضعت غلاماً فإنه ينزع إلى أخلاقها فيشبهها. قالوا: ويختار أن تكون المرضعة صحيحة الحواس والجسد، ظاهراً وباطناً، معتدلة، لحيمة، عظيمة الثديين، وتتغذى بالحلوى والسمين والسمك الرطب.

﴿ فصل ﴾ ويروى أن النبي ﷺ قال في نعت الإنسان: «عيناه هاد، وأذناه قمع، ولسانه ترجمان، ورجلاه بريد، وكبده رحمة، ورئته نفس، وطحاله ضحك، وكلوتاه مكر، والقلب ملك، فإذا طاب طابت جنوده».

قال وهب: النفس للدواب وللآدمي، وهي حارة ومسكنها البطن. وفضل الآدمي بالروح وهو بارد ومسكنه الدماغ. ويروى أن الله تعالى قال في آدم: ركبت جسده من رطب ويابس، وسخن وبارد، فالماء رطب والتراب يابس، والنفس حارة، والروح بارد.

قال الجوهري رضي الله عنه: ويقال الجوزي: إن الجنين يكون في بطن الأم معتمداً بوجهه على رجليه، وراحتاه على ركبتيه، وأنفه بين ركبتيه، والعينان على الركبتين، وظهره إلى وجه الأم، وعظام البدن مائتان وأربعون عظماً سوى السمسمائية والله أعلم.

﴿ فصل ﴾ قال محمد بن عبد الله الأنصاري: المولود صبي إلى خمسة عشر سنة، ثم هو شاب إلى ثلاثين، ثم هو كهل إلى أربعين سنة، ثم هو شيخ إلى أن يموت.

ويروى أن امرأة سألت النبي ﷺ عن غسلها من الحيض؟ فقال لها: «خذى فرصة من مسك فتطهرى بها». قال النووي رضي الله عنه: ويقال إن المطلوب منه إسراع علوق الولد، وقيل غير ذلك.

وعن عائشة رضي الله عنها: ماتستطيع إحداكن إذا طهرت من حيضها أن تدس بشيء من قسط، فإن لم تجد فبشيء من ريحان - تعني الآس - فإن لم تجد فبشيء من نوى، فإن لم تجد فبشيء من ملح.

القول في بعض الحيوانات: منها الحمام. يروى أن رجلا شكى إلى النبي ﷺ الوحشة، فقال له: «اتخذ زوجاً من حمام» ويروى أن نوحاً عليه السلام لما أرسل الحمامة لتأتيه بخبر نضوب الماء، فوقعت بموضع الكعبة وكانت طينة حمراء فخضبت رجليها، فسألت نوحاً أن يهب لها الطوق

فى عنقها والخضاب فى رجليها فمسح يده على عنقها وطوقها ، ووهب لها الحمرة فى رجليها ، ودعا لها وأسكنها الحرم ، وبارك عليها ، فقال بارك الله فيك وفى نسلك وجعلك محببة أنيسة ، فمن ثم صار الناس تبعث بها فى الكتب . وقال : جعل الله فى نسلك شفاء للمريض ، وتحفة للصحيح . ذكره النقاش فى تفسيره .

ومنها الديك . قالت امرأة : يا رسول الله إن إبنتى ما تنام من الفزع، فقال : « اربطى عند رأسها ديكا أبيض» . وقال ﷺ : « الديك الأبيض الأفرق ، صديق وصديق صديق جبرائيل عليه السلام ، وعدو عدو الله إبليس ، يحرس دار صاحبه وسبع دور » وكان ﷺ ببيته معه فى البيت .

ومنها الذباب : قال ﷺ : « أحـــد جناحى الذباب داء والآخر شفاء ، فإذا وقع فى الطعام فامقلوه — أى اغمسوه — فإنه يقدم الداء ويؤخر الشفاء » .

ومنها الحية : قال ﷺ : « لا تقتـــلوا من الحيات إلا كل أبتر ذى طفيتين ، فإنه يسقط الولد ويذهب البصر » ويروى : « اقتلوا ذا الطفيتين والأبتر » فذو الطيتين: الذى على ظهره خطان يشبهان الطفية وهى خوصة المقل ، والأبتر : القصير الذنب من الحيات وغيرها . ذكره أبو عبيد . وسيأتى فى الحيات كلام شاف فى الباب الآخر إن شاء الله تعالى .

قال كعب رضى الله عنه : لا تديموا أكل الحيات، فإنه يورث السل. وقد نهى ﷺ أن يؤكل ماتحمله النملة بفيها وقوائمها . ذكره الحافظ أبو نعيم فى كتابه . وسمى النبى ﷺ الفأرة فويسقة . وقال ابن عباس رضى الله عنه : أكل سؤرها يورث النسيان .

﴿ فصل ﴾ وقال ﷺ لجارية أصابتها سفعة : « استرقوا لها ، فإن بها النظرة — يعنى العين من الجن — قال ابن عباس : والكلاب من الجن، فإذا غشيتكم عند طعامكم فألقوا لهن فإن لهن أنفساً - يعنى أعيناً - ويروى أن امرأة قالت : يا رسول الله إن ابنى هذا به جنون يصيبه عند الغداء والعشاء ، فمسح ﷺ صدره ودعا له ، فثع ثعة فخرج من جوفه جرواً أسود يسعى فشفى . وقال ﷺ : « إن الشيطان لا يخبل أحداً فى بيته فرس عتيق من الخيل المنسوبة » .

القول فى العدوى : قال ﷺ : « لاتديموا النظر إلى المجذوم ، فمن كلمه منكم ، فليكن على قيد رمح بينه وبينه » . وقال ﷺ : « لا يوردن ذو عاهة على مصح » . وقال ﷺ : « لا عدوى ولا طيرة ولا صفرة ولا هامة، وفر من المجذوم فرارك من الأسد » .

قال فى البيان أجرى الله العادة بأن يخلق الداء عند ملاقاة الجسم الذى فيه الداء ، ومعنى قوله لا عدوى : أى هذه الأدواء لا تعـــدى بأنفسها وطباعها كما قالت الملحدة ، ويروى : « لا عدوى ولا هامة ولا صفر ولا غول » . فالهامة هو قول العرب إن عظام الموتى تصير هامة فيخرج منها طائر يطير يقال له الصدى فأبطله ﷺ ، والصفر : حية تكون فى البطن تصيب الماشية والناس وهى عند العرب أعدى من الجرب تشتد على الإنسان إذا جاع وتؤذيه فأبطل النبى ﷺ أنها تعدى ، والغول ساحرة الجن تتوغل للآدميين فى الفلوات ومواضع النجاسات ، أى تتلون لهم فتهلكهم ، فأبطل النبى ﷺ فعلها بنفسها . وقوله : إذا تغولت الغيلان فنادوا بالأذان دليل على وجودها ، وكذا ما ذكره الترمذى رحمه الله فى حديث الذى كان يأخذ من بيت الصدقة أنه الغول دليل على ذلك والله أعلم .

ويروى أن عمر رضى الله عنه خرج إلى الشام بأمراء الأجناد فأخبر أن الوباء قد وقع بالشام ، فاستشار عمر المهاجرين فاختلفوا عليه ، ثم الأنصار فاختلفوا عليه . ثم مشيخة قريش فقالوا : نرى أن ترجع بالناس عن الوباء ، فرجع عمر بالعسكر ، وقال : نفر من قدر الله إلى قدر الله ، فجاءه ابن عوف فقال : سمعت رسول ﷺ يقول : إذا سمعتم به — يعنى الطاعون ـ بأرض فلا تقدموا عليه ، وإذا وقع بأرض وأنتم فيها فلا تخرجوا فراراً منه ، فحمد الله عمر ثم انصرف .

﴿ فصل ﴾ وروى الحافظ بإسناده أن النبى ﷺ قال : « إذا ارتفعت النجوم ، ارتفعت العاهة عن كل بلد » قال أبو نعيم : قال بعض المطببين : اضمنوا لى ما بين مغيب الثريا إلى طلوعها ، وأنا أضمن لكم سائر السنة . . وقال ﷺ : « الشتاء ربيع المؤمن » .

القول فى الهم والحزن : قال ﷺ : « ما على أحدكم إذا لح به همه أن يتقلد سهمه ينفى به همه » . وقال ﷺ : « من ساء خلقه عذب نفسه ، ومن كثر همه سقم بدنه ، ومن لاحى الرجال ذهبت كرامته وسقطت مروءته » .

وقال الشافعى رحمه الله : من نظف ثوبه قل همه ، ومن طاب ريحه زاد عقله ، وفى حكمة آل داود : العافية ملك خفى ، وغم ساعة هرم سنة ، وفقد الإخوان يذيب الجسد .

وقال عمر رضى الله عنه : سبب موت أبى بكر موت النبى ﷺ ، ما زال جسمه يجرى أى ينقص حتى مات . ويروى أنه دخل على النبى ﷺ فوجده مريضاً فرض ، فبرأ النبى ﷺ فعاده فبرأ أبو بكر لما رأى النبى ﷺ . وأنشد فى معنى ذلك شعراً :

مرض الحبيب فـــزرته فرضت من أسفى عليه
شفى الحبيب فعــادنى فبرأت من نظرى إليه

وسيأتى فى آخر الباب السادس إن شاء الله تعالى ما يقال لدفع الهم والحزن . وتقدم عن على بن أبى طالب رضى الله عنه وابن عباس أنه قال: من لبس نعلا صفراء ، قل همه .

القول فى الأوجاع والحمى: قال ﷺ: «الحمى من فيح جهنم، فأبردوها بالماء» . وقال ﷺ : «إذا حم أحدكم . فليرش عليه من الماء البارد من السحر ثلاثاً» وكانت أسماء إذا أتيت بالمرأة وقد حمت لتدعو لها أخذت الماء وصبته بينها وبين جيبها واستدلت بالحديث ، وفى هذا دليل على حمل المريض إلى من يدعو له . والمراد بهذه الحمى : الحمى المحرقة التى معها ورم فى بعض الأعضاء وقوة المريض مستظهرة ، والصفراء فى غليانها وكثيراً ما تعرض فى أرض العرب وفى كل بلد حار يابس ، فهذه التى يوافقها الماء سقياً وغسلا .

وقد قال ﷺ فى مرضه: «هريقوا على من سبع قرب لم تحلل أوكيتهن لعلى أعهد إلى الناس . فأجلس فى مخضب فصب عليه ، وقال مكحول : وصف لنا هلال من الحمى ، قال تأخذ إحدى وعشرين حبة شونيزاً وتنقعها فى الماء ، ثم تأخذ ثلاث قطرات فيقطر أول يوم فى منخره الأيمن قطرتين وفى الأيسر قطرة ، وفى اليوم الثانى فى الأيسر قطرتين وفى الأيمن قطرة ثم فى الثالث مثل الأول ، وقد مضى فى النشرة فيه حديث .

وروى أبو نعيم فى كتابه بإسناده عن الشعبى أن رجلا استهوته الجن ، فقال : علمونى للحمى الربع شيئاً ، فقالوا : تأخذ ذباب الماء فتعقده فى خيط ثم تجعله فى عضدك الأيسر فتبرأ . وقالت عائشة رضى الله عنها :

إذا كانت حمى ربع فيأخذ ثلاثة أرباع السمن وربعاً من لبن فيشربه .

علاج الدوار : قالت عائشة رضى الله عنها : ينفع من الدوار سبع تمرات عجوة فى سبع غدوات على الريق .

القول فى وجع العين : قال ﷺ : « لا هم إلا هم الدين ، ولا وجع إلا وجع العين » . وكان ﷺ إذا رمدت إحدى نسائه لم يأتها حتى تبرأ عينها ، وكحل عين على ببزاقه من ريقه عليه السلام فبرأت ، وقال ﷺ : لصهيب : « تأكل التمر وبك رمد ؟ » . الحديث . استفهام منكر عليه لأن الرمد مرض حار عفن والتمر يزيده ، وكان بعلى رمد ، فدخل يوماً والنبى ﷺ : يأكل تمراً فرمى إليه بتمرة فأكلها ثم رمى إليه بأخرى فأكلها حتى رمى إليه سبعاً ، ثم قال له : « حسبك يا على » فجعل السبع فى حد القلة .

وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه أنه قال : مثل أصحاب محمد ﷺ مثل العين . ودواء العين ترك مسها . وقال ابن المسيب : العين نطفة ، فإذا مسستها دنفت ، وإذا أمسكت عنها صفت . وقال عبد الله : شكوت إلى النبى ﷺ عينى فقال : « انظر فى المصحف ، فإن عينى اشتكت ، فشكوت إلى جبريل عليه السلام ، فقال انظر فى المصحف » . وقال ﷺ « من أدمن النظر فى المصحف متعه الله بنظره » .

وقال ﷺ : « ثلاث يجلين البصر : النظر إلى الماء الجارى ، والنظر فى الخضرة ، والنظر فى الوجه الحسن » . وكان ﷺ : يعجبه النظر إلى الخضرة ، وإلى الماء الجارى ، وإلى الأترج والحمام الأحمر ، وقال ﷺ للحسين : « نم على قفاك تخمص بطنك ، وخذ من شعرك تحسن رقبتك ، واكتحل يضىء وجهك وبصرك » .

والضرس : روى أبو نعيم عن سلمان قال : اشتكيت ضرسى إلى النبى ﷺ ، فأمرنى أن آكل التمر بشق ضرسى الآخر .

والعذرة : قد تقدم أن القسط ينفع من العذرة ، وروى أبو نعيم فى كتابه أن النبى ﷺ اشتكى العذرة فضمد صدغيه .

وجع الظهر : قال على رضى الله عنه الجدى جيد لوجع الظهر . وقال عمر : « دخلت على النبى ﷺ وحبشى يغمز ظهره وهو نائم على بطنه ، فقلت : ما هـــذا يا رسول الله ؟ فقال : « إن النـاقة تقحمت بى البارحة » .

القول فى القلب : قال ﷺ : « إن فى الجسد مضغة ، إذا صلحت صلح الجسد كله ، وإذا فسدت فسد الجسد كله ، ألا وهى القلب » . وقال ﷺ « لا تميتوا القلوب بكثرة الطعام والشراب ، فإن القلب كالزرع يموت إذا كثر عليه الماء » . وقال ﷺ : « قلوب بنى آدم تلين فى الشتاء » . وقال ﷺ : « أذيبوا طعامكم بذكر الله تعالى والصلاة ، ولا تناموا عليه فتقسى قلوبكم » .

وقال إبراهيم الخواص : دواء القلب خمسة أشياء : بإخلاص البطن ، وقراءة القرآن بالتدبر ، ومجالسة الصالحين ، وقيام الليل ، والتضرع فى السحر ، وقال ﷺ : « لا تكثروا الضحـــك ، فإن كثرة الضحك تميت القلب » .

الطحال : روى أبو نعيم أن رجلا قال للقاسم بن محمد إنى لطحيل فكيف أصنع ؟ فقال رجل من أهل العراق : خذ سام أبرص فعلقه على موضع الطحال من بطنك ، ثم اقبضه ثم اجعله فى حقة . فإنه يضمر إذا ضمـــر السام أبرص .

وجع الخاصرة : قال ﷺ : « الخاصرة عرق الكلية ، فإذا تحركت آذت صاحبها ، فداووها بالماء المحرق والعسل ». وقد شرب ﷺ الماء المحرق منها - أى من وجع الخاصرة - والماء المحرق المغلى بالحرق وهى النار ، وقد تقدم أن القسط والزيت والورس ، نافع من ذات الجنب .

القول فى الباسور : تقدم فى الزيت أنه مصحة من الباسور وفى التين أنه يقطع الباسور . وروى أبو نعيم أن ابن عباس رضى الله عنه دخل على النبى ﷺ وهو مصفر اللون من الباسور ، فقال له النبى ﷺ : « أين أنت عن الآصف ؟ - يعنى الكبر - تأخــذه فندقه وتسف منه » قال : ففعلت فبرأت . وقال ﷺ : الاستنجاء بالماء البارد ، صحـــة من الباسور ، ويروى : « عليكم بغسل الدبر ، فإنه مذهبة للباسور » .

وقال لقمان : الجلوس فى الخلاء يتجع منه الكبد ، ويورث الناسور ، ويصعد الحرارة إلى الرأس ، فاقعد هوينا ثم قم .

﴿ فصل ﴾ قال ﷺ : « إذا وجد أحدكم فى بطنه رزاً فليأت مرحاضه ، فإن حبسه بعد ما يهيج داء ، وإذا وجد أحدكم بولا فليبل ، فإن حبسه يورث الحصى » الهروى . المرحاض : الموضع الذى بنى للغائط . قال ولما بال الأعرابى فى المسجد ابتدره الناس ، فقال ﷺ : « لا تزرموه » أى لا تقطعوا عليه بوله . وكذا قال فى الحسن وقد بال فى حجره عليه فأخذ منه فقال : « دعوه لا تزرموه » ويروى : « لا تزرموا ابنى » . قال الشافعى رحمه الله : وكانت العرب تستشفى من وجع الصلب بالبول قائماً . وقال أنه ﷺ بال قائماً لعلة كانت به .

وجع البطن : قد مضى فى العسل والشونيز والسنوت إنها تنفع من وجع البطن .

النساء : قال ﷺ : «شفاء عرق النسا إلية شاة أعرابية تذاب ثم تجزأ ثلاثة أجزاء ، ثم يشرب على الريق كل يوم جزء» . ويروى أنه قال : إلية كبش عربى ، لاصغير ولا كبير» . قال أنس رضى الله عنه : فوصفته لأكثر من مائة فبرأوا .

﴿ فائدة ﴾ ويقال إن هذه الإلية نافعة للذى يصرع كل شهر ، تقطع صغاراً صغاراً وتنضج بالنار ، فإذا صفا دهنها صب إلى إناء ويؤخذ شهد حديث فيرمى عنه شمعه ثم يخلط عسله مع الدهن ، ويحرك ثم يشرب به ثلاثة أيام على الريق ، ويمنع صاحب ذلك عن الألبان والبقول والتمر والفاكهة ، ويشرب ماء النعنع .

القول فيما يورث الحفظ والنسيان . قال ﷺ : «من أراد الحفظ فليأكل العسل» ويروى : «غسل الرأس يزيد فى الحفظ» . وقال ابن عباس رضى الله عنه : خمسة تورث النسيان ، أكل التفاح الحامض ، وإلقاء حياً على الأرض ، والبول فى الماء الراكد ، وأكل سؤر الفأر ، والحجامة فى النقرة . زاد غيره وقراءة ألواح القبور ، والمشى تحت الخطام ، وبين امرأتين ، والنظر إلى المصلوب ، وكثرة الهم والمعاصى .

البلغم والرطوبات : ودواء البلغم والرطوبات أكل الخبز اليابس ، والقىء ، وأكل الزبيب على الريق بحيث لايحتاج إلى شرب الماء ، وتقليل شرب الماء . وقال ابن سيرين : ثلاث دواء البلغم : السواك ، والصيام ، وقراءة القرآن بالليل . وقال أيضاً : لبس النعل السوداء يورث النسيان ، ونحوه عن ابن الزبير . وسيأتى فى القسم الخامس عشر من الباب السابع ، وفى القسم العشرين منه أذكار الحفظ القرآن .

القول فى الجروح : قد مضى أن رماد الحصير يقطع الدم . ويروى أن رجلا أصابته شجة فى رأسه ، فأمره أصحابه بالاغتسال لما أجنب ، فاغتسل

فمات ، فقال ﷺ : « قتلوه قتلهم ، إنما كان يكفيه أن يعصب على رأسه خرقة ويمسح عليها ويتيمم ، ويغسل سائر بدنه » .

وأمر علياً أن يمسح على الجبائر ، وهي العيدان التي يجبر بها العظام ، ففي هذا دليل على أن الماء يضر بالجروح . وقال الله تعالى : (وإن كنتم مرضى أو على سفر) إلى قوله (فتيمموا) . قال ابن عباس : أراد مرضاً يضره الماء كالجدري والقروح والجروح .

شقوق الأرجل : قال أبو ذر رضي الله عنه لقوم تشققت أرجلهم وأيديهم : داووها بالدهن .

﴿ فصل ﴾ قال ﷺ : « لا تكرهوا أربعة ، فإنها دواء لأربعة : لا تكرهوا الرمد فإنه يقطع عروق العمى ، ولا تكرهوا الزكام فإنه يقطع عروق الجذام ، ولا تكرهوا السعال فإنه يقطع عروق الفالج ، ولا تكرهوا الدماميل فإنها تقطع عروق البرص » .

﴿ فصل ﴾ وقال ﷺ : « لا تديموا النظر إلى البحر » ويروى : « إلى الماء فإن ذلك يورث ذهاب العقل . وقال ﷺ : « لا تنظروا في المرآة في الليل ، فإنه يصاب منه الحول في العين » وقال ﷺ : « لا تنظروا إلى وجوه الموتى ، فإنه يورث الصفرة » .

قال الحكماء : وللنظر تأثير في الناظر ، فالنظر إلى الحزين يورث حزناً وإلى أهل الصلاح يورث رقة وصلاحاً ، والنظر إلى الفسقة يورث قسوة وفساداً ، والنظر إلى الناعس يورث نعاساً .

﴿ فصل ﴾ في أشياء مجموعة : قال النبي ﷺ : « اطلبوا الخير عند حسان الوجوه » . وقال ﷺ : « لا تنتفوا الشعر الذي في الأنف فإنه يورث الأكلة ، ولكن قصوه قصاً » . وقال ﷺ : « الشعر الذي في الأنف والأذنين ، أمان من الجذام » .

وقال ﷺ : « طعام الجواد دواء ، وطعام البخيل داء » وقال : « وأى داء أدوأ من البخيل » .

وقال ﷺ : « تعشوا ولو بكف من خشف ، فإن ترك العشاء مهرمة » ، وكان يكره أن يتعشى إذا طفىء السراج حتى يسرج له ، ولا يقعد فى بيت مظلم حتى يضاء له فيه سراج » . وقال ﷺ : « لا تردوا شربة العسل على من أتاكم بها » وقال ﷺ : « ثلاث لا ترد : الوسائد ، والدهن ، واللبن » . وقال ﷺ : « من طبب ولم يعلم منه طب فهو ضامن » .

وقال على رضى الله عنه : « إذا آنستم - أى علمتم - من صبيانكم سوء خلق ، فأذنوا فى أذنه اليمنى وأقيموا فى أذنه اليسرى ، كما فعل ﷺ بالحسن والحسين . وقال ﷺ فى الخمر : « إنه ليس بدواء ولكنه داء » . ونهى ﷺ أن تجعل الضفدع فى الدواء . وكان ﷺ يصب الماء على رأسه من العطش أو من الحر وهو صائم » .

﴿ فصل ﴾ فى الطبايع : وهى أربع : المرة الصفراء ، وغالبها قبل البلوغ وهى حارة يابسة ، ويستدل عليها بصفرة اللون ونحافة الجسم وكثرة الحركة والعجلة فى الكلام والأفعال ، علاجها بكل رطب كالسكر الأبيض والليم(١) وسمن المعز والشعير والكشاء والبطيخ والخوخ - وهو التمر الهندى - ومن أماراتها : الحمى ، واصفرار الإراقة ، والصداع ، ومرارة الفم ، وأن يرى فى نومه النيران والشمس المحرقة ونحو ذلك ، ويتولد منها جرب الجفن ووجع الأذن والمفاصل ، وشقوق الأصابع وصفرة الأسنان ، والدوار والشوصة ، والبثور والحوصة ، وقيل الحصبة والنملة والحمرة ، ووجع اللهاة والعشق ونحوها ، ومهما احترقت صارت سوداء .

---

(١) الليم : الليمون كما فى القاموس .

والدم : وغالبه بعد البلوغ إلى خمسة وثلاثين ، ويستدل على زيادته بالسمن وحمرة اللون وبشاشته وانبساط وجهه ومحبته للملاهى ، وهو حار رطب دواؤه كل بارد يابس كالذرة واللبن الحامض لحمته والعنب الحامض والعثرب والعنمة والصمغ العربى ، وهو صمغ الطلح ، ومن أماراته امتلاء الجسم والحركة وكثرة النوم والدمل ، وأن يرى فى نومه الرعاف والاحتجام ، والغناء والرقاصين واللعابين ، والرياض والبساتين ، ويتولد منه الزكام والرمد وحكة العين ، ووجع الحلق ، والذبحة ، وذات الجنب ، وورم الكبد والطحال والمعى والأنثيين .

والبلغم: وهو بارد رطب وغالبه من خمس وثلاثين إلى خمس وأربعين، ويستدل عليه ببياض الجسم وضخم البدن وبطء الحركة وقلة نشاطه وكلامه ، ودواؤه كل حار يابس كالعسل والخلنجان والدخن ، والقرفه ، ولبن الإبل، والشيرج ، والكشد، والجزر، والمصطكى ، وحب العصفر. ومن أماراته كثرة البصاق وبرودة الجسم وقلة شهوة الطعام أول النهار ، وأن يرى فى نومه الأمطار والمياه والاغتسال والسباحة. ويتولد منه الفالج والسدد والصداع البارد والجرب والبخر ونتن الإبط وحمى الورد ، وبرد الكبد والطحال ، والجبن وعسر الولادة ونحوها .

والمرة السوداء : وغالبها فوق الأربعين، ويستدل عليها بسواد اللون واخضرار البشرة ، وصلابة الإعضاء ، واكتناز اللحم ، وقلة الكلام ، وهى باردة يابسة دواؤها بكل حار رطب، كالبر والسكر الأحمر والودك والموز اليانع الذى لم يتغير والجزر والكراث وخاصة الحلبة ولبن الضأن، ومن أماراتها يبوسة العين وسائر الجسم ، وقلة النوم ، وكثرة الشرب ، ويبوسة الإراقة الباطنة .

وأن يرى فى نومه الأهوال والمخاوف والحيات ، والأموات ، ونحو ذلك ، ويتولد منها خفة الرأس والرعاف والتآليل ، والباسور ، والصروع ، والماليخولية ، والقولنج ، والقوباءوالبهق،والكلف،والجذام ، والسعال اليابس ، وداء الثعلب والنقرس والشهوة الكلبة ، ومن عفونتها حمى الربع .

وفصول السنة أربعة : الشتاء : وهو بارد رطب ، وأوله لسبع بقين من أيلول . والربيع : وهو بارد يابس ، وأوله لسبع بقين من كانون الأول ، وهو أعدل السنة . والصيف : وهو حار رطب ، وأوله لسبع بقين من آذار . والخريف : وهو حار يابس ، وأوله أقصر ليلة فى السنة لست بقين من حزيران . وبكل فصل ثلاثة أشهر ، وثلاثة بروج وسبع منازل .

وهذه أسماء الأشهر : تشرين أول ، وتشرين ثانى ، وكانون الأول ، وكانون الثانى ، وشباط ، وآذار ، ونيسان ، وأيار ، وحزيران ، وتموز ، وآب ، وأيلول . يصلح فى كل فصل . عكس طبعه من المذكورات . وأخوف السنة على الصبيان : الربيع ، وعلى الفتيان : الصيف وعلى الكهول : الخريف ، وعلى الشيوخ : الشتاء .

واعلم بأن كل حامض فهو بارد ، وكل حلو فهو حار ، وكل مر فهو حار ، وكل مالح حار . إلا ما أزيل طبعه بمعالجة أو نار ، وكل ما جاوز الحرارة أو البرودة إلى أقصى الغايات فهو من السموم ، وكل بياض فهو دليل على البرودة ، وكل سمرة دليل على الحرارة .

والفرسك(١) بارد ثقيل ذا رياح ، وكذا التفاح والمشمش حار ، والدجر حار ثقيل ، ولبن النساء حار ، والنورة حار يابسة ، وكذا النار .

واعلم أن حفظ الأشياء يكون بأشباهها ، وعلاجها بأضدادها ، وحظ صحة الشباب بالفصد والإسهال ، والكهول بالإسهال دون إخراج الدم ويمتنعون عن الجماع ، وأما الشيوخ فلا يتعهدون شيئاً من ذلك ، وأنفع ما يكون لهم الحقنة بالزيت . والله أعلم .

---

(١) كذا فى نسختين وفى ثالثة الفرشك ولم نقف على معناه .

الباب الخامس

﴿ فى أربعين حديثاً ﴾

كل حديث منها يتضمن لفظ البركة ، سردتها سرداً واختصرتها جداً .

﴿ الحديث الأول ﴾ : قال ﷺ : « أكرموا يوم الجمعة وليلته ، فإنه يوم مبارك وليلته شريفة ، ولله فيه عتقاء من النار ، ومن بركته لا تسعر النار فيه ، ومن بركة ليلته يغفر الله كبائر أمتى إلا الشرك بالله ». ويروى : « أن يوم الجمعة يوم بركة ورحمة ، وكل مولود يولد من الكفار فى ليلة الجمعة أكرمه الله تعالى بالإسلام » .

﴿ الحديث الثانى ﴾ : قال ﷺ : « عليكم بالغنم ، فإنها مباركة رقيقة » .

﴿ الحديث الثالث ﴾ : قال ﷺ : « البركة فى الطعام البارد » .

﴿ الحديث الرابع ﴾ : وقال ﷺ : « صبيان البيوت بركة » .

﴿ الحديث الخامس ﴾ وقال ﷺ : « تختموا بالعقيق ، فإنه مبارك » .

﴿ الحديث السادس ﴾ : وقال ﷺ : « الحجامة على الريق أفضل ، وفيها شفاء وبركة » .

﴿ الحديث السابع ﴾ : وقال ﷺ : « تسحروا فإن السحور بركة » .

﴿ الحديث الثامن ﴾ : وقال ﷺ للعرباض بن سارية : « هلم إلى الغداء المبارك » يعنى السحور .

﴿ الحديث التاسع ﴾ : وقال ﷺ : « كلوا الأرز فإن فيه شفاء وبركة » .

﴿ الحديث العاشر ﴾ : وقال ﷺ : « كلوا الزيت وادهنوا به ، فإنه

من شجرة مباركة » ـ يعنى بها شجرة الزيتون ـ وهى كثيرة البركة وفيها أنواع المنافع ، لأن الزيت منه وهو إدام ودهان وباغ ، ويوقد بحطب الزيتون وتفله ، ورماده يغسل به الإبرسيم ، ولا يحتاج فى استخراج دهنه إلى عصار .

قال الجوهرى رحمه الله : والعتم شجر الزيتون البرى . وقال ﷺ : « نعم السواك الزيتون من شجرة مباركة ، يطيب الفم ويذهب الحفر ، هى سواكى وسواك الأنبياء قبلى » . ويروى : « عليكم بهذه الشجرة المباركة زيت الزيتون عند أوانه ، فإن فيه شفاء للناس » .

﴿ الحديث الحادى عشر ﴾ : وقال ﷺ : « عليكم بالعدس ، فإنه مبارك مقدس ، وإنه يرق القلب ويكثر الدمعة ، وقد بارك الله فى العدس وبارك فيه سبعون نبياً أحدهم عيسى عليه السلام » .

﴿ الحديث الثانى عشر ﴾ : وقال ﷺ : « كلوا من حوالى القصعة ولا تأكلوا من وسطها ، فإن البركة تنزل فى وسطها » .

﴿ الحديث الثالث عشر ﴾ : قال ﷺ : « الوضوء قبل الطعام يدخل البركة ، وبعده يذهب الفقر ويصح البصر » .

﴿ الحديث الرابع عشر ﴾ : وقال ﷺ : « بركة الطعام الوضوء قبله وبعده » ، وفى حديث آخر : « الوضوء قبل الطعام ينفى الفقر ، وبعده ينفى اللمم » — أى الجنون — وأراد بالوضوء غسل اليد . قال الهروى : وهو هنا بضم الواو . وقال قتادة : من غسل يده فقد توضأ .

﴿ الحديث الخامس عشر ﴾ : وقال ﷺ : اجمعوا وضوءكم يجمع الله

شملكم » وهو بفتح الواو . وقال فى شرح الشهاب : وأراد به الماء الذى يغسل به قبل الطعام وبعده وهو المأمور به . قال فى البيان : لأن الوضوء إذا أضيف إلى الطعام اقتضى ذلك غسل اليد .

﴿ الحديث السادس عشر ﴾ : قال ﷺ : « املئوا الطست وخالفوا المجوس » . قال بعضهم : وإنما صار غسلها موجباً لنفى الفقر ، لأن غسلها قبل الطعام استعمال النعمة بالأدب ، وذلك من شكر النعمة ، والشكر يستوجب المزيد كما مر فى الباب الثالث من قسم الشكر ، فسار غسلها مستجلباً للنعمة ومذهباً للفقر . وقد روى أنه ﷺ غسل يده بعد الطعام ثم مسح ببلل كفه وجهه وذراعيه ورأسه ذكره أبو داود .

﴿ الحديث السابع عشر ﴾ : قال ﷺ : « عليكم بالسرارى فإنهن مباركات الأرحام » .

﴿ الحديث الثامن عشر ﴾ : وقال ﷺ : « أعظم النساء بركة أقلهن مهراً وأيسرهن مؤنة » ويروى : « أعظم النكاح بركة أخفهن مؤنة » .

﴿ الحديث التاسع عشر ﴾ : وقال ﷺ : « يستحب النكاح فى رمضان رجاء البركة » .

﴿ الحديث العشرون ﴾ : وقال ﷺ : « تمسحوا بالأملاك فإنه أفضل فى اليمن وأعظم فى البركة » .

﴿ الحديث الحادى والعشرون ﴾ : وقال ﷺ : « من بركة المرأة تبكيرها بالإناث » ويروى : « ما من رجل يولد له جارية ولا يسخط ، إلا نزل ملك من السماء فيضع يده على رأسها فيقول ، مباركة من مبارك ، المنفق عليها معان » .

﴿ الحديث الثانى والعشرون ﴾ : وقال ﷺ : « من أدخل بيته حبشياً أو حبشية ، أدخل الله بيته البركة » .

﴿ الحديث الثالث والعشرون ﴾ : وقال ﷺ : « إن البركة فى نواصى الخيل » .

﴿ الحديث الرابع والعشرون ﴾ : وقال ﷺ : « إذا هاجت الفتن فعليكم بأرض اليمن ، فإنها مباركة » .

﴿ الحديث الخامس والعشرون ﴾ : وقال ﷺ : « يرجع ثلثا بركة الدنيا إلى اليمن ، ومن كان هارباً من الفتن فإليه يهرب ، فإن فى العبادة فى اليمن رضاء الله الأكبر » .

﴿ الحديث السادس والعشرون ﴾ : وقال ﷺ : « اللبن بركة ، فإذا قدم إلى أحدكم فعبوه عباً ، ومصوا الماء مصاً » .

﴿ الحديث السابع والعشرون ﴾ : وقال ﷺ : « من أطعمه الله طعاماً فليقل : اللهم بارك لنا فيه ، وأطعمنا خيراً منه ، ومن سقاه الله لبناً فليقل : اللهم بارك لنا فيه وزدنا منه ، فإنه ليس شىء يجزى من الطعام والشراب غير اللبن » .

﴿ الحديث الثامن والعشرون ﴾ : ولما زوج فاطمة من على رضى الله عنها ، وزفها استدعى بماء ودعا فيه بالبركة ثم رشه عليهما .

﴿ الحديث التاسع والعشرون ﴾ : وقال ﷺ : يا على : إذا تزوجت فاغسل رجليها حين تجلس ، وصب الماء من باب دارك إلى أقصى دارك ، فإنك فعلت ذلك أخرج الله عن دارك الأذى ، ويدخل فى دارك سبعون بركة ورحمة » .

﴿ الحديث الثلاثون ﴾ : وقال ﷺ فى ماء زمزم : « إنها مباركة إنها طعام طعم ، وشفاء سقم » .

﴿ الحديث الحادى والثلاثون ﴾ : وقال ﷺ : « من ولد له مولود فسماه محمداً حباً لى وتبركاً باسمى ، كان هو ومولوده فى الجنة » .

﴿ الحديث الثانى والثلاثون ﴾ : قال النبى ﷺ : ما أكل طعام قط من حلال عليه رجل اسمه اسمى ، إلا وتضاعف لهم البركة فى طعامهم » .

﴿ الحديث الثالث والثلاثون ﴾ : وقال ﷺ : « ودعوا إخوانكم إذا أردتم سفراً ، يبارك لكم فى دعائكم » .

﴿ فصل ﴾ يستحب أن يودع الإنسان أهله ومن أحب ، ويقول : أستودعكم الله الذى لا تضيع ودائعه ، فقـــد قال ﷺ : « إن الله إذا استودع شيئاً حفظه ، قلت : ونعم الحفيظ هو ، فمن قال ذلك حفظ الله له ما استودعه ، وذلك مجرب ، وأنشد فى ذلك :

أستودع الله أولادى وأمهم والدين والمال والآباء والجسدا
والعلم والجاه والإخوان كلهم والصحب والصهر والجيران والبلدا
وكل ما أنعم البارى على به فهو الحفيظ لما استودعته أبدا

﴿ الحديث الرابع والثلاثون ﴾ : وقال ﷺ : « إذا تزوج أحدكم أو اشترى خادماً فليقل : اللهم إنى أسألك خيرها وخير مافيها وخير ماجبلتها عليه ، وأعوذ بك من شرها وشر ماجبلتها عليه ، ثم ليأخذ بناصيتها وليدع بالبركة .

﴿ الحديث الخامس والثلاثون ﴾ : وقال ﷺ : « إذا رأى أحدكم شيئاً يعجبه فى نفسه أو ماله ، فليبرك عليه ، فإن العين حق » وروى : « إذا رأى أحدكم من نفسه أو ماله وأعجبه مايعجبه ، فليدع بالبركة » .

﴿ الحديث السادس والثلاثون ﴾ : وكان ﷺ إذا خاف أن يصيب شيئاً بعينه قال : « اللهم بارك لنا فيه ولا تضره » رواه ابن السنى

﴿ فصل ﴾ فإذا رأى الإنسان من نفسه أو ولده أو ماله أو غير ذلك شيئاً فأعجبه وخاف عليه العين ، فليقل ذلك ، ويزيد ما قاله القاضي حسين في كتابه التعليق قال : نظر بعض الأنبياء إلى قومه فاستكثرهم فأعجبوه ، فات منهم في ساعة سبعون ألفاً ، فأوحى الله إليه إنك عنتهم ، ولو أنك إذ عنتهم حصنتهم لم يهلكوا ، فقال وبأي شيء أحصنهم يارب ؟ فأوحى الله إليه يقول : حصنتكم بالحي القيوم الذي لا يموت أبداً ، ودفعت عنكم السوء بلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

﴿ الحديث السابع والثلاثون ﴾ : وكان ﷺ يعوذ الحسن والحسين : « أعيذكما بكلمات الله التامة ، من كل شيطان وهامة ، ومن كل عين لامة » ويروى أنه ﷺ قال : « ما أنعم الله على عبد نعمة في أهـــل ومال وولد فقال : ما شاء الله لا قوة إلا بالله ، فيرى فيها آفة دون الموت » رواه الثعالبي وابن السني .

وشكا إليه رجل أنه تصيبه الآفات فقال ﷺ : « قل إذا أصبحت باسم الله على نفسي وأهلي ومالي ، فإنه لا يذهب لك شيء » فقالهن الرجل ، فذهبت عنه الآفات . رواه ابن السني .

فينبغي المواظبة على ذلك ليسلم من العاهات والعين ، فقد قال ﷺ : « إن أكثر من يموت من أمتي بعد كتاب الله وقدره وقضائه بالأنفس » — يعني الأعين — وقد قال ﷺ : « ان العين لتدخل الرجل القـــبر ، والجمل القدر » . وقال ﷺ : « لو كان شيء سابق القدر سبقته العين ، وإذا استغسلتم فاغسلوا » .

قال الهروي : الاغتسال أن يؤتى العائن بقدح فيدخل كفه فيه فيمضمض ثم يمجه في القدح ، ثم يغسل وجهه في القدح . ثم يدخل يده اليسرى فيصب

على كفه اليمنى ، ثم يدخل يده اليمنى ، فيصب على كفه اليسرى ، ثم يدخل يده اليسرى فيصب على مرفقه الأيمن ، ثم يدخل يده اليمنى فيصب على مرفقه الأيسر ، ثم يدخل يده اليسرى فيصب على قدمه اليمنى ثم يدخل يده اليمنى فيصب على قدمه اليسرى ، ثم يدخل يده اليسرى فيصب على ركبته اليمنى ، ثم يدخل يده اليمنى فيصب على ركبته اليسرى ، ثم يغسل داخلة إزاره ، ولا يوضع القدح على الأرض ، ثم يصب على رأس الذى أصيب بالعين من خلفه صبة واحدة .

قال أبو عبيد : وأراد بداخلة إزاره : طرف إزاره الداخل الذى على جسده ، وهو يلى الجانب الأيمن من الرجل ، لأن المؤتزر بها يبدأ بجانبه الأيمن فذلك الطرف يباشر جسده ، فهو الذى يغسل ، وقيل داخلة الإزار المذاكير ، وقيل الورك ، قلت : وهذا من أنواع النشرة والله أعـــلم .

قلت : وقد عان عامر بن ربيعة سهل بن حنيف فصرع مكانه ، فأمره النبى ﷺ أن يغسل له فراح مع الركب . وعانت امرأة سعد بن أبى وقاص فسقط ، فأرسل إليها فغسلت له ، وقال عمر وقد رأى صبياً مليحاً : دسموا نونته كيلا تصيبه العين ، والنونة الحفرة التى تكون فى ذقنه . وقال بعضهم : ويقال للدائرة تحت الأنف نونة أيضاً . ودسموا : أى سودوا . قال الهروى : والتدسيم : السواد الذى يجعل خلف أذن الصبى كيلا تصيبه العين .

﴿ الحديث الثامن والثلاثين ﴾ : وقال ﷺ : « اللهم إنك باركت لأمتى فى صحابتى فلا تسلبهم البركة ، وباركت لأصحابى فى أبى بكر فلا تسلبه البركة » .

﴿ الحديث التاسع والثلاثون ﴾ : وقال ﷺ : « إن الله تعالى أنزل أربع بركات من السماء إلى الأرض . وهى : الحديد ، والنار ، والماء ، والملح » .

﴿ الحديث الأربعون ﴾ : قال ﷺ : « ما أنزل الله من السماء من بركة ، إلا أصبح فريق من الناس بها كافرين ، ينزل الله الغيث فيقولون بكوكب كذا وكذا ، وأراد بالبركة المطر .

﴿ فصل ﴾ وقد سماه الله تعالى مباركاً فقال : (ونزلنا من السماء ماء مباركاً) وسماه طهوراً وكيف لا يكون بركة ، ومنه حياة الأجسام . قال الله تعالى : (وجعلنا من الماء كل شيء حي أفلا يؤمنون) وهو الرحمة في قوله تعالى : (فانظر إلى آثار رحمة الله كيف يحيي الأرض بعد موتها) وفي قوله تعـــالى : (وينشر رحمته) وهو الرزق قال الله تعالى : (وما أنزل الله من السماء فأحيا به الأرض بعد موتها) . وفي قوله تعالى : (وفي السماء رزقكم وما توعدون) وهو اللباس . قال الله تعالى : (قد أنزلنا عليكم لباساً) — يعني المطر — أنبتنا به النبات فاتخذ الناس منه اللباس . وهو في قوله تعالى: (وفي السماء رزقكم) أراد المطر. وقال تعالى: (أنزلنا من السماء ماء مباركاً لكم منه شراب ومنه شجر فيه تسيمون ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والأعناب ومن كل الثمرات) وهو الشيء . قال تعالى : (وإن من شيء إلا يسبح بحمده) . (وإن من شيء إلا عندنا خزائنه) - يعني المطر - .

قال الواحدي : وذلك لأنه سبب الرزق والمعاش ، فلما ذكر أنه يعطيهم المعاش بين أن خزائن المطر الذي هو سبب المعاش عند الله ، ثم قال : وما ننزله إلا بقدر معلوم - يعني أن الله تعالى ينزل المطر كل عام بقدر معلوم - ولا يزيده ليس عام بأكثر مطراً من عام ، غير أنه يصرفه إلى من يشاء حيث يشاء يمطر قوماً ويحرم آخرين ، وربما كان في البحر .

قال ابن عباس : المطر مزاجه من الجنة ، فإذا كثر المزاج عظمت البركة ، وإن قل المزاج قلت البركة ، وإن كثر المطر . وأفضل المطر ما كان بالليل ومن غير رعد ، وفى ذلك حديث ذكره فى الوسيط وأدخل ﷺ يده فى إناء فيه قليل ماء ثم قال : « حى على الطهور المبارك ، والبركة من الله تعالى » فنبع المـاء من بين أصابعه ، وكان ﷺ يؤتى بالصبيان فيحنكهم ويدعو لهم بالبركة ويمسح على رؤوسهم ، ولمـا افتتح ﷺ مكة جعل أهلها يأتونه بصبيانهم فيدعو لهم بالبركة ويمسح على رؤوسهم .

وكان ﷺ إذا أتى بأول الثمرة أخذه، وقال: «اللهم بارك لنا فى ثمرنا وبارك لنا فى مدينتنا، وبارك لنا فى صاعنا، وبارك لنا فى مدنا » ثم يدعو أصغر وليد له فيعطيه ذلك الثمرة ، وفى رواية لمسلم : « بركة مع بركة » ثم يعطيه أصغر من يحضر عنده . وكان ﷺ إذا رأى إنساناً تزوج قال : « بارك الله لك ، وبارك عليك ،وجمع بينكما فى خير » وقال: قال الله تعالى : « باركت لأهل مكة فى التمر واللحم واللبن ، فوسعت على عبادى فى ثلاث خصال . وقال الله تعالى : من أعطيته عطاء عن طيب نفس فهو مبارك له . وكان يقول فى الطعام إذا قرب إليه : اللهم بارك لنا فيما رزقتنا وقنا عذاب النار ، بسم الله .

ودعا لعبد الله بن أبى جعفر بالبركة فى صفقة يمينه فما اشترى شيئاً إلا ربح فيه ، ودعا لعروة بن أبى الجعد بالبركة : قال فلقد كنت أقوم بالكناسة فما أرجع حتى أربح أربعين ألفاً ، قال البخارى: فكان لو اشترى التراب ربح فيه . والكناسة سوق معروف . ودعا لعبد الرحمن بن عوف بالبركة ، فلك من المال ما لا يحصره عد .

﴿ فصل ﴾ وهذه صفة المصطفى ﷺ بأسرها أتيت بها تبريكا للكتاب بذكرها ، لأنه روى أنه من كان عنده صفة المصطفى فى منزله أو فى رحله

أو بين أمتعته أو على عضده وكان ظاعناً أو قاطعاً ، إلا أمن من الشرق والغرق والحرق وجور السلطان ، ولم يفارق منزله السرور أبداً . وجد ذلك فى كتاب اللباب فى فضائل المصطفى والأصحاب وفى غيره .

وهو أنه ﷺ كان أزهر اللون ، أدعج ، أنجل ، أشكل ، أهدب الأشفار أبلج ، أزج ، أقنى ، أفلج ، أشنب ، عظيم الهامة ، معتدل القامة ، مدور الوجه ، يتلألأ وجهه تلألأ القمر ليله البدر . كأن ماء الذهب يجرى فى صفحة خده ورونق الجلال يطرد فى أسرة جبينه ، كأن الجدر تلا حك وجهه (ويهب نوره عليها إذا مشى بجانبها)(١) ، واسع الجبين ، كث اللحية تملأ صدره ، صهل الخدين ، ضليع الفم ، أحسن الناس عنقاً ، كأن عنقه جيد دمية فى صفاء الفضة ، سواء البطن والصدر ، واسع الصدر ، عظيم المنكبين ، ضخم العظام ، عبل العضدين والذراعين والأسافل ، رحب الراحة ، شثن الكفين والقدمين ، طويل الزندين ، سائل الأطراف سبط العصب ، أنور المنجرد ، فى ساقيه حموشة ، لو رأيته رأيت الشمس طالعة موصول ما بين اللبة والسرة بشعر يجرى كالخط ، عارى الثديين ما سوى أشعر الذراعين والمنكبين وأعالى الصـــدر ، ربع القامة ليس بالطويل البائن ولا بالقصير المتردد ، ومع ذلك لم يكن يماشيه أحد ينسب إلى الطول إلا طاله ﷺ ، إذا افتر ضاحكا افتر مثل سنا البرق ، وعن مثل حب الغمام ، جل ضحكه التبسم ، وربما ضحك حتى تبدو نواجذه . إذا تكلم رأيت كالنور يخرج من بين ثناياه ، جهير الصوت ، حسن النغمة فى صوته صحل . كانت قراءته مفسرة حرفاً حرفاً ، وربما رجع فيها ، وفى كلامه ترتيل لا فضول فيه ولا تقصير ، كان متماسكا ، ضرب اللحم ، ليس بمطهم ولا مكاثم ، منهوس العقب أخمص الأخمصين . مسيح القدمين ، ينبو عنهما الماء ، رجل الشعر ، إن انفرجت عقيقته فرقها ، وإلافلا يجاوز

---

(١) زيادة من نسخة ثالثة .

شعره شحمه أذنه إذا هو وفره وربما ضفره ، إذا زال زال تقلعاً ويخطو تكفؤاً ، ويمشى هوناً ذريع المشية إذا مشى كأنما ينحط من صبب ، وإذا التفت التفت جميعاً ، خافض الطرف نظره إلى الأرض أطول من نظره إلى السماء ، جل نظره الملاحظة ، يسوق أصحابه ، ويبدأ من لقيه بالسلام ، خاتم النبوة عند مرجع كتفه اليسرى مثل الجمع حولها خيلان ، متواصل الأحزان دائم الفكرة ليست له راحة ، طويل السكوت إذا أشار أشار بكفه كلها ، وإذا تحدث اتصل بها فضرب بإبهامه اليمنى راحته اليسرى ، إذا فرح غض طرفه ، وإذا غضب أعرض وأشاح ، وإذا سر استنار وجهه كأنه قطعة قمر ، وإذا اهتم أكثر مس لحيته ، وربما نكت الأرض بعود أو مخصرة فى يده ، بين حاجبيه عرق يدره الغضب ، كان يتختم تارة باليمين وتارة باليسار ، وكان خاتمه فضة وفصة منه ومرة فصه حبشياً كان يجعل فصه مما يلى كفه . وكان نقش خاتمه محمد سطر ، ورسول سطر ، والله سطر . وهكذا :

محمد
رسول
الله

فى الأصح . وقبيعة سيفه من فضة ، كان يلبس ما وجده ، مرة شملة ، ومرة جبة من صوف ، ومرة حبرة يمانية ، ومرة قباء ، ومرة برداً أحمر ، ومرة بردين أخضرين ، ومرة جبة طيالسية مكفوفة الجيب والكمين والفرجين بالديباج ، ومرة نرداً نجرانياً غليظ الحاشية ، ومرة جبة رومية ضيقة الكمين ، وتوشح مرة بثوب قطرى وصلى ، وربما لبس فى بيته مجولا .

وكان ﷺ يصلى فى مرط نسائه ، وكان يأتزر إلى أنصاف ساقيه ، وكان أحب الثياب إليه القميص والحبرة ، وكان كمه إلى الرسغ . وكان له ثوب لجمعته خاصة ، وإذا اعتم سدلها بين كتفيه ، وخطب يوماً وعليه عمامة سوداء ، وعصب رأسه مرة بخرقة حمراء ، ومرة بحشيه برد ، وكان على رأسه فى مرضه الذى مات فيه عصابة صفراء ، وكان لنعله قبالان ، وصلى يوماً فى نعلين مخصوفتين ، وكان يحب التيمن ما استطاع فى كل شىء من شأنه ، وفى ترجله ، وتنعله وطهوره ، كان يجعل يمينه لطعامه وشرابه وأخذه وإعطائه ، وكانت يده اليسرى للاستنجاء ، ولما كان من أذى ، وكان إذا جلس احتبى بيديه ، واحتبى مرة بشملة ، واستلق مرة فى المسجد واضعاً إحدى رجليه على الأخرى ، وخرج يوماً يتوكأ على أسامة ، ومرة على الفضل ، واضعاً كفه على منكبه وربما اتكأ على وسادة على يساره .

وكان ﷺ إذا نزل عليه الوحى صدع فيغلف رأسه بالحناء ، وكان يكثر دهن رأسه وتسريح لحيته كل يوم مرة أو مرتين ، ولا يفارقه المشط والمرود فى حضر ولا سفر ، وكان يترجل غباً ، ويكثر القناع ، ولم يكن فى رأسه شيب إلا شعرات فى مفرق رأسه ، إذا دهن وأراهن الدهن ، وكان شيبه أحمر ، وربما أخــــذ من طول لحيته وعرضها ، وكان يصبغ ثيابه بالصفرة ، ويكره الخلوق للرجال ، ويكره الحمرة من الألوان ، وكانت له مكحلة يكتحل منها عند النوم ثلاثاً فى كل عين ، وكان يحب من الشاة الذراع والكتف ، ومن القدر الدباء ، ومن الشراب الحـــلو البارد ، ومن الأزهار الفاغية ، ومن الألوان الخضرة ، ومن الصباغ الخل ، ومن التمر العجوة ، ومن الفواكه الرطبة البطيخ والقثاء والعنب ، وربما أكل العنب حتى يسيل رؤاله على لحيته كاللؤلؤة .

وكان يأخـــذ عنقود العنب بيده اليسرى ويتناول منه حبة حبة بيده اليمنى فيأكل ، وربمـــا أكله خرطاً ، وكان يأكل القثاء بالرطب والملح ، وأكثر طعامه التمر والماء ، وكان يأكل البطيخ بالرطب ، ويجمع بين الخربز والرطب ، وأتى بجمار نخلة فأكل منها ، وكان ينقع له الزبيب أول الليل فيشربه من الغد وبعد الغد إلى مساء الثالثة ، ثم يأمر به فيهراق ، وكان يتجمع اللبن بالتمر ويسميها الأطيبين ، وأطيب الطعام لديه اللحم ، وكان يأكل الثريد باللحم والقرع ، ويعجبه الفأل الصالح ، والكلمة الحسنة ، ويعجبه إذا خرج لحاجة أن يسمع : يا راشد يا نجيح يا تمام ونحوه ، وكان لا يتطير من شيء فإن كره شيئاً رؤى كراهته فى وجهه ، وكان يعجبه الزبد والتمر والتفل(١) وهو ما بقى من الطعام ، ويعجبه الثريد من الخبز ، والثريد من الحيس ، ويأكل الخبز بالسمن والفالوذج .

وكان أكثر لباسه البياض وكان يلبس القلانس تحت العمائم ، وبغير عمامة ، وربما نزع قلنسوته فجعلها سترة يصلى إليها ، وكانت له عباءة تفرش له حيثما انتهى ، وحيثما انتقل ، تثنى تحته طاقين ، وكانت له عنزة يخرج بها يوم العيد ، وكان يحب العراجين ، ودخل يوماً المسجد وبيده عوجون لحك به النخامة ، وكان يلبس المنطقة من الأدم فيها ثلاث حلق من فضة ، وكان فراشه الذى ينام عليه أدماً حشوه ليف ، وكان ينام أحياناً على سرير مرمول بشريط حتى يؤثر فى جنبه ، وكان إذا عرس قبيل الصبح ينصب ذراعه ويضع رأسه على كفه .

وروى أن سلمى طحنت شعيراً ثم جعلته فى قدر وصبت عليه زيتاً ودقت الفلفل والتوابل وقالت : هذا مما كان يعجب النبى ﷺ ويحسن أكله .

---

(١) وفى الثانية : النقل .

وكان ﷺ يأكل لحم الدجاج والحبارى، وقال عتبة رأيتنى وأنا سابع سبعة مع النبى ﷺ ما لنا طعام ولا شراب إلا ورق الشجر، وقال ابن أبى أوفى : غزونا مع النبى ﷺ : ست غزوات نأكل الجراد ويأكله معنا، وكان ﷺ يعقد التسبيح بيمينه، وربما خرج وفى يده الخيط المربوط ليتذكر به الشىء، وكان يشرب الحليب ممزوجاً بالماء على الريق، ويتغذى بعد ذلك بخبز الشعير مع الملح ونحوه(١)، وكان يحب الطيب ويكره العرف الردىء، وكان يتتبع الطيب فى رباع النساء، وكان كثير العرق وعرقه أطيب الطيب ﷺ، ورائحته أطيب من العنبر والمسك الأزفر، جبلة وإن لم يمس طيباً، وكانت له سكة يتطيب منها، وكان لا يرد الطيب، ويستجمر ثلاثاً بالعود وبكافور يطرحه معه. وكان يتطيب بالمسك حتى يوجد بريقه فى رأسه ولحيته وكان يغسل رأسه بالخطمى وربما لبده، وكان يقبل عائشة ويمص لسانها وهو صائم، ومضغ وتراً فى رمضان. ورصف به وتر قوسه، وخرج يوماً وعليه مرط مرجل من شعر، واغتسل يوماً من حمام بالجحفة وكان أحب الأشياء إليه بعد النساء الخيل، وكان يحتجم على هامته وبين كتفيه، واحتجم على وركه وعلى ظهر قدميه، وفى الكاهل والأخدعين. وهو سيد المرسلين، وخاتم النبيين ﷺ.

ومات ﷺ يوم الاثنين ضحى، وكفن فى ثلاثة أثواب بيض سحولية من كرسف لا قميص فيها ولا عمامة، وقبر ليلة الأربعاء وهو ابن ثلاث وستين سنة، ولم يخلف ديناراً ولا درهماً، ولا شاة ولا بعيراً، إلا سلاحه وبغلته، وأرضاً جعلها صدقة، وهى مما أفاء الله عليه بالمدينة وفدك، وما بقى من خمس خيبر.

---

(١) فى الثانية : قدح عسل ممزوجاً بالماء

وقال ﷺ : «من أصيب بمصيبة فليذكر مصيبته بى ، فإنها من أعظم المصائب» . ولما قالت عائشة رضى الله عنها : فمن لم يكن له فرط يارسول الله — تعنى ولداً مات قبله — قال : «أنا فرط أمتى بمن يصابوا بمثلى» صدق ﷺ وشرف وكرم ، ورزقنا شفاعته ، وختم لنا بخير بمنه وكرمه.

وهذه أبيات نظمناها فى مدحه ﷺ ، تشتمل على كثير من صفاته ، وإشارة إلى بعض معجزاته وهى :

ببسم الله أبدأ فى كلامى	وأحمده على النعم الجسام
وأثنى بالصلاة وبالسلام	على خير البرية والأنام
نبى الله خير الخلق طراً	وأفضل نسل حواء وسام
جلا الرحمن فيه السوء عنا	وأخرجنا من الكرب العظام
نبى هاشمى يثربى	إليه العيس تحدى كل عام
به الرحمن يسقينا ويشفى	به الأدوا ويغفر للأثام
نبى جاء من عليا قريش	ختام الرسل ظلل بالغمام
نبى إن دعا فى عام محل	أثار الخير فى يمن وشام
نبى إن أتاه ذو بلاء	ليمسحه شفاه من السقام
نبى إن دعا بحياة ميت	يعد حياً يجيب من الرجام
نبى إن خلا فى تحت غصن	حطيم عاد مخضر الحطام
نبى إن تراه رأيت نوراً	وقلت الشمس بل بدر التمام
نبى ريحه مسك وورد	نبى لفظه در النظام
نبى خلقه حلم وعلم	نبى خلقه ضخم العظام
نبى أنجل ربع ورحب	نبى مصطفى للدين حام
نبى قد يرى من خلف ظهر	يصد الخلق عن طلب الحرام
نبى أدعج العينين حقاً	نبى مجتبى وافى الذمام
نبى أفلج الأسنان دراً	يضىء بنوره غسق الظلام

نبي إن دنا من صم صخر ... لقاه الصخر يدعو بالسلام
وكلمه الذراع وقال دعنى ... فقد سمتك زينت فى عظام
وكلمه الصبي بوسط مهد ... وكلمه مبارك اليمام
وكان كلام هذا الطفل حقاً ... على شهرين من وضع الغلام
وكم أشفى مريضاً من ضناه ... وأبرأ ذا التعلل من سقام
وظلله الحمام بيوم فتح ... فنادى الله بارك فى الحمام
وكلمه الحمار وصاح ضب ... بأن المصطفى هاد تهام
وكم ذئب بنصح الحق نادى ... ونزه أحمداً من كل ذام
وخر له البعير وكلمته ... ظباء الوحش فى حسن الكلام
وحن الجذع من شوق إليه ... حنين النوق من وجد الغرام
وحدث جابر أن قد رآه ... دعا الأغصان من بعد السلام
فجاءته تخد الأرض حداً ... إلى أن قال عودى بالتئام
فعادت مثل ما كانت قديماً ... وجاءته لقصد الاستلام
وأشبع من قليل الخبز ألفاً ... فما نقص الأكول من الطعام
وأشبع من جدا المعز ألفاً ... وما نقص الإدام عن البرام
وعكة أم مالك إذ أتاها ... فلم تنقص بذاك عن الإدام
وأشبع من سواد الشاة خلقاً ... وكم قد عم من منن جسام
وأروى جيشه بالكف منه ... فصار الماء من كفيه هام
وهم ألف ونصف الألف حقاً ... وكل منهم صاد وظام
ونادى الله بالسقيا جهاراً ... فصب المزن سبعاً فى دوام
فأحيا الناس بعد اليأس طراً ... ولم تنفك تهمى بانسجام
إلى أن جاءه الأعراب يشكو ... ضراء الغيث من هدم الخيام
فنادى ربه يا رب خفف ... فلاح الجو مرتفع الجهام
ورد الشمس بعد العصر حتى ... تعلت فى السما فوق الأكام

وشق البدر للاعجاز ليلا   فلاح الحق فى طرق الشآم
وألق ريقه فى قعر بـــئر   ففار الماء عذباً فى النظام
وفاحت ريحـــه منه زماناً   كريح المسك فقص عن الختام
وأعنز أم معبد إذ أتاها   وبرك فى ذرى تلك التهام
أثار الدر منها بعد يأس   فأروى الركب مع حر الأوام
أباد المشركين بيوم بدر   بكف من حصى والله رام
وهم ألف فأعماهم جميعاً   على بعـــد فولوا بانهزام
وفرق شملهم وأدام فيهم   سهام الرجس مع حد السهام
وألق فى القليب قليب بدر   رؤس القوم والنفر الطغام
وضعضع رجس أهل السفر حقاً   وفاق هامهم بالاصطلام
وبشر أهل دين الله حقاً   بأن نصيبهم عال وسام
وأسراه الإله إلى عـــلاء   وصلى بالملائكة الكرام
ولاقى الأنبياء وأم فيهم   وناجى الله فى أعلا مقام
فعاد وقد دنا من قاب قوس   وهذا الأمر فى وقت المنام
وعاد من السماء قرير عين   بتخفيف الصلاة وبالصيام
عليه صلاة ربى كل حين   فيارحمن بلغه سلامى
ولا تحرق بيوم الحشر عظمى   بنارك إنها شر اللزام
بحق محمد يارب وارحم   جميـع المؤمنين من القيام
وناظم مدحه عبد ضعيف   حسينى وصابى المقام
محمد المسىء بكل حين   فيارحمن سهل لى مرامى
أقمت على المعاصى مستمراً   ورجواى الشفاعة فى القيام
فجد لى يا محمد منك واشفع   ولا أبقى من الحزب اللئام
فقد سميت باسمك لا تدعنى   بيوم الحشر أبقى فى الظلام
فذنبى مثقل للظهر منى   يلازم فى النهار وفى المنام

إلى الرحمن فاشفع لى وأهلى ... والأب والدى شيخى إمامى
وللإخوان أصحــابى جميعاً ... وللراجين أهــل الاهتمام
عليك صلاة ربى كل حين ... تدوم مدى الزمان بلا انصرام

وهذا تنبيه على غريب هذا الفصل ، جمعته من كلام الأئمة الماضين ، رحمه الله عليهم أجمعين . الأزهر : مشرق اللون ، والأدعج : شديد سواد الحدقة ، والأنجل : واسع شق العين ، والأشكل : الذى فى بياض عينيه حمرة ، وهو محمود ، والأشفار : شعر الأجفان ، والأهدب : طويلها .

وفى حديث أم معبد : فى أشفــاره عطف : أى طول والعطاف . والأبلج : أن يكون ما بين الحاجبين نقياً من الشعر وهو محمود ، والقرن اتصالهما . والحاجب الأزج : المقوس الطويل الوافر الشعر ، والأقنى : سائل الأنف المرتفع وسطــه . والفلج : فوق بين الثنايا : والشنب : رونق الأسنان وماؤها ، وعظيم الهامة : ضخمها ، ومعتدل القامة : كقوله بعد ربع القد : أى لا طويل ولا قصير ، والقد : التقطيع ، وقوله مدور الوجه .

وقد روى أنه كان أسيلا ولم يكن مستديراً ، وهو ﷺ قد جمع نهاية الحسن فهو مستدير على طوله ، وخده أسيل : أى لين طويل ، فمن وصفه بالاستدارة : راعى رفعة الوجه وحسن تناسبها واستوائها ، ومن وصفه بالطول : راعى الخدين وحسن طولهما ، فهو ﷺ فى نهاية حسن الطول ، وحسن الاستدارة ، فإن المستدير الذى ليس بطويل مذموم ، والطويل الذى ليس بمستدير مذموم ، فهو فى نهاية الجهتين ﷺ يتلألأ : أى يلمع ويضىء .

والأسرة : الخطوط التى فى جبهته مثل التكسر فيها ، والملاحكة : شدة

الملاءمة ، أى يرى شخص الجدر فى وجهه كأنه مرآة ، والجبينان : ما عن يمين الجبهة وشمالها . وكثوفة اللحية : أن تكون غير دقيقة ولا طويلة ، لكن فيها كثافة أى كثرة ، وضليع الفم : أى عظيمه والعرب تحمد ذلك وتذم صغره ، وقيل أراد عظم الأسنان وتراصها ، والدمية : الصورة ، وسواء البطن والصدر : أى مستويهما ، والضخم والعبـــل : الغليظ ، والرحب : الواسع ، والشثن : اللحيم ، والزندان : عظم الذراعين ، وسائل الأطراف : طويل الأصابع ، وسبط العصب ، ويرون القصب : أى ممتد ليس فيه تعد ونتوء ، والأنور : النير ، والمتجرد : الذى تجرد عنه الثياب من جسده ، فإذا تجرد فهو ملء العين ، والحوشة : الدقة ، واللبة موضع النحر ، وحب الغمام : البرد ، والنواجـــذ بالجيم والذال المعجمة : الأضراس ، والجهير : العالى . ويقال هو حسن النغمة إذا كان حسن الصوت بالقراءة .

والمتماسك : معتدل الخلق يمسك بعضه بعضاً ، والمطهم : مسترخى اللحم ، والمكلثم قصير الذقن ، وضرب اللحم : خفيفة . ومنهوس العقب : أى قليل لحمها ، والأخمص : الذى لا تناله الأرض من وسط القـــدم ، وخمصان متجافى : أخمس القدم ، ومسيح القدمين : أملسهما ، لا وسخ فيهما ولا شقوق ولا تكسر .

وقال أبو هريرة : لا أخمص له ، والشعر الرجل : الذى كأنه مشط ؛ فتكسر قليلا لا بسط فيه ولا جعد ، والعقيقة شعر الرأس . المعنى : إذا انفرقت من ذات نفسها فرقها ، وإلا تركها معقوصة ، وشحمة الأذن : مالان من أسفلها ، والضفر : نسج قوى الشعر وإدخال بعضه ببعض ، فإذا لويت فهى عقيصة ، والتقلع : رفع الرجل بقوة ، والتكفؤ : الميل إلى سنن المشى وقصده ، والذريع : واسع الخطو ، كان يرفع رجليه بسرعة ويمد خطوه خلاف مشية المختال ، وكل ذلك برفق وتثبت بلا عجلة ، وربما أسرع فى مشيه لحاجة ذكرها .

والصبب : ما انحدر من الأرض ، وقوله التفت جميعاً يقول :

كان لا يلوى عنقه يمنة ولا يسرة ناظراً إلى الشىء كفعل الطائش . ولكن كان يقبل جميعاً ويدبر جميعاً ، والملاحظة : النظر بلحاظ عينه إلى الشىء شزراً ، وهو شق العين الذى يلى الصدغ ، والذى يلى الأنف الماق والموق ، ويسوقهم : أى لا يأذن لهم أو لأحـــد أن يمشى خلفه لكن يقدمهم ويمشى خلفهم تواضعاً ، والجمع : المجتمع كالبيضة ، وقوله أشار بكفه كلها : أن إشارته كانت مختلفة ، فما كان منها فى ذكر كالتوحيد والتشهد ، فهو بالمسبحة ، وإذا أشار فى غير هذا المعنى أشار بكفه ليكون بين الإشارتين فرق ، وقوله اتصل بها : أى اتصل حديثه بإشارة تؤكده . وأشاح : مال وانقبض ، وأراد بالحبشى : الجزع والعقيق ، لأن معدنهما اليمن والحبشة وقيـــل أراد نوعا آخر . والقبيعة : التى تكون على رأس القائم ، وربما اتخذ من فضة على رأس السكين ، والحبرة المخطط والجبة : ثوبان يخاطان ويحشى بينهما قطن ، والجيب الفتح الذى يدخل فيه الرأس، والفرجان : الموضعان المشقوقان قدام القميص وخلفه ، يجعل لأجـــل الركوب والقطرى : ضرب من البرود حمر ، لها أعلام فيها بعض خشونة ويقال توشح بثوبه : إذا جعله مكان الوشاح ، وهو ما يتوشح به ينسج من أديم عريض ويرصع بالجواهر وتشده المرأة على عاتقها وكشحيها .

وقد يقال : التوشح والتأبط والاضطباع بمعنى ، فالاضطباع مسنون فى الطواف ، والسعى مكروه فى جميع الصلوات ، وهو أن يدخل وسط ثوب تحت إبطه الأيمن فيجمع طرفيه على منكبه الأيسر ، ويبدى ضبعيه وهما عضداه ، كذا ذكره أهل اللغة والفقه .

زاد الغزالى فى الإحياء : ويرخى طرفاً وراء ظهره وطرفاً بصدره قال فى فقه اللغة : التأبط أن يدخل الثوب تحت يده اليمنى فيلقيه على منكبه الأيسر .

قال وكانت ردية النبي ﷺ التأبط . وقدمضى فى القسم السابع والثلاث من الباب الرابع تفسير اللبسة الصماء وكراهتها . والمجول : الصدرة، وهو قميص قصير ، والرسغ : موصل الكف فى الذراع ، والقبال : سير بين الأصبعين الوسطى والتى تليها ، والترجل : الادهان ، وامتشاط الشعر ، ولا بأس بالاستلقاء كما وصف إذا كان الإزار سابغاً ولا بسه عن التكشف متوقياً . فإن لم يكن كذلك كره ، وعليه يحمل حديث النهى . والقناع : التقنع بثوب ، والروال : اللعاب ، ويقال خرط العنقود إذا وضعه فى فيه وأخرج عشوقه عارياً ، والخربز : نوع من البطيخ ، والجمار : قلب النخلة وهو شحمها أبيض مستطيل كهيئة الفؤاد ، ويجمع الطعام : إذا هيأ أكله ، والحيس : تمر يخلط بسمن وأقط ، القلنسوة : لباس الرأس ، فما كان مدوراً فهو كمة ، فما كان طويلا فبرنس ، وكانت كمته بطحاء : أى لاطئة بالرأس، والعنزة : العكاز ، وهى عصاً أسفلها زج من حديد .

وقد كان للزبير رضى الله عنه عنزة ، فسألها إياها النبى ﷺ فأعطاه إياها ، فلما قبض أخذها ثم أعطاها عثمان رضى الله عنه ، فلما قتل عثمان رضى الله عنه وقعت عند آل على ، فطلبها عبد الله بن الزبير وكانت عنده حتى قتل ، فانظر كيف تداولوها للتبرك فى أثره ﷺ .

والمنطقة : هى التى يشد بها المرء وسطه ، ويقال الحصير : إذا شقه ، وأراد على أنه نسيج على وجه السرير من السعف ، والسعف : أغصان النخل ، والشريط : الحبل من الخوص ، والخوص ورق النخل والمقل ، وعرس : أى نام آخر الليل ، والرباع جمع ربعة : وهى جونة العطار ، والخطمى : يغسل به الرأس ، ولبده : جعل فيه شيئاً من الصمغ ليتلبد فلا يقمل ولا يتشعث . والسحولية منسوبة إلى سحول : قرية فى اليمن ، ورصفه : أى لواه على مدخل النصل فى السهم ، والمرجل . الذى عليه صور الرجال .

وقولنا فى الأبيات : الجسمان : أى العظام . والعيس : أى الإبل البيض والأدواء جمع داء ليمسحه : أى ليمسح البلاء ، والرجام : القبر . وقد أوحى الله له يوسف بن كعب وقصته طويلة ، والحطيم : اليابس ، وقولنا لقاه : هى لغة لطىء ، والأفصح لقيه بكسر القاف ، والذراع : ذراع الشاة ، وسمتك : أى جعلت لك السم فى ؟ وهى زينب بنت الحارث اليهودية . والتهامى : منسوب إلى تهامة : وهى بلد منخفض . قال البطليوسى : هو اسم واقع على جزيرة العرب وهى ما بين عدن إلى أطراف الشام طولا ومن جدة وما والاها من شاطىء البحر إلى أقصى العراق عرضاً .

والذام : العيب ، والسلام بفتح السين : شجر ، وتجذ : أى تقطع ، وسواد بطنها ، أطعم منه مائة وثلاثين . والهامى : المنصب ، وكان مقتضاه هامياً ، لأنه فى موضع نصب لحـــذف ضرورة . والصادى : العطشان ، والجو مابين السماء والأرض ، والجهام : السحاب. والبهام جمع بهم : وهى الأنثى من أولاد المعز والضأن ، والأوام : العطش ، والحسام السيف ، والقليب : البئر ، والطغام : الأوغاد، والاصطلام : الاستئصال ، واللزام: الملازم ، والمرام المطالب ، وقوله طراً : أى جميعاً ، وقطع ألف الاستلام ونحوه ضرورة . والقيام : الجماعات ، والحمام بكسر الحـــاء : الموت ، والانصرام : الانقطاع ، والله أعلم .

الباب السادس

﴿ فى الأذكار والدعوات ﴾

الأذكار والدعوات المباركات النافعات التى وردت فيها الفضيلات ، جمعتها فى هذا الباب تقريباً للأصحاب ، راجياً من الله تعالى الثواب . وقد أضفتها إلى من سهل على من ناقليها لتطمئن نفس العامل فيها . وقد أضيف إلى كتب غريبة وهى فى أشهر منها قريبة طلباً للتعريف والاستعجال ، قبل حدوث الموت والاشتغال .

قال الله تعالى : ﴿ فاذكرونى أذكركم ﴾ وقال تعالى : ﴿ فلولا أنه كان من المسبحين للبث فى بطنه إلى يوم يبعثون ﴾ وقال تعالى : ﴿ ولذكر الله أكبر ﴾ . أى أكبر من كل عبادة سواه . وقال تعالى : ﴿ ادعونى أستجيب لكم ﴾ . وروى الترمذى وابن ماجه أن النبى ﷺ قال : « ألا أنبئكم بخير أعمالكم ، وأذكاها عند مليككم . وأرفعها فى درجاتكم ، وخير لكم من إنفاق الذهب والورق ، وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم ؟ » قالوا : بلى يا رسول الله ، قال : « ذكر الله تعالى » .

وقال عطاء رضى الله عنه : إن الصاعقة لا تصيب ذاكر الله قال أبو جعفر الباقر : الصواعق تصيب المسلم وغير المسلم ، ولا تصيب ذاكراً .

قلت : وذكر الله غير منحصر فى التسبيح والتهليل والتكبير ونحوها ، بل كل عامل لله تعالى فهو ذاكر لله ، كذا حكاه النووى عن ابن جبير وغيره .

وقال عطاء : مجالس الذكر ، هى مجالس الحلال والحرام ، وكيف تشترى وتبيع ، وتصلى وتصوم ، وتزكى وتحج ، وتنكح وتطلق . وأشباه هذا . وقال الحسن الذكر ذكران : ذكر الله بينك وبين نفسك ما أحسنه وأعظم أجره ، وذكر الله عند ما حرم الله أفضل . وقال غيره : الذكر هو طاعة الله ، فمن لم يطعه لم يذكره وإن أكثر التسبيح والتهليل وقراءة القرآن ، فمتى كان الرجل مطيعاً كان فى ذكره كثيراً لقوله ﷺ : «من أطاع الله فقد ذكر الله ، وإن قلت صلاته وتلاوته القرآن ، ومن عصى الله فقد نسى الله وإن كثرت صلاته وصيامه وتلاوته القرآن » رواه الثعالبي والواحدى وكل من ترك حراماً خوفاً من الله تعـــالى أو فعل ما يرجو به ثواباً من الله تعالى فهو ذاكر لله وإن لم يتلفظ بتسبيح ونحوه وهذا أفضل الذكر ، ولهذا قال يوسف ابن أسباط رضى الله عنه : ليس الذاكر من قال سبحان الله والحمد لله ، لكنه الذى إذا رفع ذؤابة الميزان علم أن الله يراه ، فأخذ الحق وأعطاه .

وأفضل الذكر ذكر القلب واللسان معاً ، ثم الذكر فى القلب وحده، ثم ذكر اللسان بلا قلب . قال النووى رحمه الله : والمراد من الذكر حضور القلب فليحرص الذاكر على تدبر ما يذكر ويفهم معناه ، ولهذا يستحب مد الذاكر قول : لا إله إلا الله ، لما فيه من التـــدبر قال : وأفضل الأذكار قراءة القرآن .

قال الغزالى رحمه الله : ومن أفضل الأذكار الله لا إله إلا هو الحى القيوم . فإن فيه اسم الله الأعظم . قال ويقرب منه قولك : سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر .

واعلم أن جميع الأذكار المشروعة واجبة كانت أو مستحبة ، لا يعتد بشىء منها حتى يتلفظ به ، بحيث يسمع نفسه إذا كان صحيح السمع .

هذا حين أثر الفوائد بالدلائل . وأبرز مكنون الوسائل والفضائل .
روى فى الصحيحين أن فقراء المهاجرين أتوا رسول الله ﷺ فقالوا ذهب أهل الدثور بالأجور والدرجات العلا والنعيم ، يصلون كما تصلى ويصومون كما نصوم ولهم فضل من الأموال يحجون بها ويعتمرون ويجاهدون ويتصدقون بفضول أموالهم . فقال لهم النبى ﷺ : « ألا أعلمكم شيئاً تدركون به من سبقكم ، وتسبقون به من بعدكم ، ولا يكون أحد أفضل منكم ، إلا من صنع مثل ماصنعتم ؟ » قالوا بلى يا رسول الله ، قال « تسبحون وتكبرون خلف كل صلاة ثلاثاً وثلاثين مرة » .

قلت فيقول : سبحان الله والحمد لله ، ولا إله إلا الله والله أكبر حتى تكون منهن ثلاثاً وثلاثين ، ويزيد تمام المائة لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير ، فمن قال ذلك غفرت خطاياه وإن كانت مثل زبد البحر وعدد الرمل . رواه مسلم فى صحيحه . والدثور : هى الأموال الكثيرة . وقال ﷺ : « معقبات لا يخيب قائلهن أو فاعلهن دبر كل صلاة مكتوبة ثلاثاً وثلاثين تسبيحة : وثلاثاً وثلاثين تحميدة ، وأربعاً وثلاثين تكبيرة » رواه مسلم أيضاً .

﴿ تنبيه ﴾ واعلم أن صحيحى البخارى ومسلم أصح الكتب المصنفة ، وقد أجمع الناس على تسميتها صحيحين ، وذلك لأنهما لم يدخلا فى كتابيهما إلا ما صح عندهما ، وذلك ما رواه عن النبى ﷺ اثنان من الصحابة فصاعداً مشهوران ، ومانقله عن كل واحد من الصحابة أربعة من عدول التابعين فأكثر وأن يكون عن كل واحد من التابعين أكثر من أربعة . وروى عن مسلم أنه قال : لم أدخل فى كتابى هذا إلا ما أجمعوا على صحته — يعنى أئمة الحديث — كمالك ، والثورى ، وشعبة ، وأحمد ،

وابن مهدى وغيرهم . فلتطمئن نفسك أيها الصاحب بما خرجاه رضى الله عنهما .

وقال ﷺ : « خلتان لا يحافظ عليهما عبد مسلم إلا دخل الجنة ، هما يسير ومن يعمل بهما قليل ، يسبح الله دبر كل صلاة عشراً ، ويحمده عشراً ويكبر عشراً ، فذلك خمسون ومائة باللسان ، وألف وخمسمائة فى الميزان . ويكبر أربعاً وثلاثين إذا أخذ مضجعه . ويحمده ثلاثين ، ويسبح ثلاثاً وثلاثين ، فذلك مائة باللسان وألف فى الميزان » . رواه الترمذى وأبو داود فى دبر والنسائى ، وقال ﷺ : « من قال الصبح وهو ثان رجليه قبل أن يتكلم لا إله إلا الله وحده لاشريك له ، له الملك وله الحمد يحيى ويميت وهو على كل شىء قدير عشر مرات ، كتب الله له عشر حسنات ، ورفع له عشر درجات ، ومحى عنه عشر سيئات . وكان يومه فى حرز الله تعالى من كل مكروه ، وحرس من الشيطان ، ولم يتبع بذنب أن يدركه ذلك اليوم إلا الشرك بالله تعالى » رواه الترمذى وغيره . وقال حديث حسن صحيح .

وفى كل هذه الأحاديث دليل على عقد التسبيح ونحوه ، باليد ونحوها ، فعله النبى ﷺ وأمر به بقوله للنساء : « اعقدن بالأنامل ، فإنهن مسئولات مستنطقات » . وكان أبو هريرة يسبح بالنوى الذى قد حك بعضه حتى ابيض منه شىء ، ودخل ﷺ على امرأة وبين يديها حصى تسبح به فلم ينكر عليها .

وقال ﷺ : « ما من عبد يقول فى صباح كل يوم ومساء كل ليلة : بسم الله الذى لا يضر مع اسمه شىء فى الأرض ولا فى السماء وهو السميع العليم ثلاث مرات لم يضره شىء» . ورواه أبو داود والنسائى والترمذى . وقال حديث صحيح . وفى سنن أبى داود ، لم تصبه فجأة بلاء » .

وقال ﷺ لعبد الله بن حبيب ! قل : قال ما أقول يا رسول الله ! قال : « قل هو الله أحد والمعوذتين حين تصبح وحين تمسى ثلاث مرات تكفيك من كل شيء » رواه أبو داود والنسائى والترمذى ، وقال حديث حسن صحيح .

وقال ﷺ : « من قال فى كل يوم حين يصبح وحين يمسى : حسبى الله لا إله إلا هو عليك توكلت وهو رب العرش العظيم سبع مرات ، كفاه الله ما أهمه من أمر الدنيا والآخرة » رواه ابن السنى وغيره .

فينبغى المواظبة على هـــذا ، فقد قال ابن أبى الصيف اليمنى : ينبغى الاعتماد من ربع العبادات على تلاوة القرآن. وقول حسبى الله إلى آخره ، قال : لأن العبادات سوى هذين يشترط فيها حضور القلب والصدق ، وتلاوة القرآن قد جاء أنها أعظم القربات بفهم وغير فهم ، وقائل حسبى الله قد جاء أن الله يكفيه ما أهمه صادقاً كان به أو كاذباً . وقال ﷺ : « من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمـــد يحيى ويميت وهو على كل شيء قدير عشر مرات عقب صلاة المغرب ، بعث الله له مسلحة يتكفأ به من الشيطان حتى يصبح، وكتب له بعدل عشر رقاب مؤمنات » . رواه الترمذى والنسائى (١) . ويقول ذلك بعد سنة المغرب فقد ورد حديث بتعجيلها قبل أن يتكلم .

وقيل لأبى الدرداء قد احترق بيتك ، فقال : ما احترق ، لم يكن الله ليفعل ذلك بكلمات سمعتهن من رسول الله ﷺ من قالها أول نهاره لم تصبه مصيبة حتى يمسى ، ومن قالها آخر النهار لم تصبه مصيبة حتى يصبح : اللهم أنت ربى لا إله إلا أنت عليك توكلت وأنت رب العرش العظيم ،

---

(١) المسلحة : بالسين والحاء المهملتين : الحرس .

ما شاء الله كان وما لم يشأ الله لم يكن ، لاحول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ، أعلم أن الله على كل شىء قدير ، وأن الله قد أحاط بكل شىء علماً ، اللهم إنى أعوذ بك من شر نفسى ومن شر كل دابة أنت آخذ بناصيتها إن ربى على صراط مستقيم » رواه ابن السنى وأبو عمرو بن الصلاح فى المنتخب من كتاب الدعوات للواحدى ، ونحوه وجدت فى كتاب أنس المنقطعين . ورواه ابن السنى أيضاً عن طريق آخر .

وقال فيه — يعنى أبا الدرداء — ما احترقت لأنى سمعت رسول الله ﷺ يقول : « من قال حين يصبح هذه الكلمات وذكرها لم يصبه فى نفسه ولا أهله ولا ماله شىء يكره » وقد قلتها اليوم . ثم قال : انهضوا بنا . فقام وقاموا معه حتى انتهوا إلى داره ، فوجدوا قد احترق ما حولها ولم يصبها شىء . ونحوه روى أيضاً عن بريدة . وقال فيه ما قاله : إذا أصبح وإذا أمسى ثم مات دخل الجنة . وفى سنن أبى داود : « سبحان الله وبحمده لا قوة إلا بالله ما شاء الله كان — إلى قوله — علماً » قال ﷺ : « من قالهن حين يصبح حفظ حتى يمسى ، ومن قالهن حين يمسى حفظ بهن حتى يصبح » .

وقال ﷺ : « من قرأ حم المؤمن إلى قوله إليه المصير وآية الكرسى حين يصبح حفظ حتى يمسى ومن قالهن حين يمسى حفظ بهما حتى يصبح » . رواه الترمذى وابن السنى ، ويروى وسورة حم الدخان . وقال ﷺ : « من قال حين يصبح فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون — إلى قوله وكذلك تخرجون — « أدرك ما فاته فى يومه ذلك ، وماقالها حين يمسى أدرك ما فاته فى ليلته » رواه أبو داود والنسائى .

وقال ﷺ : « من قال سبحان الله حين تمسون الثلاث الآيات وآخر الصافات دبر كل صلاة يصليها ، كتب الله له من الحسنات عدد نجوم

السماء وقطر المطر ، وعدد ورق الشجر وعدد نبات الأرض ، وإذ مات أجرى الله له بعدد كل حسنة عشر حسنات فى قبره ، رواه الثعالبى فى تفسيره .

ويروى أن رجلا قال : يا رسول الله تولت عنى الدنيا وقلت ذات يدى ؟ فقال ﷺ : « فأين أنت عن صلاة الملائكة وتسبيح الخلائق وبها يرزقون » قال : وماذا يا رسول الله ؟ قال قل : « سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم ، واستغفر الله مائة مرة مابين صلاة الفجر إلى أن يصلى الصبح ، تأتيك الدنيا راغمة صاغرة ، ويخلق الله من كل كلمة ملكا يسبح الله إلى يوم القيامة لك ثوابه ، ذكره الغزالى رحمه الله فى كتاب الأحياء .

وذكره القاضى أبو الحسين الأندلسى فى بعض مصنفاته ونحوه روى ابن الصلاح عن الواحدى بإسناده وسئل ﷺ عن قوله تعالى : ﴿ له مقاليد السماوات والأرض ﴾ فقال : « هى لا إله إلا الله ، والله أكبر ، وسبحان الله وبحمده ، وأستغفر الله ، لا قوة إلا بالله ، الأول والآخر والظاهر والباطن بيده الخير وهو على كل شىء قدير » من قالها إذا أصبح وإذا أمسى عشر مرات أعطاه الله سبع خصال يحرس بها من إبليس وجنوده ، ويحضره اثنى عشر ملكا يحفظونه ويستغفرون له ويعطى قنطاراً من الأجر ، وترفع له درجة ، ويزوجه الله زوجة من الحور العين ، ويكون له من الأجر كمن قرأ التوراة والإنجيل والقرآن ، وكمن حج واعتمر فقبلت حجته وعمرته ، وإن مات من ليلته مات شهيداً » أورده الفقيه ابن بطال فى الأربعين التى خرجها من الحسان والصحاح . وروى نحوه فى تفسير الثعالبى .

وقال ﷺ : « من قال حين يصبح أو يمسى : « اللهم إنى أصبحت

أشهدك وأشهد حملة عرشك وملائكتك ، وجميع خلقك . أنك أنت الله لا إله إلا أنت ، وأن محمداً عبدك ورسولك ، أعتق الله ربعه من النار ، ومن قالها مرتين ، أعتق الله نصفه من النار ، ومن قالها ثلاثاً أعتق الله ثلاثة أرباعه من النار ، ومن قالها أربعاً أعتقه الله من النار جميعه ، رواه أبو داود . ونحوه روى الترمذى . وفى روايته : «من قال ذلك إذا أصبح غفر الله له ما أصاب فى تلك الليلة من ذنب» .

وقال ﷺ : «من قال حين يصبح اللهم ما أصبح بى من نعمة أو بأحد من خلقك فمنك وحدك لا شريك لك فلك الحمد ولك الشكر ، فقد أدى شكر يومه ، ومن قال مثل ذلك حين يمسى ، فقد أدى شكر ليلته» رواه أبو داود أيضاً . وقال ﷺ : «من قال إذا أصبح : اللهم إنى أصبحت فى نعمة منك وعافية وستر ، فأتم اللهم على نعمتك وعافيتك وسترك فى الدنيا والآخرة ثلاث مرات ، إذا أصبح وإذا أمسى ؛ كان حقاً على الله أن يتم عليه نعمته» . رواه ابن السنى .

وقال ﷺ : «من قال إذا أصبح وإذا أمسى لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير ، كان له عدل رقبة من ولد إسماعيل ، وكتب له عشر حسنات ، وحط عنه عشر سيئات ، ورفع له عشرة درجات ، وكان يومه ذلك فى حرز الشيطان حتى يمسى ، وإن قالها إذا أمسى كان مثل ذلك حتى يصبح» رواه أبو داود والنسائى وابن ماجه . وعن مسلم بن الحارث أن النبى ﷺ أسر إليه فقال : «إذا انصرفت من صلاة المغرب فقل قبل أن تكلم أحداً : اللهم أجرنى من النار سبع مرات ، فإنك إذا قلت ذلك ثم مت من ليلتك ، كتب لك جوار منها ، وإذا صليت الصبح فقل ذلك ، فإنك إذا مت من يومك كتب لك جواز منها» رواه أبو داود . وروى : «جواز منها» .

وفى كتاب النجم قال ﷺ : «من استجار من النار سبعاً أجير منها»

وقال ﷺ : « من قال عشر كلمات عند دبر كل صلاة غداة وجد الله عندهن مكفياً مجزياً ، خمس للدنيا ، وخمس للآخرة ، حسبي الله لديني ، حسبي الله لما أهمني ، حسبي الله لمن بغى عليّ ، حسبي الله لمن حسدني ، حسبي الله لمن كادني بسوء ، حسبي الله عند الموت ، حسبي الله عند المسألة في القبر ، حسبي الله عند الميزان ، حسبي الله عند الصراط ، حسبي الله لا إله إلا هو عليه توكلت وإليه أنيب » رواه الحكيم الترمذي في كتابه نوادر الأصول .

وذكر المعافى بن إسماعيل في كتاب أنس المنقطعين . وعن أبي ذر رضي الله عنه أنه كان يقول : من قال حين يصبح : اللهم ما حلفت من حلف ، أو قلت من قول ، أو نذرت من نذر ، فمشيئتك بين ذلك كله ما شئت كان وما لم تشأ لم يكن ، اللهم اغفره لي وتجاوز لي عنه ، اللهم فمن صليت عليه فعليه صلاتي ، ومن لعنت فعليه لعنتي — كان في استثناء يومه ذلك أو قال ذلك اليوم ، رواه أبو داود وقد روى مرفوعاً وقال ﷺ : « ما من عبد مسلم يقول إذا أصبح وإذا أمسى ثلاث مرات : رضيت بالله رباً ، وبالإسلام ديناً ، وبمحمد ﷺ رسولا ، إلا كان حقاً على الله أن يرضيه يوم القيامة » رواه أبو داود والترمذي والنسائي والحاكم في المستدرك على الصحيحين ، وقال حديث صحيح الإسناد ، وقال الترمذي حديث حسن صحيح ، وفي روايته وبمحمد ﷺ نبياً ، فينبغي الجمع بينهما فيقول نبياً ورسولا ذكره النووي . وفي سنن أبي داود : « من قال ذلك وجبت له الجنة » وقال ﷺ : « من قال حين يصبح ثلاث مرات أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم ، وقرأ ثلاث آيات من آخر سورة الحشر ، وكل الله به سبعين ألف ملك يصلون عليه حتى يمسي ، وإن مات في ذلك اليوم مات شهيداً ، وما من مسلم يقولها حين يمسي إلا كان بتلك المنزلة » رواه الترمذي وابن السني .

وقال ﷺ : « من قرأ آخر سورة الحشر ، غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، وسئل ﷺ عن الاسم الأعظم فقال ﷺ : « عليك بآخر سورة الحشر » قاله مراراً » رواهما الثعالبى ، وقال ﷺ : « من قرأ ثلاث آيات من أول الأنعام حين يصبح ، وكل الله سبعين ألف ملك يحفظونه وكتب له مثل أعمالهم إلى يوم القيامة ، ونزل ملك من السماء معه مرزبة من حديد كلما أراد الشيطان أن يلقى فى قلبه شيئاً ضربه بها وجعل بينه وبين الشيطان سبعون ألف حجاب ، فإذا كان يوم القيامة : قال الله تعالى : « يا ابن آدم امشى تحت ظلى ، وكل من ثمار جنتى ، واشرب من ماء الكوثر واغتسل من ماء السلسبيل ، فإنك عبـــدى وأنا ربك لا حساب عليك ولا عقاب » رواه الواحدى فى الوسيط .

وروى عن أنس بن مالك رضى الله عنه أن الحجاج غضب عليه وقال : لولا كتاب عبد الملك بن مروان لفعلت بك كذا وكذا ، فقال له أنس رضى الله عنه : إنك لاتستطيع ذلك . قال ومايمنعنى ؟ قال دعوات علمنيها رسول الله ﷺ وقال لى ادع بها كل صباح ومساء ، فقال له علمنيها ، فأبى ، فألح عليه فأبى ، قال أبان فسألته عن ذلك حين مرض فقال : قل ثلاث مرات : « بسم الله على نفسى وعلى دينى ، بسم الله على أهلى وولدى ومالى ، بسم الله على كل ما أعطانى ربى ، الله الله الله ربى لا أشرك به شيئاً ، الله أكبر ، الله أكبر ، الله أكبر ، وأعز وأجل ، مما أخاف وأحذر عز جارك ، وجل ثناؤك ، ولا إله غيرك ، اللهم إنى أعوذ بك من شر كل شر ، وشر كل شيطان مريد ، وشر كل جبار عنيد « فإن تولوا فقل حسبى الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم ، إن ولى الله الذى نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين » ذكره أبو الليث السمرقندى فى كتابه تنبيه الغافلين .

وقال ﷺ : « من قال صبيحة يوم الجمعة قبل صلاة الغداة ، أستغفر

الله الذى لا إله إلا هو الحى القيوم وأتوب إليه ، ثلاث مرات غفر الله له ذنوبه ولو كانت مثل زبد البحر » رواه ابن السنى وغيره ، وقال قبيصة يا رسول الله علمنى كلمات ينفعنى الله بها فقد كبر سنى ، وعجزت ، فقال ﷺ : « أما لدنياك فقل إذا صليت الصبح ثلاث مرات : سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ، فإنك إذا قلتهن أمنت من الغم والجذام، والبرص والفالج ، وأما لأخراك فقل: اللهم اهدنى من عندك وأفض على من فضلك ، وانشر على من رحمتك ، وأنزل على من بركاتك » ثم قال ﷺ : « أما إنه إذا وافى بهن يوم القيامة ولم يدعهن فتح الله أربعة أبواب من الجنة » رواه الغزالى فى الإحياء ، وقال فيه أيضاً : إن هذه الكلمات وهى : بسم الله ما شاء الله لا قـــوة إلا بالله ، ما شاء الله كل نعمة من الله ما شاء الله ، الخير كله بيـد الله ما شاء الله ، لا يصرف السوء إلا الله ، من قالها ثلاثاً إذا أصبح أمن من الغرق والحرق والسرق ، قال وهو دعاء الخضر وإلياس عليهما السلام إذا التقيا فى كل موسم .

وذكر أن فى كتاب مكنون الجواهر وحرز القطين والمسافر أن النبى ﷺ قال : « من قال حين يصبح بسم الله الرحمن الرحيم ، لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم . عشر مرات ، خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه ، ويدفع الله عنه اثنين وسبعين باباً من البلاء أدناها الجذام والبرص ، ووكل الله به ألف ملك يستغفرون له إلى الليل ، وكان أعظم أجراً ممن حج سبعين حجة واعتمر سبعين عمرة متقبلة بعد حجة الإسلام ، وهى رقية من اثنين وسبعين داء من البلاء » وذكر فيه أيضاً قال ﷺ : « من قال إذا أصبح وإذا أمسى ، اللهم أنت خلقتنى ، وأنت تميتنى وتحيينى ثم يسأل الله شيئاً إلا أعطاه » وقال ﷺ : « من سبح الله مائة بالغـداة ومائة بالعشى ،كان كمن حج مائة حجة ، ومن حمد الله مائة بالغداة ومائة

بالعشى ، كان كمن حمل على مائة فرس فى سبيل الله ، وقال غدا مائة غدوة ومن هلل الله مائة بالغداة ومائة بالعشى كان كمن أعتق مائة رقبة من ولد إسماعيل عليه السلام ، ومن كبر الله مائة بالغداة ومائة بالعشى ، لم يأت أحد فى ذلك اليوم بأكثر مما يأتى به إلا من قال مثل ما قال أو زاد على ما قال » .

وقال ﷺ : « من قال أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، إلهاً واحداً صمداً ، لم يتخذ صاحبة ولا ولداً ، ولم يكن له كفواً أحد ، عشر مرات كتب الله له أربعين ألف ألف حسنة » روى هذين الترمذى. وقال ﷺ : « من قال أستغفر الله الذى لا إله إلا هو الحى القيوم وأتوب إليه ، غفرت ذنوبه وإن كان قد فر من الزحف» رواه الترمذى وأبو داود وقال ﷺ : « من قال أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله ، وأن عيسى عبده ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه ، والجنة حق والنار حق ، أدخله الله الجنة على ما كان منه من العمـــل » رواه البخارى ومسلم . وقال ﷺ : « كلمتان خفيفتان على اللسان ، ثقيلتان فى الميزان حبيبتان إلى الرحمن سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم » حديث صحيح ختم به البخارى صحيحه . وقال ﷺ : « من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير ، فى كل يوم مائة مرة ، كانت له عدل عشر رقاب ، وكتب له مائة حسنة ، ومحيت عنه مائة سيئة . وكانت له حرزاً من الشيطان يومه ذلك حتى يمسى ، ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به إلا رجل عمل أكثر منه » . وقال ﷺ : « من قال سبحان الله وبحمده فى يومـــه مائة مرة حطت خطاياه وإن كانت مثل زبد البحر » .

وقال ﷺ لأبى موسى : « ألا أدلك على كنز من كنوز الجنة؟ لاحول

ولا قوة إلا بالله ، رويت هـــذه الثلاثة فى الصحيحين » . وقال ﷺ : « أيعجز أحدكم أن يكسب كل يوم ألف حسنة ، يسبح مائة تسبيحة فيكتب له ألف حسنة ، ويحط عنه ألف خطيئة » رواه مسلم . وقال ﷺ : « ما على الأرض من أحد يقول : لا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ، إلا كفرت عنه خطاياه وإن كانت مثل زبد البحر » رواه الترمذى ، وقال حديث حسن . وروى أيضاً أنه ﷺ : دخل على صفية وبين يديها أربعة آلاف نواة تسبح بها فقال : « ألا أعلمك بأكثر مما سبحت به ، سبحان الله عدد خلقه » .

وقال ﷺ : « إن الله اصطفى من الكلام أربعاً : سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلا الله ، والله أكبر ، فمن قال سبحان الله حطت عنه عشرون سيئة وكتب له عشرون حسنة ، ومن قال الله أكبر فمثل ذلك ، ومن قال لا إله إلا الله فمثل ذلك . ومن قال الحمد لله رب العالمين من قبل نفسه ، كتبت له ثلاثون حسنة ، وحطت عنه ثلاثون خطيئة » رواه أبو داود وغيره : وقال ﷺ : « خذوا جنتكم » قالوا : من عدو حضر يا رسول الله ؟ قال : « بل من النار » قالوا وما جنتنا ؟ قال: « سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ، فإنهن يأتين يوم القيامة مقدمات ومنجيات ومعقبات ، وهن الباقيات الصالحات » رواه الثعالبى والواحدى فى تفسيريهما .

ودخل ﷺ على امرأة وبين يديها نوى أو حصى تسبح به ، فقال لها النبى ﷺ : ألا أخبرك بما هو أيسر عليك من ذلك وأفضل ؟ فقال : « سبحان الله عدد ماخلق فى السماء ، وسبحان الله عدد ماخلق فى الأرض وسبحان الله عدد ما بين ذلك ، وسبحان الله عدد ما هو خالق ، والله أكبر مثل ذلك ، والحمد لله مثل ذلك ، ولا إله إلا الله مثل ذلك ،

ولا حول ولا قوة إلا بالله مثل ذلك ، رواه أبو داود والترمذى ، وقال حديث حسن .

ويروى أن جبريل عليه السلام قال للنبي ﷺ : « قل سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم عدد ما علم الله ، وزنة ما علم الله ، وملء ما علم الله ، فإن من قالهن كتب الله له ست خصال : كتب من الذاكرين الله كثيراً ، وكان أفضل الليل والنهار وكن له غرس فى الجنة ، وتحاتت عنه خطاياه كما يتحات ورق الشجرة اليابسة ، وينظر الله إليه ، ومن نظر إليه لم يعذبه » رواه الواحدى فى وسيطه والثعالبى وغيرهما .

وقال ﷺ : « ما من مسلم يأوى إلى فراشه فيقرأ سورة من كتاب الله حين يأخذ مضجعه ، إلا وُكل الله به ملكا لا يدع شيئاً يقربه ويؤذيه حتى يهب متى هب » رواه الترمذى والنسائى وابن السنى — ومعنى قوله يهب أى ينتبه ويقوم — وقال ﷺ : « من قال حين يأوى إلى فراشه أستغفر الله العظيم الذى لا إله إلا هو الحى القيوم وأتوب إليه . ثلاث مرات ، غفر الله له ذنوبه وإن كانت مثل زبد البحر ، وإن كانت عدد النجوم ، وإن كانت عدد رمل عالج . وإن كانت عدد أيام الدنيا » رواه الترمذى وقال حديث حسن — وعالج : اسم موضع رمله كثير — .

وقال ﷺ : « الآيتان من آخر سورة البقرة، من قرأهما ليلته فتاه » روى فى الصحيحين وقيل : « كفتاه من الآفات فى ليلته ، وقيل من قيام ليلته » ، ودليله ما روى الثعالبى أنه ﷺ قال : « من قرأهما بعد العشاء الآخيرة مرتين أجزأتا عنه قيام الليل (آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه) إلى آخر البقرة .

قال النووى : ويجوز أن يراد الأمران . وقال ﷺ « علموها - يعنى

الكافرون - صبيانكم ليقرؤها عند منامهم فلا يعرض لهم شيء » رواه الثعالبي . وقال ﷺ : « ألا أدلكم على كلمة تنجيكم من الإشراك بالله ؟ قالوا بلى يا رسول الله ! قال « تقرؤن قل يا أيها الكافرون عند منامكم » رواه أبو يعلى الموصلي في مسنده ونحوه ، روى الترمذي وأبو داود والثعالبي والواحدي . وقال ﷺ : « من أوى إلى فراشه طاهراً وذكر الله حتى يدركه النعاس لم ينقلب ساعة من الليل يسأل الله خيراً من أمر الدنيا والآخرة ، إلا أعطاه إياه » وقال ﷺ : « ما من عبد يقول عند رد الله روحه إليه ، لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير ، إلا غفر الله له ذنوبه وإن كانت مثل زبد البحر » رواهما ابن السني ، وروى الأول منهما أيضاً الترمذي ، ونحوه روى أبو داود والنسائي . وقال ﷺ : من قرأ عند منامه (ذلك جزاؤهم جهنم) إلى آخر سورة الكهف ، وسأل الله تعالى أي ساعة قام فيها . ذكره الغزالي في كتابه كنز الأنام في أدعية الأيام .

وقال ﷺ : « من تعار من الليل فقال حين يستيقظ ، لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير ، سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، ثم دعا رب اغفر لي ، أستجيب له فإن قام وتوضأ وصلى قبلت صلاته ، رواه البخاري وغيره — وقوله تعار : أي استيقظ وقيل تمطى — وقال ﷺ : « إن في الليل ساعة لا يوافقها عبد مسلم يسأل الله تعالى خيراً من أمر الدنيا والآخرة ، إلا أعطاه إياه وذلك كل ليلة » رواه مسلم .

وقال ﷺ : « إذا رأى أحدكم رؤيا يحبها ، فإنما هي من الله فلا يحدث بها

إلا من يحب ، وإذا رأى غير ذلك مما يكره ، فإنما هى من الشيطان فليستعذ من شرها ولا يذكرها لأحد فإنها لا تضره — والتعوذ أن يقول : أعوذ برب موسى وعيسى وإبراهيم الذى وفى ، ومحمـــد المصطفى ﷺ من شر ما رأيت فى رؤياى أن تضرنى فى دينى ودنياى ، عز جار الله وجل ثناء الله وتقدست أسماؤك » ذكره فى تجريد الصحاح ، ويروى « فلينفث(١) عن يساره ثلاثاً ، وليتعوذ من الشيطان » روى فى الصحيحين . ويروى : « إذا رأى أحد رؤيا يكرهها ، فليتفل ثلاث مرات عن يساره ثم يقول : « اللهم إنى أعوذ بك من عمل الشيطان وسيئات الأحلام ، فإنها لا تكون شيئاً » رواه ابن السنى وروى الترمذى : « وليقم فليصل » ويروى : « وليحول عن جنبه الذى كان عليه » .

وقال ﷺ : «من قرأ سورة الكهف ليلة الجمعة أو يوم الجمعة ، أعطى نوراً من حيث يقرؤها إلى مكة المشرفة ، وغفر له إلى الجمعة الأخرى وفضل ثلاثة أيام ، وصلى عليه سبعون ألف ملك حتى يصبح . وعوفى من الداء والدبيلة ، وذات الجنب والبرص والجذام ، وفتنة الدجال » ذكره فى إحياء علوم الدين . وقال ﷺ : « من قرأ عشر آيات من أول سورة الكهف عصم من الدجال » رواه مسلم . وفى كتاب الترمذى : « ثلاث آيات » ويروى : « عشر آيات من آخر سورة الكهف » وعن سهيل ابن أبى صالح قال : أرسلنى أبى إلى بنى حارثة ومعى غلام لنا ، فناداه مناد من حائط باسمه وأشرف الذى معى على الحائط فلم ير شيئاً فذكرت ذلك لأبى ، فقال: لو شعرت أنك تلق هذا لم أرسلك ، ولكن إذا سمعت صوتاً مثله فناد بالصلاة ، فإنى سمعت أبا هريرة يحدث أن النبى ﷺ : قال : « إن الشيطان إذا نودى بالصلاة أدبر » . وقال رجل : يا رسول الله

(١) والنفث : نفخ لطيف بلا ريق .

ما لقيت من عقرب لدغتني البارحة ؟ فقال النبي ﷺ : « أما لو قلت حين أمسيت أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق لم يضرك » .

وقال ﷺ : « من نزل منزلا ثم قال : أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق ، لم يضره شيء حتى يرتحل من منزله ذلك » روى هذه الثلاثة مسلم فى صحيحه . وفى كتاب ابن السنى يقول ذلك ثلاثاً .

قال الهروى : وكلمات الله التامات هى القرآن . وفى كتاب الترمذى من قال ذلك حين يمسى ثلاث مرات لم تضره لحمة تلك الليلة . وقال ﷺ : « من قرأ إذا سلم الإمام يوم الجمعة قبل أن يثنى رجليه فاتحة الكتاب وقل هو الله أحد والمعوذتين سبعاً سبعاً ، غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، وأعطى من الأجر بعدد من آمن بالله ورسوله واليوم الآخر » وروى فى الأربعين المحررة . وفى كتاب ابن السنى : « من قال ذلك ، أعاذه الله من السوء إلى الجمعة الأخرى » ولم يذكر فى حديثه فاتحة الكتاب.

قال الغزالى : ويقول بعد ذلك : اللهم يا غنى يا حميد يا مبدىء يا معيد يا رحيم يا ودود ، اغننى بحلالك عن حرامك ، وبفضلك عمن سواك ، فمن داوم على هذه أغناه الله عن خلقه ورزقه من حيث لا يحتسب ذكره فى الإحياء .

وذكر فيه أيضاً أن آدم عليه السلام لما أراد الله أن يتوب عليه طاف بالبيت سبعاً وهو يومئذ ربوة حمراء ، ثم صلى ركعتين ثم قال : اللهم إنك تعلم سريرتى وعلانيتى فاقبل معذرتى ، وتعلم حاجتى فاعطنى سؤالى ، وتعلم ما فى نفسى وما عندى ، فاغفر لى ذنوبى ، اللهم إنى أسألك إيماناً يباشر قلبى ، ويقيناً صادقاً حتى أعلم أنه لن يصيبنى إلا ما كتبته لى ، فأرضنى بما قسمته لى . فأوحى الله إليه : إنى قد غفرت لك ولم يأت أحد من ذريتك فيدعونى بمثل ما دعوتنى به إلا غفرت له وكشفت همه وغمه ،

ونزعت الفقر من بين عينيه ، وجاءته الدنيا وهى راغمة وإن كان لا يريدها .

وذكر فى الباب الثانى من كتاب الدعوات أيضاً قال ﷺ : « من قال سبحانك ظلمت نفسى وعملت سوءاً فاغفر لى فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت، غفرت ذنوبه ولو كانت كدب النمل » . وفيه أيضاً قال على : كنت إذا سمعت من النبى ﷺ حديثاً فينفعنى الله تعالى منه بما شاء أن ينفعنى ، فإذا حدثنى أحد من الصحابة استحلفته ، فإذا حلف صدقته ، وحدثنى أبو بكر ، قال سمعت النبى ﷺ يقول : « ما من عبد يذنب ذنباً فيحسن الطهور ثم يقوم فيصلى ركعتين ثم يستغفر الله ، إلا غفر له » ثم تلا قوله تعالى : (والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم) الآية . رواه أبو داود والنسائى والترمذى وغيرهم .

ويروى أن رجلا جاء إلى النبى ﷺ فقال: واذنوباه مرتين أو ثلاثاً، فقال له النبى ﷺ : « قل اللهم مغفرتك أوسع من ذنوبى ، ورحمتك أرجى عندى من عملى » فقالها ، ثم قال له النبى ﷺ : عد ، فعاد ثم قال له عد ، فعاد ، ثم قال له قم فقد غفر الله لك ، رواه الحاكم فى المستدرك .

وروى ابن الصلاح بإسناده عن الواحدى إلى النبى ﷺ أنه قال : « تصلى اثنتى عشرة ركعة من ليل أو نهار تقرأ فى كل ركعة الحمد لله وسورة ولا تسلم إلا فى آخرهن ، تسجد وتقرأ فاتحة الكتاب سبع مرات وآية الكرسى سبع مرات، ولا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد يحيى ويميت وهو على كل شىء قدير عشر مرات ثم قل : اللهم إنى أسألك بمعاقد العز من عرشك ، ومنتهى الرحمة من كتابك ، وباسمك الأعظم وبكلماتك التامة ، ثم سل حاجتك ولا تعلموها السفهاء ، فيتعلمون ذلك » .

وقال أحمد بن حرب أحد رواة هذا الحديث : أخبرنى مائة أو يزيدون

ممن فعلوا ذلك ، فاستجاب الله دعاءهم فى أمور الدنيا والآخرة . وقال أبو زكريا العنبرى : وقد جربته فوجدته أنا كذلك .

وقال ﷺ : « من كانت له حاجة إلى الله تعالى أو إلى أحد من بنى آدم فليتوضأ وليحسن الوضوء ثم ليصل ركعتين ، ثم ليثنى على الله تعالى وليصل على النبى ﷺ ، ثم ليقل لا إله إلا الله الحليم الكريم ، سبحان الله رب العرش العظيم ، الحمد لله رب العالمين ، أسألك موجبات رحمتك ، وعزائم مغفرتك والغنيمة من كل بر ، والسلامة من كل إثم ، اللهم لا تدع لى ذنباً إلا غفرته ، ولا هماً إلا فرجته ، ولا حاجة هى لك رضاً إلا قضيتها برحمتك يا أرحم الراحمين » رواه الترمذى وابن ماجه .

وينبغى أن يزيد إلى ذلك دعاء الكرب وما بعده ، مما سنذكره بعد إن شاء الله تعالى ، ويزيد : اللهم إنى أتوجه إليك بنبيك محمد ﷺ نبى الرحمة ، يا محمد إنى توجهت بك إلى ربى فى حاجتى هذه لتقضى لى ، اللهم شفعه فى . فقد رواه الترمذى عن النبى ﷺ فى حديث وقال هو صحيح ، ويزيد أيضاً : اللهم ربنا آتنا فى الدنيا حسنة ، وفى الآخرة حسنة ، وقنا عذاب النار ، فقد صح أن ذلك كان أكثر دعاء النبى ﷺ ، وأن أنساً رضى الله عنه كان لا يدعو بدعاء إلا جعلها فيه .

وذكر الغزالى فى الإحياء صلاة الحاجة وهى أن يصلى اثنى عشرة ركعة يقرأ فى كل ركعة بالفاتحة وآية الكرسى والإخلاص ، فإذا فرغ خرّ ساجداً ثم قال : سبحان الذى لبس العز وقال به ، سبحان الذى تعطف بالمجد وتكرم به ، سبحان الذى أحصى كل شىء بعلمه ، سبحان الذى لا ينبغى التسبيح إلا له ، سبحان ذى المن والفضل ، سبحان ذى العز والكرم ، سبحان ذى الطول ، أسألك بمعاقد العز من عرشك ، ومنتهى الرحمة

من كتابك وباسمك الأعظم وجدك الأعلا ، وبكلماتك التامات التى لا يجاوزهن بر ولا فاجر ، أن تصلى على محمد ثم يسأل حاجته فإنه يستجاب له .

وذكر الغزالى فى الإحياء صلاة الحاجة . وهى أن يصلى اثنى عشرة ركعة يقرأ فى كل ركعة بالفاتحة وآية الكرسى والإخلاص ، فإذا فرغ خرّ ساجداً ثم قال سبحان الذى لبس العز وقال به ، سبحان الذى تعطف بالمجد وتكرم به ، سبحان الذى أحصى كل شىء بعلمه ، سبحان الذى لا ينبغى التسبيح إلا له ، سبحان ذى المن والفضل ، سبحان ذى العز والكرم ، سبحان ذى الطول ، أسألك بمعاقد العز من عرشك ، وبمنتهى الرحمة من كتابك ، وباسمك الأعظم ، وجدك الأعلا ، وبكلماتك التامات التى لا يجاوزهن بر ولا فاجر ، أن تصلى على محمد ، ثم يسأل حاجته فإنه يستجاب له .

وروى فى كتاب فضائل الأعمال أن النبى ﷺ قال : « من كانت له حاجة فليتوضأ وضوءً جيداً . ثم ليقم فى موضع لا يراه فيه أحد فيصلى أربع ركعات يقرأ فى الأولى بفاتحة الكتاب مرة وقل هو الله أحد عشر مرات ، وفى الثانية بالفاتحة مرة وقل هو الله أحد عشرين مرة ، وفى الركعة الثالثة بفاتحة الكتاب مرة وقل هو الله أحد ثلاثين مرة ، وفى الركعة الرابعة بفاتحة الكتاب مرة وقل هو الله أحد أربعين مرة ، فإذا فرغ من الصلاة قرأ قل هو الله أحد خمسين مرة ، ثم يقول لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم خمسين مرة ، ثم يصلى على النبى ﷺ خمسين مرة ، ثم يستغفر الله تعالى سبعين مرة . فإنه إن كان عليه دين يقضى عنه ، وإن كان فقيراً أغناه الله تعالى ، وإن كان غريباً رده الله إلى وطنه . وإن كان

عليه من الذنوب حشو الدنيا يغفر الله له ، وإن لم يكن له ولد فيسأل الله يرزقه ولدا » .

وفيه أيضاً قال ﷺ : « لو أن لصاحب هذا الاستغفار من الذنوب مثل السموات السبع والأرضين السبع والجبال الرواسى ، وعدد قطر المطر وورق الشجر وماء البحر وعدد الرمل ، لحطة عنه ، وكتب له عدد ذلك حسنات ، ولا يفتقر صاحبه أبداً ، وهو : اللهم إنى أستغفرك لما تبت إليك منه ثم عدت فيه ، وأستغفرك لما وعدتك من نفسى ثم أخلفتك فيه ، وأستغفرك لما أردت به وجهك الكريم فخالطنى فيه ماليس لك فيه رضا ، وأستغفرك للنعم التى أنعمت على فتوقيت بهـــا على معاصيك ، وأستغفر الله الذى لا إله إلا هو الحى القيوم عالم الغيب والشهادة الرحمن الرحيم لكل ذنب أذنبته ، ولكل معصية ارتكبتها ، ولكل ذنب أتيت به أحاط علم الله به .

وفيه أيضاً قال ﷺ : « من صلى ليلة الجمعة ركعتين يقرأ فى كل ركعة أم الكتاب مرة وآية الكرسى مرة وقل هو الله أحد خمسة وعشرين مرة ، ويقول إذا فرغ من صلاته ألف مرة صلى الله على محمد النبى الأمى ﷺ ، فإنه يرانى فى المنام ، ومن رآنى فى المنام من أمتى فله الجنة ، وغفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، ولأبويه إن كانا مسلمين ، ورفع عنه عذاب القبر وشدة القيامة ، وفرج الله عنه كل همّ وكرب وحزن ، وعصمه الله من إبليس وجنوده ، وخفف الله عنه سكرات الموت ، ولا يسأل الله تعالى شيئاً إلا أعطاه إياه ، ويبعث الله له فى الدنيا ألف ملك يحفظونه من الشيطان » .

وذكر فيه أيضاً دعاء الفرج والنجاة من كل شدة ، وهو أن يتوضأ

ويصلى أربع ركعات بتسليمة ، ثم يقول : يا ودود يا ودود ياودود ، ياذا العرش المجيد يا مبدىء يا معيد ، يا فعال لما يريد ، أسألك بعزك الذى لا يرام ، وبملكك الذى لايضام ، وبنور وجهك الذى ملأ أركان عرشك ، وبقدرتك التى قدرت بها على خلقك ، وبرحمتك التى وسعت كل شىء ، أن تكفينى شر فلان ، لا إله إلا أنت يامغيث أغثنى ، يقولها ثلاث مرات فى آخر سجوده ، ثم يتشهد ويسلم .

وذكر فى هذا حكاية رقيقة تشهد بصدقه ، ونحوه ذكر القشيرى فى رسالته وهى كتاب نفيس فى أخلاق الصوفية وحقائقهم رضى الله عنهم . ونحوه فى الياقوتة فى العبادات . وروى فى المنتخب من كتاب الدعوات ، قالت عائشة رضى عنها : يا رسول الله علمنى اسم الله الذى إذا دعى به أجاب ؟ قال لها : « قومى فتوضىء وادخلى المسجد فصلى ركعتين ، ثم ادعى حتى أسمع ، ففعلت ذلك وقالت : اللهم إنى أسألك بجميع أسمائك الحسنى ما علمت منها وما لم أعلم ، وأسألك باسمك العظيم الأعظم الكبير الأكبر ، الذى من دعاك به أجبته ، ومن سألك به أعطيته ، فقـــال ﷺ : « أصبتيه أصبتيه » .

وقال سعيد بن المسيب رضى الله عنه : نزل بى أمر أهمنى فخرجت فى ساعة من الليـل إلى المسجد فسمعت حركة الحصى خلفى ، فالتفت فلم أر أحداً ، فسمعت قائلا يقول : ادع الله لهذا الأمر الذى نزل بك بهذا الدعاء قل : اللهم إنى أسألك بأنك ملك وأنك على كل شىء قدير . وأنك ما تشاء من أمر يكون أن تجعل لى من أمرى فرجاً ومخرجاً ، قال فوالله ما دعوت بهن فى شىء من أمن الدنيا إلا وقد رأيته ، وأنا أرجو أن يكون مادعوت به من أمر الآخرة مثل ذلك إن شاء الله ، رواه عنه ابن الصلاح فى منتخب الدعوات .

وقال ﷺ : « إن لله تسعة وتسعين اسماً مائة إلا واحداً من أحصاها

دخل الجنة » ويروى : « من حفظها دخل الجنة ، وإن الله تعالى وتر يحب الوتر » رواه البخارى ومسلم والترمذى وغيرهم .

قال أبو إسحاق الاسفرايينى : من أحصاها دخل الجنة ، أراد من علمها دخل الجنة على العاقبة ، إما بالتوبة من الذنوب فى الدنيا ، أو بالشفاعة فى الآخرة .

زاد الترمذى : هو الله الذى لا إله إلا هو الرحمن . الرحيم . الملك . القدوس . السلام . المؤمن . المهيمن . العزيز . الجبار . المتكبر . الخالق . البارىء . المصور . الغفار . القهار . الوهاب . الرزاق . الفتاح . العليم . القابض . الباسط . الخافض . الرافع . المعز . المذل . السميع . البصير . الحكم . العدل . اللطيف . الخبير . الحليم . العظيم . الغفور . الشكور . العلى . الكبير . الحفيظ . المقيت . الحسيب . الجليل الكريم . الرقيب . المجيب . الواسع . الحكيم . الودود . المجيد . الباعث . الشهيد . الحق . الوكيل . القوى . المتين الولى . الحميد . المحصى . المبدىء . المعيد . المحيى . المميت . الحى . القيوم . الواجد . الماجد . الواحد . الأحد . الفرد . الصمد . القادر . المقتدر . المقدم . المؤخر . الأول . الآخر . الظاهر . الباطن . الوالى . المتعال . البر . التواب . المنتقم . العفو . الرؤوف . مالك الملك . ذو الجلال والإكرام . المقسط . الجامع . الغنى . المغنى . المانع . الضار . النافع . النور الهادى . البديع . الباقى . الوارث . الرشيد . الصبور .

قال الترمذى حديث حسن . وينبغى أن يزاد فيها : الحنان . المنان . المستعان . الرازق . البادى . الأحد . المقيت . المعطى . الدائم . النصير . الحافظ . الجميل . الشاكر . الفرد . الخلاق . الراحم . الديان . المبين . الأكرم . المجير . الرب . الظهير . المليك . المنير . الملى . الحنى . الوفى .

المولى . الأعلى . السبوح . الغالب . القائم . الكفيل . الكافى . الستار . العلام . المحمود ، المعبود ، المحسن ، المجمل ، الوتر ، المقدر ، المحيط ، الصادق ، القريب ، الفاطر ، القديم ، الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد ، فكلها أسماء الله الحسنى .

وقال ﷺ : « إن لله ملكا موكلا بمن يقول يا أرحم الراحمين ، فمن قالها ثلاثاً قال له الملك : إن أرحم الراحمين قد أقبل عليك فسل حاجتك » رواه الحاكم فى المستدرك .

وكان ﷺ يقول عند الكرب : « لا إله إلا الله العظيم الحليم ، لا إله إلا الله رب العرش العظيم ، لا إله إلا الله رب السموات ورب الأرض ورب العرش الكريم » روى فى الصحيحين وفى رواية لمسلم : كان إذا حزبه أمر قال ذلك ، وإذا أصابه غم قال ذلك .

وقال على : لقننى النبى ﷺ هؤلاء الكلمات وأمرنى إن نزل بى كرب أو شدة أن أقولها : لا إله إلا الله الكريم العظيم ، سبحانه تبارك الله رب العرش العظيم ، الحمد لله رب العالمين . رواه النسائى وابن السنى ، قال : وكان عبد الله بن جعفر يلقنها وينفث بها على الموعوك ، ويعلمها المغتربة من بناته وهى التى تزوج بغير أقاربها .

فينبغى لكل من وقع فى شدة أو كرب أن يقول كل ذلك ، ويزيد عليه لا إله إلا الله الحكيم الكريم ، لا إله إلا الله العلى العظيم ، سبحان رب السموات السبع ورب العرش العظيم ، الحمد لله رب العالمين ، لا إله إلا أنت عز جارك وجل ثناؤك يا حى يا قيوم برحمتك أستغيث ، اللهم رحمتك أرجو فلا تكلنى إلى نفسى طرفة عين . وأصلح لى شأنى كله لا إله إلا أنت ربى لا أشرك به شيئاً ، يقول هذه سبعاً ، لا إله إلا أنت سبحانك إنى كنت من الظالمين ، ما شاء الله لا قوة إلا بالله ، حسبنا

الله ونعم الوكيل ، اعتصمت بالله ، استعنت بالله ، توكلت على الله ، تحصنا كلنا أجمعين بالله الحى القيوم الذى لا يموت أبداً ، ودفعنا عنا السوء بلا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ، اللهم يا قديم الإحسان ، يا من إحسانه فوق كل إحسان ، يا مالك الدنيا والآخرة يا ذا الجلال والإكرام ، يا من لا يعجزه شيء ولا يتعاظمه ، يا كثير الخير يا دائم المعروف ، يابديع السموات والأرض ، أسألك بأنى أشهد بأنك أنت الله لا إله إلا أنت الأحد الصمد الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد ، وأسألك بأنك لك الحمد لا إله إلا أنت أن تصلى على رسولك سيدنا محمد وعلى آله ، وأن تجعل لنا من أمرنا فرجاً ومخرجاً ، وأن تصلح ديننا ودنيانا وتخذل من عادانا .

ويزيد ما شاء ، فكل هذه جاء فيها حث أكيد ، وهى مجربة وأنا أرجو أن اسم الله الأعظم لا يعدوها إن شاء الله تعالى ، وقد ورد فى ذلك أحاديث صحيحة .

وقال ﷺ : « من قرأ آية الكرسى وخواتيم سورة البقرة عند الكرب أغاثه الله » رواه ابن السنى ، وقال ﷺ : « إذا وقعت فى ورطة فقل : بسم الله الرحمن الرحيم ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ، فإن الله يصرف بها ماشاء من أنواع البلاء » رواه ابن السنى - والورطة الهلاك - .

وقال ﷺ : « لاحول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ، دواء من تسعة وتسعين داء أيسرها الهم » رواه الحافظ أبو نعيم فى كتاب الطب ، ونحوه فى الأربعين المقدسة .

وقال ﷺ : « من كثر همه فليقل : اللهم إنى عبدك وابن عبدك وابن أمتك وفى قبضتك ، ناصيتى بيدك ، ماض فى حكمك ، عدل فى قضائك ،

أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك ، أو أنزلته فى كتابك ، أوعلمته أحداً من خلقك ، أو استأثرت به فى علم الغيب عندك ، أن تجعل القرآن نور صدرى ، وربيع قلبى ، وجلاء حزنى ، وذهاب همى وغمى ، ما قالها قط عبد إلا أذهب الله همه وأبدله به فرجاً » رواه فى السنن

ورواه ابن السنى أيضاً وزاد فيه ، فقال رجل إن المغبون لمن غبن هؤلاء الكلمات ، فقال ﷺ : « أجل فقولوهن وعلموهن فإنه من قالهن التماس ما فيهن ، أذهب الله عنه حزنه وأطال فرحه » وقال ﷺ لبريدة : « ألا أعلمك كلمات إذا أراد الله بعبد خيراً علمهن إياه ، ثم لم ينسهن أبداً » ؟ قال بلى ؟ قال « قل : « اللهم إنى ضعيف فقونى فى رضاك ضعفى ، وخذ إلى الخير بناصيتى ، واجعل الإسلام منتهى رضاى اللهم إنى ضعيف فقونى ، وإنى فقير فأغننى ، وإنى ذليل فأعزنى » رواه الرامهرمزى فى كتابه الفاصل بين الراوى والواعى ، ونحوه ذكر فى كتاب أنس المنقطعين إلى عبادة رب العالمين ، وفى مسند ابن أبى شيبة وفى الإحياء .

وقال ﷺ : « إذا هممت بأمرفاستخر ربك فيه سبع مرات ثم انظر إلى الذى سبق إلى قلبك فإن الخيرة فيه » رواه ابن السنى . وقال ﷺ : « من توضأ فأسبغ الوضوء وصلى ركعتين يخلص فيهما لله تعالى ، ثم استخار على إثرذلك مائة مرة يقول: أستخير الله أستخير الله ، إلا وفقه الله وسدد أمره ، وقال جعفر الصادق : ما استخار عبد قط فى أمر مائة مرة يقف عند رأس الحسين ، فيحمد الله ويمجده ويثنى عليه بآلائه ، إلا رماه الله بخير الأمرين » .

وقال ﷺ : « ماستخار عبد قط سبعين مرة بهذه الاستخارة إلا رماه الله بالخير ، فيقول يا أبصر الناظرين ، ويا أسمع السامعين ، ويا أسرع

الحاسبين، ويا أرحم الراحمين، ويا أحكم الحاكمين، صل على محمد وعلى آله خر لي في كذا وكذا، وذكر هذه الثلاثة في كتاب الأربعين اليمنية، وسأعيد الكلام في الاستخارة آخر الباب الأخير إن شاء الله تعالى.

وقال ﷺ: «إذا رأيتم الحريق فكبروا، فإن التكبير يطفئه». وقال ﷺ: «إذا وقعت كبيرة أو هاجت ريح عظيمة، فعليكم بالتكبير، فإنه يجلي العجاج الأسود». وقال ﷺ: «إذا تغولت الغيلان، فنادوا بالأذان». وقال ﷺ: «ستر ما بين أعين الجان وعورات بني آدم، أن يقول الرجل المسلم إذا أراد أن يطرح ثيابه: بسم الله الذي لا إله إلا هو» روى هذه الأربعة ابن السني.

وقال ﷺ: «أمان لأمتي من الغرق إذا ركبوا البحر أن يقولوا: (بسم الله مجراها ومرساها إن ربي لغفور رحيم) (وما قدروا الله حق قدره) الآية. رواه ابن السني أيضاً ونحوه في وسيط الواحدي، وزاد أوله: سبحان الله الملك.

وقال ﷺ: «من لبس ثوباً فقال: الحمد الله الذي كساني هذا الثوب ورزقنيه من غير حول مني ولا قوة، غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، ومن أكل طعاماً ثم قال الحمد لله الذي أطعمني هذا الطعام ورزقنيه من غير حول مني ولا قوة(١)، غفر له ما تقدم من ذنبه» روى أوله ابن السني، وروى آخره الترمذي وأبو داود وغيرهما.

وقال ﷺ: «من لبس ثوباً جديداً فقال: الحمد لله الذي كساني ما أواري به عورتي، وأتجمل به في حياتي، ثم عمد إلى الثوب الذي أخلق فتصدق به، كان في حفظ الله وفي كنف الله وفي سبيل الله حياً وميتاً».

---

(١) زيادة من نسخة ثالثة.

وقال ﷺ : « من رأى صاحب بلاء ، فقال الحمد لله الذى عافانى مما ابتلاك به ، وفضلنى على كثير ممن خلق تفضيلا ، إلا عوفى من ذلك البلاء كائناً ما كان ما عاش » روى هذين الترمذى ، ويروى : « لم يصبه ذلك البلاء » قال الترمذى حديث حسن . رواه الواحدى فى وسيطه وفيه : « من قال ذلك أدى شكر ذلك البلاء » .

قال النووى : وينبغى أن يقول ذلك سراً بحيث يسمع نفسه ولا يسمعه المبتلى . قال فى المستعذب — والبلاء : ما أصيب به الإنسان من الشدة والتعب فى النفس والمال — . وقال ﷺ : « من جلس مجلساً فكثر فيه لغطه ، فقال قبل أن يقوم من مجلسه ذلك : سبحانك اللهم وبحمدك ، أشهد أن لا إله إلا أنت . أستغفرك وأتوب إليك ، إلا غفر له ما كان فى مجلسه ذلك » رواه أبو داود والنسائى والترمذى وقال حديث حسن صحيح ونحوه فى المستدرك .

وقال ﷺ : « المجلس الصالح يكفر عن المؤمن ألف ألف مجلس من مجالس السوء » ذكره فى الإحياء وغيره . وقال على رضى الله عنه : من أحب أن يكتال بالمكيال الأوفى فليقل آخر مجلسه أو حين يقوم : (سبحان ربك رب العزة عما يصفون) إلى آخر السورة . رواه فى حلية الأولياء لأبى نعيم(١) ونحوه فى الوسيط وفى الكشف .

وقال ﷺ : « ما من عبدين متحابين فى الله ، يستقبل أحدهما صاحبه فيصافحه ، فيصليان على النبى ﷺ ، إلا لم يفترقا حتى تغفر ذنوبهما ما تقدم منها وما تأخر » رواه ابن السنى . ونحوه فى الأربعين المحررة .

(١) وقد قامت مكتبة الخانجى ومطبعة السعادة بطبع هذا الكتاب النفيس المكون من عشرة أجزاء كبار .

وفى رواية لابن السنى: «إذا التقى مسلمان وتصالحا وحمدا الله واستغفراه، غفر الله لهما» وفى رواية له أيضاً: «إن المسلمين إذا التقيا فتصالحا وتكاشرا بود ونصيحة، تناثرت خطاياهما بينهما» . وقال ﷺ : «إذا التقيا المسلمان وتصالحا، كان أحبهما إلى الله أحسنهما بشراً بصاحبه، وأنزل عليهما مائة رحمة تسعون منها للذى بدأ منهما بالمصالحة، وعشر للذى صوفح» رواه الميامى فى كتاب المجالس المكية .

وقال ﷺ : «من دخل السوق فقال : لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد يحيى ويميت وهو حى لا يموت ، بيده الخير وهو على كل شىء قدير، كتب الله له ألف ألف حسنة، ومحى عنه ألف ألف سيئة ، ورفع له ألف ألف درجة ، وبنى له بيتاً فى الجنة» رواه الترمذى والحاكم فى المستدرك على الصحيحين ، والحكيم فى نوادر الأصول وغيرهم .

وقال ﷺ : «إذا خرج الرجل من بيته فقال : بسم الله ، توكلت على الله ، لا حول ولا قوة إلا بالله ، يقال له : هديت وكفيت ووقيت وتنحى عنه الشيطان ، فيقول الشيطان لشيطان آخر : كيف لك برجل قد هدى وكفى ووقى» رواه أبو داود ونحوه ، روى الترمذى والنسائى وغيرهما .

قال النووى: وينبغى للمسافر أن يقرأ عند إرادته الخروج آية الكرسى ولإيلاف قريش ، قال فقد جاء أن من قرأ آية الكرسى قبل خروجه من منزلة ، لم يصبه شىء يكرهه حتى يرجع . وقال أبو الحسن القزوينى : من أراد سفراً ففزع من عدو أو وحش فليقرأ هذه السورة وهى لإيلاف قريش ، فإنها أمان من كل سوء ، وذلك مجرب .

وقال ﷺ : «ما خلف أحد عند أهله ، أفضل من ركعتين يركعهما

عندهم حين يريد سفراً » رواه الطبراني . وقال النووي : يقرأ في الأولى قل يا أيها الكافرون ، وفي الثانية « الإخلاص » ، ويروى : « يصلي أربعاً بالفاتحة والإخلاص ثم يقول : اللهم إني أتقرب بهذه إليك ، فاجعلهن خليفتي في أهلي ومالي . وقال ﷺ : «وهن خليفته في أهله وماله وداره ودار من حول داره حتى يرجع » رواه في كتاب فضائل الأعمال ، وقد مضى في الباب قبل هذا توديع الأهل فطالعه تجده .

وقال ﷺ : « إذا دخل أحدكم على سلطان يخاف تغطرسه فليقل : اللهم إني أعوذ بك من شر فلان وأحزابه أن يفرط عليّ أحد منهم أو أن يطغى ، عز جارك وجل ثناؤك ولا إله غيرك » رواه في الوسيط .

وقال ﷺ : « إذا أراد أحدكم أن يخرج من المسجد ، تداعت جنود إبليس وأجلبت واجتمعت كما يجتمع النحل على يعسوبها ، فإذا قام أحدكم على باب المسجد فليقل : اللهم إني أعوذ بك من إبليس وجنوده ، فإنه إذا قالها لم تضره » رواه ابن السني ـ واليعسوب : ذكر النحل ـ .

وقال ﷺ : « من ولد له مولود فأذن في أذنه اليمنى ، وأقام في اليسرى لم تضره أم الصبيان » . ويروى أنه لما دنا ولادة فاطمة ، أمر النبي ﷺ أم سلمة وزينب أن تأتيا فتقرآ آية الكرسي (وإن ربكم الله)الآية.وتعوذاها بالمعوذتين ، رواهما ابن السني .

وقال ابن عباس : إذا عسر على المرأة ولادتها فاكتب لها في قرطاس: بسم الله الرحمن الرحيم ، لا إله إلا الله الحليم الكريم ، سبحان الله رب العرش العظيم ، والحمد لله رب العالمين (كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا إلا عشية أو ضحاها) ، (كأنهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا إلا ساعة من نهار بلاغ) الآية . ثم يصب عليه الماء وتشربه المرأة ، رواه الثعالبي في تفسيره وغيره .

وقال ﷺ : « إذا أذاك البراغيث فخذ قدحاً من ماء فاقرأ عليها سبع مرات : (ومالنا أن لا نتوكل على الله وقد هدانا سبلنا) الآية ، فإن كنتم آمنتم بالله فكفوا عنا شركم ، ثم ترش حول فراشك بالماء فإنك تبيت تلك الليلة آمناً من شرها » رواه الواحدى فى وسيطه . وقال ﷺ : « من بادر العاطس بالحمد لم يضره شىء من داء البطن » رواه الحكيم الترمذى فى نوادره . قال وداء البطن : وجع الخاصرة . وقال على بن أبى طالب : من قال عند كل عطسة يسمعها ، الحمد لله رب العالمين على كل حال ، لم يصبه وجع الضرس ولا أذن أبداً ، رواه أبو نعيم بإسناده فى كتاب الطب . وقال ﷺ : « من عاد مريضاً لم يحضر أجله فقال عنده سبع مرات أسأل الله العظيم رب العرش العظيم أن يشفيك إلا عافاه الله من ذلك المرض » حديث صحيح رواه الترمذى والنسائى وأبو داود والحاكم فى المستدرك .

وقال ﷺ : « لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ، كنز من كنوز الجنة ، فيها شفاء من تسعة وتسعين داء » ذكره فى الأربعين المقدسية .

وهذا دعاء العهد المشهور . قال ﷺ : « من قال دبر صلاة الصبح بعد ما يسلم هؤلاء الكلمات ، كتبها ملك فى رق وختمه بخاتم ، ثم رفعها إلى يوم القيامة فإذا بعث الله العبد من قبره جاء الملك ومعه الكتاب ، ينادى أهل العهود حتى يدفع إليه ذلك الرق ، والكلمات أن يقـــول : اللهم فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم ، إنى أعهد إليك فى هذه الحياة الدنيا ، إنى أشهد أن لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك ، وأن محمداً عبدك ورسولك ، وأنك إن تكلنى إلى نفسى تقربنى من الشر وتباعدنى من الخير وإنى لا أثق إلا برحمتك ، فاجعل رحمتك لى عهداً عندك تؤديه إلى يوم القيامة ، إنك لاتخلف الميعاد » رواه الحكيم الترمذى فى كتابه نوادر الأصول بإسناده .

ثم قال صالح حدثنا بن عبد الله ، قال حدثنا محمد بن عبد الله ، قال حدثنا إبراهيم بن سليمان المؤدب ، عن عبد الله بن مسلم ، عن أبي هريرة . عن ابن هرمز عن ابن طاووس أنه مر بهذه الكلمات أن تكتب فى كفنه وتدفن معه . قال الفقيه أحمد بن موسى بن عجيل : تجعل أمام الوجه .

وذكر الثعالبى فى تفسير قوله تعالى : (لا يملكون الشفاعة إلا من اتخذ عند الرحمن عهداً) قال النبى ﷺ لأصحابه : « أيعجز أحدكم أن يتخذ كل صباح ومساء عهداً عند الله تعالى ؟ قالوا كيف ذلك يا رسول الله ؟ قال: يقول كل صباح ومساء (اللهم فاطر السموات والأرض) إلى قوله: (فى هذه الحياة الدنيا) بأنى أشهد أن لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك ، وأن محمداً عبدك ورسولك ، وأنك إن تكلنى إلى نفسى ، إلى آخر ما تقدم . فإذا قال ذلك طبع عليه بطابع ووضع تحت العرش ، فإذا كان يوم القيامة نادى مناد : « أين أهل العهود ، أين الذين لهم عند الله عهد فيدخلون الجنة » .

وروى الثعالبى أيضاً عن غالب القطان قال : أتيت الكوفة فنزلت قريباً من الأعمش فكنت أختلف إليه . فلما كان ذات ليلة قام فتهجد فمر بهذه الآية : (شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة) إلى قوله : (العزيز الحكيم) . ثم قال : وأنا أشهد بما شهد الله به، وأستودع الله هذه الشهادة، وهى لى عند الله وديعة (إن الدين عند الله الإسلام) قالها مراراً ، فقلت له إنى سمعتك ترددها فما بلغك فيها ؟ قال : والله لا أحدثك بها إلى سنة ، فمكثت على بابه سنة ، فلما مضت قلت له قد مضت السنة ، فقال حدثنى أبو وائل عن عبدالله ، قال : قال النبى ﷺ : « يجاء بصاحبها يوم القيامة فيقول الله إن لعبدى هذا عندى عهداً وأنا أحق من وفى بالعهد، أدخلوا عبدى الجنة » .

وروى أيضاً بإسناده أن النبي ﷺ قال : « من قرأ (شهد الله) الآية عند منامه خلق الله منها سبعين ألف ملك يستغفرون له إلى يوم القيامة » .

وفي كتاب فضائل الأعمال : أن أبا ذر اشتكى وجع الأضراس . فقال له النبي ﷺ : « صل كل ليلة بين المغرب والعشاء ركعتين بالحمد مرة، وقل يا أيها الكافرون ، وإذا جاء نصر الله، وقل هو الله أحد والمعوذتين مرة مرة ، فإنك لا تشتكى بعدها وجع الأضراس » .

وفيه أيضاً قال ﷺ : « المقتول في سبيل الله شهيد ، والمبطون شهيد. والغريق شهيد ، والملدوغ شهيد ، وصاحب الهدم شهيد والمتردى شهيد ، وصاحب ذات الجنب شهيد ، وصاحب السل شهيد ، والمطعون شهيد ، وأكيل السبع شهيد ، والنفساء شهيد، ورجل ركب دابته فقال حين ركبها: (سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين ، وإنا إلى ربنا لمنقلبون) فوقع ومات فهو شهيد ، ورجل ركب سفينة فقال حين ركبها : (بسم الله مجراها ومرسيها إن ربي لغفور رحيم) حتى مات فيها فهو شهيد ، ورجل نزل منزلا فقال حين نزل : اللهم أنزلني منزلا مباركا وأنت خير المنزلين فمات في ذلك المنزل فهو شهيد » .

وقال ﷺ : « من بلغه فضل عن الله تعالى أعطاه الله ذلك وإن لم يكن كذلك » أخرجه في الأربعين السباعية وفي الياقوتة في العبادات . وروى في كتاب الترغيب والترهيب لأبي القاسم إسماعيل بن محمد التيمي بإسناده أن النبي ﷺ قال : « من بلغه عن الله شيء فيه فضيلة فأخذ به إيماناً ورجاء ثوابه ، أعطاه الله ذلك وإن لم يكن كذلك » .

وهذه رقية لجميع الأوجاع : روى النسائي وأبو داود أنه ﷺ قال: « من اشتكى منكم شيئاً أو اشتكاه أخ له فليقل ، ربنا الله الذي في السماء تقدس اسمك ، أمرك في السماء والأرض كما رحمتك في السماء ، فاجعل

رحمتك فى الأرض واجعل لنا من أمرنا رشداً . واغفر لنا حوبنا وخطايانا إنك أنت رب المطيبين ، وأنزل رحمة من رحمتك وشفاء من شفائك على هذا الوجع فيبرأ ، ويروى المتطبيين بدل المطيبين - والحوب الإثم - والله أعلم .

وهذه آيات مباركات نافعات لجميع العاهات أحببت أن أضيفها مع الدعوات وهى نافعة من العين والفالج والجذام والبرص ولمائة داء من الأمراض المعضلات ، وهى حرز من كل الآفات ، وهى الفاتحة وأربع آيات من أول سورة البقرة (وإلهكم إله واحد) وآية بعدها وآية الكرسى وآيتان بعدها وثلاث آيات من آخر البقرة ، وآيتان من أول آل عمران (وشهد الله) الآية (وإن ربكم الله) فى سورة الأعراف وآيتان بعدها ، وآيتان آخر التوبة (وبالحق أنزلناه وبالحق نزل) الآية. (وقال إنى أشهد الله واشهدوا أنى برىء مما تشركون من دونه) إلى آخر الآيتين فى هود (وقل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن) إلى آخر سبحان و (إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلا) إلى آخر الكهف وأول طه إلى (الأسماء الحسنى) و (أفحسبتم أنما خلقناكم عبثاً) إلى آخر السورة وعشر آيات أول الصافات و (أليس الله بكاف عبده ، ألا إلى الله تصير الأمور) و (يا معشر الجن والإنس) والآيتان اللذان بعدها فى سورة الرحمن ، وست آيات أول الحديد ، وأربع آخر الحشر (وأنه تعالى جد ربنا ما اتخذ صاحبة ولا ولداً) الآيتين فى الجن وسورة القدر ، ولم يكن، وإذا زلزلت ، وألهاكم التكاثر ولإيلاف قريش ، والكافرون ، والإخلاص ، والمعوذتان .

ذكر الفقيه بطال فى كتاب الأربعين منها ثلاثاً وثلاثين آية وقال ﷺ : « من قرأها فى ليلة لم يصبه فى هذه الليلة لص طارىء ولا سبع

ضارى وعوفى فى نفسه وأهله وماله حتى يصبح » وقرأها ﷺ على رجل به جنون فبرأ . رواه ابن السنى ، قال شعيب بن حرب : وكنا نسميها آيات الحرز .

وقال ﷺ للذى رقى مجنوناً بفاتحة الكتاب حتى برأ وأعطى جعله مائة شاة : « خذها فلعمرى لمن أكل برقية باطلة ، لقد أكلت برقية حق » رواه أبو داود وابن السنى وقال لآخر رقى لديغاً بالفاتحة على قطيع من الغنم جعلا له حتى برأ « وما يدريك أنها رقية قد أصبتم، أقسموا واضربوا لى معكم سهماً » روى الصحيحين . وقال ﷺ : « فاتحة الكتاب رقية من كل شىء إلا السام » ـ والسام : الموت ـ . ذكره فى كتاب النجم . ويروى: « فاتحة الكتاب شفاء من كل سم » ويروى : « من كل داء » ذكره الثعالبى ودلائل ذلك أكثر من أن تحصى .

وقد تقدم فى القسم الخامس عشر من الباب الثالث فى فضل كل القرآن ما يكفى والحمد لله ، وقد تقدم فى القسم الثانى منه ، وفى السابع والعشرين والذى بعده ، وفى الباب الذى قبل هذا من الأذكار ، ما إذا استعملته مع الذى فى هذا الباب بأن ذلك فضله وبركته إن شاء الله .

وقال ﷺ : « من اشتكى ضرسه فليضع أصبعه عليه ، ثم ليقرأ هذه الآية : (هو الذى أنشأكم وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلا ما تشكرون) رواه ابن الصلاح فى منتخبه ، وروى فيه أيضاً بإسناده أن النبى ﷺ لما قال له ابن رواحة يارسول الله : إنى أشتكى ضرسى أذانى ، فقال له النبى ﷺ : « أدن منى فو الذى بعثنى بالحق نبياً لأدعون لك بدعوة لا يدعو بها مؤمن مكروب إلا كشف الله عنه كربه ، ثم وضع ﷺ يده عليه — يعنى الخد الذى فيه الوجع — وقال : « اللهم أذهب عنه سوء ما يجد وفحشه ، بدعوة نبيك المبارك المسكين عندك » سبع مرات قال فشفاه الله قبل أن يبرح .

وروى فيه أيضاً أنه قال : انحدرت الشياطين من الجبال والأودية يريدون النبي ﷺ ، وفيهم شيطان معه شعلة من نار يريد أن يحرقه بها ، فلما رآهم النبي ﷺ فزع منهم وجاءه جبرائيل عليه السلام فقال: قل أعوذ بكلمات الله التامات التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر من شر ما خلق وبرأ وذرأ . ومن شر ما ينزل من السماء وما يعرج فيها ، ومن شر ما ذرأ في الأرض وما يخرج منها ، ومن شر فتن الليل والنهار ومن شر كل طارق إلا طارقاً يطرق بخير يا رحمن ، قال : فطفئت نار الشياطين وهزمهم الله تعالى ، ونحوه في الموطأ قال ﷺ : « رأيت ليلة أسرى بي عفريتاً من الجن يطلبني بشعلة من نار ، كلما التفت رأيته ، فقال لي جبريل عليه السلام ألا أعلمك كلمات تقولهن فتطفىء شعلته ، ويخر لفيه ؟ قلت بلى يا جبريل ، قال : قل أعوذ بوجه الله الكريم وبكلمات الله التامات، إلى آخر ما تقدم .

وكان ﷺ يعلمهم من الفزع كلمات وهي أعوذ بكلمات الله التامات من غضبه وشر عباده ومن همزات الشياطين ، وأعوذ بك رب أن يحضرون . وكان عبد الله بن عمر(١) يعلمهن من عقل من بنيه ومن لم يعقل ، يكتبهن ويعلقهن عليه . رواه أبو داود والنسائي والترمذي وقال حديث حسن . وذلك أيضاً ينفع من السهر والوحشة ، وفي ذلك أحاديث رواها ابن السني وغيره .

وفي كتاب حلية الأولياء لأبي نعيم الحافظ بإسناده إلى محمد بن يوسف قال : كان أبو عبد الله النباحي مستجاب الدعوة ، وله آيات وكرامات ، بينا هو في بعض أسفاره على ناقة له وكان في الرفقة رجل عائن ، كلما نظر إلى شيء أتلفه وأسقطه ، وكانت ناقة أبي عبد الله فارهه ، فقيل له احفظها من العائن ، فقال ليس له إلى ناقتي سبيل ، فأخبر العائن بقوله ، فتحين غيبة

(١) في نسخة « عمرو » .

أبي عبد الله فجاء إلى رحله فعان ناقته وسقطت تضطرب من ساعتها ، فأتى أبو عبد الله فقيل له إن العائن قد عان ناقتك وهى كما تراها تضطرب، فقال دلونى على العائن فدل عليه ، فوقف عليه وقال : بسم الله حبس حابس وشهاب قابس، وحجر يابس وليل عابس وبحر طامس، رددت عين العائن عليه ، وعلى أحب الناس إليه فى كلوتيه رشيق ، وفى ماله يليق « فارجع البصر هل ترى من فطور » إلى قوله « وهو حسير » فخرجت حدقتا العائن وقامت الناقة لا بأس بها . وقد قدمت فى الباب الذى قبل هذا مما تدفع به العين والعاهات ، ما فيه كفاية إن شاء الله تعالى والحمد لله .

وقال الحسن : دواء إصابة العين أن يقرأ الإنسان : (وإن يكاد الذين كفروا ليزلقونك بأبصارهم لما سمعوا الذكر) الآية ذكره الثعالبى .
وقال ﷺ : « إذا أصاب أحدكم الحمى فإن الحمى قطعة من النار ، فليطفئها عنه بالماء فليأت نهراً جارياً ويستنقع فيه وليقل: بسم الله اللهم اشف عبدك وصدق رسولك ، ويكون بعد صلاة الصبح وقبل طلوع الشمس فينغمس فيه سبع مرات يفعل ذلك ثلاثة أيام ، فإن لم يبرأ فى ثلاثة فخمسة ، فإن لم يبرأ فى خمسة أيام فسبعة ، فإن لم يبرأ فى سبعة فتسعة أيام ، فإنها لا تكاد تجاوز تسعة أيام حتى يبرأ بإذن الله تعالى » رواه الترمذى فى جامعه .

وقال ﷺ : « علمنى جبريل عليه السلام دواء لا أحتاج معه إلى أدوية الأطباء ، قال : تأخذ من ماء مطر لم يمسه سقف فتقرأ عليه فاتحة الكتاب سبعين مرة وآية الكرسى مثله ، والإخلاص مثله ، وقل أعوذ برب الفلق وقل أعوذ برب الناس مثله ، ولا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد يحيى ويميت وهو على كل شىء قدير مثله — يعنى سبعين مرة — ثم تشرب من ذلك الماء سبعة أيام متوالية على الريق، تفطر به وأنت صائم عند المغرب تشفى من كل داء فى جسدك ، قال نسخ

من اللوح المحفوظ ، ذكره فى تجريد الصحاح الستة صحيح البخارى ومسلم والموطأ وسنن الترمذى وأبى داود والنسائى .

وروى ابن الصلاح فى منتخبه بإسناده عن بعض ولد أبى مسلم أن هذه الآيات إذا وضعت على من به صداع شديد سكن وجعه وذلك مجرب ، وذكر فيه حكاية عجيبة وهى : بسم الله الرحمن الرحيم « كهيعص ذكر رحمة ربك عبده زكريا ، إذ نادى ربه نداء خفياً » بسم الله الرحمن الرحيم « حمعسق كذلك يوحى إليك وإلى الذين من قبلك الله العزيز الحكيم » بسم الله الرحمن الرحيم كم من نعمة من الله على كل قلب خاشع وغير خاشع ، وكم من نعمة من الله على كل قلب شاكر وغير شاكر ، وكم من نعمة من الله على كل لسان ذاكر وغير ذاكر ، وكم من نعمة لله على كل عرق ساكن وغير ساكن ، اسكن أيها الوجع بعزة من له ماسكن فى الليل والنهار وهو السميع العليم ، وفى رواية بعد التسمية الثالثة : سبحان من لا ينسى من ذكره ولا ينسى من نسيه . وفى كتاب مكنون الجواهر قال : روى النحاس أن ما قرىء هذا على شىء من العلل إلا عوفيت بقدرة الله تعالى وهو : اسكن بالله الذى سكن له ما فى الليل والنهار وهو السميع العليم ، سكنتك بالله الذى يمسك السموات والأرض أن تزولا ولئن زالتا إن أمسكهما من أحد من بعده الآية ، وذكر فى ذلك حكاية حسنة عجيبة تشهد بصدقه .

وذكر فيه أيضاً حرز النبى ﷺ وهو : بسم الله أسترعيك ربك ، وأعيذك بالواحد من شر كل حاسد قائم أو قاعد ، وكل خلق زائد يأخذ بالمراصد وفى طرق الموارد لا يضروه ولا يطرقوه ولا يطوروه فى يقظة ولا منام ولا فى ظعن ولا مقام ، حندس الليالى وآخر الأيام ، يد الله فوق أيديهم ، وحجاب الله فوق عاديهم .

قال أبو عمرو : من كان هذا معه لم يبال بأى أرض بات .

وروى ابن السنى أن النبى ﷺ قال : « بسم الله الرحمن الرحيم وأعيذك بالله الأحد الصمد الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد ، من شر ما تجده ، يا عثمان تعوذ بها فما تعوذتم بمثلها » وقال ﷺ : « إذا دخلت على مريض فمره فليدع لك ، فإن دعاءه كدعاء الملائكة » وأتى رجل إلى النبى ﷺ يشكو الوحشة فقال : « أكثر من أن تقول : سبحان الملك القدوس رب الملائكة والروح جللت السموات والأرض بالعـــزة والجبروت، فقالها الرجل فذهبت عنه الوحشة .

وقال ﷺ : « من قرأ آية الكرسى عند الحجامة كانت منفعة حجامته » روى هذه الثلاثة أيضاً ابن السنى . وقال ﷺ : « ما من عبد تصيبه مصيبة فيقول : إنا لله وإنا إليه راجعون ، اللهم أجرنى من مصيبتى واخلف لى خيراً منها ، إلا آجره الله فى مصيبته واخلف له خيراً منها » رواه مسلم ، ويروى : « وإن تقادم عهدها » رواه الثعالبى ، ويروى : « اللهم عندك أحتسب مصيبتى فآجرنى فيها . وأبدلنى خيراً منها » رواه فى السنن ، وروى : « ما من نعمة وإن تقادم عهدها فيجدد لها العبد بالحمد إلا جدد الله له ثوابها وأجرها ، وما من مصيبة وإن تقادم عهدها فيجدد لها العبد بالاسترجاع إلا جدد الله له ثوابها وأجرها » رواه الحكيم الترمذى فى نوادره ، وما أحسن قوله تعالى : (وبشر الصابرين الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون ، أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون) .

وقال ﷺ : « ليسترجع أحدكم فى كل شىء حتى فى شسع نعله ، فإنها من المصائب » رواه ابن السنى . والشسع : سيور النعل التى تشد إلى الزمام، فينبغى أن يقول ذلك عند كل مصيبة ، وإن قلت حتى عند انطفاء مصباحه ونحوه ، فكل ما آذى المؤمن فهو مصيبة ، وقال ﷺ : « إذا مات ولد العبد قال الله تعـــالى لملائكته قبضتم ولد عبدى ، فيقولون نعم ! فيقول

قبضتم ثمرة فؤاده ؟ فيقولون نعم ! فيقول ماذا قال عبدى ؟ فيقولون حمدك واسترجع ، فيقول الله تعالى ابنوا لعبدى بيتاً فى الجنة وسموه بيت الحمد ، رواه الترمذى وقال حديث حسن .

وقال ﷺ : « لو أن أحدكم إذا أتى أهله قال : بسم الله ، اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان مارزقتنا ، فقضى بينهما ولد ، كان لم يضره الشيطان ، روى فى الصحيحين . وروى الثعالبى بإسناده عن كعب فى قوله تعالى : (وإذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجاباً مستوراً) الآية . قال كان رسول الله ﷺ يستتر من المشركين بثلاث آيات التى فى الكهف ، (إنا جعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفى آذانهم وقراً ، وإن تدعهم إلى الهدى) الآية ، والتى فى النحل ، (أولئك الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم) إلى قوله (غشاوة) فكان ﷺ إذا قرأهن ستر من المشركين . قال كعب : فحدثت بهن رجلا خرج من الشام فأسر بأرض الروم فمكث ما شاء الله ، ثم قرأهن فخرج هارباً ، فخرجوا فى طلبه حتى كانوا يكونون معه فى طريقه ولا ينظرونه .

وقال الكلبى : حدثت به رجلا بالرى فأسر فى الديلم ، فمكث ما شاء الله ثم قرأهن ، فخرج هارباً فخرجوا فى طلبه حتى جعلت ثيابهم تمس ثيابه فما يبصرونه .

وقال ﷺ : « إذا انفلتت دابة أحدكم بأرض فلاة ، فليناد ياعباد الله احبسوا ، يا عباد الله احبسوا ، فإن لله عز وجل حاضر فى الأرض سيحبسه » رواه ابن السنى : قال النووى : كنت مع جماعة فانفلتت منا بهيمة وعجزوا عن تحصيلها ، فقلته ، فوقفت فى الحال بغير سبب إلا هذا الكلام . قال : وحكى لى بعض شيوخى نحو ذلك .

قلت : وأخبرنى من أثق به أنه انفلتت له بهيمة عجزوا عنها ، فقال ذلك

فوقفت فى الحال . ويروى أن امرأة أسرت من حلب إلى الروم فى أيام سيف الدولة ، فهربت منهم ومشت مائتى فرسخ لم تطعم شيئاً ، فقدمت إلى سيف الدولة ، فقال لها : كيف قويت على المشى وعشت بلا طعام ؟ فقالت كلما جعت أو عييت قرأت قل هو الله أحد ثلاث مرات ، فأشبع وأروى وأقوى . رواه الثعالبى .

وروى ابن السنى عن يونس بن عبيد التابعى قال : ليس من رجل يكون على دابة صعبة فيقول فى أذنها (أفغير دين الله يبغون وله أسلم) إلى قوله: (ترجعون) إلا وقفت بإذن الله تعالى . ونحو ذلك روى الثعالبى عن ابن عباس ويروى أن دابة النبى ﷺ عثرت ، فقال رجل : تعس الشيطان ، فقال ﷺ : « لا تقل تعس الشيطان ، فإنك إذا قلت ذلك تعاظم حتى يكون مثل البيت ، ولكن قل : « بسم الله ، فإنك إذا قلت ذلك صغر حتى يبقى مثل الذباب » رواه ابن السنى ونحـــوه فى سنن أبى داود ورواه فى المهذب .

وغيره عن ابن عباس قال : كنا مع عمر رضى الله عنه فى سفر فأصابنا رعد وبرق ، فقال لنا كعب من قال حين يسمع الرعد : سبحان من يسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته ثلاثاً ، عوفى من ذلك الرعد . فقلنا ذلك فعوفينا . وكان طاووس يقول إذا سمع الرعد : سبحان من سبحت له ، ويكررها . ذكرهما النووى فى كتاب الأذكار . وفى تفسير الثعالبى قال ابن عباس رضى الله عنه : من سمع الرعد فقال : سبحان الذى يسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته وهو على كل شىء قدير ، فإن أصابته صاعقة فعلى ديه ـ والصاعقة : هى أشد صوت الرعد تسقط معه قطعة من نار تحرق ما أصابت ـ ذكره الجوزى والجوهرى والواحدى .

ويروى أن عبد الله بن الزبير كان جالساً مع أصحابه ، فسمع صوت الرعد فترك الحديث وقال : سبحان من سبحت له ، وقال : إن هذا وعيد لأهل الأرض شديد .

وقال ﷺ : « إذا سمعتم الرعد فاذكروا الله ، فإنه لا يصيب ذاكراً» ذكرهما الواحدى فى وسيطه ـ قال : والرعد ملك موكل بالسحاب ، والصوت الذى نسمعه زجره للسحاب إذا زجره ـ ويقال الرعد صوت الملك إذا زجرها . والبرق أثر ضرب الملك للسحاب .

وقال ﷺ : « اللهم لا سهل إلا ما جعلته سهلا ، وأنت تجعل الحزن إذا شئت سهلا » رواه ابن السنى ، فيقول ذلك إذا استصعب عليه أمر ـ والحزن : الغليظ ـ ذكره النووى رحمه الله ونفع به . فإن أكثر ماجمعته قطرة من قطره ، ونقطة من بحره ، وجزاه الله عنا خيراً وجزى والدينا ومشايخنا وكل من أحسن إلينا أفضل الجزاء بمنه وكرمه إنه حكيم رحيم.

ويروى أن جعفر بن محمد دخل على عليل يعوده فقال : اللهم إنك عيرت أقواماً فقلت : (قـــل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا) وأعلم أنك الله ربى القادر على كشف ضرى ، فاكشفه عنى وحوله إلى أعدائك الجاحدين لك . فقالها فعوفى من ساعته ، ذكره أبو الحسين الأندلسى فى كتابه ، وقال ﷺ : « إذا حضرتم المريض أو الميت فقولوا خـــيراً ، فإن الملائكة يؤمنون على ماتقولون » وقال ﷺ : « دعوة المرء المسلم لأخيه بظهر الغيب مستجابة، فإن عند رأسه ملك موكل كلما دعا له بخير قال الملك الموكل به آمين ولك بمثل » رواه مسلم فى صحيحه .

وقال ﷺ : « ما على الأرض من مسلم يدعو الله تعالى بدعوة إلا أتاه الله إياها أو صرف عنـــه من السوء مثلها ، مالم يدع بإثم أو قطيعة رحم » . فقال له رجل : إذاً نكثر ، فقال : « الله أكثر » رواه الترمذى .

وعن أبى سعيد وأبى هريرة أنهما شهدا على النبى ﷺ أنه قال : « من

قال لا إله إلا الله والله أكبر، صدقه ربه فقال: لا إله إلا أنا ، وأنا أكبر، وإذا قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، قال الله : لا إله إلا أنا وحدى لا شريك لى ، وإذا قال لا إله إلا الله له الملك وله الحمد ، قال الله تعالى : لا إله إلا أنا لى الملك ولى الحمد ، وإذا قال لا إله إلا الله ولا حول ولا قوة إلا بالله ، قال الله تعالى : لا إله إلا أنا ولا حول ولا قوة إلا بى » وكان يقول : « من قالها فى مرضه ثم مات ، لم تطعمه النار » رواه الترمذى وابن ماجه وغيرهما ، وهو حديث حسن .

وقال ﷺ : « من قرأ قل هو الله أحد فى مرضه الذى يموت فيه ، لم يفتن فى قبره وأمن من ضغطه القبر ، وحملته الملائكة يوم القيامة بأكفها حتى تجيزه من الصراط إلى الجنة » رواه فى حليـــة الأولياء ، وروى فى سنن أبى داود أن النبى ﷺ قال : « من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة » اللهم اختم لنا بها ، وارزقنا جزيل ثوابها .

وقال ﷺ : « إن لله عموداً عن يمين العرش ، فإذا قال العبد لا إله إلا الله اهتز ذلك العمود ، فيقول الرب تعالى اسكن ، فيقول وعزتك لا أسكن حتى تغفر لقائلها ، فيقول إنى قد غفرت له ، فيسكن عند ذلك » رواه فى الأربعين المحررة . وقال أبو ذر رضى الله عنه : أتيت النبى ﷺ وهو نائم ثم أتيته وقد استيقظ فقال : « ما من عبد يقول لا إله إلا الله ثم مات على ذلك ، إلا دخل الجنة » قلت : وإن زنى وإن سرق ؟ قال « وإن زنى وإن سرق » قلت : وإن زنى وإن سرق ؟ قال : « وإن زنى وإن سرق » قلت : وإن زنى وإن سرق ؟ قال : « وإن زنى وإن سرق » ثم قال فى الرابعة « على رغم أنف أبى ذر » روى فى الصحيحين .

وأخبرنى شيخى الفقيه برهان الدين إبراهيم بن عمر العلوى رضى الله

من لفظه إملاء بإسناده إلى أبي عبدالله القرشي قال: سمعت الشيخ أبا إسحاق ابن طريف يقول: لما حضرت الشيخ أبا الحسن بن غالب الوفاة قال لأصحابه اجتمعوا وهللوا سبعين ألف مرة واجعلوا ثوابها لى، فإنه بلغنى أنها فداء لمؤمن من النار، قالوا: فعملناها واجتمعنا عليها وجعلنا ثوابها له.

وقال القرشي أيضاً سمعت الشيخ أبا زيد القرطبى يقول سمعت فى بعض الآثار أن من قال: لا إله إلا الله سبعين ألف مرة كانت فداءه من النار، فعملت على ذلك رجاء بركة الوعد فعملت منها لأهلى، وعملت منها أعمالا ادخرتها لنفسى، وكان إذ ذاك يبيت معنا شاب كان يقال إنه يكاشف فى بعض الأوقات بالجنة والنار، وكانت الجماعة ترى له فضلا على صغر سنه، وكان فى قلبى منه شيء، فاتفق أن استدعانا فى يوم بعض الإخوان إلى منزله. فبينا نحن نتناول أول طعام والشاب معنا إذ صاح صيحة منكرة واجتمع فى نفسه وهو يقول: يا عم هذه أمى فى النار، وهو يصيح بصياح عظيم لا يشك من سمعه أنه عن أمر عظيم، فلما رأيت ما به من الانزعاج قلت فى نفسى اليوم أجرب صدقه، فألهمنى الله إلى السبعين الألف ولم يطلع على ذلك أحد إلا الله تعالى، فقلت فى نفسى الأثر حق، والذين رووه لنا صادقون، اللهم إن السبعين الألف فداء هذه المرأة أم هذا الشاب من النار، فما استتممت الخاطر فى نفسى إلا أن قال: يا عم ها هى قد أخرجت من النار الحمد لله الحمد لله، فحصلت لى فائدتان: إيمانى بصدق الأثر، وسلامتى من الشاب وعلمى بصدقه.

فقد جمعت لك أيها الطالب فى هذا الباب ما فيه الفائدة الظاهرة فى الدنيا والآخرة إن شاء الله تعالى وبه الثقة، وأنا سائل من كل منتفع به أن يبتهل إلى الله تعالى فى غفران ذنبى مع ذنبه، ولوالدينا ومن يلينا بحبه والمسلمين أجمعين إن الله كريم رحيم.

﴿ فصل ﴾ فيما يرجى من رحمة الله تعالى قال الله تعالى: (قل يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعاً إنه هو الغفور الرحيم) وقال سبحانه وتعالى : (ومن يعمل سوءاً أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفوراً رحيما) وقال عز وجل : (إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء) الآية .

وقال ﷺ : « والذى نفسى بيده لو لم تذنبوا لذهب الله بكم وجاء بقوم يذنبون ويستغفرون فيغفر لهم » رواه مسلم فى صحيحه . وقد وصف الله نفسه بأنه غفور رحيم حليم لطيف غفور كريم ومن يغفر الذنوب إلا الله . وينشد :

أنا المذنب الخطاء والعفو واسع ولو لم يكن ذنب لما وقع العفو

وفى جامع الترمذى قال النبى ﷺ : « قال الله تعالى : يا ابن آدم إنك ما دعوتنى ورجوتنى غفرت لك على ما كان منك ولا أبالى ، يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتنى غفرت لك، يا ابن آدم لو أتيتنى بقراب الأرض خطايا ثم لقيتنى لا تشرك بى شيئاً لأتيتك بقرابها مغفرة — قرابها : هو ما يقارب ملأها — وأنشد بعضهم فى ذلك :

يا رب إن عظمت ذنوبى كثرة فلقد علمت بأن عفوك أعظم
إن كان لا يرجوك إلا محسن فيمن يلوذ ويستجير المجرم
أدعوك رب كما أمرت تضرعاً فإذا رددت يدى فمن ذا يرحم
مالى إليك وسيلة إلا الرجا وعظيم عفوك ثم إنى مسلم

وقال ﷺ : « من لقى الله يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وآمن بالبعث والحساب دخل الجنة » قيل لأبى سلمى : أنت سمعت هذا من رسول الله ﷺ : قال نعم . سمعت منه هذا غير مرة ولا مرتين ولا ثلاث ولا أربع .

وأخبرني والدي عفيف الدين عبد الرحمن بن عمر بن محمد بن عبد الله الحبيشي الوصابي رضي الله عنه وجزاه خيراً سماعاً عليه، قال حدثنا الفقيه محمد بن علي القوتاني، قال حدثنا الفقيه عمر بن عبد الله الحبيشي. قال أنبأنا الفقيه أبو بكر بن خمد بن سعيد، قال حدثنا محمد بن أسعد الصيني بإسناده عن أبي موسى الأشعري، قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا كان يوم القيامة دفع إلى كل مؤمن رجل من أهل الملل، فقيل له هذا فداؤك من النار»، ويروى: «دفع الله تعالى إلى كل مسلم يهودياً أو نصرانياً، فيقول هذا فداؤك من النار».

قال أبو أسامة أحد رواته: هذا الحديث خير للمؤمنين من الدنيا وما فيها، وعده الأئمة من كنوز الحديث، وخرجه مسلم في صحيحه، ويروى: «لا يموت رجل مسلم إلا أدخل الله النار مكانه يهودياً أو نصرانياً».

وأخبرني والدي أيضاً وغيره عن الشعبي عن القاضي أحمد بن عبد الله الهمداني بسنده إلى النبي ﷺ أنه قال: «يصاح برجل من أمتي على رؤوس الخلائق يوم القيامة، فينشر له تسعة وتسعون سجلا كل سجل منها مد البصر، ثم يقول الله تعالى له: أتنكر من هذا شيئاً؟ أظلمك كتبتي؟ قال لا يا رب، فيقول ألك عذر أو حسنة، فيهاب الرجل فيقول لا يارب، فيقول الله تعالى بلى لك عندنا حسنات وإنه لظلم عليك، فيخرج له بطاقة فيها أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله، فيقول يارب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات؟ فيقول: الله عز وجل إنك لا تظلم، فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة فطاشت السجلات وثقلت البطاقة»: قال أبو الحسن الصواف رحمه الله تعالى: والله إني لأحد رواته، لما أملى علينا حمزة هذا الحديث صاح غريب من الحلقة صيحة

فاضت نفسه معها ، وأنا ممن حضر جنازته . قال ابن الأعرابي ـ والبطاقة : هي الورقة ـ .

وقال ﷺ لأبي ذر : « إذا عملت سيئة فاعمل حسنة فإنها عشر أمثالها، قال يا رسول الله : أمن الحسنات قول لا إله إلا الله ؟ قال : « نعم ! هي أحسن الحسنات » رواه الواحدي .

وأخبرني شيخي المقرى يوسف بن محمد الجعفرى الوصابى قراءة عليه وهو يسمع في منزله سنة اثنين وثلاثين وسبعمائة ، قال أخبرني الفقيه أحمد ابن محمد الجعفرى . قال أنبأنا محيي الدين أبو زكريا النووى ، قال أخبرنا أبو البقاء خالد بن يوسف ، قال أنبأنا أبو القاسم الحسين بن هبة الله وغيره قالوا أنبأنا أبو القاسم بن عساكر . قال أنبأنا الشريف بن على خطيب دمشق ، قال أنبأنا أبو عبد الله بن على رسلوان ، قال أنبأنا أبو القاسم الفضل بن جعفر ، قال أنبأنا عبد الرحمن بن القاسم الهاشمى ، قال أنبأنا أبو مسهر ، قال حدثنا سعيد بن عبد العزيز عن ربيعة بن يزيد عن أبي إدريس الخولاني عن أبي ذر عن النبي ﷺ عن جبريل عليه السلام عن الله تبارك وتعالى أنه قال : « يا عبادى إنى حرمت الظلم على نفسى وجعلته بينكم حراماً ، فلا تظالموا ، يا عبادى إنكم تخطئون بالليل والنهار ، وأنا أغفر الذنوب ولا أبالى فاستغفرونى أغفر لكم ، يا عبادى كلكم جائع إلا من أطعمته فاستطعمونى أطعمكم ، يا عبادى كلكم عار إلا من كسوته فاستكسونى أكسكم ، يا عبادى لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل منكم لم ينقص ذلك من ملكى شيئاً ، يا عبادى لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل منكم لم يزد ذلك فى ملكى شيئاً ، يا عبادى لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم قاموا فى صعيد واحد ، فسألونى فأعطيت كل إنسان مسألته ما نقص ذلك مما

عندى إلا كما ينقص المخيط إذ غمس غمسة فى البحر واحدة ، ياعبادى إنما هى أعمالكم أحفظها عليكم ثم أوفيكم إياها ، فمن وجد خيراً فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه » . كان أبو إدريس رضى الله عنه إذا حدث بهذا الحديث جثا على ركبتيه .

وقد روى مسلم فى صحيحه قال أحمد بن حنبل : ليس لأهل الشام حديث أشرف من هذا الحديث . وقال ﷺ : « لله تعالى مائة رحمة ، أنزل منها رحمة واحدة بين الجن والإنس والبهائم والهوام ، فيها يتعاطفون وبها يتراحمون ، وأخر تسعة وتسعين رحمة يرحم بها عباده يوم القيامة » . ويروى : « كل رحمة منها كطباق الأرض » — أى تغطى الأرض كلها — وقال ﷺ : « يخرج الله يوم القيامة من النار من قال لا إله إلا الله وفى قلبه وزن ذرة من خير » . ويروى : « إن الله تعالى يقول اخرجوا من النار من ذكرنى يوماً أو خافنى فى مقام » . وقال ﷺ : « من أذنب ذنباً فعلم أن الله تعالى قــد اطلع عليه ، غفر له وإن لم يستغفره » . ويروى : « من ساءته خطيئة غفر له وإن لم يستغفر » .

ويروى أن جبريل عليه السلام نزل على النبى ﷺ بسبع بشارات كرامة له ﷺ ، أولها : يقول الله تعالى يا محمد من أطاعنى من أمتك كما ينبغى منه قبلت طاعته وجزيته الجزاء على طاعته كما ينبغى من لا كما يليق به . البشارة الثانية : أنظر فى جوارحه السبعة فإذا كانت واحدة منهن مطيعة وستة مذنبة وهبت الستة المذنبة للواحدة المطيعة . البشارة الثالثة : من تاب منهم من المعاصى والآثام أخرجته من ذنوبته كيوم ولدته أمه . البشارة الرابعة : من أصر على الذنب ابتليته بالأسقام

والأمراض حتى أطهره على كره منه . البشارة الخامسة : إن من أذنب ذنباً يعلم أنه قد أساء فيه غفرت له ولا أبالى ، البشارة السادسة : أفتح عليهم الهاوية أربعين يوماً والزمهرير أربعين يوماً ، واجعل ذلك حظهم وحقهم من النار . البشارة السابعة : إذا قامت القيامة وقاموا بين يدى حاسبتهم حساب المولى الكريم للعبد الضعيف » .

وقال سفيان بن عيينة : أبشروا فإنه ما استقصى كريم قط . وقال على كرم الله وجهه : ليس فى القرآن آية أرجى من قوله : ﴿ ولسوف يعطيك ربك فترضى ﴾ ولا يرضى ﷺ أن يدخل النار أحد من أمته .

وقال ﷺ : « ما من أمة إلا وبعضها فى النار وبعضها فى الجنة وأمتى كلها فى الجنة » وقال جابر بن عبد الله : من زادت حسناته على سيئاته فهو الذى يدخل الجنة بغـــير حساب ، ومن تساوت حسناته وسيئاته فهو الذى يحاسب حساباً يسيراً . ومن زادت سيئاته على حسناته فذلك أوبق نفسه وأغلق ظهره ، وإنما تدخر شفاعة النبى ﷺ لمثله . وقد قال ﷺ : « ادخرت شفاعتى لأهـــل الكبائر من أمتى » رواه الترمذى وغيره .

اللهم إنا نسألك بجاهه عندك أن تجعلنا من أمته ، ولا تحرمنا بركة شفاعته .

ويا رحمن فاجعلنى وأهلى ... بيوم الحشر فى ظل اللواء
لواء محمـــد خـــير البرايا ... وشفعه بنـــا يوم اللقـــاء
فقد أحببته والرســـل كلا ... وهم ذخرى إلى يوم الجزاء
وقد أقررت فى ذنبى وضعفى ... وإتيان الفواحش فى صبائى

فقابلنى بعفو منك جم وجملى وحقق لى رجائى
ولا توحش بيوم الحشر قلبى بحق العلم واسمع لى دعائى
وللآباء فاغفر كل ذنب وخلصنا الجميع من البلاء
وجازهم الجميل بكل خير وأكرم روحهم فى الأولياء

وقال ﷺ : « والذى نفسى بيده إن العبد ليدعو الله وهو عليه غضبان فيعرض عنه ، ثم يدعوه فيعرض عنه ، ثم يدعوه فيقول الله تعالى لملائكته أبى عبدى أن يدعو غيرى فاستجبت له » رواه القشيرى فى رسالته . ويروى : أذنب عبد ذنباً فقال رب اغفره فغفره الله ، ثم أذنب ذنباً آخر ، فقال رب اغفره فغفره له ، ثم أذنب فقال رب اغفرلى ، فقال الله تعالى علم عبدى أن له رباً يغفر الذنب ويأخذ به ، غفرت لعبدى فليعمل ما شاء » روى فى الصحيحين بما هذا معناه .

وقال ﷺ : « يقول الله تعالى أنا عند ظن عبدى بى ، وأنا معه حيث يذكرنى ، فإن ذكرنى فى نفسه ذكرته فى نفسى ، وإن ذكرنى فى ملأ ذكرته فى ملأ خير منهم ، وإن اقترب إلى شبراً اقتربت منه ذراعاً ، وإن اقترب منى ذراعاً اقتربت إليه باعاً ، وإن آتانى يمشى أتيته هرولة » رواه مسلم .

ويروى : « أن الله تعالى يقول أنا عند ظن عبدى بى ، وأنا معه إذا دعانى ، وأنه ما قال عبد قط يارب ، إلا قال له لبيك ، فيعجل ما شاء ويؤخر ما شاء » .

وروى الترمذى وغيره أنه ﷺ قال : « ما من رجل يدعو الله تعالى بدعاء إلا استجيب له ، فإما أن يعجل الله له فى الدنيا ، وإما أن

يؤخر له فى الآخرة ، وإما أن يكفر عنه بقدر ما دعا ، ما لم يدع بإثم ولا قطيعة رحم » .

فأسأل الله تعالى بحق نبيه محمـــد ﷺ أن يغفر لى الذنوب التى اكتسبتها ، والمعاصى التى اجترحتها ، وأن يختم لى بخير الأعمال والأقوال ، وأن ينجنى من العذاب والأهوال ، وأن يفعل ذلك بوالدى وأحبابى وأصحابى وكافة المسلمين فإنه سبحانه كريم لايرد سائله ، ولايخيب آمله ، وهو أكرم الأكرمين ، وأرحم الراحمين ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم .

الباب السابع

﴿ فى الأذكار ﴾

الأذكار المتكررة فى الأحوال والأعصار ، المكنونة الفضائل ، الباهرة الدلائل ، مما روى أن النبى ﷺ واظب عليه أو عمله وندب إليه ، نظمتها فى هذا الباب مختصراً فضلها جامعاً شملها ، لتكون مع ما تقدم فى الكتاب عمدة لجميع الأصحاب ، فمن أحب اللحوق بالاختيار ، فليتعهد هذه الأذكار فى الحضر والأسفار ، يحصل له إن شاء الله تعالى خير محصول ، لاقتدائه بالرسول ﷺ ، فإن أولى ما تمسك به المتمسكون ، واعتمد عليه المتنسكون ، ما روى عن سيد المرسلين أو عن الصحابة والتابعين ، قال الله تعالى فى محكم كتابه الكريم : (قل إن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم) وقال تعالى : (فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم) .

وقال ﷺ : « أصحابى كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم » . وقال ﷺ : « خير الناس قرنى ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم » .

وقد اختصرت ذلك جهدى وأتيت فيه بكل ما عندى تقريباً للطالب ، وتسهيلا للصاحب ، والثقة بالله سبحانه وتعالى . وقد رويت عن النبى ﷺ مفرقة فجمعتها ، وأشرت إلى تفريقها بأصفار متخللة وضعتها ، ليأخذ كل أحد ما كان إليه راغباً ، وما روى عن أصحابى أو تابعى نسبته إليه غالباً ، وعندى أن حفظ ما فى هذا الباب متعين على كل متدين ، وروى الواحدى فى تفسير قول الله تعالى : (والذاكرين الله كثيراً) عن ابن عباس قال :

يذكرون الله كثيراً فى أدبار الصلوات ، وغدواً وعشياً ، وفى المضاجع ، وكلما استيقظوا من نومهم، وكلما غدوا أو راحوا من منازلهم ذكروا الله .

وسئل ابن الصلاح عن القدر الذى يصير به من الذاكرين الله كثيراً والذاكرات،فقال:إذا واظب على الأذكار المأثورة المثبتة صباحاً ومساءاً وفى الأوقات والأحوال المختلفة ليلا ونهاراً ، وهى مثبتة فى كتاب عمل اليوم والليلة ، كان من الذاكرين الله كثيراً . قلت وقد جمعتها فى هذا الباب راجياً من الله الثواب، وقسمته عشرين قسما .

﴿ الأول ﴾ فيما يقال عند الصباح والمساء والنوم، ويقول إذا استيقظ من نومه عند الصباح : أصبحنا وأصبح الملك لله الواحد القهار ، والحمد لله والكبرياء والعظمة لله ، والخلق والأمر والليل والنهار وماسكن فيهما لله، اللهم اجعل أول يومى هذا صلاحاً وأوسطه نجاحاً وآخره فلاحاً يا أرحم الراحمين . أصبحنا وأصبح الملك لله رب العالمين ، اللهم إنى أسألك خير هذا اليوم وخير ما فيه ، فتحه ونصره ونوره وبركته وهداه ، وأعوذ بك من شر ما فيه وشر ما بعده ، أصبحنا على فطرة الإسلام وكلمة الإخلاص ودين نبينا محمد ﷺ وملة أبينا إبراهيم عليه السلام حنيفاً مسلماً وما أنا من المشركين . اللهم بك أصبحنا ، وبك أمسينا ، وبك نحيا ، وبك نموت ، وإليك النشور ، سمع سامع بحمد الله وحسن إيلائه ، علينا ربنا صاحبنا وأفضل علينا عائذاً بالله من النار ، سمع الله لمن دعاء ليس وراء الله مرمى لمن رمى (سبحان الله الملك القدوس لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير)(١) .

اللهم إنى أسألك العافية فى الدنيا والآخرة . اللهم إنى أسألك العفو والعافية فى دينى ودنياى، وأهلى ومالى . اللهم استر عوراتى وآمن روعاتى.

(١) ما بين القوسين زيادة من نسخة ثالثة .

اللهم احفظنى من بين يدى ومن خلفى وعن يمينى وعن شمالى ومن فوقى، وأعوذ بعظمتك أن أغتال من تحتى . اللهم إنى أعوذ بوجهك الكريم وبكلماتك التامة من شر ما أنت آخذ بناصيته، اللهم أنت تكشف المغرم والمأثم . اللهم لا يهزم جندك، ولا يخلف وعدك، ولا ينفع ذا الجد منك الجد، سبحانك وبحمدك، رب أعوذ بك من الكسل وسوء الكبر، أعوذ بك من عذاب القبر ومن النار . اللهم فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة رب كل شىء ومليكه، أشهد أن لا إله إلا أنت أعوذ بك من شر نفسى ومن شر الشيطان وشركه، وأن أقترف على نفسى سوءاً أو أجره إلى مسلم . اللهم إنى أسألك من فجاة الخير، وأعوذ بك من فجاة الشر، يا حى يا قيوم برحمتك أستغيث فأصلح لى شأنى ولا تكلنى إلى نفسى طرفة عين . اللهم إنى أسألك من فضلك ورحمتك فإنهما بيدك ولا يملكهما أحد غيرك . اللهم عافنى فى بدنى . اللهم عافنى فى بصرى . اللهم إنى أعوذ بك من الكفر والفقر . اللهم إنى أعوذ بك عذاب القبر لا إله إلا أنت . ويكرر هذا الأخير ثلاثاً من الصغر(١) .

اللهم إنى أسألك رحمة من عندك تهدى بها قلبى، وتجمع بها شملى، وتلم بها شعثى، وترد بها ألفتى، وتصلح بها دينى، وتحفظ بها غائبى، وترفع بها شاهدى، وتزكى بها عملى، وتبيض بها وجهى، وتلقنى بها رشدى، وتعصمنى بها من كل سوء، اللهم أعطنى إيماناً صادقاً، ويقيناً ليس بعده كفر، ورحمة أنال بها شرف كرامتك فى الدنيا والآخرة . اللهم إنى أسألك الفوز عند القضاء، ومنازل الشهداء، وعيش السعداء والنصر على الأعداء، ومرافقة الأنبياء . اللهم إنى أنزل بك حاجتى وإن ضعف عملى، وقصر رأيى وافتقرت إلى رحمتك . فأسألك يا قاضى الأمور، ويا شافى الصدور، كما تجير بين البحور أن تجيرنى من عذاب السعير، ومن دعوة الثبور،

(١) لفظ من الصغر فى النسخ الثلاثة وسيذكرها مرة ثانية .

ومن فتنة القبور . اللهم وما قصر عنه رأيى وضعف فيه عملى ، ولم تبلغه نيتى وأمنيتى، من خير وعدته أحداً من عبادك، أو خيراً أنت معطيه أحداً من خلقك ، فإنى أرغب إليك فيه وأسألك يا رب العالمين . اللهم اجعلنا هادين مهتدين غير ضالين ولا مضلين ، حرباً لأعدائك سلماً لأوليائك ، نحب بحبك الناس ، ونعادى بعداوتك من خالفك من خلقك . اللهم منا الدعاء ومنك الإجابة ، وعليك التكلان ، وإنا لله وإنا إليه راجعون ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم . ذا الحبل الشديد والأمر الرشيد ، أسألك الأمن يوم الوعيد ، والجنة يوم الخلود ، مع المقربين الشهود ، والركع السجود ، والموفين بالعهود ، إنك رحيم ودود ، وأنت تفعل ما تريد ، سبحان من تعطف بالعز وقال به ، سبحان الذى لبس المجد وتكرم به ، سبحان الذى لا ينبغى التسبيح إلا له ، سبحان ذى الفضل والنعم ، سبحان ذى الجـــود والكرم ، سبحان الذى أحصى كل شىء بعلمه .

اللهم اجعل لى نوراً فى قلبى ، ونوراً فى قبرى،ونوراً فى سمعى، ونوراً فى بصرى ، ونوراً فى شعرى ، ونوراً فى بشرى ، ونورا فى لحمى ، ونورا فى دمى ، ونورا فى عظامى ، ونورا بين يدى ، ونورا من خلفى ، ونورا عن يمينى ، ونورا عن شمالى ، ونورا من فوقى ونورا من تحتى ، اللهم زدنى نورا وأعطنى نورا واجعل لى نورا . وينبغى أن يقول هذا كله من الصغر بين ركعتى الفجر وصـــلاة الصبح ، وندب أن يفرق بين سنة الصبح والفريضة باضطجاع أو كلام، وأن لا يصل شيئاً من الفرائض بنافلة بعدها لا راتبة ولا غيرها ، بل يفصل بينها وبين الراتبة بتحول أو كلام أو نحوه . ذكره فى الروضة وغرائب الشرحين .

وقال ﷺ : من أصبح لاينوى ظلم أحـــد غفر الله له ماجنى ذلك

اليوم ، وعند المساء ، يقول : أمسينا وأمسى الملك لله إلى آخر مايريد من الذى تقدم إلى قوله ويكرر هذا الأخير ثلاثاً .

﴿ فصل ﴾ ويقول عند إرادة النوم: باسمك ربى وضعت جنبى وبك أرفعه ، إن أمسكت نفسى فارحمها ، وإن أرسلتها فاحفظها بما حفظت به الصالحين ، باسمك اللهم أحيا وأموت ، وذلك بعد أن ينفض فراشه الذى ينام عليه بداخلة إزاره ثلاث مرات ثم يضجع . وينبغى أن يستقبل القبلة عند نومه إما على جنبه الأيمن كالملحود ، ويده اليمنى تحت خده ، وإما على ظهره مستقبلا كالميت المسجى .

قال الشافعى رحمه الله : والنوم على أربع جهات : نوم على القفا وهو نوم الأنبياء ، ونوم على اليمين وهو نوم العلماء والأولياء ، ونوم على الشمال وهو نوم السلاطين لهضم الطعام ، ونوم على الوجه وهو نوم الشياطين . وليجتنب النوم بين قعود ، فإن غلبه النعاس قام أو دفعه بمحادثة أو غيرها ، وإن نام جماعة وهو معهم فالأدب أن يوافقهم أو يقوم عنهم . ويزيد : اللهم أسلمت نفسى إليك وفوضت أمرى إليك ، وألجأت ظهرى إليك ، رهبة ورغبة إليك ، لا ملجأ ولا منجى منك إلا إليك ، آمنت بكتابك الذى أنزلته ، ونبيك الذى أرسلته ، اللهم قنى عذابك يوم تبعث عبادك ثلاثاً . اللهم اغفر لى ذنبى واخسأ شيطانى ، وفك رهانى ، واجعلنى فى الندى الأعلى .

اللهم متعنى بسمعى وبصرى ، واجعلهما الوارث منى ، وانصرنى على عدوى ، وأرنى فيه ثأرى . اللهم إنى أعوذ بك من غلبة الدين ومن الجوع فإنه بئس الضجيع ، اللهم إنى أعوذ بك من الجبن والكسل ، والسآمة والبخل ، وسوء الكبر وسوء المنظر فى المال والأهل وعذاب القبر ، ومن الشيطان وشركه . اللهم أنت خلقت نفسى وأنت تتوفاها ، ولك مماتها ومحياها ، إن أحييتها فاحفظها ، وإن أمتها فاغفر لها .

اللهم إنى أسألك العافية ، الحمد لله الذى أطعمنا وسقانا ، وكفانا وآوانا ، فكم ممن لا كافى له ولا مؤوى . الحمد لله الذى من علىّ فأفضل ، والذى أعطانى فأجــزل . اللهم رب كل شىء ومليكه ، وإله كل شىء ، أعوذ بك من النار . اللهم رب السماوات ورب العرش العظيم ، ربنا ورب كل شىء فالق الحب والنوى منزل التوراة والإنجيل والقرآن ، أعوذ بك من شر كل ذى شر أنت آخذ بناصيته ، أنت الأول فليس قبلك شىء ، وأنت الآخر فليس بعدك شىء ، وأنت الظاهر فليس فوقك شىء ، وأنت الباطن فليس دونك شىء ، اقض عنى الدين واغننى من الفقر .

اللهم أيقظنى فى أحب الساعات إليك ، واستعملنى بأحب الأعمال التى تقربنى إليك زلفى وتبعدنى من سخطك بعداً . أسألك فتعطينى ، وأستغفرك فتغفر لى ، وأدعوك فتستجيب لى . اللهم لا تؤمنى مكرك ولا تولينى غــيرك ، ولا ترفع عنى سترك ، ولا تنسنى ذكرك ، ولا تجعلنى من الغافلين .

اللهم فاطر السماوات والأرض عالم الغيب والشهادة رب كل شىء ومليكه ، أشهد أن لا إله إلا أنت ، أعوذ بك من شر نفسى وشر الشيطان وشركه . ويقرأ المعوذتين ثم ينفث فى كفيه يمسح بهما ما استطـاع من جسده ، يبدأ بهما على رأسه ووجهه وما أقبل من جسده ، يفعل ذلك ثلاث مرات ، ويقرأ الفاتحة وسورة الحرز وتبارك والكافرون وآية الكرسى سبع مرات ، وآخر البقرة وعشر آيات آخر من آل عمران وبنى إسرائيل والزمر والمسبحات ، وإن قرأ الآيات المباركات الذى بينتها فى الباب الذى قبل هذا وبعضها كان أفضل .

قال على : ما كنت أرى أحداً يعقل ينام قبل أن يقرأ الثلاث الآيات

الأواخر من سورة البقرة ، وما كنت أرى أحدا يعقل دخل فى الإسلام ينام قبل أن يقرأ آية الكرسى ، وكانت عائشة تقول عند نومها : اللهم إنى أسألك رؤيا صالحة صادقة غير كاذبة ، نافعة غير ضارة ، ثم لا تتكلم بعـــدها بشىء . وكان بعض الصالحين يواظب على قراءة يس والواقعة وتبارك الملك ويقول : هذا التوفيق لى من الله ، خير لى من ملك الدنيا بحذافيرها .

﴿ فصل ﴾ ويقول من استيقظ من نومه فى الليل وأراد النوم بعده : لا إله إلا الله الواحد القهار ، رب السماوات والأرض وما بينهما العزيز الغفار ، لا إله إلا الله وحده لاشريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير . ويسبح ويحمد ويمجد ويكبر . ويهلل عشراً عشراً . ويقول: سبحان القدوس عشراً ، ويحوقل ثم يدعو بما شاء ، ثم يقول : لا إله إلا أنت ، اللهم سبحانك أستغفرك لذنبى ، وأسألك رحمتك ، اللهم زدنى علماً ولاتزغ قلبى بعد إذ هديتنى وهب لى من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب، اللهم إنى أعوذ بك من ضيق الدنيا وضيق يوم القيامة .

وإذا قام للتهجد قال : اللهم لك الحمد أنت قيوم السماوات والأرض ومن فيهن ولك الحمد، أنت ملك السموات والأرض ومن فيهن ولك الحمد، أنت نور السموات والأرض ومن فيهن ولك الحمد ، أنت الحق ، ووعدك الحق ، ولقاؤك حق ، وقولك حق ، والجنة حق ، والنار حق ، ومحمد حق، والساعة حق . اللهم لك أسلمت ، وبك آمنت وعليك توكلت وإليك أنبت وبك خاصمت وإليك حاكمت ، فاغفر لى ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت ، أنت المقدم وأنت المؤخر ، لا إله إلا أنت ولا حـــول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم . وينفض فراشه بداخلة إزاره إذا عاد ثلاثاً فإنه لا يدرى ما خلفه عليه .

فإذا قلق فى فراشه فلم ينم قال : اللهم غارت النجوم وهدأت العيون وأنت حى قيوم ، لا تأخذك سنة ولا نوم ، يا حى يا قيوم أهدىء ليلى وأنم عينى : اللهم رب السماوات السبع وما أظلت ، ورب الأرضين وما أقلت ، ورب الشياطين وما أضلت ، كن لى جاراً من شر خلقك كلهم جميعاً أن يفرط على أحد منهم ، وأن يبغى على ، عز جارك ، وجل ثناؤك ولا إله إلا أنت .

وإذا خاف الاحتلام فليقل إذا نام : اللهم إنى أعوذ بك من الأحلام والاحتلام ، وأعوذ بك أن يلعب بى الشيطان فى اليقظة وفى المنام ، ثلاث مرات ، ويضيف إليه مما تقدم آية الكرسى وآخر سورة البقرة ، ولا يزال يذكر الله حتى يغلبه النوم . قال بعضهم : وقد يكون الموجب للاحتلام ترك حزبه أو ورده ونحوه .

﴿ فصل ﴾ فإذا استيقظ النائم قال : الحمد لله الذى أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور ، الحمد لله الذى رد على روحى ، وأذن لى بذكره ، الحمد لله الذى يمسك السموات السبع أن تقع على الأرض إلا بإذنه ، الحمد لله الذى خلق النوم واليقظة ، الحمد لله الذى بعثنى سالماً سوياً ، أشهد أن الله يحيى الموتى وهو على كل شىء قدير . ويضيف إليه ماشاء مما يقوله . من استيقظ وهو يريد العود فى النوم . وإذا خرج من بيته فلينظر إلى السماء ويقرأ : (إن فى خلق السموات والأرض) إلى آخر آل عمران ، ويلبس ثوبه وهو فى الدعاء ثم يتوضأ بعد قضاء الحاجة ، ثم يتوجه إلى المسجد فيصلى التحية إن كان قد صلى سنة الصبح وإلا صلاها وأجزت عن التحية ، ثم ينتظر الجماعة مكثراً من الذكر ويسبح ويحمد ويهلل ويكبر ويستغفر سبعين مرة ، ولا يشتغل بعد طلوع الفجر بغير سنة الصبح ،

لا قبلها ولا بعدها . ثم إذا صلى الفريضة اشتغل بعدها بما يقال عقب الصلوات وفى الصباح .

﴿ الثانى ﴾ فيما يقول إذا خرج من بيتـــه أو من المسجد أو عند دخول أحدهما يقول حال خروجه من بيته : بسم الله ، آمنت بالله ، توكلت على الله ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ، حسبى الله (رب أدخلنى مدخل صـــدق وأخرجنى مخرج صدق) الآية . اللهم إنى أعوذ بك أن أضل أو أضل ، أو أزل أو أزل ، أو أظلم أو أظلم ، أو أجهل أو يجهل على ، ويقرأ الفاتحة والمعوذتين ، وليصل قبل خروجه ركعتين ليقيه الله المخرج السوء . وإن كان يريد المسجد زاد على ذلك فى طريقه : اللهم بحق السائلين إليك ، وبحق مخرجى هذا ، فإنى لم أخرجه أشراً ولا بطراً ولا رياء ولا سمعة ، خرجت ابتغاء مرضاتك واتقاء سخطك ، أسألك أن تعيذنى من النار وتدخلنى الجنة .

ويقول عند دخول المسجد : أعوذ بالله العظيم ووجهه الكريم وسلطانه القديم ، من الشيطان الرجيم ، الحمد لله . اللهم صل وسلم على سيدنا محمد ، اللهم اغفر ذنوبى وافتح لى أبواب رحمتك . بسم الله .

قال بعض العلماء : فإن لم يتمكن من التحية لحدث أو شغل ونحوه . قال أربع مرات : سبحان الله والحمد لله ، ولا إله إلا الله والله أكبر ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم . ويقول لمن رآه يبيع أو يشترى فى المسجد : لا أربح الله تجارتك . ولمن ينشد فيه ضالة : لا وجدتها ، أو لا رد الله عليك أو غيرك الواجد . ولمن سمعه ينشد فيه شعراً ليس فيه مدح الإسلام ولا حث على الزهد ومكارم الأخلاق . فض الله فاك ، مرتين أو ثلاثاً .

وقد حث النبي ﷺ على الصدقة فى المسجد فطرح الناس ثياباً ، وهو فى حديث أبى سعيد . ويقول عند الخروج من المسجد جميع مايقوله عند الدخول ، إلا أنه يقول : أبواب فضلك . ويزيد ماتقدم فى الباب السادس ويقول عند باب المسجد إذا أتى لصلاة الجمعة : اللهم اجعلنى من أوجه من توجه إليك ، ومن أقرب ما تقرب إليك ، وأنجح من دعاك وطلب إليك ويقول عند باب المسجد إذا انصرف من الجمعة : اللهم إنى أجبت دعوتك . وصليت فريضتك ، وانتشرت كما أمرتنى ، فارزقنى من فضلك وأنت خير الرازقين .

﴿ فصل ﴾ وقال ﷺ : « إذا دخل الرجل بيته فذكر الله عند دخوله وعند طعامه قال الشيطان : لامبيت لكم ولا عشاء ، وإذا لم يذكر الله عند دخوله وعند طعامه ، قال الشيطان أدركتم المبيت والعشاء » .

فينبغى لمن أراد دخول بيته أن يقول : بسم الله ، اللهم إنى أسألك خير المولج وخير المخرج ، بسم الله ولجنا ، وبسم الله خرجنا، وعلى الله ربنا توكلنا ، ويكثر ذكر الله تعالى ، ثم يسلم على أهل البيت ويزيد : الحمد لله الذى كفانى وآوانى ، الحمد لله الذى أطعمنى وسقانى ، الحمد لله الذى من على أسألك أن تجيرنى من النار . وإن كان مسافراً فوصل قريته صلى ركعتين فى مسجدها قبل دخوله بيته ليقيه الله المدخل السوء ، ويزيد على ذلك : توباً توباً لربنا ، أو بألا يغادر حوباً .

﴿ الثالث ﴾ فيما يقال دبر الصلوات وقسمة النهار . قال الله تعالى : (فإذا فرغت فانصب) أى إذا فرغت من صلاتك فانصب إلى ربك فى الدعاء وسله حاجتك وأرغب إليـــه يعطيك . فيقول عقب الصلاة : سبحان ربى الأعلى الوهاب ، سبحان الله والحمد لله ، ولا إله إلا الله ، والله

أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ، لا إله إلا الله وحــــده لا شريك له ، له الملك وله الحمد يحيى ويميت وهو على كل شيء قدير . لا إله إلا الله ولانعبد إلا إياه ، له النعمة ، وله الفضل ، وله الثناء الحسن ، لا إله إلا الله مخلصين له الدين ولو كره الكافرون ، أستغفر الله ثلاثاً . اللهم لا مانع لما أعطيت ولا معطى لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد . اللهم أنت السلام ومنك السلام وإليك يعود السلام ، تبارکت ياذا الجلال والإكرام ، اللهم أعنى على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك ، اللهم إنى أعوذ بك من الجبن . وأعوذ بك من أن أرد إلى أرذل العمر ، وأعوذ بك من فتنة الدنيا . وأعوذ بك من عذاب القبر . اللهم اغفر لى ذنوبى وخطاياى كلها . اللهم أنعشنى وأجبرنى واهدنى لصالح الأخلاق والأعمال ، إنه لا يهدى لصالحها ولا يصرف سيئها إلا أنت ، أشهد أن لا إله إلا الله الرحمن الرحيم . اللهم أذهب عنى الهم والحزن ، اللهم إنى أعوذ بك من الكفر والفقر . اللهم بارك لى فى الموت وفيما بعد الموت . ويكرر هذا سبعاً ويقرأ المعوذتين .

ويزيد بعد صلاة الصبح خاصة : اللهم إنى أسألك علماً نافعاً وعملا متقبلا ، ورزقا طيباً ، اللهم بك أجادل وبك أصاول وبك أقاتل ، وقد تقدم أول هذا الباب ما يقوله إذا أصبح فيأتى به عند الاستيقاظ ، وبعد طلوع الفجر . أو بعد ركعتى الفجر ، أو بعد صلاة الصبح .

وتقدم أيضاً فى الباب السادس أحاديث حسنة فى ذلك . ويقول بعد الصبح : اللهم إن هذا خلق جـــديد فافتحه على بطاعتك واختمه على بمغفرتك ورضوانك ، وارزقنى فيه حسنة تقبلها منى ، وزكها وضعفها لى ، وما عملت فيه من سيئة فاغفرها لى إنك غفور رحيم . اللهم صل على محمد وعلى آل محمد ، اللهم ارحم أمة محمد ، اللهم سلم على أمة ، اللهم أصلح أمة

محمد ، اللهم ألف بين قلوب أمة محمد ، اللهم اغفر لجميع أمة محمد ، اللهم فرج عن أمة محمد فرجاً عاجلا . وإن قال هذا الأخير بعد كل فريضة كان حسناً ، ويقول بعد ركعتى الفجر جالساً فى موضعه : اللهم رب جبريل وميكائيل وإسرافيل ومحمد ﷺ أعوذ بك من النار ثلاث مرات: فإن كان مسافراً زاد بعد صلاة الصبح : اللهم أصلح لى دينى الذى هو عصمة أمرى ، اللهم أصلح لى دنياى التى جعلت فيها معاشى ، اللهم أصلح لى آخرتى التى جعلت إليها معادى . اللهم إنى أعوذ برضاك من سخطك يقول كل ذلك ثلاث مرات . اللهم لا مانع لما أعطيت ولا معطى لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد .

ويسن أن يخفف بالدعاء صوته ويسمع نفسه . قال فى التنبيه : إلا أن يريد تعليم الحاضرين فيجهر ، قال فى البيان : يجهر حتى يعلم أنهم تعلموا ثم يخفف . وندب أن لا يزيد الإمام على قدر التشهد إذا دعا بعد السلام ، ومن انصرف من صلاة قال : اللهم اجعل خير عمرى آخره ، وخير عملى خواتمه ، واجعل خير أيامى يوم لقاءك .

﴿ فصل ﴾ وإذا قارب طلوع الشمس قرأ المسبعات وهى عشرة أشياء يقرؤها سبعاً سبعاً : الفاتحة ، والمعوذتان ، وقل هو الله أحد ، وآية الكرسى ، وقل يا أيها الكافرون ، وسبحان الله والحمد لله ، ولا إله الا الله والله أكبر ، والصلاة على النبى وآله ، ويستغفر لنفسه ولوالديه وللمسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات . ويقول سبعاً : اللهم افعل بى وبهم عاجلا وآجلا فى الدين والدنيا والآخرة ما أنت له أهل ، ولا تفعل بنا ما نحن له أهل ، إنك غفور رحيم ، جواد كريم ، رؤوف رحيم . فهى هدية الخضر عليه السلام إلى إبراهيم التيمى ، وللمواظبة على ذلك تأثير عظيم وفضل جسيم . ذكره فى كتاب الإحياء .

وذكر أن يقرأ قبل الغروب هكذا لفظه فى الإحياء . فإذا طلعت الشمس قال: الحمد لله الذى وهب لنا هذا اليوم وأقالنا فيه عثراتنا، الحمد لله الذى جللنا اليوم عاقبته ، وجاء بالشمس من مطلعها ، اللهم إنى أصبحت أشهد لك بما شهدت به لنفسك وشهدت به ملائكتك وحملة عرشك وجميع خلقك إنك أنت الله الذى لا إله إلا أنت القائم بالقسط . لا إله إلا أنت العزيز الحكيم ، أكتب شهادتى بعد شهادة ملائكتك وأولى العلم ، اللهم أنت السلام ومنك السلام ، وإليك يعود السلام تباركت ياذا الجلال والإكرام ، أسألك أن تستجيب لنا دعوتنا ، وأن تعطينا رغبتنا ، وأن تغنينا عمن أغنيته عنا من خلقك ، اللهم أصلح لى دينى الذى هو عصمة أمرى ، وأصلح لى دنياى التى فيها معيشتى ، وأصلح لى آخرتى التى إليها منقلبى .

وقال ﷺ : « لأن أقعد فى مجلس أذكر الله فيه من صلاة الغداة إلى طلوع الشمس ، أحب إلى من أن أعتق عشر رقاب ، فإذا طلعت الشمس قدر رمح صلى ركعتين ثم يقول بعدهما : اللهم إنى أصبحت لا أستطيع دفع ما أكره ، ولا أملك نفع ما أرجو ، وأصبح الأمر بيد غيرى ، وأصبحت مرتهناً بعملى ، فلا فقير أفقر منى . اللهم لا تشمس بى عدوى ، ولا تسؤ بى صديقى ، ولاتجعل مصيبتى فى دينى ، ولاتجعل الدنيا أكبر همى ولا مبلغ علمى ، ولا تسلط على من لا يرحمنى . ثم يشتغل بما شاء من أنواع الطاعات . فإذا ارتفعت الشمس وانسلخ النهار من الصبح إلى الظهر صلى الضحى ركعتين أو أكثر مثنى إلى ثلثى عشرة ركعة . وهذا وقت الاختيار، ووقتها من ارتفاع الشمس إلى الزوال .

وقال ابن أبى الصيف : ويقول بعد الضحى مائة مرة : اللهم اغفر لى وارحمنى وتب على إنك أنت التواب الرحيم . ويصرف فاضل أوقاته إلى

إحدى أربع : إما إلى تعليم العلم النافع وهو الذى يزيد فى خوفه من الله تعالى وفى زهده ، ويشتغل بالذكر والقراءة والصلاة أو بما يوصل به خيراً وسروراً إلى أحد من المسلمين ، أو بالاكتساب لعياله بحيث يسلم دينه ويسلم الناس من لسانه ويده وأذاه .

﴿ فصل ﴾ والقيلولة معينة على قيام الليل ، كما أن السحور معين على صيام النهار. فإن كان لا يقوم الليل ولكن لو لم ينم لم يشتغل بخير ، وربما خالط أهل الغفلة وتحدث معهم بالغيبة ونحوها ، فالنوم محبوب له إذ فيه الصمت والسلامة . وقد قال بعضهم : يأتى على الناس زمان الصمت والنوم فيه أفضل أعمالهم . وكم من عابد أحسن أحواله النوم ، وذلك إذا كان يرائى بعبادته ولا يخلص فيها فكيف بالغافل الفاسق ؟

قال سفيان الثورى : كانوا يستحبون إذا تفرغوا أن يناموا طلباً للسلامة . ذكره الغزالى . قال : وأحسن بحال من سلامة حياته فى تعطيل حياته ، إذ النوم أخو الموت ، وهو تعطيل الحياة والتحاق بالجمادات .

وقال القشيرى فى رسالته : لا شىء أشد على إبليس من نوم العاصى يقول : متى ينتبه ويقوم حتى يعصى الله ؟ . وقيل أحسن أحوال العاصى أن ينام إن لم يكن الوقت له لم يكن عليه . وقال ابن مسعود : لست أخاف عليكم النوم ، وإنما أخاف عليكم اليقظة ، فإذا استقلت الشمس سبح الله وحمده . قال ﷺ : « ما تستقل الشمس فيبقى شىء من خلق الله إلا سبح الله وحمده إلا ما كان من الشيطان ، وأعتى بنى آدم » - يعنى شرارهم - .

﴿ فصل ﴾ فإذا زالت الشمس صلى صلاة الزوال أربع ركعات بتسليمة . قال ﷺ : « أربع بعد الزوال تحسب بمثلهن فى صلاة السحر ،

وليس من شيء إلا وهو يسبح الله في تلك الساعة» رواه الترمذي . ويكثر من الطاعات عقب الزوال ، قال ﷺ : « إنها ساعة تفتح فيها أبواب السماء فأحب أن يصعد لي فيها عمل صالح » ثم يصلي فيها سنة الظهر أربعاً قبلها بتسليمتين ، ويجوز بتسليمة واحدة ، فإذا فرغ من الفريضة قال ما شاء مما ذكرناه ، ثم يصلي ركعتين بعد الفريضة ، ويكثر من الذكر بعد الظهر لقوله تعالى : (وسبح بحمد ربك بالعشي والإبكار) والعشي : من الزوال إلى الغروب . ثم يصلي قبل العصر أربعاً إن شاء ، ويقرأ فيها إذا زلزلت والعاديات والقارعة وألهاكم ، ويكثر من الذكر ونحوه بعد العصر لقوله تعالى : (بالغدو والآصال) والآصال : هو ما بعد العصر إلى الغروب .

وقال ﷺ : « لأن أقعد مع قوم يذكرون الله من بعد صلاة العصر إلى أن تغرب الشمس ، أحب إلي من أن أعتق ثمانية من ولد إسماعيل » ، وآخر النهار أكثر ، وصلاة العصر والصبح أصح ما قيل انها الصلاة الوسطى فإذا اصفرت الشمس ، فاشتغل بما اشتغلت به من الأذكار من طلوع الفجر إلى طلوع الشمس ، لأنه قبل الغروب كما ان ذلك قبل الطلوع قال الله تعالى : (وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب) وهو المراد بقوله تعالى : (حين تمسون وحين تصبحون) وهو أحد طرفي النهار ذكر ذلك الغزالي ، فيكثر حينئذ من الاستغفار خاصة ، ومن سائر الأذكار عامة ويقرأ قبل الغروب والشمس وضحاها ، والليل ، والمسبعات ، ويكثر الاستغفار .

﴿ فصل ﴾ ويقول إذا سمع آذان المغرب : اللهم هذا إقبال ليلك وإدبار نهارك وأصوات دعاتك وحضور صلواتك ، اسألك أن تغفر لي . ويقول في إقبال النهار : اللهم هذا إقبال نهارك وإدبار ليلك إلى آخره ،

ويقول بعد سنة المغرب : يا مقلب القلوب ثبت قلوبنا على دينك ، ثم يحيي ما بين العشاءين كما قدمنا . ويقرأ في الركعتين بعد العشاء سورة السجدة وتبارك أو يس والدخان ، ثم يصلي الوتر إن لم يكن معتاداً الصلاة في الليل ، ويقول بعد الوتر : سبحان الملك القدوس رب الملائكة والروح ثلاث مرات ، يرفع صوته في الثالثة: اللهم إني أعوذ برضاك من سخطك ، وأعوذ بمعافاتك من عقوبتك ، وأعوذ بك منك ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك . ثم لا يشتغل بعده إلا بمذاكرة علم أو مطالعة كتاب وأفعال الخير ، لا باللهو فإنما الأعمال بخواتيمها .

وقد روي أن من أوى إلى فراشه لا ينوى ظلم أحد ولا يحقد على أحد غفر له ما اجترم ، ثم في السحر وهو وقت السحور آخر الليل عند خوف طلوع الفجر ، يكثر الاستغفار ، وتكرار الصلاة والأذكار ، فذلك وقت انصراف ملائكة الليل وإقبال ملائكة النهار .

﴿ الرابع ﴾ فيما يقال في صلب الصلاة : يقرأ إذا استوى قيامه للإحرام قل أعوذ برب الناس ذكره الغزالي . وإذا أحرم قال عقب قوله الله أكبر ، الله أكبر كبيراً والحمد لله كثيراً وسبحان الله بكرة وأصيلا ثلاثاً ، وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفاً مسلماً وما أنا من المشركين ، إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين ، لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين اللهم أنت الملك لا إله إلا أنت سبحانك وبحمدك أنت ربي وأنا عبدك ، ظلمت نفسي واعترفت بذنبي فاغفر لي ذنوبي جميعاً ، فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت ، واهدني لأحسن الأخلاق لا يهدي لأحسنها إلا أنت ، واصرف عني سيئها فإنه لا يصرف عني سيئها إلا أنت ، لبيك وسعديك ، والخير كله بيديك والشر ليس إليك ، والمهدي من هديت ، أنا بك وإليك ، ولا ملجأ منك إلا إليك ، تباركت وتعاليت

أستغفرك وأتوب إليك . اللهم باعد بيني وبين خطاياي كما باعدت بين المشرق والمغرب . اللهم نقني من خطاياي كما ينقى الثوب الأبيض من الدنس، اللهم اغسل خطاياي بالماء والثلج والبرد . ثم يقول ، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم من نفخه ونفثه وهمزه . ثم يقرأ ويجمع بين هذه فى النافلة ، ومن صلى منفرداً أو أذن له كل المأمومين ، وإلا فيقتصر على بعضها ولا يطول عليهم ويقول فى ركوعه : سبحان ربى العظيم وبحمده ثلاثاً ، اللهم لك ركعت وبك آمنت ولك أسلمت ، خشع لك سمعى وبصرى ومخى وعظمى وعصبى واستقلت به قدمى ، سبوح قدوس رب الملائكة والروح ، سبحان ذى الملكوت والجبروت ، سبحان ذى الكبرياء والعظمة ، سبحانك اللهم ربنا وبحمدك اللهم اغفر لى .

ويقول حال رفع رأسه من الركوع : سمع الله لمن حمده ، فإذا استوى قائماً قال : ربنا لك الحمد حمداً كثيراً طيباً مباركا فيه ملء السموات وملء الأرض ومابينهما وملء ماشئت من شيء بعد . أهل الثناء والمجد ، أحق ما قال العبد وكلنا لك عبد ، لا مانع لما أعطيت ولا معطى لما منعت ، ولا ينفع ذا الجد منك الجد .

ويقول فى سجوده: سبحان ربى الأعلى ، ثلاثاً ، اللهم لك سجدت ، وبك آمنت ولك أسلمت ، سجد وجهى للذى خلقه وصوره ، وشق سمعه وبصره ، فتبارك الله أحسن الخالقين ، سبوح قدوس إلى آخر الكلام فى الركوع . اللهم اغفر لى ذنبى كله دقه وجله ، وأوله وآخره وسره وعلانيته . اللهم إنى أعوذ برضاك من سخطك إلى آخر مايقول بعد الوتر، ويدعو بما أحب لنفسه وصحبه من أمور الدنيا والآخرة . فقد قال ﷺ : « أما الركوع فعظموا فيه الرب . وأما السجود فاجتهدوا فى الدعاء فقمن أن يستجاب لكم » .

ويزيد على ذلك فى سجدة التلاوة : اللهم اجعلها لى عندك ذخراً ، وأعظم لى بها أجراً ، وضع عنى بها وزراً ، وتقبلها منى كما قبلتها من عبدك داود عليه السلام : (سبحان ربنا إن كان وعد ربنا لمفعولا) .

وتقول فى سجدة السهوة : سبحان من لا ينام ولا يسهو . ذكره بعض العلماء . ويقول بين السجدتين : رب اغفر لى وارحمنى واجبرنى وارفعنى وارزقنى واهدنى وعافنى .

ويقول إذ قنت : اللهم اهدنى فيمن هديت ، وعافنى فيمن عافيت . وتولنى فيمن توليت ، وبارك لى فيما أعطيت ، وقنى شر ما قضيت ، فإنك تقضى ولا يقضى عليك ، وإنه لا يذل من واليت ، ولا يعـــز من عاديت، تباركت ربنا وتعاليت .

قال النووى رحمه الله فى الأذكار : يقول اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وسلم ، وإذا كان إماماً قال : اهدنا ، بلفظ الجمع إلى آخره ، لأنه يكره أن يخص نفسه بدعوة دونهم ، ثم يزيد ما قنت به سيدنا عمر رضى الله عنه : اللهم إنا نستعينك ونستغفرك ، ونستهديك ونؤمن بك ، ونتوب إليك ونتوكل عليك، ونثنى عليك الخير كله ، نشكرك ولا نكفرك ونخلع ونترك من يفجرك . اللهم إياك نعبد ، ولك نصلى ونسجد، وإليك نسعى ونحفد ، نرجو رحمتك ونخشى عذابك ، إن عذابك الجد بالكفار ملحق ، اللهم عذب الكفرة والمشركين الذين يصدون ء عن سبيلك ، ويكذبون رسلك ويقاتلون أولياءك ، ويدينون ديناً غير دينك . اللهم اغفر للمؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات ، وأصلح ذات بينهم ، وألف بين قلوبهم . واجعل فى قلوبهم الإيمان والحكمة ، وثبتهم على ملة رسولك محمد ﷺ ، وأوزعهم أن يوفوا بعهدك الذى عاهدتهم عليه ، وانصرهم على عدوك وعدوهم إله الحق واجعلنا منهم ، وصلى الله على محمد

وآله وصحبه وسلم ، ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا إلى آخر السورة، ويسر المنفرد فى قنوته ويجهر الإمام ويؤمن المأموم على الدعاء ، ويشارك سراً فى الثناء كسائر الدعوات ، فإن لم يسمع قنت سراً ، والتشهد مشهور .

وقد تقدمت صفة الصلاة على النبى ﷺ فى القسم العشرين من الباب الثالث . ويسن لغير الإمام الإسرار بتكبيرة الإحرام وسائر التكبيرات والتشهد والأذكار ، وأما الإمام فيجهر بالتكبيرات ويقول سمع الله لمن حمده ويسر بسائر الأذكار ، والمبلغ كالإمام . ويقول بعد التشهد والصلاة على النبى ﷺ : اللهم اغفر لى ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت وما أسرفت ، وما أنت أعلم به منى ، أنت المقدم وأنت المؤخر ، لا إله إلا أنت . اللهم إنى أعوذ بك من عذاب القبر ، وأعوذ بك من فتنة المسيح الدجال ، وأعوذ بك من فتنة المحيا والممات ، وأعوذ بك من عذاب جهنم ، وأعوذ بك من المغرم والمأثم ، اللهم إنى ظلمت نفسى ظلماً كثيراً كبيراً ولا يغفر الذنوب إلا أنت ، فاغفر لى مغفرة من عندك وارحمنى إنك أنت الغفور الرحيم. اللهم إنى أسألك الجنة وأعوذ بك من النار . اللهم أسألك العفو والعافية والتقى والهدى والعفاف والغنى . فالدعاء قبل السلام وبعده مستجاب ، ومن أقام الصلوات الخمس فى جماعة فكأنما ملأ البر والبحر عبادة ، وتحصل فضيلة الجماعة بصلاته فى بيته بزوجته أو أمته أو ولده لكن فى المسجد أفضل وفيما كثر به الجمع أفضل .

قال النووى رحمه الله : والأفضل الجمع بين كل ما ورد فى هذه المواضع إن لم يشق على غيره ، فإن اقتصر على البعض فليفعل فى وقت آخر بعضها حتى يكون فاعلا بجميعها . وكذلك ينبغى أن يفعل فى كل الأذكار والأحوال .

قلت : وقد فرغت بين ذلك بالأصفار الفاصلة ليأخذ الراغب منها ما أحب ، فكلها قد وردت فى مواضعها . والأفضل أن يجمع بين ذلك المنفرد وبالنوافل والتراويح إن صلاها منفرداً ، فإن كان إماماً لم يزد فى التسبيحات على ثلاث ، ولا فى الدعاء قبيل السلام على قدر التشهد والصلاة على النبى ﷺ . ويكره التطويل إلا إن رضى به كل المأمومين قال ﷺ : « إذا صلى أحدكم بالناس فليخفف . فإن فيهم السقيم والضعيف والكبير » ويروى : « وذا الحاجة » وإذا صلى لنفسه فليطول ما شاء ، وغضب على معاذ لما طول صلاته وقال : « أفتان أنت يا معاذ ؟ » وقال أنس رضى الله عنه : ما رأيت أخف صلاة من رسول الله ﷺ فى تمام . وقال عمر رضى الله عنه : لا تبغضوا الله إلى خلقه ، يقوم أحدكم إماماً فيطول عليهم حتى يبغضوا ما هم فيه .

﴿ فصل ﴾ ويسن للإمام والمنفرد الجهر بالقراءة فى الصبح والجمعة وأول المغرب والعشاء ، وفى كل نفل تسن له الجماعة غير كسوف الشمس ، والأفضل أن يقرأ فى الظهر والصبح من طوال المفصل وهو من الحجرات إلى آخر القرآن ، وفى العصر والعشاء من أوساطه . وفى المغرب من قصاره .

قال النووى : فإن كان إماماً خفف عن ذلك ، إما من القصار وإلا درج قراءته ، ويقرأ فى الركعة الأولى من صلاة الجمعة سورة الجمعة وفى الثانية سورة المنافقين أو بسبح أو الغاشية ، وفى الأولى من ركعتى العيد والاستسقاء بسورة ق ، وفى الثانية اقتربت ، وإن شاء بسبح والغاشية ، وفى صبح يوم الجمعة ألم تنزيل ، وفى الثانية هل أتى ، وفى سنة الفجر الأولى الكافرون وفى الثانية الإخلاص ثلاثاً ، أو فى الأولى ألم نشرح ، وفى الثانية ألم تر ، أو فى الأولى (قولوا آمنا بالله وما أنزل

إلينا) الآية فى البقرة ، وفى الثانية (قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة) الآية ، أو يقـــرأ فى الثانية منهما (ربنا آمنا بما أنزلت) الآية (وإنا أرسلناك بالحق بشيراً ونذيراً) الآية وفى سنة المغرب وركعتى الاستخارة والطواف بسورة الإخلاص .

وقد كان ﷺ أيضاً يقرأ فى الظهر بالليل إذا يغشى ، وفى العصر نحو ذلك ، وقرأ فيهما أيضاً والسماء ذات البروج ، والسماء والطارق ، ونحوهما ، وفى الصبح بالجوار الكنس ، وقرأ إذا زلزلت فى ركعتيه ، وقرأ فى الفجر أيضاً بسورة ق ونحوها ، وفى العشاء والشمس وضحاها ، والتين والزيتون . وقرأ عروة فى المغرب بالعاديات ونحوها ، وقرأ ابن مسعود رضى الله عنه الإخلاص فى أولى المغرب ، وقرأ ﷺ فى المغرب ليلة الجمعة بسورة الإخلاص ، فلو ترك السورة التى تسن فى الأولى قرأها مع الثانية ، ويبدأ بها لا بالثانية . فلو قرأ الثانية فى الأولى قرأ فى الركعة الثانية السورة الأخرى وحدها ، ويسن الفتح على الإمام إذا ارتج ولم يدر ما يقول .

قال نافع : صلى ابن عمر بهم المغرب فقال : ولا الضالين ، ثم ارتج عليه ، فقلت له : إذا زلزلت ، وفى هذا أحاديث كثيرة .

﴿ فصل ﴾ ويسن لمن قرأ فى صلاة أو غيرها ولمن سمع قارئاً فى صلاة أو غيرها إذا مر بآية عذاب استعاذ منه ، أو بآية تنزيه نزه الله تعالى فقال: سبحان الله أو تبارك الله ونحوه ، يقول ذلك بلسانه أو بقلبه ويخفض صوته عند ذكر ما قاله الكفار من نسبة الله تعالى إلى ما لا يجوز عليه سبحانه ، وإذا قرأ آخر التين ، قال : بلى وأنا على ذلك من الشاهدين ، وإذا قرأ آخر القيامة (يحيى الموتى) قال : بلى أشهد ، وإذا قرأ (فبأى حديث بعده يؤمنون) قال : آمنا بالله أو لا إله إلا الله ، وإذا قرأ سبح

اسم ربك الأعلى) قال : سبحان ربى الأعلى . وإذ قرأ (فمن يأتيكم بماء معين) فليقل : الله الواحد الصمد إلى آخر السورة ، وإذا قرأ (فبأى آلاء ربكما تكذبان) قال ولا بشيء من نعمتك ربنا نكذب فلك الحمد ، وإذا فرغ من الفاتحة قال آمين ، فإن زاد رب العالمين كان حسناً .

وإذا مر بآية فيها ذكر النبى ﷺ صلى عليه ، ويقول إذا فرغ من كل سورة فى غير الصلاة صدق الله العظيم ، وبلغ رسوله الكريم ﷺ ، اللهم انفعنا به وبارك لنا فيه الحمد لله رب العالمين وأستغفر الله الحى القيوم .

ويقول عند الختم : اللهم ارحمنى بالقرآن واجعله لى إماماً وهدى ونوراً ورحمة : اللهم ذكرنى منه ما نسيت ، وعلمنى منــه ما جهلت ، وارزقنى تلاوته آناء الليل وأطراف النهار ، واجعله لى حجة يارب العالمين ، ويكثر الدعاء له وللمسلمين ولأئمتهم ، وإذا وجد من نفسه رقة فى أثناء القراءة اغتنم الدعاء لهم رحمة من الله تعــالى ، ذكره الغزالى . ويقول فى مبدأ قراءته : أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم . رب أعوذ بك من همزات الشياطين ، وأعوذ بك رب أن يحضرون . ويقرأ قل أعوذ برب الناس ، وسورة الحمد . قلت : وإذا فرغ من الختمة شرع فى أخرى ، فيقرأ الحمد وأول سورة البقرة إلى قوله المفلحون ، فهذا هو الحال المرتحل .

ويسن للإمام فى صلاة الجهر سكتة طويلة بعد التأمين آخر الفاتحة يقرأ فيها سراً بقدر مايقرأ المأموم الفاتحة ، ذكره النووى .

﴿ الخامس ﴾ مايقول له سامع المؤذن والمقيم: يقول ولو جنباً وحائضاً عقب كل لفظة وعقب الترجيع مثل قوله إلا فى حى على الصلاة على حى الفلاح،

فإنه يقول فى كل لفظة منها لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ، اللهم اجعلنا مفلحين ، وفى قوله الصلاة خير من النوم : صدقت وبررت، صدق رسول الله ﷺ الصلاة خير من النوم،وفى كلمة الإقامة : أقامها الله وأدامها، وجعلنى من صالحى أهلها ، فإن كان السامع فى قراءة أو ذكر ، ندب أن يقطعهما وليجيب ، وإن كان فى نحو بول أو فى صلاة لم يجب حتى يفرغ . فإن أجاب كره ولم تبطل صلاته إن أجاب بما ذكرناه إلا قوله صدقت وبررت فإنه يبطلها .

ثم يصلى المؤذن والسامع على النبى ﷺ ويقول: اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت محمدا الوسيلة والفضيلة والدرجة الرفيعة وابعثه مقاماً محمودا الذى وعدته يارب العالمين، رضيت بالله رباً إلى قوله رسولا ، اللهم صل على محمد وآته سؤله يوم القيامة ، ثم يدعو فإن الدعاء لا يرد بين الأذان والإقامة .

ويسن ركعتان بين الأذان والإقامة ولو للمغرب ، ويسن إذا أراد المؤذن الإقامة أن يتحول إلى موضع آخر . ولا يمشى وهو يقيم .

وقال ﷺ : « إن يد الرب فوق المؤذن يقيه من كل سوء، مالم يتكلم بين الأذان والإقامة » ويروى: « يد الله فوق المؤذن حتى يفرغ من أذانه » وقال ﷺ : « إذا كثر أذان بلدة قل بردها » . ويسن إذا أراد القيام إلى الصلاة أن يسبح ويهلل ويحمد ويكبر ويستغفر ، كل ذلك يأتى بها عشراً ، فإذا انتهى إلى الصف قال : اللهم آتنى من فضلك ماتؤتى عبادك الصالحين .

﴿ السادس ﴾ فى ذكر الخلاء والحمام: يقول إذا أراد دخوله أو دخول الحمام بسم الله . اللهم إنى أعوذ بك من الخبث والخبائث . اللهم إنى أعوذ بك من الرجس النجس الخبيث المخبث الشيطان الرجيم . وإذا خرج من

الخلاء قال : غفرانك الحمد لله الذى أذهب عنى الأذى وعافانى ، الحمد لله الذى قد أذاقنى لذته وأبقى فى منفعته ودفع عنى أذاه ولو شاء لحبسه على . وإذا خرج من الحمام شكر الله على ذلك ، فالماء الحار فى الشتاء من النعيم الذى يسأل عنه ، ولا يدخله بين العشاءين وقريباً من الغروب .

﴿ السابع ﴾ فى أذكار الوضوء : يقول عند صب الماء بسم الله ، وكذا عند المضمضة وعند استنشاقه وقد قدمنا استحباب التسمية عند ابتداء كل شىء . فيقول عند ابتداء الوضوء والغسل والتيمم : بسم الله الرحمن الرحيم . فإذا فرغ منها رفع رأسه إلى السماء واستقبل القبلة وقال قبل أن يتكلم : أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ثلاثاً . اللهم اجعلنى من التوابين واجعلنى من المتطهرين سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك ، فاغفر لى وارحمنى وتب على إنك أنت التواب الرحيم . اللهم صل على محمد وعلى آله وسلم .

وذكر الفقهاء أنه يسن أن يقال بعد التسمية : الحمد لله الذى جعل الماء طهوراً والصلاة نوراً ومحمداً ﷺ بشيراً ونذيراً . وعند غسل اليد : اللهم إنى أسألك اليمن والبركة ، وأعوذ بك من الشؤم والهلكة ، وعند الاستنجاء بالماء : اللهم حصن فرجى وطهر قلبى واستر عورتى ، وآمن روعتى . وعند المضمضة : اللهم اسقنى من حوض نبيك محمد ﷺ كأساً لا أظمأ بعده أبداً ، اللهم ثبتنى بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة . وعند الاستنشاق اللهم لا تحرمنى رائحة نعيمك وجناتك ، وعند غسل الوجه : اللهم بيض وجهى بنورك يوم تبيض وجوه ، وتسود وجوه . وعند غسل اليدين : اللهم أعطنى كتابى بيمينى وحاسبنى حساباً يسيراً ، ولا تعطنى كتابى بشمالى ولا من وراء ظهرى ولا تحاسبنى حساباً شديداً ، وعند مسح الرأس : اللهم حرم شعرى وبشرى على النار ، وأظلنى تحت عرشك يوم لا ظل إلا ظلك .

وعند ومسح الأذنين: اللهم اجعلني من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه، اللهم أسمعني منادى الجنة مع الأبرار، وعند مسح العنق: اللهم فك رقبتى من النار، وأعوذ بك من السلاسل والأغلال. وعند الرجلين: اللهم ثبت قدمى على الصراط المستقيم، اللهم اغفر لى ذنبى ووسع لى فى دارى وبارك لى فى رزقى، وهذا الأخير عن النبى ﷺ، وقد استحب بعضهم الصلاة على النبى ﷺ عند غسل كل عضو من الأعضاء أيضاً.

﴿ الثامن ﴾ فيما يقال فى الأمراض ويقرأ على الأوجاع: فقد ذكرت من ذلك نبذة شافية فى الباب الذى قبل هذا. وينبغى أن يزيد على ذلك: بسم الله أرقيك، من كل شيء يؤذيك، من شر كل نفس أو عين حاسد الله يشفيك، بسم الله أرقيك، اللهم اشف عبدك ينكأ لك عدواً ويؤدى لك فرضاً ويمشى لك جنازة، ويضع سبابته بالأرض ثم يرفعها قائلا: بسم الله ثلاثاً تربة أرضنا بريقة بعضنا. يشفى به سقيمنا بإذن الله ربنا، اللهم رب الناس اذهب البأس، واشف أنت الشافى لا شفاء إلا شفاؤك، شفاء لا يغادر سقما. ويقول سبعاً: أعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما أجد وأحاذر، وهو يرفع يمينه فى كل مرة بعد أن يمسح بها الوجع، ويزيد من به صداع أو حمى بسم الله الكبير، أعوذ بالله العظيم من شر كل عرق نفار، ومن شر حر النار.

قال ابن عباس: وينفع الرعاف أن يقول: إله نوح وإبراهيم ومحمد عليهم الصلاة والسلام، اشفنى واقطع عنى هذا الدم وسيلانه، ويكتب على جبهته بسم الله الرحمن الرحيم (وقيل يا أرض ابلعى ماءك) الآية (وإذا ذكرت ربك فى القرآن وحده) الآية.

وكان خالد بن سعيد رضى الله عنه إذا ضربت عليه العروق من عين وجع قال: يا مسكن العروق الضاربة، ومنيم العيون الساهرة، سكن عروقى الضاربة، وأذن لعينى بنوم عاجل فى عافية.

وقال الليث : ينفع للنشر أن يقول خمساً أو سبعاً : بسم الله الأعز الأكرم ، اللهم اذهب عنى الداء والألم ، وأنزل بى الشفاء وأبرىء السقم .

وروى جعفر بن محمد عن أبيه عن جده قال : من اشتكى ضرسه فليأخذ تراباً من موضع سجوده ثم يقول : الشافى الله ، والله المستعان ولا حول ولا قوة إلا بالله .

وله أيضاً : اسكنى أيتها الريح بالله الذى سكن له ما فى السموات والأرض وهو السميع العليم ، وله أيضاً : يكتب على كاغد قوله تعالى : (لكل نبأ مستقر وسوف تعلمون) ويوضع على الضرس ذكره الثعالبى فى تفسيره . ولعرق النسا يقول وهو يمسح الوجع: أقسم لك بالعلى الأعلى لئن لم تنته لأكوينك بنار ولأحلقنك بالموسى . ذكره الثعالبى أيضاً . ويقال إنه يقرأ عليه بسم الله الرحمن الرحيم، اللهم رب كل شىء ، ومليك كل شىء ، وخالق كل شىء ، أنت خلقتنى وخلقت النساء فى فلا تسلطنى عليه بقطع ولا تسلطه على بأذى ، واشفنى ربى شفاء لا يغادر سقماً لا شافى إلا أنت، ذكره ابن الجوزى .

وقال ابن عباس : أسماء أهل الكهف تصلح لسبعة أشياء : للطلب والهرب ، وتطفىء الحريق . تكتب فى خرقة ويرمى بها فى وسطه تخمد بإذن الله ، ولبكاء الطفل تكتب وتصير تحت رأسه ، وللضربان ، والحمى ، والصداع ، وللعيا تشد على الفخذ الأيمن فإنه يمشى ما يشاء ولحفظ المال ، ولركوب البحر ، والنجاة من القتل . كذا ذكره النقاش فى تفسيره وغيره ، وهذه أسماؤهم : يمليخا ، مكسلمينا ، مرطونس ، يينونس ، سارينوس ، اكشفيطنونس ، دونوانس ، والكلب قطمير .

وروى الحافظ أبو نعيم فى كتابه أن جبريل عليه السلام علم النبى ﷺ يقول على الملدوغ : الحمد لله ، ثم يقول : شجة شجة قرينة ملجة بحر فقطا

ترقى بها على السكين سبع مرات ، ويغرس السكين فى الأرض ، قال وهى رقية بالرومية .

﴿ فصل ﴾ واعلم أن عيادة المريض قربة فاضلة ، قال ﷺ : «ما من مسلم يعود مسلماً غدوة إلا صـــلى عليه سبعون ألف ملك حتى يمسى ، ولا يعوده مساء إلا صلى عليه سبعون ألف ملك حتى يصبح ، وكان له خريف فى الجنة» ، وقال ﷺ : «إذا عاد الرجل المريض خاض فى الرحمة . فإذا قعد عنده قرت فيه» فيسن عيادة كل مريض مسلم غباً متوضئاً ماشياً إلا لعذر ، فإن رأى أمارة البرء دعا له وانصرف ، وإن رأى خلاف ذلك رغبة فى التوبة والوصية . فإن رأى منه خوفاً أثنى عليه بمحاسن أفعاله ونحوها ليحسن ظنه بربه عز وجل ، ويسن تطييب نفسه وطلب الدعاء منه وأن لا يطول القعود عنده ولا يأكل من طعامه إلا إن كان يشق عليه فيجبر قلبه بالأكل . وندب أن يضع يده عليه ويسأله كيف هو ، وأن يوصى العائد أهل المريض ومن يخدمه بالإحسان إليه والصبر على مشقته ، ولا تكره العيادة فى وقت إلا أن يشق على المريض ، ولا بأس بقول المريض قوموا عنى .

ويجوز إعادة الذمى فإن كانت له قرابة أو جوار استحبت . ويسن أن يسأل أهل المريض عنه وأن يرد المسئول هو بحمد الله بارىء ، وأن يكثر كل أحد من ذكر الموت والاستعداد له ، وينبغى لمن أيس من حياته إكثار القراءة وأن يقـــول : اللهم أعنى على سكرات الموت . وتكره المنازعة فى غـير الأمور الدينية ، وليبادر إلى أداء الحقوق واستحلال زوجته ووالديه وأولاده . وكل من كان بينه وبينه معاملة أو مصاحبة أو تعلق فى شىء .

ويوصى بما لا يتمكن من فعله فى الحال ، ويشهد على ذلك ويتعاهد

نفسه بقراءة آيات فى الرجاء أو يقرأها له غيره بصوت رقيق وهو يسمع، وليحافظ على اجتناب النجاسة وعلى الصلاة ما أطاق ، وكيف أطاق ، ولا يقبل ممن يخذله عن شىء من ذلك، ويوصى أهله بالصبر عليه فى مرضه وعلى مصيبتهم بعد موته ، وليكثر قول لا إله إلا الله ، فإن لم يقبلها لقنه من حضره من غير ورثته وباغضيه برفق تعريضاً فيقول : ذكر الله مبارك فنذكر الله جميعاً ، سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلا الله ، والله أكبر ، ويصلى على النبى ﷺ فإذا قالها لم يعدها عليه إلا أن يتكلم بكلام آخر ، ويتلى عنده يس والرعد وما تيسر من القرآن ، ويقول الحاضرون : سلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين ، وليحسن الظن بالله تعالى . قال ﷺ : « حسن الظن بالله تعالى ثمن الجنة » ، وينبغى أن يموت فى ثياب طاهرة .

﴿ التاسع ﴾ فى أذكار أحوال الميت . ويقول عند تغميضه : بسم الله وعلى ملة رسول الله ﷺ ، اللهم اغفر له وارفع روحه فى المهديين ، واخلفه فى عقبه فى الغابرين ، واغفر لنا وله يا رب العالمين ، وافسح له فى قبره ، ونور له فيه . ويقرأ عنده يس والبقرة والرعد ، ولا يغمض إلا بعض خروج الروح .

ومن بلغه موت صاحبه قال : إنا لله وإنا إليه راجعون ، وإنا إلى ربنا لمنقلبون ، اللهم اكتبه عندك من المحسنين ، واجعل كتابه فى عليين ، واخلفه فى أهله فى الغابرين ، ولا تحرمنا أجره ولا تفتنا بعده ، وإذا بلغه موت عدو للإسلام قال : الحمد لله الذى نصر عبــده وأعز دينه ، وليكثر الغاسل ذكر الله والدعاء للميت ، فإن رأى ما يعجبه فليحدث به وإن رأى ما يكره من سواد ونحوه حرم أن يحدث به أحداً . وإذا أراد صلاة الجنازة جعل الصفوف ثلاثاً فأكثر ، قال ﷺ : « من صلى عليه

ثلاثة صفوف ، فقد أوجب» ويروى : « دخل الجنة » قال الترمذى حديث حسن ثم يكبر للإحرام ويقرأ الفاتحة ثم يكبر ويصلى على النبى ﷺ ، ثم يكبر ويدعو للميت : اللهم اغفر له وارحمه ، والأكمل أن يقول فى الثالثة : اللهم إن هذا عبدك وابن عبدك خرج من روح الدنيا وسعتها ومحبوبه وأحبائه فيها ، إلى ظلمة القبر وما هو لاقيه ،كان يشهد أن لا إله إلا أنت وأن محمداً عبدك ورسولك وأنت أعلم به ، اللهم إنه نزل بك وأنت خير منزول به ، وأصبح فقيراً إلى رحمتك وأنت غنى عن عذابه ، وقد جئناك راغبين إليك شفعاء له ، اللهم إن كان محسناً فزد فى إحسانه وإن كان مسيئاً فتجاوز عنه ولقه برحمتك رضاك ، وقه فتنة القبر وعذابه وافسح له فى قبره ، وجاف الأرض عن جنبيه ، ولقه برحمتك الأمن من عذابك حتى تبعثه إلى جنتك يا أرحم الراحمين .

وإن كان الميت امرأة قال : اللهم هذه أمتك ثم يعطف الكلام ، اللهم اغفر له وارحمه وعافه واعف عنه ، وأكرم نزله ووسع مدخله ، وأغسله بالماء والثلج والبرد ، ونقه من الخطايا كما نقيت الثوب الأبيض من الدنس ، وأبدله داراً خيراً من داره ، وجيراناً خيراً من جيرانه ، وأهلا خيراً من زوجه وأدخله الجنة وأعذه من عذاب القبر وعذاب النار ، اللهم أنت ربه وأنت خلقته، وأنت هديته للإسلام ، وأنت قبضت روحه وأنت أعلم بسره وعلانيته جئناك شفعاء له فاغفر له ، اللهم إنه فى ذمتك وحبل جوارك فقه من فتنة القبر وعذاب النار ، أنت أهل الوفاء والحق ، اللهم فاغفر له وارحمه إنك أنت الغفور الرحيم .

وإن كان الميت طفلا دعا لأبويه : اللهم اجعله لهما فرطاً ، واجعله لهما سلفاً ، واجعله لهما ذخراً وعظة ، واعتباراً وشفيعاً، وثقل به موازينهما ، وأفرغ الصبر على قلوبهما ، ولا تفتنهما بعده ولا تحرمهما

أجره . ويزيد قبله : اللهم اغفر لحينا وميتنا ، وشاهدنا وغائبنا ، وصغيرنا وكبيرنا ، وذكرنا وأنثانا . اللهم من أحييته منا فأحيــه على الإسلام ، ومن توفيته منا فتوفه على الإيمان والتوبة . اللهم لا تحرمنا أجره ولا تفتنا بعده .

ويسن أن يقول بعد التكبيرة الرابعة : اللهم لاتحرمنا أجره ولاتفتنا بعده (ربنا آتنا فى الدنيا حسنة) الآية .

ويستحب طلب كثرة الجمع للتبرك ورجاء دعوة تستجاب ، روى أنه مات ابن لابن عباس فقال لكريب : أنظر ما اجتمع له من الناس ، قال : فخرجت فإذا ناس قد اجتمعوا فأخبرته . فقال تقول هم أربعون ؟ قلت نعم ، قال أخرجوه فإنى سمعت رسول الله ﷺ يقول : « ما من مسلم يقوم على جنازته أربعون رجلا لا يشركون بالله شيئاً إلا شفعهم الله فيه » رواه مسلم . وقال ﷺ : « أول ما يتحف به المؤمن فى قبره ، أن يغفر الله لجميع من اتبع جنازته » ، وقال ﷺ : « لايموت من المسلمين ميت فيصلى عليه أمة من المسلمين يبلغون أن يكونوا مائة فيشفعون له ، إلا شفعوا فيه » .

﴿ فصل ﴾ ويقول عند حمل الميت : بسم الله ثم يسبح مادام يحمل . قال النووى : وليس فى حمل الجنازة دناءة وسقوط مروءة ، بل هو فضيلة وإكرام للميت ، وليكن الماشى مع الجنازة مشتغلا بذكر الله ، وبالفكر فيما يلقاه الميت . وعن قريب يكون مثله . وما يكون مصيره إليه ساكناً فى حال سيره .

ويكره أن يرفع صوته بقراءة أو ذكر أو غيره ، وأن يتحدث بشىء من أمر الدنيا والمشى عندنا أمامها أفضل ، فيكون بقربها بحيث لو التفت

رآها ، ولا يتقدمها إلى المقبرة فإن فعل لم يكره . ثم هو بالخيار إن شاء قام منتظراً لها ، وإن شاء قعد ، ويتخذ للمرأة ما يسترها من خيمة أوقبة ونحوها . ويقول من مرت به جنازة أو رآها : لا إله إلا الله سبحان الحى الذى لا يموت . ويدعو لها ويثنى بخير إن علمه . ولا يقوم لها فالقيام لها منسوخ .

ويقول من يدخله القبر : بسم الله وعلى ملة رسول الله ، اللهم أسلمه إليك الأشحاء من ولده وأهله وقرابته وإخوانه ، فارق من كان يحب قربه . وخرج من سعة الدنيا والحياة إلى ظلمة القبر وضيقه ، ونزل بك وأنت خير منزول به ، إن عذبته فبذنب ، وإن عفوت عنه فأنت أهل العفو إنك غنى عن عذابه ، وهو فقير إلى رحمتك ، اللهم أشكر حسنته ، واغفر سيئته ، وأعذه من عذاب القبر ، واجمع له برحمتك الأمن من عذابك ، واكفه كل هول دون الجنة ، اللهم اخلفه فى تركته فى الغابرين وارفعه فى عليين ، وجد عليه بفضل رحمتك يا أرحم الراحمين ، ويحثو من على شفير القبر فيه بكفيه جميعاً من قبل رأسه ثلاثاً ويقول فى الأولى (منها خلقناكم) وفى الثانية (وفيها نعيدكم) وفى الثالثة (ومنها نخرجكم تارة أخرى) . أو يقول فى الأولى : اللهم افتح أبواب السماء لروحه ، وفى الثانية : اللهم لقنه حجته عند المسألة ، وفى الثالثة : اللهم جاف الأرض عن جنبيه .

﴿ فصل ﴾ فإذا فرغ من الدفن وسوى عليه التراب ، وقف واحد عند رأسه وقال : يا فلان بن فلان ، أو يا عبد الله بن أمـــة الله ثلاثاً . اذكر العهد الذى خرجت عليه من الدنيا شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله وأن الجنة حق ، وأن النار حق ، وأن البعث حق ، وأن الساعة آتية لا ريب فيها ، وأن الله يبعث من فى

القبور ، قل رضيت بالله رباً ، وبالإسلام ديناً ، وبمحمد ﷺ نبياً . وبالكعبة قبلة، وبالقرآن إماماً، وبالمسلمين إخواناً، ربي الله لا إله إلا هو رب العرش العظيم . كذا ذكره النووى وغيره .

وينبغى أن يبدأ بحمد الله تعالى والثناء عليه والصلاة على رسوله ﷺ وإنما يلقن البالغ لا الصغير .

ويسن أن يقعد عند القبر بعد الفراغ من الدفن بقدر ما تنحر جزور من الإبل ويقسم لحمها ، فيشتغلون بالقراءة والذكر والدعاء للميت ، وحكايات الخير ليستأنس بهم ، وينظر ماذا يرجع به رسل ربه ، فقد ثبت ذلك فى صحيح مسلم وغيره .

قال ابن عمر رضى الله عنهما : وأحب أن يقرأ على القبر بعد الدفن أول البقرة وخاتمتها . قال الشافعى رحمه الله : فإن ختموا القرآن كله كان حسناً .

ويسن الثناء على الميت وذكر محاسنه ، قال ﷺ : « أيما مسلم شهد له أربعة بالخير أدخله الله الجنة » قيل وثلاثة ؟ قال « وثلاثة » قيل واثنان ؟ قال « واثنان » .

وأثنى على جنازة بخير . فقال ﷺ : « وجبت » وعلى أخرى بشر فقال « وجبت » ثم قال : « هذا أثنيتم عليه خيراً فوجبت له الجنة ، وهذا أثنيتم عليه شراً فوجبت له النار ، أنتم شهداء الله فى الأرض ، من أثنيتم عليه بخير فهو من أهله ، ومن أثنيتم عليه بشر فهو من أهله » رواه البخارى فى صحيحه .

وقال ﷺ : « ما من ميت يموت ، فيشهد له رجلان من جيرته الأدنين فيقولان : اللهم لا نعلم منه إلا خيراً ، إلا قال الله تعالى لملائكته :

أشهدكم أنى قد قبلت شهادتهما ، وغفرت له ما لم يعلما ، روى فى الأربعين المحررة ، ويحرم سب الميت المسلم وذكر مساويه .

﴿ فصل ﴾ والتعزية سنة مؤكدة ، قال ﷺ : « من عزى مصاباً ، فله مثل أجره » وقال ﷺ : « من عزى ثكلى ، كسى برداً فى الجنة » وهى الصبر « وذكر ما يسلى صاحب الميت ويخفف حزنه ويهون مصيبته ووقتها من الموت إلى ثلاثة أيام تقريباً ، وتكره بعد مضى الثلاثة إلا أن يكون المعزى أو المعزى غائباً حال الدفن ذكره النووى . ويعم بها جميع أهل الميت وأقاربه الكبار والصغار رجالا ونساء ، إلا أن تكون شابة فلا يعزيها إلى المحارم ، وبأى لفظ عزى حصلت السنة ، والأحسن أن يقول فى تعزية المسلم بالمسلم : أعظم الله أجرك وأحسن عزاءك وغفر لميتك ، لله ما أخذ وله ما أعطى ، وكل شىء عنده بأجل مسمى ، فاصبر واحتسب ، فإن أمضى المصائب ، فقد سرور وحرمان أجر ، فكيف إذا اجتمعا مع اكتساب وزر :

وما الدهر إلا هكذا فاصبر له رزية مال أو فراق حبيب

ويصافح المعزى .

﴿ فصل ﴾ وينبغى للرجل إكثار زيارة القبور سيما يوم الجمعة ، فيقول السلام عليكم دار قوم مؤمنين ، وأتاكم ما توعدون غداً مؤجلون وإنا إن شاء الله بكم لاحقون ، السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين ، ويرحم الله المستقدمين منا ومنكم والمستأخرين ، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون ، أسأل الله لنا ولكم العافية أنتم سلفنا ونحن بالأثر ، اللهم لاتحرمنا أجرهم ، ولا تفتنا بعدهم ، ويكثر من الدعاء للموتى والمسلمين ومن القراءة ، ومن الوقوف على قبور أهل الخير .

واعلم أن بعض العلماء منع الرحلة لزيارة المشاهد وقبور العلمـــاء

والصالحين لقوله ﷺ : « لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد : المسجد الحرام ، ومسجدى هذا ، والمسجد الأقصى » .

قال الغزالى : وما يتبين لى أن هذا الأمر كذلك بل لزيارة مأمور بها لقوله ﷺ : « كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها » والحديث الأول فى المساجد وليس فى معناها المشاهد ، لأن المساجد بعد المساجد الثلاثة متماثلة ولا بلد إلا فيه مسجد فلا معنى للرحـــلة إلى مسجد آخر والمشاهد لا تتساوى بل بركة زيارتها على قدر درجاتهم عند الله تعالى ، نعم لو كان فى موضع لامسجد فيه فله أن يشد الرحل إلى موضع فيه مسجد وينتقل إليه بالكلية إن شاء قال وليت شعرى هل يمنع هذا القائل من شد الرحال إلى قبور الأنبياء كإبراهيم وموسى عليهما السلام ، وذلك فى غاية البعد ! فإن جوزنا ذلك فقبور الأولياء والعلماء والصالحين فى معناها ، كما أن زيارتهم فى الحياة من المقاصد . ثم قال إن هذا فى الرحلة ، وأما فى المقام : فالأولى بالمريد أن يلازم مكانه إذا لم يكن قصده من السفر استفادة علم مهما سلم له حاله فى وطنه ، فإن لم يسلم له موضعاً خاملا أسلم لدينه ، وأفرغ لقلبه ، وأيسر لعبادة ربه ، فهو أفضل المواضع له ، قال ﷺ : « البلاد بلاد الله ، والخلق عباد الله ، فأى موضع رأيت فيه رفقاً فأقم فيه واحمد الله » .

نرجع إلى ما كنا فيه : وليدن الزائر من القبر كما يدنو من صاحبه فى الحياة لو زاره ، ويكره الجلوس على القبر والاتكاء والاستناد ووطؤه إلا لضرورة بأن لا يصل إلى قبر ميته إلا بوطئه ، ولا بأس بالمشى بين القبور ولو بالنعل ، وإذا مر على قبـــور الظلمة ونحوهم فليكثر البكاء وليشرع السير . قال ﷺ : « لا تدخلوا على هؤلاء المعذبين ، إلا أن تكونوا باكين ، لا يصيبكم ما أصابهم » رواه البخارى .

﴿ فصل ﴾ واعلم أنه يجوز البكاء قبل الموت وبعده ، وقبله أولى للحديث الصحيح . « فإذا وجبت فلا تبكين باكية » قال النووى : وقد نص الشافعى والأصحاب أنه يكره البكاء بعد الموت كراهة تنزيه، ولا يحرم وتأولوا الحديث على الكراهة . وفى صحيح البخارى أنه ﷺ دخل على ابنه إبراهيم وهو يجود بنفسه ، فجعل ﷺ تذرف عيناه بالدموع ، فقال له ابن عوف : وأنت يا رسول الله ؟ قال : « إنها رحمة » ثم أتبعها بأخرى فقال : « إن العين تدمع والقلب يحزن ، ولا نقول إلا ما يرضى ربنا ، وإنا لفراقك يا إبراهيم لمحزونون » ويحرم رفع الصوت بإفراط فى البكاء . وما روى أنه ﷺ بكى على ابن مظعون فقال فى بكائه : هاى هاى ، فيحمل على أنه كان مغلوباً ، وما غلب عليه لا يؤاخذ به . ذكره فى البيان . فطوبى لمن بكى من خشية الله تعالى . قال ﷺ : « لو أن عبداً بكى فى أمة . لأنجى الله تلك الأمة من النار ببكاء ذلك العبد ، وما من عمل إلا له وزن وثواب إلا الدمعة ، فإنها تطفىء بحوراً من النار ، وما اغرورقت عين بمائها من خشية الله ، إلا حرم الله جسدها على النار ، وإن فاضت على خده لم يرهق وجهه قتر ولا ذلة » . ويروى : « ما بكى عبد مخلصاً فى ملأ من الملأ إلا غفر الله لهم جميعاً ببركة بكائه » . ويروى : « الباكى من خشية الله ، تهتز له البقاع التى يبكى عندها ، وتغمره الرحمة ما دام باكياً » .

﴿ العاشر ﴾ فى أذكار المسافر : فيقول عند إرادته السفر : اللهم بك أستعين وعليك أتوكل . اللهم ذلل لى صعوبة أمرى ، وسهل على مشقة سفرى ، وارزقنى من الخير أكثر مما أطلب ، واصرف عنى كل شر . رب إشرح لى صدرى ونور قلبى ويسر لى أمرى ، اللهم إنى أستحفظك وأستودعك نفسى ودينى وأهلى وأقاربى وأحبابى ، وكل ما أنعمت به على

وعليهم من آخرة ودنيا ، فاحفظنا أجمعين من كل سوء يا كريم يا حفيظ اللهم إليك توجهت وبك اعتصمت ، اللهم اكفنى ما أهمنى ومالا أهتم له ، اللهم زودنى التقوى واغفر لى ذنبى ووجهنى للخير أينما توجهت ، ويقرأ سورة الكافرون وما بعدها إلى آخر الناس ست سور ، ويضيف إلى ذلك كل مايقوله الخارج من بيته وقد تقدم ، ويسأل أهله ونحوهم الدعاء والوصية ، ويدعو لهم ويسألونه الدعاء فى سفره ، وإن لم يكن أفضلهم ويشيع أربعمائة خطوة .

وإذا ودع إنساناً قال : أستودع الله دينك وأمانتك وخواتيم عملك، زودك الله التقوى وغفر ذنبك ، ويسر لك الخير حيث ماكنت وكفاك الهم ، اللهم اطو له البعيد وهون عليه السفر . فيقول المودع : قبلت ورضيت ، ويرد عليه مثل قوله : استودع الله دينك وأمانتك إلى آخره. وإذا ركب دابة أو سفينة قال عند النهوض : بسم الله ، فإذا استوى عليها قال : الحمد لله الذى رزقنى هذا وحملنى عليه ، سبحان الذى سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين ، وإنا إلى ربنا لمنقلبون الحمد لله والله أكبر ، ثلاث مرات ، سبحانك اللهم إنى ظلمت نفسى وعملت سوء فاغفر لى ، فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت ، اللهم أنا نسألك فى سفرنا هذا البر والتقوى ، ومن العمل ما تحب وترضى . اللهم هون علينا سفرنا واطو عنا بعده ، اللهم أنت الصاحب فى السفر والخليفة فى الأهل ، اللهم إنى أعوذ بك من وعثاء السفر ، وكآبة المنقلب ، وسوء المنظر فى المال والأهل ، ومن الحور بعد الكور ومن دعوة المظلوم ، واذا أخذ فى الرجوع قال ذلك من قوله : اللهم أنا نسألك إلى آخره ، ويزيد آيبون تائبون عابدون لربنا حامدون، ولا يزال يكررها .

وإذا رأى بلدته زاد على هذا الأخير : اللهم اجعل لنا بها قراراً

ورزقاً حسناً . ويزيد ماسيأتي: إذا رأى قرية وحرك دابته ونحوها وأسرع وإذا صعد المسافر جبلا أو ثنية كبر ثلاثاً وقال : لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير ، آيبون تائبون عابدون ساجدون لربنا حامدون ، صدق الله وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده . اللهم لك الشرف على كل شرف ولك الحمد على كل حال وإذا هبط سبح .

وكذا إذا نزل منزلا يسبح حتى يحط رحله. وإذا رأى قرية قال وإن لم يرد دخولها : اللهم ارزقنا جناها وأعذنا من وباها ، وحببنا إلى أهلها وحبب صالحى أهلها إلينا . اللهم رب السموات السبع وما أظللن، ورب الأرضين السبع وما أقللن ، ورب الشياطين وما أضللن ، ورب الرياح وماذرين ، أسألك خيرهذه القرية وخير أهلها وخيرما فيها ، وأعوذ بك من شرها وشر أهلها وشر ما فيها .

فإذا أقبل الليل قال : يا أرض ربي وربك الله ، وأعوذ بالله من شرك ومن شر ما فيك ، وشر ما خلق فيك وشر ما يدب عليك ، وأعوذ بالله من شر كل أسد وأسود ، وحاسد وحسود ، ومن الحية والعقرب ، ومن ساكن البلد ، ومن والد وما ولد .

فإذا كان فى رفقته مكروه من جرس ونحوه قال : اللهم إنى أبرأ إليك مما فعله هؤلاء فلا تحرمنى صحبة ملائكتك وبركتهم . ذكره ابن الصلاح .

ويكثر الدعاء لأهله ، فدعاء المسافر لا يرد . قال ﷺ : « ثلاث دعوات مستجابات لاشك فيهن : دعوة المظلوم على من ظلمه ، ودعوة المسافر حتى يرجع إلى أهله ، ودعوة الوالد لولده وهم يدعون له ، فدعوة المسلم لأخيه بظهر الغيب مستجابة .

وإذا عثرت دابته قال : بسم الله ، وإن أصابتها رهصة قال : بسم الله أنت الراق وأنت الباق وأنت الشافى . ثم يعقد شعرة أو خيط قنب ثم يربط بها الرهصة ، روى عن مكحول .

ويقال للقادم : الحمد لله الذى سلمك ، الحمد لله الذى جمع الشمل بك ونحوه ، ذكره النووى رحمه الله .

ويقال لمن قدم من غزوة : الحمد لله الذى نصرك وأعزك وأكرمك ، ويقال لمن قدم من حج : الحمد لله الذى بلغك نسكك ، وغفر ذنبك ، وأخلف نفقتك . ويقول الحاج : اللهم اغفر للحاج ولمن استغفر له الحاج .

قال الغزالى رحمه الله : وقد كان من سنة السلف أن يستقبلوا الحجاج ويقبلوا بين أعينهم ، ويسألونهم الدعاء لهم ، ويبادروا بذلك قبل أن يتدنسوا بالآثام .

وقال عمر رضى الله عنه : الحاج مغفور له ولمن استغفر له فى ذى الحجة والمحرم وصفر وعشر من ربيع الأول . وقد تقدم فى الباب الذى قبل هذا مايقال عند خوف العدو ، وكذلك مايقال أيضاً عند خوف السبع وكل ماتخشاه ، وأضف إليه من أدعية الكرب وأسماء الله الحسنى ما شئت وقل : اللهم إنا نجعلك فى نحورهم ونعوذ بك من شرورهم ، اللهم أنت ربنا وربهم وقلوبنا وقلوبهم بيدك وإنما تقلبهم أنت يامالك يوم الدين إياك نعبد وإياك نستعين . اللهم أنت عضدى ونصيرى بك أحول وبك أصول وبك أقاتل ، اللهم اكفينهم بما شئت بسم الله ما شاء الله لا حول ولا قوة إلا بالله ، حسبى الله توكلت على الله ماشاء الله ، لا يأتى بالخير إلا الله ما شاء الله ، لا يصرف السوء إلا الله ، حسبى الله وكفى ، سمع الله لمن دعا ، ليس وراء الله منتهى ، ولا دون الله ملجأ (كتب الله لأغلبن أنا ورسلى أن الله قوى عزيز) . (لا تخاف دركاً ولا تخشى) . (لا تخف نجوت من القوم

الظالمين) . (لا تخف إنك من الآمنين) . (إن نشأ ننزل عليهم من السماء آية فظلت أعناقهم لها خاضعين) . تحصنت بالله العظيم واستعنت بالحى القيوم الذى لا يموت. اللهم احرسنا بعينك التى لا تنام، واكنفنا بكنفك الذى لا يرام . اللهم ارحمنا بقدرتك علينا ، ولا تهلكنا وأنت ثقتنا ورجاؤنا . اللهم اعطف علينا قلوب عبادك وإمائك برحمة منك ورأفة إنك أنت أرحم الراحمين .

﴿ فصل ﴾ وأفضل الأسفار السفر للجهاد ، ثم للحج ، ثم لزيارة قبر النبى ﷺ ، ثم المسجد الأقصى ، ولطلب العلم ، ثم لزيارة المشايخ والإخوان ، ثم لرد المظالم والاستحلال ، ثم لطلب الآثار والاعتبار ، ثم لرياضة النفس وخمول الذكر ، ولا يسافر للنزهة والبطر والرياء ، ذكره أبو النجيب السهروردى .

ولا يسافر إلا برضا الآباء والأستاذ بعد أن يوصى ويشهد على وصيته ويتعلم كل ما يحتاج إليه فى سفره ، ويستحل كل من كانت بينه وبينه معاملة أو مصاحبة، وإذا كانوا ثلاثة أمروا أحدهم ليطيعوه، وخير الرفقاء أربعة ويكره المشى منفرداً ، بل مع رفقة أمناء ، فإذا ناموا حرسهم بعضهم ، ولا يركب بنيات الطرق بل الجادة الواضحة ، فإن أشكل عليه طريقان فالتيامن أولى . وقد نهى النبى ﷺ عن التفرق والشعاب والأودية . وقال : « إنما ذلكم من الشيطان » .

وينبغى أن يمشى مشى أضعف رفقته ويقف لوقوف رفيقه ، ويبذل جهده فى خدمتهم ما أمكن ، ويرفع عنهم مؤنته ، قيل يا رسول الله أى الصدقات أفضل ؟ قال : خدمة الرجل أصحابه ، وقال ﷺ : « سيد القوم خادمهم » . وقال ﷺ : « خادم السوء أفضل عند الله من عابد مجتهد ، ومن متعلم محتسب ، وللخادم أجر من يخدمهم » .

قال الغزالى رحمه الله : خدمتك للفقهاء وأهل الدين والصوفية والتردد فى خدمتهم ، أفضل من النوافل ، فإنها عبادات وفيها رفق بالمسلمين .

قال السهروردى : ويجب على المسافر استصحاب كوز للطهـــارة أو ركوة ، ويستحب له استصحاب العصا والإبرة والخيوط والمقص والموسى والمشط ونحوها . قال بعضهم : يحتاج المسافر إلى أربعـــة أشياء وإلا فلا يسافر : علم يسوسه، وورع يحجزه، وخلق يصونه ، ويقين يحمله . ويسن أن لا يقدم المسافر على أهله بغتة . بل إذا قرب بعث من يخبرهم ، ويمهل حتى تستحد المغيبة ، وتمتشط الشعثة ، ثم لا يطرقهم ليلا بل يدخل غدوة أو فى آخر النهار ، وليأتهم بهدية أو تحفة . ولما قدم النبى ﷺ المدينة نحروا جزوراً .

روى فى الصحيحين : وكان المسلمون إذا قدموا من سفر ، بدؤا بالنبى ﷺ فسلموا عليه ، ثم رجعوا إلى رحالهم .

﴿ الحادى عشر ﴾ : ما يقوله الآكل ونحوه يقول عند ابتداء الأكل : بسم الله الرحمن الرحيم ، فإن تركها قال متى ذكر : بسم الله أوله وآخره . فإن نسى حتى فرغ قرأ قل هو الله أحد وكذا فى شرب الماء والعسل واللبن ونحوها ، ويتنفس ثلاثاً فيبسمل أول كل جرعة ويحمد آخرها ، ويزيد : اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وما رزقتنا مما تحب فاجعله عوناً لنا على ما تحب ، وما زويت عنا مما نحب فاجعله فراغاً لنا فيما تحب . اللهم أحسن أخلاقنا وطيب أرزاقنا وارزقنا نعيم الجنة ، الحمد لله الذى هدانا وأطعمنا، وسقانا ونعمنا . اللهم أصبحنا وأمسينا بكل خير ، نسألك تمام نعمتك وشكرها ، لا خير إلا خيرك ولا إله غيرك إله الصالحين ، ورب العالمين، الحمد لله ولا إله إلا الله ما شاء الله لا قوة إلا بالله اللهم بارك لنا فيما رزقتنا وقنا عذاب النار .

ويقول إذا أكل مع ذا عاهة . بسم الله ثقة بالله وتوكلا عليه ، فإذا فرغ من الأكل قال : الحمد لله حمداً كثيراً ، طيباً مباركا فيه ، غير مكفى ولا مودع ولا مستغنى عنه ربنا ، الحمد لله الذى أطعمنا وسقانا وجعلنا مسلمين ، الحمد لله الذى أطعم وسقى وسوغه وجعل له مخرجاً ، والحمد لله الذى من علينا وهدانا ، والذى أشبعنا وأروانا ، وكل الإحسان أتانا . اللهم أطعمت وسقيت وأغنيت وأقنيت وهديت وأحييت ، فلك الحمد على ما أعطيت .

وإذا كان فى الطعام شبهة قال الحمد لله على كل حال، اللهم صلى على محمد وعلى آل محمد ولا تجعله عوناً على معصيتك . فإذا فرغ من الشرب قال : الحمد لله الذى جعله عذباً فراتاً برحمته ، ولم يجعله ملحاً أجاجاً بذنوبنا .

وقد تقدم فى ذلك أحاديث فى الباب الخامس والسادس فلتطالع . ويقول إذا أكل ضيفاً : اللهم بارك لهم فيما رزقتهم واغفر لهم وارحمهم . وإذا أفطر عند قوم قال : أفطر عندكم الصائمون وأكل طعامكم الأبرار ، وصلت عليكم الملائكة ونزلت عليكم الرحمة ، وإذا حضر طعاماً لغيره وهو صائم فلم يأكل فليدع لأهل الطعام ، ويقول لمن سقاه شيئاً أو أطعمه : اللهم أطعم من أطعمنى ، واسق من سقانى . وإن كان شاباً قال: اللهم أمتعه بشبابه ، اللهم جمله .

ويقول الصائم إذا شاتمه أحد : إنى صائم إنى صائم ، يقول بلسانه مرتين فأكثر . ويسن تعجيل الفطر قبل الصلاة ذكره فى الإحياء . ويقول إذا أفطر ، قال ابن الصيف قبل الإفطار : اللهم لك صمت ، وعلى رزقك أفطرت ، أسألك برحمتك التى وسعت كل شىء أن تغفر لى ، الحمد لله الذى أعانى فصمت، ورزقنى فأفطرت . اللهم لك صمنا وعلى رزقك أفطرنا

فتقبل منا إنك أنت السميع العليم . ثم يقول عند أول لقمة : يا واسع المغفرة اغفر لى اللهم إنك عفو كريم تحب العفو فاعف عنى ، ويقول بعد الفطر بالماء : الحمد لله ، ذهب الظمأ وابتلت العروق وثبت الأجر إن شاء الله .

﴿ الثانى عشر ﴾ : فى أذكار النكاح، يقول عند خطبة المرأة : بسم الله والحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، وأوصى بتقوى الله جئتكم خاطباً ويخطب الولى كذلك ، ثم يقول : مرحباً أو لست بمرغوب عنك ونحوه . ويخطب عند العقد فيقول العاقد أو غيره : بسم الله والحمد لله نستعينه ونستغفره ونعوذ به من شرور أنفسنا ، من يهد الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادى له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، أرسله بالحق بشيراً ونذيراً بين يدى الساعة ، من يطع الله ورسوله فقد رشد ، ومن يعصهما فإنه لا يضر إلا نفسه ولا يضر الله شيئاً . (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون) ، (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديداً يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيماً) ويقول الولى : زوجتك على ما أمر الله به من إمساك بمعروف أو تسريح بإحسان فيقول الزوج : قبلت تزويجها ونكاحها .

وخطب على رضى الله عنه حين هم بتزويج فاطمة رضى الله عنها : الحمد لله حمداً يبلغه ويرضيه وصلى الله على محمد وآله صلاة تزلفه وتحظيه ، والنكاح مما أمر الله به ورضيه ، واجتماعنا هذا مما قدره الله وأذن فيه ، وهذا محمد ﷺ زوجنى ابنته فاطمة رضى الله عنها على صداق مبلغه خمسمائة درهم ، وقد رضيت فاسألوه واشهدوا ويقال للزوج عقب العقد:

بارك الله لك ونحوه . ويقال لكل واحد من الزوجين : بارك الله لكل واحد منكما فى صاحبه وجمع بينكما فى خير . ويكره أن يقال بالرفاء والبنين .

وندب إحضار جمع من أهل الصلاح زيادة على الشاهدين ، والعقد فى المساجد وفى شوال ، وعرض الرجل من إليه تزويجها على أهل الخير ليتزوجوها . ودليله فى صحيح البخارى مشهور . وإذا دخلت على الزوج زوجته ليلة الزفاف فليصل ركعتين ثم ليسم الله تعالى ويأخذ بناصيتها قائلا: بارك الله لكل واحد منا فى صاحبه ، ويزيد ما تقدم من ذلك فى الباب الخامس ، ولا بأس بالستر على العروس بثوب ونحوه أبيض لا أسود ، نص على ذلك الغزالى فى فتاويه .

وقال أنس رضى الله عنه بعد أن ذكر نكاح النبى ﷺ زينب رضى الله عنها : حتى إذا وضع رجله فى أسكفة الباب داخله والأخرى خارجه ، أرخى الستر بينى وبينه . ويكره ستر الجدرات لنهى ورد فيه ، ويقال للزوج بعد دخوله عليها ، كيف وجدت أهلك : بارك الله لك .

﴿ فصل ﴾ وقد تقدم فى الباب السادس ما يقال عند الوقاع وعند الطلق ، وإذا بنى بأهله فاغتسلت أمرها أن تصلى ركعتين ثم يأخذ برأسها قائلا: اللهم بارك لى فى أهلى وبارك لأهلى فى ، وارزقهم منى وارزقنى منهم ، واجمع بيننا ما جمعت فى خير ، وفرق بيننا ما فرقت فى خير ، فإن ولد له ولد قال : اللهم بارك لى فيما رزقتنى وأنبته نباتاً حسناً ، واجعله من صالحى الذرية ، وأعنى على كفالته حتى يبلغ أشده ، فإن كان ذكراً زاد على ذلك. اللهم اشدد به عضدى ، وكثر به فى الصالحين عددى ، وليكن عوناً لى على طاعتك ، وسلمنى من سوء فتنته إنك أنت الوهاب . أو بمثل هذا فادع لمن تهنئه بمولوده ، أو قل بارك الله لك فى الموهوب لك ، وشكرت الواهب،

وبلغ أشده ورزقت بره . وليرد المهنأ على المهنى : بارك الله لك وبارك عليك ، رزقك الله مثله جزاك الله خيراً آمين .

وتقدم ذكر الأذان فى أذن المولود فى الباب السادس. فيؤذن فى اليمنى ويقيم فى اليسرى مستقبلا ، ثم يقول : رب إنى أعيذه بك وذريته من الشيطان الرجيم . ويؤنث المؤنث . وقد تقدم ما يقال عند التحكيل فى الباب الخامس . ومن بلغ أربعين سنة فليأخذ حذره . قاله مسروق وقال عمر بن عبد العزيز . لقد تمت حجة الله على ابن الأربعين ، وينبغى لمن بلغها أن يقول ما أخبر الله به عن أبى بكر رضى الله عنه (رب أوزعنى أن أشكر نعمتك التى أنعمت على) إلى قوله (وإنى من المسلمين) ثم يتهيأ إلى الرحيل بالفعل الجميل فما بقى إلا القليل .

﴿ الثالث عشر ﴾ : ما يقال عند رؤية الهلال والقمر : يقول إذا رأى الهلال : الله أكبر ثلاثاً ، هلال خير ورشد ثلاثاً ، آمنت بالله الذى خلقك ثلاثاً ، ربى وربك الله . اللهم أهله علينا بالأمن والإيمان ، والسلامة والإسلام ، والتوفيق لما تحب وترضى ، الحمد لله الذى ذهب بشهر كذا ، وجاء بشهر كذا . ويزيد إذا استهل رمضان بعد قوله لما تحب وترضى ، والعافية المجللة والرزق الحسن ، ودفع الأسقام ، والعون على الصلاة والصيام ، وتلاوة القرآن . اللهم سلمنا لرمضان وسلمه منا حتى ينقضى ، وقد غفرت لنا ورحمتنا . وعفوت عنا . ويقوله كله مستقبل القبلة .

ويقول إذا دخل رجب : اللهم بارك لنا فى رجب وشعبان ، وبلغنا رمضان ، آمنت بالذى لا إله إلا هو . وإذا رأى القمر قال إنى أعوذ بك من شر هذا الغاسق إذا وقب . وإذا دخلت السنة قال : اللهم أدخلها علينا بالأمن والإيمان ، والسلامة والإسلام ، ورضوان من الرحمن ، وجوار من الشيطان . اللهم أنت رب قديم ، وهذه سنة جديدة ، فاسألك من

خيرها وأعوذ بك من شرها ، وأستكفيك مؤنتها وشغلها ، ياذا الجلال والإكرام .

﴿ الرابع عشر ﴾ : فى العطاس والتثاؤب . قال ﷺ : « إن الله يحب العطاس ويكره التثاؤب » قال العلماء : معناه أن العطاس سببه محمود ، وهو خفة الجسم التى تكون لقلة الأخلاط وهو أمر مندوب إليه ، لأنه يضعف الشهوة ويسهل الطاعة والتثاؤب بضده .

ويسن لمن جاءه العطاس أن يضع يده أو ثوبه ونحوه على وجهه ويخفض بها صوته ، ولا يلوى عنقه ، ويقول عقبه الحمد لله ، فإن زاد رب العالمين كان أحسن ، ولو قال على كل حال فهو أفضل ، ولو صلى على النبى ﷺ بعد ذلك فهو أكمل ، رواه الواحدى عن ابن عمر ، ويقول كل من سمع تحميده غير قاضى الحاجة والمصلى يرحمك الله أو ربك ، أو يرحمكم الله أو رحمك الله . فإن قاله بعض السامعين أجزأ عنهم ، فإن سمعه البعض شمته السامع فقط ، ويقول العاطس بعد ذلك : يهديكم الله ويصلح بالكم ، أو يغفر لنا ولكم ، وأقل الحمد والتشميت وجوابه أن يسمع به صاحبه ، فإن لم يحمد أو قال لفظاً غيره لم يشمت . وندب لمن عنده أن يذكره الحمد ، وإذا عطس فى أذانه أو صلاته ، ندب أن يقول : الحمد لله مسمعاً نفسه فى الأصح ، وإن عطس قاضى الحاجة أو المجامع حمد الله بقلبه فقط ، فإن تكرر العطاس متتابعاً شمت إلى أن يبلغ ثلاثاً فإن زاد دعا له بالشفاء فهو مزكوم . وندب لمن تثاءب أن يرده ما استطاع ، وإن كان فى صلاة فيمسك بيده أو ثوبه على فيه ، فإنه إذا قال هاه ، ضحك الشيطان .

وقال ﷺ : « من حدث حديثاً فعطس عنده فهو حق » وقال ﷺ : « من سعادة المرء العطاس عند الدعاء » .

﴿ الخامس عشر ﴾ فى سائر الأحوال ، يقول من قصت عليه رؤيا :

خيراً رأيت وخيراً يكون ، خيراً تلقاه وشراً توقاه ، خيراً لنا وشراً على أعدائنا ، والحمد لله رب العالمين ، وقد تقدم فى الباب السادس ما يقوله الرائى ، وما يقول عند المصالحة ، ويزيد المصافح : (ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة) الآية .

ويقول إذا طنت أذنه : اللهم صل على محمد وعلى آل محمد واذكرنى بخير واذكر من ذكرنى بخير . ويقول إذا نظر وجهه فى المرآة : الله أكبر الحمد لله الذى سوى خلقى فعدله ، وكرم صورة وجهى فحسنها وجعلنى من المسلمين ، الحمد لله ، اللهم كما حسنت خَلقى فحسن خُلقى ، ومن خدرت رجله فليذكر أحب الناس إليه . ذكره ابن السنى وغيره .

ويقول إذا دخل عليه المصباح : اللهم أتمم لنا نورنا إلى يوم القيامة . وقد تقدم ما يقوله إذاطفىء ، ويقول إذا دخل السوق ويزيد : بسم الله اللهم إنى أسألك خيرهذه السوق وخير مافيها ، وأعوذ بك من شرها وشر مافيها ، اللهم إنى أعوذ بك أن أصيب فيها يميناً فاجرة ، أو صفقة خاسرة ، ويقول إذا سمع صياح الديك : اللهم إنى أسألك من فضلك .

﴿ فصل ﴾ وإذا هاجت الريح قال: اللهم إنى أسألك خيرها وخير مافيها وخير ما أرسلت به، وأعوذ بك من شرها وشر مافيها وشر ماأرسلت به، ويكثر التكبير ، اللهم اجعلها رحمة ولا تجعلها عذاباً . اللهم اجعلها رياحاً ولا تجعلها ريحاً ، اللهم لقحاء لا عقيما . وإذا رأى ناشئاً وهو السحاب التى لم يتكامل اجتماعها ترك العمل ، وإن كان فى صلاة تركها وأقبل وأدبر وقال : اللهم إنى أعوذ بك من شر ما فيه . فإن انكشف حمد الله ، وإذا نزل المطر قال رحمة : اللهم صيباً نافعاً ، اللهم صيباً نافعاً ، مرتين أو ثلاثاً ، ويدعو بما شاء .

قال الشافعي رحمه الله : حفظت عن غير واحد طلب إجابة الدعاء عند نزول الغيث ، وإقامة الصلاة . ويقول بعد نزوله : مطرنا بفضل الله ورحمته ويكثر حمد الله عز وجل ، وإذا كثر المطر وخيف منه الضرر على المساكن والزرع ونحوه ، سأل الله رفعه : اللهم حوالينا ولا علينا ، اللهم على الآكام والظراب وبطون الأودية ومنابت الشجر ، اللهم سقيا رحمة ولا سقيا عذاب ، ولا محق ولا بلاء ولا هدم ولا غرق . ويقول ويقول إذا انقض كوكب ما شاء الله لا قوة إلا بالله ، ولا يتبعه بصره .

قال الشافعي رحمه الله : وإذا رأى البرق أو الودق فلا يشير إليه ، قال ولم تزل العرب تكرهه ، وتقدم ما يقول عند الرعد والبرق ويزيد عليه : اللهم لا تقتلنا بغضبك ، ولا تهلكنا بعذابك ، وعافنا قبل ذلك ، ويقال لهذه التي تظهر في السماء : قوس الله ، وهي أمان لأهل الأرض ، ويكره أن يقال لها قوس قزح ونحوه .

﴿ فصل ﴾ ويسن حمد الله والثناء عليه عند البشارة بما يسر ، ولا بأس بأن يعطى المبشر شيئاً فقد أعطى كعب بن مالك — وهو أحد الثلاثة الذين تاب الله عليهم — الذى بشره ثوبيه ولم يملك غيرهما ، والأدب لمن سئل عن شيء أن يقول لمن عنده تحدث أو أجب ، وإن كان القصد إلى المسئول وحده لما استخبر رسول الله ﷺ عن عائشة رضى الله عنها عن أمرها قالت لأبيها : أجب رسول الله ﷺ ، فقال ما أدرى ما أقول ؟ فقالت لأمها أجيبى رسول ﷺ . فقالت : ما أدرى ما أقول له . ثم أجابته هى عن قصتها . وقال عمر للقادمين : هل من مغربة خبر ؟ أى هل من خبر غريب .

﴿ فصل ﴾ ويسن أن يقول لمن عرض عليه ماله ونحوه : بارك الله لك فى أهلك ومالك ، وإذا قضى دينه قال : بارك الله لك فى أهلك ومالك وجزاك الله خيراً . ويقول لمن أزال عنه أذى : مسح الله عنك ما تكره ولا تمكن بك السوء ، أخذت يداك خيراً . ويقول إذا رأى مايحب الحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات ، وإذا رأى من الطيرة ما يكره قال : اللهم لا يأتى بالحسنات إلا أنت ، ولا يذهب بالسيئات إلا أنت ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

﴿ فصل ﴾ ويقول إذا دفع زكاة أو صدقة أو كفارة أو نحوها : اللهم اجعلها مغنماً ولا تجعلها مغرماً ، ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم . ويقول آخذ الزكاة : آجرك الله فيما أعطيت ، وجعله لك طهوراً ، وبارك لك فيما أبقيت ، وإذا قال آخذ الهدية ونحوها : بارك الله فيكم ، رد عليه وفيكم بارك الله . قالت عائشة رضى الله عنها : نرد عليهم مثل ماقالوا ، ويبقى أجرنا لنا .

وقال ﷺ : « إن الرجل إذا دخل بيته فأكل طعامه وشرب شرابه فدعوا له ، فذلك إثابته » . ولما قال له المهاجرون : ما رأينا كالأنصار كفونا المؤنة ، وشاركونا فى الأجر لقد خشينا أن يذهبوا بالأجر كله : قال « لا ! ما دعوتم لهم وأثنيتم عليهم » وقال ﷺ : « من أزلت إليه نعمة فليكافىء بها ، فإن لم يجد فليظهر ثناء حسناً » وقال ﷺ : «من صنع إليه معروف فقال لفاعله جزاك الله خيراً فقد أبلغ فى الثناء » . فيسن أن يقول لمن أحسن إليه ؟ جزاك الله خيراً ، ويثنى عليه .

ولمن رأى منه فعلا جميلا أحسنت ، أصبت ويدعو له ، ولمن حوله ، ولمن ناداه : لبيك لبيك وسعديك ، ولمن ضحك : أضحك الله سنك ،

ولمن جاءه مرحباً وأهلا وسهلا، وإن قيل له كيف أصبحت ؟ فليقل: بخير، أحمد الله إليك ، وإلى جميع خلقه . وإذا رأى برداً شديداً أو حراً قال : يفعل الله ما يشاء ، ويحكم ما يريد . ولا يقول أف ولا أخ ، ويقول لمن ذهب له شيء يتوقع حصول مثله كالمال والزوجة والولد: أخلف الله عليك، فإن لم يتوقع مثله كالوالد والعم قال : خلف الله عليك ، وذكره النووى وغيره .

وإذا دخل الحمام سأل الله الجنة وعاذ به من النار ، ولا يكره الذكر فى الحمام ، وإذا نظر فى السماء قال : (ربنا ماخلقت هذا باطلا سبحانك) الآيات (تبارك الذى جعل فى السماء بروجاً) الآية . ويقول عند ابتداء الأمور : (ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيء لنا من أمرنا رشداً) (رب اشرح لى صدرى ويسر لى أمرى) .

ويسن استفتاح مجلس حديث النبى ﷺ وختمه ، بقراءة قارىء حسن الصوت ، ما تيسر من القرآن مما يليق بالمجلس من آيات الخوف والرجاء والتزهيد ونحوه ذكره النووى . ويقول إذا شرع فى إزالة المنكر : (قل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً) ، (قل جاء الحق وما يبدىء الباطل وما يعيد) ويقول عند غضب سلطان أو ظالم : أطفأت غضبك بلا إله إلا الله . ويزيد ما أحب مما تقدم من دعوات الكرب . وإذا غلبه أمر قال : حسبى الله ونعم الوكيل ، على الله توكلت . وإذا قال له اتق الله ونحوه ، أو بينى وبينك الكتاب والسنة ، أو ما قالته العلماء ونحوه ، اذهب معى إلى الحاكم أو المفتى ، فليقل : سمعاً وطاعة ، أو نعم وكرامة، ونحو ذلك. ويجوز التعجب بلفظ التسبيح والتهليل ونحوه .

ويسن أن يعلم من يحبه أنه يحبه . قال معاذ : والله إنى لأحبك . وقال لامرأة من الأنصار : إنكم لمن أحب الناس إلى . وقال لرجل : إنى لأحب

هذا ، فقال ﷺ : « هل أعلمته » ؟ قال : لا ، قال : « أعلمه » فلحقه فقال : إنى أحبك فى الله ، قال أحبك الذى أحببتنى له .

ويقول عند نسيان القرآن . أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم ومن همزات الشياطين ، وأعوذ بك رب أن يحضرون . إنك أنت السميع العليم . اللهم أطلق بالقرآن لسانى ، واشرح به صدرى ، وأفرج به عن قلبى ، واستعملنى به ما أبقيتنى .

وروى أن من قرأ عند نومه : (وإلهكم إله واحد) الآيتين من البقرة حفظ عليه القرآن فلم ينسه ، ذكره فى الإحياء . ويقول عند السواك : اللهم بارك لى فيه يا أرحم الراحمين ، وكذا عند الاكتحال ونحوه ، ويقال لمن لا يثبت عند الركوب : اللهم ثبته واجعله هادياً مهدياً ويدعو هو بذلك .

﴿ فصل ﴾ ولبس السراويل والنعل قاعداً ، ولبس العمامة والرداء قائماً ، ويقول عند لبس الثوب والنعل ما فى الباب السادس مستقبلا : بسم الله ، اللهم لك الحمد كسوتنيه ، أسألك خيره وخير ما صنع له ، وأعوذ بك من شره ومن شر ما صنع له .

ويقول لصاحبه إذا رأى عليه ثوباً جديداً : ألبس جديداً وعش سعيداً ومت شهيداً ، بارك الله لك فيه ، تبلى ويخلف الله خيراً منه . أبل وأخلق مرتين أو ثلاثاً وإذا قيل له أبل وأخلق فليرد عليه ، أبليت جديداً وعشت حميداً . وإذا قيل له تبليه فى طاعة الله ، فليقل كساك الله من حلل الجنة .

﴿ فصل ﴾ وقد تقدم فى الباب السادس ما يقال عند المصائب . قال ابن أبى الصيف والغزالى رحمهما الله ، ويقول عند ضياع الشىء : (عسى ربنا أن يبدلنا خيراً منها إنا إلى ربنا راغبون) . وإذا ذهبت له ضالة أو آبق قال : اللهم هادى الضالة وراد الضالة ، يا جامع الناس ليوم لا ريب فيه ،

أردد على ضالتى ، فإنها من عطائك ورزقك ، ويتلو على خيط آية الكرسى مرة ، والمعوذتين عشراً عشراً ، ثم يعقدها سبع عقد ويقول : الله ربى لا أشرك به شيئاً ، واغوثاه ، لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ، كل ذلك ثلاث مرات ، ويسأل الله أن يحفظ ذلك ويكرر على قلبه ولسانه يا حفيظ يا حافظ ، ويعلق معناه . قال أبو الحسن القابسى : وإن ضل عنك شىء فاقرأ عليه سورة الضحى . وتقدم فى الباب الخامس ما يقول من يخاف العين ، ويقول من بلى بالوسوسة : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ، ويتفل عن يساره ، وقل هو الله أحد إلى آخر السورة ، آمنا بالله وبرسوله ثلاثاً لا إله إلا الله هو الأول والآخر والظاهر والباطن ، وهو بكل شىء عليم ، وإذا استقاد دابة أو بقرة أو نحوها أو رقيقاً وضع يده على سنامها أو ناصيته وقال : بسم الله اللهم إنى أسألك خيرها وخير ما جبلتها عليه ، وأعوذ بك من شرها وشر ما جبلتها عليه ، ويذكر المذكر .

وقد تقدم فى القسم الرابع والعشرين من الباب الثالث ما يقوله إذا غضب ، ويقول إذا هر عليه كلب : (يا معشر الجن والإنس إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والأرض فانفذوا لا تنفذون إلا بسلطان) الآيات (وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد) .

ويقول فى الدعاء على الجراد : اللهم أهلك الجراد، اقتل كباره ، وأهلك صغاره ، وأفسد بيضه ، واقطع دابره ، وخذ بأفواههم عن معايشنا وعن أرزاقنا إنك سميع الدعاء . ولما رآه عمر كبر ثلاثاً . وقال ﷺ : « فى صدر الجراد مكتوب جند الله الأعظم » رواه الواحدى .

وإذا رأى شيئاً من حيات البيوت لم يقتله حتى يؤذنه ثلاث مرات فى ثلاث خرجات ، فيقول : أنشدكم العهد الذى أخذ عليكم سليمان بن داود أن لا تؤذونا ويقرأ (سلام على نوح فى العالمين) إلى قوله (المؤمنين) ويقول

يا عبد الله إن كنت تؤمن بالله ورسوله فلا تؤذنا ولا تشعفنا ولا تروعنا ولا تبدأنا ، فإنك إن تبدلنا بعد ثلاث نقتلك ، فإن بدا له بعد ثلاث قتله . وأما الأبتر وذو الطفتين فيقتلان قبل الإنذار ، وكذا ما وجد من حيات الأسواق والشوارع والمساجد يقتل بلا إنذار .

﴿ فصل ﴾ ويقول إذا صادف ليلة القدر: اللهم إنك عفو تحب العفو فاعف عنى ، ويكثر فيها وفى يومها ذكر الله . وقراءة القرآن والدعاء .

وحكى عن الشافعى رحمه الله : أن من شهد فيها العشاء والصبح فى جماعة فقد أخذ بحظة منها . وليكثر يوم الجمعة وليلتها من ذكر الله ، وقراءة القرآن والصلاة على النبى ﷺ ويتنزه عن كل مكروه . قال ﷺ: « إذا سلمت له الجمعة فقد سلمت له الأيام . وإذا سلم شهر رمضان سلمت السنة » . وقال ﷺ : « إن فى الجمعة ساعة لا يوافقها عبد مسلم يسأل الله فيها شيئاً إلا أعطاه ، ويقرأ فيها سورة الكهف ، ويقرأ فى ليلتها سورة الدخان وسورة يس والبقرة وآل عمران وفى يومها سورة آل عمران وهود . ويكره تخصيص ليلتها بقيام ، ويومها بصيام .

﴿ فصل ﴾ وإذا قال سأفعل كذا ، فليقل إن شاء الله تعالى ، فإن نسى الاستثناء فليقله — وإن كان بعد شهر أو سنة — قاله بن جبير وعمرو بن دينار . قال الله تعالى : (واذكر ربك إذا نسيت) أى قله إذا تذكرت . وكذا إذا حلف فليقل إن شاء الله قاصداً الاستثناء وقت حلفه ، ولا حنث عليه ، والاستثناء حسن فى كل أعمال البر حتى فى جواب الماضى . كمن قيل له : أصمت أمس ؟ فيقول نعم ! إن شاء الله ، تأدباً وتواضعاً وتبركاً بذكر الله ، ذكره الغزالى رحمه الله . فاعتمد ما ذكرته ترشد إن شاء الله .

﴿ فصل ﴾ ويدعو فى الاستسقاء : اللهم اسقنا غيثاً مغيثاً ، هنيئاً

مريئاً ، مريعاً غدقاً مجللا ، سحاً عاماً طبقاً دائماً ، اللهم إنا نستغفرك إنك كنت غفاراً ، فأرسل السماء علينا مدراراً . اللهم اسقنا الغيث ولا تجعلنا من القانطين ، اللهم انبت لنا الزرع وأدر لنا الضرع ، واسقنا من بركات السماء وأنبت لنا من بركات الأرض ، اللهم ارفع عنا الجهـــد والجوع والعرى ، واكشف عنا من البلاء مالا يكشفه غيرك ، اللهم اسق عبادك وبهائمك وأنشر رحمتك وأحى بلدك الميت ، الحمد لله رب العالمين ، الرحمن الرحيم مالك يوم الدين ، لا إله إلا الله يفعل ما يريد ، اللهم أنت الله لا إله إلا أنت ، أنت الغنى ونحن الفقراء ، أنزل علينا الغيث واجعل ما أنزلت لنا قوتاً وبلاغاً إلى حين . اللهم أمرتنا بدعائك ووعدتنا إجابتك وقد دعوناك كما أمرتنا فاجبنا كما وعدتنا . اللهم أمنن علينا بمغفرة ما قارفنا ، وإجابتك فى سقيانا وسعة رزقنا . اللهم إنا سمعنـــاك تقول : (ما على المحسنين من سبيل) وقد أقررنا الإساءة فهل تكون مغفرتك إلا لمثلنا ، اللهم فاغفر لنا وارحمنا واسقنا ، ويكثر الاستغفار .

ويضيف إلى ذلك من أدعية الكرب والأسماء الحسنى ما أحب ، ولا بأس أن يتوسل إلى الله تعالى بما عمله من عمل صالح خالص لله تعالى . نص على ذلك النووى وغيره .

ودليله حديث الثلاثة الذين انسد عليهم فم الغار ، ويسن أن يبرز لأول مطر بقطع فى السنة ، ويكشف من بدنه غير عورته ، ليصيب المطر ثيابه وبدنه ويشرب منه .

وكان ﷺ إذا كان أول مطر خرج حتى يصيب جسده ويقول : « إنه قريب عهد بربه » وكان ابن عباس إذا جاء المطر يأمر عبده أن يخرج رحله وفراشه إليه ، ويقول : أحب أن ينالنى شىء من بركته .

ويسن أن يغتسل فى الوادى إذا سأل أو يتوضأ ، وقد تقدم أول هذا

القسم ما يقال عند المطر وبعده وغير ذلك ، ويسن للصواعق والزلازل والرياح الشديدة أن يصلي كل واحد منفرداً ، ويكثر الدعاء والتضرع والاستغفار ونحوها .

ويستحب إذا كسفت الشمس أو القمر ، أن يكثر كل أحد ذكر الله تعالى . والدعاء والاستغفار والصدقة ، وأن يصلي جماعة ، وهما آيتان من آيات الله تعالى ، لا يخسفان لموت أحد ولا لحياته ، كذا قاله النبي ﷺ .

﴿ السادس عشر ﴾ في أدعية العيدين والحج . ويسن أن يكبر كل أحد ليلتي الفطر والأضحى ، من غروب الشمس إلى الإحرام بصلاة العيد في كل الأحوال قاعداً وماشياً ومضطجعاً وخلف كل صلاة ، ويكبر في عيد الأضحى ثلاثاً يرفع الصوت أيضاً من بعد صلاة الصبح يوم عرفة إلى عقب صلاة العصر آخر أيام التشريق بعـد كل صلاة ولو نفلا ، فيقول : الله أكبر ثلاثاً أو أكثر ، الله أكبر كبيراً ، والحمد لله كثيراً ، وسبحان الله بكرة وأصيلا ، الله أكبر على ما هدانا ، والحمـد لله على ما ابتلانا وأبلانا ، لا إله إلا الله ، ولا نعبد إلا إياه ، مخلصين له الدين ولو كره الكافرون ، لا إله إلا الله وحده ، صدق وعده ، ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده ، لا إله إلا الله ، والله أكبر .

ويكبر الحاج ليلة الفطر ولا يكبر في النحر إلا من ظهر يوم النحر إلى صبح آخر التشريق ، ويكثر يوم عرفة من قول لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير .

ويقول عشية عرفة : اللهم لك الحمد كالذي تقول ، وخيراً مما تقول ، اللهم لك صلاتي ونسكي ، ومحياي ومماتي ، وإليك مآبي ولك رب تراثي .

اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبر ، ووسوسة الصدر ، وشتات الأمر ، اللهم إني أعوذ بك من شر كل ذى شر ، ومن شر ما تجىء به الريح .

وقد استحب بعض العلماء التعريف ، وهو أن يجتمع أهل كل بلدة أو قرية فى مسجد أو نحوه للدعاء والذكر يوم عرفة تشبيهاً بأهل عرفات .

روى عن ابن عباس والحسن وغيرهما وسئل عنه أحمد فقال: لا بأس به ، فعله غير واحد ، بكر وثابت ومحمد بن واسع وغيرهم . وقال ﷺ : « من أحيا ليـــلة العيد ، لم يمت قلبه يوم تموت القلوب » .

قال النووى رحمه الله : والأظهر أن الإحياء لا يحصل إلا بمعظم الليل ، وقيل يحصل بساعة ، وقيل هو أن يصلى العشاء فى جماعة ، ويعزم أن يصلى الصبح فى جماعة . وروى عن ابن عباس .

﴿ فصل ﴾ وينبغى فى عشر عرفة وهى الأيام المعلومات ، أن يكثر من كل الطاعات ، ويدعو بهذه الدعوات ، وهى خمس أهداهن جبريل عليه السلام إلى موسى عليه السلام ، أولهن : يقولها مائة مرة فى اليوم الأول ، ومائة مرة فى اليوم الثانى ، وهى لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد يحيى ويميت وهو على كل شىء قـــدير ، ثانيها : يقولها مائة مرة فى اليوم الثالث والثامن ، وهى أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، أحداً صمداً فرداً وتراً ، لم يتخذ صاحبة ولا ولدا ، ثالثها : يقولها فى اليوم الرابع والتاسع أشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له أحداً صمداً ، لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد ، رابعها : كالأولى يقولها فى السادس والسابع ، خامسها : حسبى الله وكفى . سمع الله لمن دعا ، ليس وراء الله منتهى ، ولادون الله ملجأ . يقولها فى الخامس والعاشر ، ويكرر كل واحدة مائة مرة ، ذكره أبو الليث السمرقندى وغيره . ويستحب أن

يصلى بعد عيد الفطر ثنتى عشر ركعة ، وبعد عيد الأضحى ست ركعات ، قاله سفيان الثورى ، وقال وهو من السنة .

﴿ فصل ﴾ قال ﷺ : « ماعمل آدمى من عمل يوم النحر أحب إلى الله من إهراقه الدماء ، وإنها لتأتى يوم القيامة بقرونها وأشعارها وأظلافها ، وإن الدم ليقع من الله بمكان قبل أن يقع فى الأرض ، فطيبوا بها نفساً ، وإن لصاحب الأضحية بكل شعرة حسنة » .

فيسن للمضحى بعد إضجاع الذبيحة أن يقول : (وجهت وجهى للذى فطر السموات والأرض حنيفاً مسلماً وما أنا من المشركين إن صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين) إلى قوله (من المسلمين) . اللهم هذا منك ولك ، عنى وعن أهلى ، فتقبل منى كما تقبلت من إبراهيم خليلك ومحمد حبيبك ، ويذبح قائلا : بسم الله والله أكبر ثلاثاً . اللهم صل على محمد وآله وسلم .

ويسن أن يضحى فى بيته فى مشهد أهله ويذبح هو بنفسه ويتوجه الذابح إلى القبلة ويوجه مذبحها إلى القبلة ويضع قدمه على صفحة الذبيحة ويقطع الحلقوم والمرىء وجوباً ، ويزيد معهما الودجين ، وهما عرقان فى صفحة العنق محيطان بالحلقوم استحباباً ، ثم يمسك فلا يبين الرأس فى الحال ، ولا يزيد فى القطع ولا يبادر إلى سلخ الجلد ، ولا يكسر القفار ولا يقطع عضوا ، ولا يحرك الذبيحة ولا يزحزحها بل يترك كل ذلك حتى تفارق الروح الجسد ، ولا يمسكها بعد الذبح ليمنعها عن الاضطراب ، وندب شحذ السكين وأن لا يشهرها فى وجهها ، وعرض الماء عليها قبل الذبح ، والرفق بسوقها واضطجاعها وسرعة القطع ، وهذا هو تحسين الذبح الذى أمر به صلى الله عليه وسلم لقوله ﷺ : « إن الله كتب الإحسان على كل شىء ، فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة : وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة » .

ويسن أن يصلي المضحي ركعتين عقيب الذبح ، فقد ورد أن الدعاء فيهما مستجاب ، ويكره الذبح بالليل أضحية كانت أو غيرها ، ويكره الذبح للجن نهى عنـــه النبي ﷺ ، وذلك كأن يستخرج عيناً أو يحدث داراً أو نحو ذلك ، فيذبح لهم . قال في البحر : فإن قصـــد بذلك التقرب إلى الله تعالى ليصرف عنه شرهم فهو حلال ، وإن قصد الذبح لهم فهو حرام .

﴿ فصل ﴾ وقد كنت أهملت أذكار الحج عند تقسيم هذا الباب ، وبعد ذلك رأيت أن إلحاقها فيه من أهم الأسباب فأدخلتها في هذا القسم ، وضمنت خلالها آداباً وأحكاماً بها كفاية للحاج إن شاء الله تعالى ، لتتم بها محاسن الكتاب ، ويجتزى مطالعه عن منسك وكتاب .

فينبغي لمن أراد الإحرام بالحج أن يغتسل أو يتيمم ، ثم يصلي ركعتين ينوي بقلبه ويساعد بلسانه فيقول: نويت الحج وأحرمت به لله تعالى، اللهم أعني عليه وتقبله مني ، لبيك اللهم لبيك بحجة ، لبيك لاشريك لك ، لبيك إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك ، اللهم أحرم نفسي وشعري وبشري ولحمي ودمي . ولا يذكر الحجة إلا في أول تلبيته . وإن أحرم عن غيره قال : نويت الحج وأحرمت به عن فلان لبيك اللهم عن فلان إلى آخر ماتقدم،ثم يصلي على النبي ﷺ ويدعو بما شاء ويكثر التلبية في كل حال ، وعلى كل هيئة ، ويكررها ثلاثاً ويرفع صوته إن كان ذكراً بحيث لا يبح صوته ، ويستديمها إلى أن يرمي جمرة العقبة أو يطوف للإفاضة أو يحلق ولا يلبي في طواف وسعي .

وإذا رأى ما يعجبه قال : لبيك إن العيش عيش الآخرة ، فإذا وصل الحرم وهو خارج مكة قال: اللهم هذا حرمك وأمنك فحرمني على النار وآمني من عذابك يوم تبعث عبادك ، واجعلني من أوليائك وأهل طاعتك .

فإذا وصل المسجد ورأى الكعبة رفع يديه ودعا وقال: لا إله إلا الله والله أكبر ، اللهم أنت السلام ومنك السلام ، ودارك دار السلام ، تباركت يا ذا الجلال والإكرام ، اللهم زد هذا البيت تشريفاً وتكريماً وتعظيما وبراً ومهابة ، وزد من شرفه وكرمه ممن حجه أو اعتمره تشريفاً وتعظيما وتكريماً وبراً : اللهم أنت السلام ومنك السلام ودارك السلام ، فحينا ربنا بالسلام . ثم يدخل المسجد من باب بنى شيبة ويقول ماقدمنا فى القسم الثانى ويزيد : بسم الله وبالله ومن الله وإلى الله وفى سبيل الله وعلى ملة رسول الله ﷺ ، فإذا قرب من البيت قال : الحمدلله وسلام على عباده الذين اصطفى ، اللهم صل على محمد عبدك ورسولك ، وعلى إبراهيم خليلك وعلى جميع أنبيائك ورسلك .

ثم يقصد الحجر الأسود ويمسه بيمينه ويقبله ويقول : اللهم أمانتى أديتها ، وميثاقه تعاهدته ، اشهد لى بالوفاء ، ثم يبادر بطواف القـــدوم — ويختص بمن دخل مكة قبل الوقوف — فيطوف سبعاً مبتدئاً من أول الحجر الأسود محاذياً له بكل بدنه ، خارج البيت والحجر ، جاعلا البيت عن يساره .

ويقول عند استلام الحجر وابتداء الطواف : بسم الله والله أكبر ولا إله إلا الله ، اللهم إيماناً بك وتصديقاً بكتابك ووفاء بعهدك واتباعاً لسنة نبيك محمد ﷺ ويكرره كلما حاذى الحجر ويقبله ويضع جبهته عليه فى كل طوفه ، فإن عجز مسه فإن زوحم أشار وقبل ما أشار به ، ويمس الركن اليمانى كل مرة بلا تقبيل ولا إشارة ، وأول ما يجاوز الحجر الأسود ينتهى إلى باب البيت فيقول : اللهم هذا البيت بيتك وهذا الحرم حرمك ، وهذا مقام العائذ بك من النار ، اللهم بيتك عظيم ، ووجهك كريم وأنت أرحم الراحمين ، فأعذنى من النار ومن الشيطان الرجيم ،

وحرم لحمى ودمى على النار ، وآمنى من أهوال يوم القيامة ، واكفنى مؤنة الدنيا والآخرة .

فإذا بلغ الركن العراقى قال : اللهم إنى أعوذ بك من الشك والشرك والنفاق والفسوق وسوء الأخلاق ، وسوء المنظر فى المال والأهل والولد فإذا بلغ الميزاب قال : اللهم أظلنى تحت عرشك يوم لا ظل إلا ظلك . اللهم اسقنى بكأس نبيك محمد ﷺ شربة لا أظمأ بعدها أبداً ، فإذا بلغ الركن الشامى قال : اللهم اجعله حجاً مبروراً وسعياً مشكوراً ، وذنباً مغفوراً وتجارة لن تبور ، يا عزيز يا غفور ، رب اغفر وارحم، وتجاوز عما تعلم ، إنك أنت الأعز الأكرم ، فإذا بلغ الركن اليمانى قال : اللهم إنى أعوذ بك من الكفر والفقر ، وعذاب القبر ، وفتنة الممات ومن الخزى فى الدنيا والآخرة .

ويقول بين الركن اليمانى والحجر الأسود : اللهم ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار .

فإذا بلغ الحجر الأسود قال : اللهم اغفر لى برحمتك ، أعوذ برب هذا الحجر . من الدين والفقر ، وضيق الصدر وعذاب القبر ، وعند ذلك قد تم له شوط ، فيطوف كذلك سبعة أشواط ويدعو كذلك . وندب أن يضطجع الرجل فى كل طواف بعده سعى إلى آخر السعى إلا فى ركعتى الطواف ، وأن يرمل فى كل الثلاثة الأشواط الأول منه ، والرمل : سرعة المشى مع تقارب الخطى دون العدو وفوق المشى المعتاد ، ويكثر فيها من قول اللهم اجعله حجاً مبروراً إلى قوله مغفوراً ، ويمشى فى الأربعة الأخيرة قائلا : اللهم اغفر وارحم إلى آخر ما تقدم . وإن قرأ فى طوافه ما شاء من القرآن كان حسناً ، فإذا فرغ من الطواف أتى الملتزم وهو مابين الباب والحجر فيلتصق بالبيت ويضع عليه خده الأيمن ويقول : اللهم

لك الحمد حمداً يوافى نعمك ويكافىء مزيدك ، أحمدك بجميع محامدك كلها ما علمت منها وما لم أعلم ، على جميع نعمك كلها ، ما علمت منها وما لم أعلم ، وعلى كل حال . اللهم صل وسلم على محمد وعلى آل محمد ، وأعذنى اللهم من الشيطان الرجيم ، وأعذنى من كل سوء ، وقنعنى بما رزقتنى وبارك لى فيه ، اللهم اجعلنى من أكرم وفدك عليك وألزمنى سبل الاستقامة حتى ألقاك يارب العالمين ، ويزيد ما شاء ثم يصلى ركعتى الطواف وخلف المقام أولى فإذا فرغ قال : اللهم أنا عبدك وابن عبديك ، أتيتك بذنوب كثيرة وأعمال سيئة ، هذا مقام العائذ بك من النار فاغفر لى إنك أنت الغفور الرحيم .

ويقول فى الحجر : وهو من البيت يارب أتيتك من شقة بعيدة مؤملا معروفك فأنلنى معروفاً من معروفك تغنينى به عن معروف من سواك يا معروفاً بالمعروف ، ويسن دخول الكعبة حافياً والصلاة فيها بحيث لا يؤذى ولا ينظر إلى ما يلهى بل يكثر ذكر الله تعالى والاستغفار .

﴿ فصل فى السعى ﴾ ثم إذا أراد السعى خرج من باب الصفا ، فإذا انتهى إليه رقى فيه قدر قامة واستقبل البيت ، وقال الله أكبر ثلاثاً ، ولله الحمد والله أكبر على ما هدانا ، والحمد لله على ما أولانا ، لا إله إلا الله والله أكبر ، لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد يحيى ويميت بيده الخير وهو على كل شىء قدير ، لا إله إلا الله وحده ، أنجز وعده ، ونصر عبده ، وهزم الأحزاب وحده ، لا إله إلا الله ، ولا نعبد إلا إياه ، مخلصين له الدين ولو كره الكافرون ، اللهم إنك قلت ادعونى أستجيب لكم ، وأنك لا تخلف الميعاد ، وإنى أسألك كما هديتنى للإسلام ، أن لا تنزعه منى حتى تتوفانى وأنا مسلم ، ويكرر ذلك ثلاثاً ويزيد ما شاء .

ثم ينزل عن الصفا ويمشي نحو المروة ، فإذا بقي بينه وبينها الميل الأخضر المعلق على يساره قدر ستة أذرع ، سعى سعياً شديداً حتى يتوسط الميلين الأخضرين ، فيمشي على عادته إلى المروة ، فإذا وصلها رقي عليها وأقبل بوجهه إلى الصفا وقال جميع ذلك ، وهذه سعية ، ثم يعود إلى الصفا ويفعل ذلك كذلك سبعاً ، ويقول في ذهابه ورجوعه بين ذلك : رب اغفر وارحم إلى آخره كما تقدم . ويزيد يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك ، والذهاب والعود مرتان ، ثم يخرج من مكة متوجهاً إلى منى بعد صلاة الصبح يوم الثامن وهو يوم التروية ، ويقول : اللهم إياك أرجو ، ولك أدعو ، فبلغني صالح أملي ، واغفر لي ذنوبي ، وامنن علي بما مننت به على أهل طاعتك إنك على كل شيء قدير ، ثم يصلي بها الظهر وما بعده ويبيت بها .

﴿ فصل في المسير من منى إلى عرفة ﴾ ثم يسير من منى إلى عرفة على طريق ضب بعد طلوع شمس يوم التاسع على ثبير ، ويقول في سيره : اللهم إليك توجهت ، ووجهك الكريم أردت ، فاجعل ذنبي مغفوراً ، وحجي مبروراً ، وارحمني ولا تخيبني إنك على كل شيء قدير . اللهم ربنا آتنا في الدنيا حسنة ، الآية . ويكثر التلبية والقراءة والذكر ، ثم يقيم بنمرة قرب عرفة حتى تزول الشمس ، فيصلي الظهر والعصر جمع تقديم ، ثم ينهض ويقف بعرفة عند الصخرات المفترشة أسفل جبل الرحمة ، ويجتهد حال وقوفه بالذكر والابتهال والدعاء والاستغفار ، ولا يقصر في ذلك ، فهذا أفضل يوم في السنة ، كما أن ليلة القدر أفضل ليلة ، ويكثر من قوله : ربنا آتنا في الدنيا حسنة ، الآية ومن قوله : اللهم إني ظلمت نفسي ظلماً كثيراً وإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت ، فاغفر لي مغفرة من عندك وارحمني إنك أنت الغفور الرحيم . اللهم اغفر لي مغفرة تصلح بها شأني في الدارين ، وارحمني رحمة أسعد بها في الدارين ، وتب علي توبة نصوحاً لا أنكثها أبداً ، وألزمني سبيل الاستقامة لا أزيغ عنها أبداً ، اللهم انقلني من ذل

المعصية إلى عز الطاعة ، واغننى بحلالك عن حرامك ، وبطاعتك عن معصيتك ، وبفضلك عمن سواك ، ونور قلبى وقبرى ، وأعذنى من الشر كله ، واجمع لى الخير كله ، ويكثر من الأدعية والأذكار والتلبية والصلاة على النبى ﷺ ، وقد تقدم ما يقوله عشية عرفة ، ويسن أن يقف إلى غروب الشمس يقيناً .

﴿ فصل ﴾ ثم يفيض منها إلى المزدلفة على طريق المأزمين ، ويقول : لا إله إلا الله والله أكبر ، ثلاثاً فأكثر . اللهم إليك أرغب وإياك أرجو فتقبل نسكى ووفقنى وارزقنى من الخير أكثر مما أطلب ولا تخيبنى ، إنك أنت الجود الكريم . ويصلى بها المغرب والعشاء جمع تأخير ، ويبيت بها ، ويحصل المبيت بحضوره ساعة من النصف الأخير ، وهذه هى ليلة العيد وقد تقدم ذكرها ، ويكثر فى المزدلفة من التلبية والدعاء .

ويقول فيها : اللهم إنى أسألك أن ترزقنى فى هذا المكان جوامع الخير كله ، وأن تصلح شأنى كله ، وأن تصرف عنى الشر كله ، فإنه لا يفعل ذلك غيرك ، ولا يجود به إلا أنت. ويصلى الصبح فى هذا اليوم مبالغاً فى تبكيرها ويدعو بعدها بما أحب مما يقوله فى الصباح ، وبعد الصلاة ، ثم يسير إلى المشعر الحرام وهو قزح فيصعده أو يقف تحته ، ويستقبل ويسبح ويحمد ويهلل ويكبر ، ويكثر التلبية والدعاء ويقول : اللهم كما أوقفتنا فيه وأريتنا إياه ، فوفقنا لذكرك كما هديتنا ، واغفر لنا وارحمنا كما وعدتنا ، بقولك وقولك الحق : (فإذا أفضتم من عرفات فاذكروا الله عند المشعر الحرام واذكروه كما هداكم) إلى قوله (غفور رحيم) (ربنا آتنا فى الدنيا حسنة) الآية . اللهم لك الحمد كله ، ولك الكمال كله ، ولك الجلال كله ، ولك التقديس كله ، اللهم اغفر لى جميع ما أسلفته واعصمنى فيما بقى ، وارزقنى عملا صالحاً يرضى به عنى يا ذا الفضل العظيم ، اللهــم إنى أتشفع إليك بخواص عبادك وأتوسل بك إليك أن ترزقنى جوامع الخير كله ، وأن

تمن على بما مننت به على أوليائك ، وأن تصلح لى حالى فى الدنيا والآخرة يا أرحم الراحمين . فإذا أسفر الفجر انصرف من المشعر الحرام متوجهاً إلى منى مكثراً من الذكر والدعاء والتلبية ، فهذا آخر زمنها .

فإذا بلغ وادى محسر قـــدر رمية حجر ووصل منى . قال الحمد لله الذى بلغنيها سالماً معافى ، اللهم هذه منى وقد أتيتها وأنا عبدك فى قبضتك ، أسألك أن تمن على بما مننت به على أوليائك . اللهم إنى أعوذ بك من الحرمان والمصيبة فى دينى ودنياى ، فإذا طلعت الشمس يوم النحر شرع فى رمى جمرة العقبة سبع رميات بسبع حصيات ويقطع التلبية ويكثر التكبير من حينئذ ، ويكبر مع كل حصاة ، ثم يذبح إن كان معه هدى ، ويقول ما تقدم عند الذبح .

﴿ فصل ﴾ ثم يحلق رأسه كما تقدم ويمسك ناصيته بيده ، ويستقبل ويكبر ثلاثاً ثم يقول الحمد لله على ما هدانا ، الحمد لله على ما أنعم به علينا ، اللهم هذه ناصيتى فتقبل منى واغفر لى ذنوبى ، اللهم اغفر لى وللمحلقين والمقصرين يا واسع المغفرة . اللهم أنبت لى بكل شعرة حسنة . وامح عنى بها سيئة ، وارفع لى عندك بها درجة ، فإذا فرغ من الحلق كبر أيضاً وقال : الحمد لله الذى قضى عنا نسكنا ، اللهم زدنا إيماناً ويقيناً وتوفيقاً وعوناً ، واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين .

﴿ فصل ﴾ ثم يعود إلى مكة لطواف الإفاضة ، وهو ركن لا يتم الحج إلا بهذا الطواف الذى يكون بعد الوقوف ، وهذا الطواف والحلق ورمى يوم النحر هى أسباب التحلل ، ويجوز أن يقدم أيها شاء ويؤخر أيها شاء ،

ووقتها نصف ليلة النحر ، ويحل باثنين منها كل شيء إلا الجماع ، فإنه لا يحل إلا بالثالث ، وأما طواف القدوم فسنة .

وأما السعي فإن كان قد سعى بعد طواف القدوم لم يعده، وإلا فالإتيان بالسعي بعد طواف الإفاضة ركن لا يتم الحج إلا به . ثم يعود في يومه إلى منى ليبيت بها ليالي التشريق الثلاث ، ويرمي كل يوم بين الزوال والغروب إلى الجمرة الأولى وهي التي تلي مسجد الخيف ، ثم الثانية ثم الثالثة جمرة العقبة إلى كل واحدة بسبع حصيات كل يوم .

ويسن في هذه الأيام وهي المعدودات إكثار ذكر الله تعالى وقراءة القرآن ويقف عند الجمرة الأولى بعد رميها مستقبلا ، فيحمد ويكبر ويهلل ويدعو قدر قراءة سورة البقرة ، وكذا عند الثانية ولا يقف عند جمرة العقبة لضيق المكان ، ورمي يوم النحر يفوت بغروب شمس ذلك اليوم ، ورمي أيام التشريق ، يفوت بفوات أيام التشريق ويجبر كله بالدم . ومن نفر في اليوم الثاني قبل الغروب يسقط عنه مبيت الليلة الآتية ورمي يومها ولا دم عليه ، وأما الحلق والطواف : فلا تأقيت لآخرهما ولا يفوتان ما دام حياً ، فإذا نفر من منى فقد انقضى حجه ولم يبق له ذكر يتعلق بالحج ، بل يشتغل بأذكار السفر المتقدمة .

﴿ فصل ﴾ وأذكار العمرة كأذكار الحج فيما يشتركان فيـــه وهو الإحرام فالطواف فالسعي فالحلق . واعلم أنه يحرم بالإحرام الجماع ومقدماته التي تنقض الوضوء ، والتعرض للصيد البري المأكول ، والطيب بما يقصد رائحته . ودهن الرأس واللحية بما يسمى دهناً ، وإزالة ظفر أو شعر من جسده ، وستر شيء من بدن الرجل بمخيط عليه أو على عضو منه بخياطة ونحوها ، وستر شيء من رأسه بما يعد ساتراً .

ويحرم على المحرم وغيره قطع كل نبات وشجر رطب حرمى الأصل ، ويسن أن يكثر الشرب من ماء زمزم مستقبلا قائلا : بسم الله ، اللهم إنه بلغنى عن رسولك محمد ﷺ أنه قال « ماء زمزم لما شرب له » ، اللهم إنى أشربه لتغفر لى ، ولتفعل بى كذا وكذا فاغفر لى واشفنى ، ويزيد ما شاء ويتنفس ثلاثاً ، ويسن المجاورة بمكة ما لم يغلب على ظنه الملل وارتكاب الذنوب ونحوه . وندب التطوع بالطواف ليلا ونهاراً للحاج وغيره بلا رمل ولا اضطباع .

﴿ فصل ﴾ ومن أراد الخروج من مكة إلى مسافة قصر من حاج أو معتمر أو غيرهما نجز أشغاله وشد رحله ، ثم طاف للوداع حتما ثم صلى ركعتيه ندباً ، ويسن أن يأتى بعد ذلك الملتزم فيلتزمه ويقول : اللهم البيت بيتك والعبد عبدك وابن امتك ، حملتنى على ما سخرت لى من خلقك . حتى سيرتنى فى بلادك ، وبلغتنى بنعمتك حتى أعنتنى على قضاء مناسكك ، فإن كنت رضيت عنى فازدد عنى رضاً ، وإلا فمن الآن قبل أن تنأى عن بيتك دارى ، هذا أوان انصرافى إن أذنت لى ، غير مستبدل بك ولا ببيتك ، ولا راغب عنك ولا عن بيتك . اللهم فأصحبنى العافية فى بدنى والعصمة فى دينى وأحسن منقلبى وارزقنى طاعتك ما أبقيتنى ، واجمع لى خير الدنيا والآخرة يا كريم . ولا يشتغل بعد ذلك إلا بشغل السفر .

﴿ فصل ﴾ ويزور رسول الله ﷺ ويكثر من الصلاة والتسليم عليه فى طريقه ويقول : اللهم افتح لى أبواب رحمتك وارزقنى فى زيارة نبيك محمد ﷺ ما رزقته أولياءك وأهل طاعتك واغفر لى وارحمنى يا خير مسئول . فإذا دخل المسجد وصلى التحية اتجه إلى قبره فاستقبله واستدبر القبلة على نحو أربعة أذرع من جدار القبر وسلم مقتصداً ، لا يرفع صوته ولا بصره بل ينظر إلى أسفل ما يستقبله من جدار القبر مستحضراً الهيبة

والإجلال فيقول : السلام عليك يارسول الله . السلام عليك يا خيرة الله من خلق الله ، السلام عليك يا حبيب الله ، السلام عليك يا سيد المرسلين وخاتم النبيين ، السلام عليك وعلى آلك وأصحابك وأهل بيتك ، وعلى النبيين وسائر الصالحين ، أشهد أنك بلغت الرسالة وأديت الأمانة ونصحت الأمة ، فجزاك الله أفضل ماجازى رسولا عن أمته ، ويزيد ما شاء .

ولا يلمس جدار القبر ولا يقبله فذلك خطأ ممن يفعله ، وإن أوصى بالسلام قال : السلام عليك من فلان أو فلان يسلم عليك يا رسول الله . ثم يتأخر قدر ذراع إلى جهة يمينه فيسلم على أبى بكر ثم يتأخر ذراع آخر فيسلم على عمر ، ثم يعود إلى قبالة وجهه ﷺ فيتوسل به ويدعو ويتشفع ثم يقف بين رأس القبر والاسطوانة التى هناك ، ثم يستقبل القبلة ويحمد ويدعو بما شاء ولمن شاء، ثم يأتى إلى الروضة مابين القبر والمنبر فيكثر فيها من الدعاء والصلاة ، ثم إذا أراد السفر قال كذلك ، ويدعو بما شاء ويودعه ويقول : اللهم لا تجعل هذا آخر العهد بحرم رسولك ﷺ ، ويسر لى العود فى الحرمين سبيلا سهلة بمنك وفضلك ، وارزقنى العفو والعاقبة فى الدنيا والآخرة . وردنا سالمين غانمين إلى أوطاننا آمنين ، برحمتك يا أرحم الراحمين .

﴿ القسم السابع عشر ﴾ فى صلاة الاستخارة : « يسن فى كل أمور الدنيا فيصلى ركعتين من غير فريضة ، فإذا سلم قال : اللهم إنى أستخيرك بعلمك وأستقدرك بقدرتك ، وأسألك من فضلك العظيم فإنك تقـــدر ولا أقدر ، وتعلم ولا أعلم وأنت علام الغيوب ، اللهم إن كنت تعلم أن هذا الأمر — ويسمى حاجته — خير لى فى دينى ومعاشى وعاقبة أمرى وعاجله ، فأقدره لى ويسره لى ثم بارك لى فيه ، وأقدر لى الخير حيث كان ، وإن كنت تعلم أن هذا الأمر شر لى فى دينى ودنيـاى ومعاشى

وعاقبة أمرى ، فاصرفه عنى واصرفنى عنه واقدر لى الخير حيث كان ثم ارضنى به ، فقد كان ﷺ يعلمهم هذا كالسورة من القرآن ، ذكره البخارى فى صحيحه .

وقال النووى رحمه الله : وتحصل ركعتين من الرواتب وبتحية المسجد ونحوها من النوافل ويكثر من قوله : اللهم خر لى واختر لى ثم ما انشرح له صدره فعله ، وما فعله بعد الاستخارة المذكورة فليرضى به وإن لحقه به مشقة ، فقد روى أن داود عليه السلام قال : إلهى من شر الناس ؟ قال من استخارنى فى أمر فإذا خرت له اتهمنى ولم يرض بحكمى .

﴿ القسم الثامن عشر ﴾ فى صلاة التسابيح : ذكرها أبو داود وغيره، قال ﷺ : « بعد أن وصفها . فلو كانت ذنوبك عدد النجوم وعدد القطر وعدد رمل عالج وعدد أيام الدنيا لغفرها الله » ويروى : « فلو كنت أعظم أهل الأرض ذنباً غفر لك بتلك وهى أن يكبر للإحرام ثم يقول : سبحانك اللهم وبحمدك تبارك اسمك وتعالى جدك ولا إله غيرك ، ثم يقول خمس عشرة مرة : سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ثم يتعوذ ويقرأ الفاتحة وسورة ، ثم يقول عشر مرات : سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ثم يركع فيقولها عشراً ، ثم يرفع رأسه فيقولها عشراً ، ثم يهوى ساجدا فيقولها عشرا ثم يرفع فيقولها عشراً ثم يسجد الثانية فيقولها عشراً ثم يرفع فيقولها عشراً قبل القيام ، ثم يقوم ويقرأ الفاتحة والسورة ثم يقولها خمس عشرة مرة، ثم يركع فيقولها عشرا ثم يرفع فيقولها عشراً ، ثم يسجد فيقولها عشراً يصلى أربع ركعات على هذا فذلك خمس وسبعون تسبيحة ، فى كل ركعة تبدأ بالخمس عشرة تسبيحة ثم يقرأ ثم يسبح عشرة .

قال ابن المبارك : فإن صلى ليلا فأحب أن يسلم فى كل ركعتين ، وإن

صلى نهاراً فإن شاء سلم وإن شاء لم يسلم . قال الرويانى فى كتاب البحر : قيل لابن المبارك إن سهى فى صلاة التسبيح أيسبح فى سجدتى السهو عشراً عشراً ؟ قال : لا ، إنما هى ثلثمائة تسبيحة .

قال الغزالى رحمه الله : ويستحب أن لا يخلو الأسبوع عنها قال : ولو زاد بعد التسبيح قول لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم فهو حسن، وقد روى فى بعض الروايات .

﴿ القسم التاسع عشر فى صلاة الرغائب ﴾ : ذكرها النسائى وغيره ، قال رسول الله ﷺ : « يصلى أول ليلة جمعة من رجب بين المغرب والعشاء اثنتى عشرة ركعة بستة تسليمات يقرأ فى كل ركعة فاتحة الكتاب مرة وسورة القدر ثلاثاً وقل هو الله أحد اثنى عشرة مرة، فإذا فرغ من الصلاة قال : اللهم صل على محمد النبى الأمى وعلى آله بعد ما يسلم سبعين مرة ، ثم يسجد ويقول فى سجوده : سبوح قدوس رب الملائكة والروح سبعين مرة ، ثم يرفع رأسه فيقول : رب اغفر وارحم وتجاوز عما تعلم فإنك أنت الأعز الأعظم سبعين مرة ، ثم يسجد ويقول مثل الأولى سبعين مرة ، ثم يسأل الله حاجته وهو ساجد فإن الله تعالى لا يرد سائله » وقد تقدم ذكرها فى قسم الصلاة من الباب الثالث . وذكر النووى فى فتاويه كراهة فعلها ، ولعله يعنى بذلك فعلها بالجماعة . والله أعلم .

وينبغى لمن أراد أن يسجد السجدتين بعدها أن يقرأ آية سجدة . فإن عند بعض العلماء أنه لا يجوز التطوع بسجدة بلا سبب ، ولهذا قال فى البحر : جرت عادة بعض الناس بسجود بعد الفراغ من الصلاة يدعون فيه ، وتلك سجدة لا يعرف لها أصل . والله أعلم .

﴿ القسم العشرون ﴾ صلاة الحفظ ذكرها الترمذى وغيره عنه ﷺ ، وهى أن يصلى فى ليلة الجمعة وفى الثلث الأخير أفضل أربع ركعات الأولى

بالفاتحة ويس ، والثانية بالفاتحة وحم الدخان ، والثالثة بالفاتحة والم تنزيل السجدة ، والرابعة بالفاتحة وتبارك المفصل ، فإذا فرغ حمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي ﷺ وعلى سائر النبيين، واستغفر لأهل الإسلام ثم يقول: اللهم ارحمني بترك المعاصي أبداً ما أبقيتني، وارحمني أن أتكلف ما لا يعنيني ، وارزقني حسن النظر فيما يرضيك عني . اللهم بديع السماوات والأرض ذا الجلال والإكرام والعزة التي لا ترام، أسألك يا الله بجلالك وبنور وجهك أن تلزم قلبي حفظ كتابك كما علمتنيه ، وارزقني أن أتلوه على النحو الذي يرضيك عني . اللهم بديع السماوات والأرض ذا الجلال والإكرام ، والعزة التي لا ترام ، أسألك يا الله يا رحمن ، بجلالك ونور وجهك أن تنور بكتابك بصري ، وأن تطلق به لساني ، وأن تفرج به عن قلبي ، وأن تشرح به صدري ، وأن تستعمل به بدني ، فإنه لا يعينني على الحق غيرك، ولا يؤتينيه إلا أنت ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، يفعل ذلك ثلاث جمع أو خمساً أو سبعاً ، يجاب بإذن الله تعالى .

﴿ فصل ﴾ في آداب الدعاء لتحصل الإجابة والإنابة إن شاء الله الكريم ، وهي أن يكون على طهارة . وأن يفتتحه ويختمه بحمد الله تعالى والثناء عليه سبحانه وتعالى ، والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ وعلى سائر النبيين ، وآلهم رضي الله عنهم أجمعين، وأن يستقبل القبلة إن أمكنه ويكرر الدعاء ثلاثاً فأكثر ، وأن يجزم بالطلب ولا يقول اغفر لي إن شئت ونحوه ولا يستبطىء الإجابة ، فقد قال ﷺ : « يستجاب لأحدكم ما لم يعجل ، فيقول قد دعوت فلم يستجب لي » . ويروى أن بين قول موسى وهارون عليهما السلام (ربنا اطمس على أموالهم) الآية وبين قوله تعالى (قد أجيبت دعوتكما) أربعين سنة .

وأنشد بعضهم :

أتهـــزأ بالدعاء وتزدريه　　　وما يدريك ما فعل الدعاء
سهام الليل لاتخطى ولكن　　　لها أمد وللأمد انقضـــاء

ويقتصر على الدعوات المأثورة وهى مجهورة ولا يتكلف السجع ، ويكون صوته بين المخافتة والجهر متضرعا خاشعاً ، ويرد المظالم والديون إن قدر عليها ، ويتوب إلى الله تعالى ويستغفره ، ويكون مطعمه ومسكنه وملبسه وكل ما معه حلالا ، فقد ذكر ﷺ : « إن الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء يقول يارب يارب ، ومطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام وغذى بالحرام ، فأنى يستجاب لذلك » . وأن يجد فى دعائه ويحضر قلبه ، قال ﷺ : « أفضل الدعاء ما خرج من القلب بجد واجتهاد ، وذلك الذى يسمع ويستجاب وإن قل » . وقال ﷺ : « إن الله لا يستجيب دعاء من قلب غافل ساه لاه » وأن يغتنم الأزمان الشريفة كيوم عرفة وشهر رمضان ويوم عاشوراء ، ويوم سبعة وعشرين من رجب ، ويوم النصف من شعبان ، ويومى العيدين ، والأيام المعلومات والمعدودات ، وكيوم الجمعة وليلتها ، وليلة النصف من شعبان ، وليلتى العيدين ، والثلث الأخير من الليل ، ووقت السحر ، وأن يغتنم الأحوال الشريفة كحال السجود والطواف والصيام ونزول الغيث ، وإقامة الصلاة وعقبها . وختم القرآن ، وحال رقة القلب .

ويغتنم المواضع الشريفـــة كالكعبة وعرفات وتحت الميزاب بمكة والمساجد الفاضلة والمشاهد الكريمة والمواضع النظيفة والخالية ، وأن يوقن بالإجابة ويصدق رجاؤه .

قال سفيان بن عيينة : لايمنعن أحدكم من الدعاء ما يعلمه من نفسه ، فإن الله تعالى أجاب شر خلقة إبليس قال رب أنظرنى فقال إنك من

المنظرين ، وأن يرفع يديه كالمغترف بهما معاً حتى يرى بياض إبطيه ولا يجاوزبهما رأسه ، قال ﷺ : « مامن عبد يرفع يديه حتى يبدو بياض إبطيه يسأل الله تعالى مسألة إلا آتاها إياه ما لم يعجل » . وقال ﷺ : « إن الله حيي كريم يستحي من عبده إذا رفع يديه أن يردها صفراً » يعني خاليتين .

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: المسألة أن ترفع يديك حذو منكبيك والاستغفار أن تشير بأصبع واحدة ، والابتهال أن تمد يديك جميعاً هكذا ورفع يديه وجعلهما مما يلي وجهه ، ثم يمسح بهما وجهه إذا فرغ ولا يمسح غير وجهه من بدنه ، ولا يرفع يداً واحدة إلا لعذر ، ولا يرفعهما إلا وهما مستورتان ، وإذا دعا لدفع بلاء جعل ظهر كفيه إلى السماء ، نص عليه الرافعي والنووي وغيرهما . ويختم دعاءه بآمين .

ومن آدابه استعمال خصال النظافة وقد ذكرت ، وقال ﷺ : « من طول شاربه لم يستجب الله له دعاءه » ، ولا يرفع بصره إلى السماء . قال ﷺ : « لينتهين أقوام عن رفع أبصارهم إلى السماء عند الدعاء أو لتخطفن أبصارهم .

﴿ تم بحمد الله وتوفيقه ﴾

خاتمة الكتاب

اعلم أن كل ماذكرته فى هذا الكتاب لايليق بطالب الدنيا والآخرة أن يجهله ، بل ينبغى لكل أحد أن يعرفه ويستعمله ، فإنه سهل الاستعمال كثير الفوائد فى الحال والمآل ، قال ﷺ : « الدعاء هو العبادة ، ليس شىء أكرم على الله من الدعاء وإن الدعاء ينفع مما نزل ومما لم ينزل » فعليكم عباد الله بالدعاء فإن الله يحب أن يسأل ومن لم يدع الله غضب الله عليه . وقال ﷺ : « إن الله يحب الملحين بالدعاء » ، وقال ﷺ : « من سره أن يستجيب الله له عند الشدائد والكرب فليكثر من الدعاء فى الرخاء » .

ويروى : أن الله تعالى قال لموسى عليه السلام : يا موسى أطلب إلى حتى العلف لدابتك ، والدقة لشأنك . ولاتستحى أن تسألنى صغيراً ولاتخف منى بخلا أن تسألنى عظيما ، فمن سألنى مسألة وهو يعلم أنى قادر أعطى وأمنع أعطيته مسألته مع المغفرة ، فإن حمدنى حين أعطيه وحين أمنعه ، أسكنته دار الحمادين ، وأيما عبد لم يسألنى مسألة ثم أعطيته ، كان أشد عليه عند الحساب ، ثم إذا أعطيته ولم يشكرنى عذبته عند الحساب . يا موسى : إن أردت أن لا أرد لك أيام الحياة دعوة ، فادعو للعوام كما تدعو للخواص .

وقال ﷺ : « ليسألن أحدكم ربه حاجته كلها ، حتى يسأله شسع نعله إذا انقطع ، وحتى يسأله الملح » ، وقال ﷺ : « إن لربكم فى بقية دهركم نفحات فتعرضوا لها لعل دعوة أن توافق رحمة يسعد بها صاحبها سعادة لا يخسر بعدها أبداً » ، وقال ﷺ : « ما جلس قوم مجلساً لم يذكروا الله فيه ولم يصلوا على نبيهم محمد ﷺ ، إلا كان عليهم من الله ترة » ، وقال ﷺ : من اضطجع مضجعاً لا يذكر الله فيه ، أو قال . « ما سلك رجل طريقاً لم يذكر الله فيه ، إلا كانت عليه من الله ترة (١) » .

---

(١) الترة : النقص وقيل : التبعة .

وقال ﷺ : « إن لله تعالى سيارات من الملائكة يطلبون حلق الذكر، فإذا أتوا عليهم حفوا بهم » ويروى : « فيقول الله تعالى : أشهدكم أنى قد غفرت لهم ، فيقولون يا ربنا إن فيهم فلاناً الخاطىء لم يردهم ، وإنما جاءهم لحاجة فيقول الله : وله قد غفرت ، هم القوم لا يشقى بهم جليسهم » .

وقال ﷺ : « سلوا الله تعالى العفو والعافية » وكان إذا ذكر أحداً فى الدعاء يبدأ بنفسه ، وكان يذكر الله على كل أحيانه ، وكان يستحب الجوامع من الدعاء ويدع ما وراء ذلك .

وكان يقول : « اللهم إنى أعوذ بك من البرص والجنون والجذام وسوء الأسقام ، اللهم إنى أعوذ بك من التردى ، وأعوذ بك من الهدم ، وأعوذ بك من الغرق ، والحرق والهرم ، وأعوذ بك أن يتخبطنى الشيطان عند الموت ، وأعوذ بك من أن أموت فى سبيلك مدبراً ، وأعوذ بك من أن أموت لديغاً ، اللهم واقية كواقية الوليد ، اللهم إنى أعوذ بك من جهد البلاء ودرك الشقاء ، وسوء القضاء ، وشماتة الأعداء ، وأعوذ بك من زوال نعمتك وتحول عافيتك وفجاءة نقمتك ، وجميع سخطك اللهم إنى أعوذ بك أن يغلبنى دين أو يغلبنى عدو . اللهم إنى أعوذ بك من شر سمعى ومن شر بصرى ومن شر لسانى ومن شر قلبى ومن شر عينى . اللهم إنى أعوذ بك من الشقاق ، والكفر والنفاق وسوء الأخلاق ، اللهم متعنى بسمعى وبصرى وعقلى ، واجعله الوارث منى » .

وقال ﷺ لعائشة رضى الله عنها : « قولى اللهم إنى أسألك من الخير كله عاجله وآجله ما علمت منه وما لم أعلم ، وأعوذ بك من الشر كله عاجله وآجله ما علمت منه وما لم أعلم ، وأسألك الجنة وما قرب إليها من قول أو عمل ، وأعوذ بك من النار وما قرب إليها من قول أو عمل وأسألك خير ما سألك عبدك ورسولك محمد ﷺ ، وأعوذ بك من شر ما استعاذ

بك منه عبدك ورسولك محمد ﷺ ، وأسألك ما قضيت لى من أمر أن تجعل عاقبته رشداً » .

وكان ﷺ يقول : اللهم زدنا ولا تنقصنا ، وأكرمنا ولا تهنا ، واعطنا ولا تحرمنا ، وآثرنا ولا تؤثر علينا ، وارضنا وارض عنا » .

وكان ﷺ لا يقوم من مجلس حتى يدعو بهؤلاء الدعوات لأصحابه : « اللهم اقسم لنا من خشيتك ماتحول به بيننا وبين معاصيك ، ومن طاعتك ماتبلغنا به جنتك ، ومن اليقين ماتهون به علينا مصائب الدنيا ، اللهم متعنا بأسماعنا وأبصارنا وقوتنا أبداً ما أحييتنا ، واجعله الوارث منا ، واجعل ثأرنا على ظلمنا . وانصرنا على من عادانا ، ولا تجعـــل مصيبتنا فى ديننا ولاتجعل الدنيا أكبرهمنا ولامبلغ علمنا ، ولا إلى النارمصيرنا، ولا تسلط علينا بذنوبنا من لا يرحمنا » .

وأخبرنى والدى رحمه الله وغيره إجازة قالوا أنبأنا الفقيه عمر بن على الشمعى . قال أنبأنا القاضى إسحاق بن أبى بكر الطبرى . قال أنبأنا عبدالرحمن ابن أبى حرمى . قال أنبأنا أبو حفص عمر بن عبد المجيد المياشى القرشى ، فلما فرغ من القراءة دعا لنا وختم المجلس بالدعاء . قال أنا أبو طاهر المظفر محمد بن على الشيبانى، فلما فرغ من القراءة دعا لنا وختم المجلس بالدعاء . قال أنا أبو طاهر يحيى بن محمد المحاملى ، فلما فرغ من القراءة دعا لنا وختم المجلس بالدعاء . قال أنا أبو الحسن جابر بن يس ، فلما فرغ من القراءة دعا لنا وختم المجلس بالدعاء . قال أبو جعفر أحمد بن إسحاق بن بهلول ، فلما فرغ من القراءة دعا لنا وختم المجلس بالدعاء . قال أنا أبى ، فلما فرغ من القراءة دعا لنا وختم المجلس بالدعاء . قال أنا عبدالرحمن بن مهدى ، فلما فرغ من القراءة دعا لنا وختم المجلس بالدعاء ، قال أنبأنا مالك بن أنس ، فلما فرغ من القراءة دعا لنا وختم المجلس بالدعاء ، قال أنبأنا محمد بن شهاب ، فلما فرغ من القراءة دعا لنا وختم المجلس بالدعاء . قال أنا عروة، فلما فرغ من القراءة دعا لنا وختم

المجلس بالدعاء قال حدثتنا عائشة رضى الله عنها ، فلما فرغت من حديثها دعت لنا وختمت المجلس بالدعاء . وقال : كان رسول الله ﷺ إذا فرغ من حديثه وأراد أن يقوم من المجلس يقول : « اللهم اغفر لنا ما أخطأنا وما تعمدنا ، وما أسررنا وما أعلنا ، وما أنت أعلم به منا ، أنت المقدم وأنت المؤخر لا إله إلا أنت » .

وهذا آخر الكتاب الذى قصدت جمعه لى وللأصحاب ، أتيت به على استعجال ، وأنا مشغول البدن والبال فى أمر الدنيا لا فى أمر المآل وقد جمعت فيه بحمد الله وعونه وتيسيره ومنه من النفائس المفيدة والأخلاق الحميدة ، والآداب السديدة والفوائد العتيدة ، والأذكار المشهورة والأدعية المبرورة ، والأزهار المنثورة ، والنكت الغريبة والملح العجيبة ، والأوراد المتقنة والآثار الحسنة ، والمسائل الفقهية والأحكام السنية ، ما فيه كفاية للعاقل ، وإعانة للجاهل ، وتسهيل للعامل ، وتذكار للغافل ، مما لا يستغنى عنه أديب ولا متعبد ، ولا محترف حريص ولا متزهد ، ولا خلى ولا ناكح ، ولا ولى ولا صالح ، ومن تأمله رشد ، ومن استعمله وجد ، ولعل من ينظر فيه ، ويطالعه ويقتفيه يزدرينى بجمعه ، أو يفندنى بوضعه ، فيبالغ فى العزل والسباب ، ويدعوه ذلك إلى الاغتياب .

فأنا أخبره من قبل لومه أنى دخلت باباً لست من قومه ، وأنا عارف بقصورى وتقصيرى ، وعدم استعدادى لمصيرى ، وإنما جمعته مع لومى وجهلى ، ولأولادى ولعاجز مثلى ، ولعل مستفيداً من آدابه ومسائله ، أن يعمل بها فيكون لى مثل أجر فاعله ، أو يدعو لى دعوة نافعة فى غيبتى ، فترفع بها فى الآخرة درجتى ، ورجائى أن أحشر فى زمرة العلماء رضى الله عنهم أجمعين ، لقوله ﷺ : « من تشبه بقوم فهو منهم ، ومن كثر سواد قوم فهو منهم ، مع أن رحمة الله أكبر ، والرجاء له أكثر . فأسأله

سبحانه أن يتجاوز لى عما تكلفته ، ولست من أهله ، وأن يتغمدنى برحمته وعفوه وكرمه وفضله ، وأن يجمعنى فى جنته أنا ومن أحسن إلى ومن أحبنى وأحببته لأجله .

وأسأله سبحانه أن يمن علينا أجمعين بما من به على الأبرار ، وأن ينجينا وأحبابنا وجميع المسلمين من العار والنار ، وأن يجعل خير أعمارنا آخرها، وخير أعمالنا خواتيمها ، وخير أيامنا يوم نلقاه يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم ولهم اللعنة ولهم سوء الدار ، وأن يوفقنا فى الحياة لأحسن الأفعال والأقوال ، ويحسن أخلاقنا فى كل حال من الأحوال ، وأن يبارك لنا فيما رزق من الدين والأهل والأموال ، وأن يمتعنا متعة حسنة سليمة من الأهوال ، وأن يجعلنا بعلمنا عاملين ، وإلى رضاه بطاعته واصلين ، وفى بحبوح جنته حاصلين ، ولا يجعلنا فى خيره خاملين ، ولا عن الاستعداد للآخرة غافلين .

ونسأله سبحانه وتعالى أن يجعلنا أجمعين من حزب حبيبنا سيد المرسلين صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين ، وأن يغفر لنا ولوالدينا ولأحبابنا ولأصحابنا وسائر المسلمين ، برحمته إنه هو الغفور الرحيم ، اللطيف الكريم ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ، والحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وصحبه وجميع النبيين ، والآل وسائر الصالحين آمين برحمتك يا أرحم الراحمين آمين .

﴿ تمت الخاتمة بعون الله ﴾

فهـــرست كتاب

البركة فى فضل السعى والحركة

فهرس كتاب (البركة فى فضل السعى والحركة)

رقم الإيداع ١٩٩٤/٤٧٧١
الترقيم الدولى ٩ - ٣٦ - ٥١٦٥ - ٩٧٧